العدد الثالث

منبر الإسلام

السنة ٢٧ ○ ربيع الأول ١٣٨٩ ○ مايو ١٩٦٩

الثمن ١٠ قروش

عدد ممتاز

مع العدد هدية

تفسير سورتي "هود و يوسف"

بسم الله الرحمن الرحيم

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ
عَزِيزٌ عَلَيهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ
بِالْمُؤمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيم
صدق الله العظيم

من محتويات العدد

- نص خطاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر في عيد العمال
- معادلة النصر — السيد حسين الشافعي
- احتفال المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بالذكرى الخالدة للشاعر المؤمن محمد اقبال
- كلمة السيد محمد توفيق عويضة سكرتير عام المجلس الاعلى للشئون الاسلامية
- كلمة السيد اقبال أحمد اخوند سفير باكستان بالقاهرة
- احتفال الجامعة الازهرية بتأبين الفقيد العظيم الدكتور ذاكر حسين رئيس جمهورية الهند الراحل
- كلمة فضيلة الاستاذ أحمد حسن الباقورى مدير جامعة الازهر
- كلمة السيد الدكتور عبد العزيز السيد
- كلمة السيد محمد توفيق عويضة سكرتير عام المجلس الاعلى للشئون الاسلامية
- كلمة السيد أبابانت سفير الهند فى القاهرة
- الذكرى السنوية الاولى للمغفور له فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى
- أسباب انهيار المجتمعات كما تحددها سورة الفجر — الاستاذ أحمد حسين
- انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون — فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى
- مفتراة هذه التوراة — الدكتور أحمد الحوفى
- بنو اسرائيل فى ميزان القرآن — الاستاذ البهى الخولى
- ربيع الاول شهر الرحمة المهداة — فضيلة الشيخ محمود أحمد هاشم
- نجاوى فى ذكرى مولد الرسول عليه الصلاة والسلام — الاستاذ محمد الخضرى عبد الحميد
- براعة الاستهلال وروعة الاساليب فى فواتح السور — فضيلة الدكتور عبد الغنى الراجحى
- الشريعة الاسلامية والاداب — المستشار محمد خاطر
- ماذا تعرف عن العالم الاسلامى — الدكتورة عنايات الطحاوى
- الايثار (مسرحية) — الاستاذ على أحمد باكثير

الاشتراكات عن سنة

١٠٠ قرش فى الجمهورية العربية المتحدة
٨٠ قرشا للعمال والطلبة

يضاف الى هذا قيمة البريد خارج الجمهورية العربية المتحدة وما يساوى قيمة هذه العملة فى البلاد الأخرى.

تقبل كوبونات البريد الدولى ذات القرشين

* الاشتراكات تدفع مقدما

العنوان : ٣ شارع الأمير قدادار المتفرع من شارع التحرير القاهرة ت ٢٨١٥٦

معالم الطريق

نص خطاب السيد الرئيس

جمال عبد الناصر

فى عيد العمال

أول مايو ١٩٦٩

أيها الاخوة المواطنون :

يحمل الينا هذا العيد الذى نحتفل به اليوم مع مئات الملايين من الذين يبنون الحياة فى قارات العالم المختلفة وشعوبها العديدة أضواء جديدة توحى الينا بالمزيد من الامل الى ان خطانا تسير على الطريق الصحيح ٠٠ والى ان نضالنا قادر على تغيير ماوجدنا أنفسنا فيه مع ظروف من أخطر الظروف التى مرت على أمتنا وأقساها ٠

وحينما نتطلع الى ماكنا فيه ونقارن بما وصلنا اليه فانه لايسعنا الا ان نتوجه بالحمد والشكر لله عز وجل والا ان نشعر بالاطمئنان الى ما يستطيع العمل الانسانى ان يحققه بالايمان والصبر وبالجهد المستمر وبالامل فى نصر الله

أيها الاخوة ٠٠ ان الصورة فى شهر مايو من العام الماضى مثلا كانت تختلف اختلافا بينا عما كانت عليه فى أعقاب النكسة والصورة فى هذا اليوم الاول من شهر مايو عام ١٩٦٩ لا يمكن ان تقارن بالصورة فى أول مايو من العام الماضى ٠٠ **ولعل واجب الانصاف يقتضينى احقاقا للحق وتقديرا لجهود رائعة بذلتها الجماهير العاملة للشعب المصرى على ارض ميدان** القتال وفى المصانع وفى الحقول أن أقول أمامكم ان الصورة تتغير من يوم الى يوم ٠٠ لكننى اذ أقول ذلك بدافع الانصاف اجد لزاما ان أقول فى نفس الوقت وبدافع المسئولية ان الشوط أمامنا مازال طويلا وان المزيد من جهودنا وتضحياتنا مازال مطلوبا لاننا نواجه عدوا لن يترك أرضنا اذا لم نستطع ان نخلعه منها وهو ما يتحتم علينا ان نفعله وهو مالا مفر امامنا من ان نفعله وهو ما سوف نفعله باذن الله وعونه ٠

ولعل وقائع اليومين الاخيرين ايها الاخوة هى أكثر ما يرمز الى التغيير الذى نحس به اليوم والذى نجد فيه ضوءا جديدا على آمالنا ٠٠

أيها الاخوة ٠٠ أول أمس كنا هنا بينكم فى حلوان ٠٠ وكنا نفتتح مصنع الدرفلة الجديد ٠٠ وهو من العلامات البارزة فى صناعة الحديد والصلب التى هى اساس بناء الصناعات الثقيلة ٠٠ مصنع الدرفلة تكلف ٦٧ مليون جنيه شارك فى بنائه عشرة الاف **عامل مصرى ٠٠ ثم هو جزء من مشروعنا الاكبر وهو** مشروع مجمع الحديد والصلب الذى يصل بانتاجنا الى

دمرنا ٦٠٪ من تحصينات اسرائيل شرق القناة وسندمر الباقي

الرئيس جمال عبد الناصر يرد على تحية الجماهير اثناء دخوله الى سرادق الاحتفال

مستوى مقبول بالمعايير العالمية المتقدمة تضيف على انتاجنا من الصلب مليون طن ٠٠ ولقد تم بناء هذا المصنع فى ظروف المعركة وتحت ضغوطها فكان تأكيدا لشعار رفعناه دائما فوق كفاحنا يد تبنى ويد تحمل السلاح وكنا ايها الاخوة فى انتصار ١٩٥٦ نناضل تحت هذا الشعار ٠ ونحن برغم نكسة ١٩٦٧ نناضل تحت نفس هذا الشعار ٠ والى جانب هذا التأكيد لشعار العمل والقتال فى نفس الوقت فان هذا المصنع تأكيد جديد ايضا لاستمرار الثورة الخلاقة التى استهدفتها كل المؤامرات التى وجهت الى شعبنا ٠

« البقية ص ٢٣٤ »

معادلة النصر

المائة الصابرة

السيد حسين الشافعى

الى القرآن الكريم دائما يجب أن نتجه ، اذاأردنا النصر فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ٠٠ والى القرآن اتجهت فى الفصل الأول من معادلة النصر ، فألمحت الى ما فتح الله من معانى التكليف بثمن النصر قبل طلب النصر ، فانما ينصر الله من ينصره ، ولا غالب لمن ينصرهم الله ٠

*** وشاء الله أن يضرب لنا المثل فى أنفسنا ٠٠** فى أولئك الفدائيين المصريين البواسل ، أبناء ثورة ٢٣ يوليو ، وهم يعبرون القناة بليل ، ويضربون أعناق الأعداء الواغلين فى سيناء٠٠مجمل القول فيهم **انهم فتية آمنوا بربهم ٠**

* فكيف كانوا فى المعارك ؟

* لقد جعلوا من فرسان شمشون أرانب تهيم فى الصحراء ٠٠ ثم جعلوا من قوة اسرائيل التى لاتغلب ـ كما تذيع أبواقها فى العالم ـ أضحوكة الجيش الذى يموت الجندى فيه بالسكتة القلبية ، لمجرد رؤية فدائى مصرى !

*** (هذه أرضنا ٠٠) كانت** صيحة الفدائيين **المصريين فى وجه أعداء الله ٠٠ هذه أرضنا فاخرجوا** منها ٠٠ أو نجعلكم وقودا لجهنم ٠٠ أو طعاما للبوم والغربان ٠٠ هذه أرضنا ونحن أبناء شعب صعب المراس ٠٠ هذه أرضنا ونحن لا نحارب للحرب ولكن دفاعا عن المقدسات : الارض والعرض والمال ٠٠٠ ندافع عن الرحمة يا أعداء الرحمة فى كل مكان ٠٠ وزمان ٠٠ كيف تتصورون البقاء فيها ونحن على ظهرها أحياء ؟!

*** هذه أرضنا ٠٠ وكان فيها قبلكم جيش** الامبراطورية البريطانية ٠٠ اسألوه ماذا فعلنا بجنوده ٠٠ هذه أرضنا وهى تحارب معنا ٠٠ ونحن جند الحق فأى الجنود أنتم ؟!

*** ان ماترونه الآن بداية هادئة ٠٠**

وأعود الآن الى معادلة النصر فى حساب القرآن **الكريم ٠٠ انها أوامر تفرض الطاعة ٠٠ وهى التزامات** تحتم الأداء ٠٠ والنتيجة معروفة ومضمونة ومؤكدة ولننظر فى هذه الآيات البينات :

١ ـ « ياأيها النبى حرض المؤمنين على القتال » ٠

٢ ـ (يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم)

٣ ـ « يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا »

٤ ـ (يأيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار)

٥ ـ « يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا »

٦ ـ (يأيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الأرض » ٠

٧ يأيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم »

٨ ـ (ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وانفسهم)

٩ ـ (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار)

١٠ ـ (ان الله يدافع عن الذين آمنوا)

١١ ـ ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا)

١٢ ـ (الله ولى الذين آمنوا)

١٣ ـ (وكان حقا علينا نصر المؤمنين)

١٤ ـ (اذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا ، سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب)

١٥ ـ (فريقا تقتلون وتأسرون فريقا)

واذا كانت كل آية تشد انتباهى الى مافيها من تشريع عدل ، وجهاد حق ، واعداد وتنظيم من صنع الله ، فان هذه الآية الرابعة عشرة ، تدعونى الى اعادة البصر فيها كرتين ، فأجد فيها سبحان القاهر فوق عباده ، وهو يخاطب بالوحى الملائكة وهم فى صفوف الجيش المحمدى ؛ لا يقاتلون كما يحاول البعض أن يقول وانما يثبتون المؤمنين فى المعركة ، والله القوى العزيز مع الملائكة يصدر الأوامر ، فيثبت الذين آمنوا وعندها **يلقى الجبار فى قلوب الكفار رعبا وفزعا ، ثم يسقط منهم القتلى ويأسر منهم المؤمنون من يبقى ٠**

أى ابداع فى هذا التصوير الالهى لمعركة يشترك فيها الملائكة بالتعبئة المعنوية ، والله منزل فى قلوب أعدائه الصرع والفزع ، وتغلى مراجل المعركة ويحمى الوطيس ، فاذا المؤمنون يقتلون من الكافرين فريقا ويأسرون فريقا ٠

والسؤال بعد ذلك : من هم أولئك الذين كان الملائكة فى صفوفهم ؟ ٠

انهم الذين آمنوا ٠ انهم الذين يحرضهم النبى على القتال ٠ انهم المستجيبون لدعوة الله ورسوله ٠ انهم الصابرون المرابطون ٠ انهم الثابتون الذاكرون الله ٠ انهم المجاهدون بأنفسهم وأموالهم ٠ **انهم الذين يدافع الله عنهم ٠ انهم الناجون يوم لا ملجأ الا اليه ٠ انهم المستحقون للنصر وما النصر الا من عند الله ٠**

هؤلاء تمشى الملائكة فى صفوفهم ، تثبت قلوبهم ، وتثبت أقدامهم ، وتمكنهم من رقاب العدو ، فاذا هو قتيل أو أسير ٠

ونظرة أخرى الى شريعة القتال ٠٠ قال تعالى: **(كتب عليكم القتال)** ٠٠ كتب على جميع المسلمين القتال فى الميدان وخلف الميدان ٠ ٠ فالحرب تصيب الجند فى المعارك ، وتصيب أهل الجند خلف المعارك والكل مكتوب عليه القتال ، دفاعا عن الحق والرحمة والعدل والخير والسلام ٠

اذن لابد أن يؤدى كل من فى الجبهة الداخلية دوره كاملا فى العمل ، لأنه ظهير لاخيه فى خط المواجهة ٠

أما التحريض على القتال ، وأما الدعوة الى الصبر والمصابرة والرباط والأمانة والثبات ، فكل ذلك اختص الله به المؤمنين من بدء الدعوة الى القتال ، حتى تضع الحرب أوزارها ٠

ثم يكون النصر حقا على الله ٠٠ لمن ؟ للمؤمنين ايضا ٠

من أجل ذلك يأمر الله سبحانه وتعالى نبيه القائد المنتصر :

(يأيها النبى حرض المؤمنين على القتال) ٠٠

« البقية ص ١٧ »

احتفال
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
بالذكرى الخالدة للشاعر المؤمن الثائر
محمد اقبال

فى الخامس من صفر سنة ١٣٨٩ الموافق ٢٢ أبريل ١٩٦٩ احتفل المجلس الاعلى للشئون الاسلامية باحياء ذكرى شاعر الانسانية وفيلسوف الاسلام الدكتور محمد اقبال فى حفل شهده السادة سفراء باكستان والصومال وموريتانيا والسادة كبار العلماء واساتذة الجامعات ورجال الفكر والصحافة ، وحشد هائل من الطلبة الوافدين الذين يمثلون العالم الاسلامى .. فجاء الحفل مثلا حيا على مكانة اقبال السامية .

وقد تحدث فى الحفل السيد محمد توفيق عويضة سكرتير عام المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ، والسيد اقبال أحمد أخوند سفير باكستان بالقاهرة والاستاذ حافظ محمود نقيب الصحفيين السابق .

وفيما يلى النص الكامل لكلمة السيد سكرتير عام المجلس الاعلى للشئون الاسلامية والترجمة الفورية لكلمة سفير باكستان ومقتطفات من كلمة الاستاذ حافظ محمود :

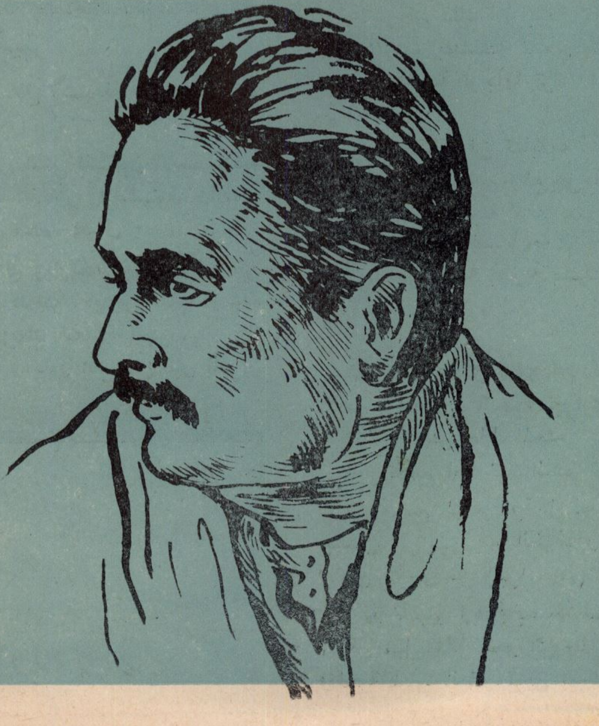

كلمة السيد
محمد توفيق عويضة
سكرتير عام
المجلس الأعلى للشئون الاسلامية

فى ١٩٦٩/٤/٢٢

طلبة العالم الاسلامى يشاركون فى الاحتفال بذكرى اقبال

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

يحتفل اليوم المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بالذكرى الخالدة العطرة للشاعر والفيلسوف والعالم والحكيم والثائر المؤمن محمد اقبال .

واقبال أعماله وأقواله وتاريخه وآثاره لا يمكن أن نلم بها فى كلمة أو كلمات ، أو فى كتاب أو عدة كتب ، لأنها عميقة الأبعاد متعددة الجوانب ، ولا غرابة فى ذلك لأن دستور اقبال كان القرآن الكريم ..

والسر فى ذلك أن أبويه كانا صالحين، واعتنى والده الشيخ بتنشئته نشأة دينية ، وكان يوجهه فى كل مناسبة توجيها ترك اكبر الأثر واعمقه فى حياة اقبال .

ويقول اقبال فى كتابه « أسرار الذات » :

فى يوم من الأيام وقع على بابنا سائل وقوع القضاء ورفع صوته كأنه نعيق غراب وأخذ يهز الباب ولما آلمنى تصايحه والحاحه خرجت اليه فأهويت على رأسه بضربة بعثرت ما بيده مما جمعه طول يومه .

ويقول اقبال :

فلما رأى والدى تلك الحادثة ، اصفر وجهه الأحمر وانحدرت الدموع نهرا على خديه ، وقال لى:

تذكر يا بنى جلال المحشر

يوم تجمع أمة خير البشر

وأرجع البصر كرة الى لحيتى البيضاء ونحول جسمى المرتعش بين الخوف والرجاء

كن يا بنى من البراعم فى غصن محمد ..

وكن يا بنى زهرة يحييها نسيم ربيع المصطفى.

فى مثل هذا الجو الروحانى العامر بالايمان والمحبة لبنى البشر تربى اقبال وترعرع .

السيد محمد توفيق عويضة يلقى كلمة الجمهورية العربية المتحدة فى الاحتفال باحياء ذكرى المؤمن الثائر اقبال

ويقول اقبال :

كنت أصلى دائما الصبح خلف والدى ثم أتلو القرآن وقد حرص أبى على ألا تكون قراءتى للقرآن كلمات تلقى وآيات تتلى .

فقال لى :

يا بنى .. اقرأ القرآن كأنه نزل عليك .

وفى ذلك يقول اقبال :

لقد هزنى هذا التوجيه هزا عنيفا ومنذ ذلك اليوم بدأت أتفهم القرآن وأقبل عليه فكان من أنواره ما اقتبست ومن بحره ما نظمت .

هذا هو الأصل فى أن اقبالا كان رأيه متحرر النزعة ، متحرر الفكر ، يناقش وينقد ويبتكر ويقدم انتاجه فى ثوب رائع لا تملك أمامه الا أن تبدى الاعجاب .

وكان نتيجة لذلك أن أصبح اقبال ذا فلسفة جديدة ومذهب مستحدث وآراء عميقة يتناقلها الكتاب والفلاسفة من قطر الى قطر ومن جامعة الى جامعة .

فقد خرج اقبال من دراسته الواسعة ورحلته التى استغرقت ثلاث سنوات فى ربوع أوروبا ، من سنة ١٩٠٥ الى سنة ١٩٠٨ ، باليقين الكامل بان الاسلام هو الخلاص والنجاة للامة الاسلامية بوجه خاص ، والعالم بوجه عام .

وقد ألقى عدة محاضرات فى هذا الشأن .

ومن أقوال اقبال للاوروبيين :

ان حضارتكم سوف تقتل نفسها بخنجرها ، ان العش لا يثبت على غصن رطيب ضعيف مضطرب ان الحضارة ضائعة الروح سرعان ما تزول ، وان البشرية لن تسعد .. ولن تهنأ .. الا اذا حطمت فوارق اللون وعصبيات الجنس وأبطلت اللصوصية العالمية ، وقضى على الاستعمار وعبادة المال ، ولن يتحقق ذلك الا فى ظل المبادىء الاسلامية الخالدة التى تحرم الغزو الاقتصادى ، ولا تشرع الرماح الا لاحقاق الحق أو نشر هداية ولا تؤمن الا بالسلام والاخوة والحرية والقيم الانسانية الرفيعة .

كما كان اقبال فى كل محاضراته فى أوروبا وغيرها يتحدث عن الاسلام وبنوده العادلة ، وعن سماحته المشرقة وعقيدته الشريفة .

وبكى على أطلال الأندلس ومجدها الاسلامى السابق .

ومن أقوال اقبــال :

ان مثل الاسلام الأعلى علم صحيح سليم وعمل صادق لوجه الله لا يعرف اليأس ولا الوهـن ، بل العزيمة والجهد المضنى الذى لا يعرف الكلل ٠

كما دعا الى انقاذ فلسطين والاحتراس من الأحابيل التى ينصبها الاستعمار ، وكان ذلك قبل ان تحـل بها النكبة الكبرى عام ١٩٤٨ وكأن اقبالا فى ذلك الوقت كان يتنبأ بالغيب ٠

وفى هذه المناسبة الكريمة أحيى من هنا باسم أبناء العالم الاسلامى جنودنا البواسل الرابضين على خط النــار ٠

كما أحيى الفـدائيين المجاهدين وأقول لهـم جميعــا :

ان الأمة الاسلامية والعربية والأحـرار فى كل مكان وراءهم يؤيدونهم ويشدون من أزرهم ، وفى القريب باذن الله سنحتفل بقيادة الزعيم والقـائد الرئيس جمـال عبد الناصر بيوم النصر عـلى الصهيونية أعداء الحق ٠٠ أعداء البشر ٠

كان اقبال مسلما حقا ومؤمنا صادقا وعالما ٠

وقد التزم فى فلسفته بجادة الاسلام واتخذها سبيلا الى الحرية بعد أن درس وبحث وفكر وعاش فى خضم الحضارات المختلفة والمدنيات المتعاقبة بقلبه وفكره ، فتيقن أنه لا خلاص للعالم الا بدواء الاسلام بروحانيته وماديته ٠

كما رأى معه ذلك « برنارد شو » و « تولستوى » وغيرهما من فلاسفة أوروبا مثل هذا الرأى ٠

ونتيجة للاعجاب بآراء اقبال الصائبة ، فقد قام المستشرق « براون » فى انجلترا بترجمة كثير من فلسفة ومبادىء وشعر اقبال ٠

كما فعل ذلك المستشرق « اسكاريا » فى ايطاليا و « ميكانرى » فى أمريكا ٠

وفى تركيا قام الدكتور « حسين دانش » بكتابة عدة مقالات عن ديوان اقبال فى رسالة الشرق كما ترجم كثيرا من أشعاره ٠

وفى مصر قام الدكتـور عبد الوهاب عـزام بالتعريف عن اقبال وترجمة كثير من اشعاره مثل : « ضرب الكليم » و « أسرار الذات » ٠

وفى المـانيا :

قام البروفيسور « دايشو روسو » و « الدكتور فيشر » الأستاذ بجامعة ليبزج ، والشاعر الالمانى

السيد محمد توفيق عويضة يرحب بالسيد سفير الصومال وعن يمين سيادته السيد سفير باكستان ويرى بالصورة الاستاذ حافظ محمود نقيب الصحفيين السابق والسيد عميد كلية الشريعة ولفيف من أساتذة الجامعة الازهرية .

***

السيد سفير موريتانيا والسادة اعضاء السفارة الباكستانية وعلماء الأزهر الشريف وأساتذة الجامعات يتابعون فى اهتمام الكلمات التى ألقيت فى الحفل احياء لذكرى اقبال الخالدة ..

***

الفيلسوف « هانسى» بترجمة أشعار وفلسفة اقبال ، وكتبوا كثيرا عنه وقارنوا بينه وبين « جوته » الشاعر الألمانى .

ومن اعجاب الألمان بمبادىء اقبال ، قامت فى ألمانيا جمعية اسمها « جماعة اقبال » تشرف على ترجمة آثاره وتنشر مبادئه فى ربوع البلاد وداخل الجامعات .

وقاموا بترجمة نظرة اقبال الى العلم ، فقد أعطاه حقه بل أثبت فائدته العظيمة وجدواه التى لا يمكن أن تنكر ، غير أن اقبالا أراد لهذا العلم أن يعلن ايمانه بالله ويسير جنبا الى جنب مع العشق الالهى والالهام ، فيسعد كل منهما بجوار الآخر ، ويسعد العالم من جراء ذلك الوئام ، فالعلم وحده مغرور لا غنى له عن الدين كى يكبح جماحه ، ولا غنى له عن العاطفة الطيبة كى ترقق حاشيته .

هذا هو اقبال .. علم من أعلام الاسلام فى هذا العصر .. وقائد من قادة الفكر فى الشرق ، وهو رائد من رواد الوعى الانسانى فى الفلسفة والدين وهب قلبه وعقله للمسلمين وللبشر أجمعين .

طالبات العالم الاسلامى يشاركن فى الاحتفال بذكرى اقبال

السيد السكرتير العام للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية

السادة السفراء

سيداتى وسادتى

أبدأ حديثى اليوم بالاشارة الى الرسالة التى أذاعها رئيس باكستان الجنرال أغا محمد يحيى خان أمس بمناسبة الذكرى الواحدة والثلاثين لوفاة العلامة اقبال ٠

وكان مما قاله الرئيس فى رسالته ان رسالة اقبال كانت فى الحقيقة رسالة عامة وجهها الى كل العالم الاسلامى بأسره ؛ وقد عكست فى جوهرها الفلسفة والمثل العليا والامانى التى تعتمل فى نفوس المسلمين فى شتى ربوع العالم ٠ ولم يكن شعر اقبال محدودا بحدود جغرافية بل انه سما فوق الفواصل الاقليمية لأى بلد بمفرده ، وقد قدم فى نفس الوقت اطارا اجتماعيا ذا أهداف نبيلة يستطيع الناس أن يحيوا فى نطاقه حياة تتمشى مع رسالة الاسلام الخالدة ٠

وقال الرئيس الجنرال يحيى خان انه لما كان اقبال هو الذى فكر فى وجوب قيام باكستان وكان الصديق الأثير لأبى الأمة القائد الاعظم محمد على جناح فان شعب باكستان يحله فى نفسه محله من الحب والتقدير ٠

ومع أن عظمة اقبال تتبدى فى ميادين عديدة من ميادين النشاط كميدان الشعر والفلسفة والسياسة الا أن كتاباته عن الاسلام هى التىأشاعت اسمه فى العالم الاسلامى ٠

وكان اقبال شديدالقلق من تأثيرالفكر الغربى على الاسلام وهو الرجل الذى تعمق فى دراسةهذا الدين الحنيف ومع هذا فقد كان يقدر مايسهم به الغرب فى ميدان الحضارة ولذلك راح يحذر المسلمين من مغبة هذا العمل ويبين لهم ان العمل أمامهم فى هذا السبيل عمل شاق ٠ وقد وجد أنمن واجبه أن يعيد التفكير فى النظام الاسلامى بأكمله ولكن دون أن يقطع صلته بالماضى ٠ وقد أوضح أن الطريق الوحيد المفتوح أمامنا هو طريق الحصول على المعرفة الحديثة بصورة محترمة مستقلة وتقدير تعاليم الاسلام تقديرا

كلمة السيد اقبال أحمد أخوند سفير باكستان

كبيرا فى ضوء هذه المعرفة حتى ولو أدى بنا الامر الى أن نختلف مع من سبقنا من الناس .

وقد أسهم اقبال فى هذا المجال بالقاء سلسلة من المحاضرات بمدراس وحيدر أباد وعليكره نشرت فى كتاب أسماه (تجديد التفكير الدينى فى الاسلام) . وقد ناقش اقبال فى هذه المحاضرات مبادىء الاسلام الاساسية فى ضوء الفكر الحديث والمعرفة العلمية وقام بعمل تحليل دقيق لها . وقد فسر الاسلام على أنه دين حى متحرك وليس دينا جامدا ، وانه دين متحرر وليس قوة متحفظة . ومن رأى اقبال أن الاسلام لا يصبح دينا اذا لم تكن مبادئه مرنة وحية تتناسب مع مايطرأ على المجتمع من تعديل وتغيير .

ويؤمن اقبال بأن فى مكنة أى مسلم أن يحدد مركزه وان يعيد بناء ذاته ويطور حياته الاجتماعية فى ضوء المبادىء والتعاليم الاسلامية . ويؤمن أيضا بأنه وان كان المسلم لا يطبق تعاليم الاسلام كلها تطبيقا كاملا الا أنه يستطيع أن يكشف عن الديموقراطية الروحية التى تتضمنها والتى يعدها الاسلام هدفه الأخير .

والواقع أن اقبال لم يكن شاعر باكستان وحدها بل شاعر الاسلام كله .

قال فى كلمة ألقاها فى اجتماع لحزب الرابطة الاسلامية عقدته عام ١٩٣٢ مايلى :

(ان الدين الذى تؤمنون به يقر ويعترف بقيمة الفرد ويعمل على توجيهه لتكريس حياته لخدمة الله وخدمة الانسان . وامكانيات هذا الدين لم تستوعب كلها حتى الآن . ولايزال فى استطاعته ان يخلق عالما جديدا حيث لا يتحدد وضع الانسان الاجتماعى بطبقته ولا لونه ولا مبلغ المال الذى يكسبه بل بنوع الحياة التى يحياها ؛ حيث يستطيع الفقير أن يحصل على حقه من مال الغنى ؛ وحيث يقوم المجتمع الانسانى لا على المساواة فى البطون بل على المساواة فى الروح . حيث يستطيع المنبوذ أن يتزوج من ابنة ملك ، وحيث تعد الملكية الخاصة وديعة ، وحيث لايسمح لرأس المال أن يتجمع حتى يسيطر على منتج الثروة الحقيقى ؛ وعلى كل فان هذه المبادىء العظيمة التى ينطوى عليها ديننا بحاجة الى التحرر من أوهام رجال الدين الذين عاشوا فى العصور الوسطى . ومن الناحية الروحية فاننا نعيش فى سجن من أفكارنا وأحاسيسنا التى نسجناها نحن أنفسنا من حولنا عبر القرون .

ومع ان اقبال وجه هذه الكلمات الى حزب الرابطة الاسلامية الا انه كان يوجهها فى واقع الأمر الى جميع المسلمين ، وأستطيع أن أقول انها تصلح للعمل بموجبها حتى فى أيامنا هذه ، لا بين المسلمين وحدهم بل بين جميع بنى البشر .

الصحفى الكبير الاستاذ حافظ محمود يلقى كلمته فى الاحتفال بذكرى اقبال

وفى حين يشيد اقبال بالفضائل الاسلامية عن التسامح وعن البحث وعن التفكير الحر فانه لا يعارض المبادىء والمثل العليا التى تعمل الاديان والمعتقدات الاخرى لتحقيقها ٠

وتتركز فكرة اقبال فى شعره فى اعادة الحياة الى الاسلام لا كقوة سياسية ولا كفكرة اقليمية أو جنسية أو دينية خاصة بل كقوة حية دافقة تعمل على تقدم الفرد والمجموع واظهار مواهبهم جميعا ٠ كان يحاول أن يوائم بين أحاسيس الشرق وفكر الغرب ؛ بين المشاعر والتفكير ، بين الشك واليقين ومع أنه ندد برغبة الغرب الحديثة فى جعل العلم وعقل الانسان الها جديدا الا أنه عد الشك الشعلة الالهية التى تحرك الايمان وتجعل منه حقيقة حية ٠ وقد بدا اقبال فى منظومته « ابليس فى مواجهة جبريل) وكأنه يمجد تمرد الشيطان على الله ، ولكن هذه هى الطريقة التى اتبعها اقبال فى تبيان **أن طريق الخلاص أمام الافراد وأمام المجتمعات والطريق المؤدى الى الايمان الصادق لايتبعه الانسان بواسطة الهرب أوالاستسلام للفكرة أو أداء الطقوس والشعائر الدينية بل بواسطة مواصلة الجهاد والانغماس فى تيار الحياة ٠**

وأخيرا فانى أزجى الشكر للسيد السكرتير العام للمجلس الاعلى للشئون الاسلامية وللذين تكلموا فى هذا الحفل الكبير ولحضرات السادة الذين شاركوا فى الاحتفال بذكرى اقبال ٠

ويتحدث الاستاذ حافظ محمود مستهلا كلمته قائلا

سيداتى سادتى ٠٠ حينما كنت استمع فى افتتاح هذا الحفل الى القارىء يتلو قول الله تعالى : « ليجزى الله الصادقين بصدقهم » وبينما كنت استمع الى كلمة السيد محمد توفيق عويضة وانتم تعمقون معانيها بوجدانكم ٠٠ كان ينتابنى احساس هو ان رب المشرقين ورب المغربين قد أوقد فى جيلنا جذوة فكرية جديدة وعلى ضوء هذه الجذوة الفكرية الجديدة رأينا فى رجالنا رجالا تطاول هاماتهم الفكرية اعظم الرجال فى العالم وكان فى الصف الأول من الذين علت هاماتهم الفكرية عاليا الفيلسوف العظيم محمد اقبال ٠

واستطرد سيادته قائلا :

سيداتى سادتى : محمد اقبال الذى نحتفل اليوم بذكراه كان معنا فى مقدمات هذه المعركة فهو فى سنة ١٩٣١ كان عضوا فى مؤتمر المائدة المستديرة اول مؤتمر دولى انعقد فى لندن للنظر فى قضية فلسطين ، ومع أن اقبال كان مواطنا من البلد الذى كان يسمى اذ ذاك درة التاج البريطانى فانه لم يتردد لحظة عن ان يصرخ هناك فى وجوههم ان فلسطين عربية ويجب ان تعود عربية

ويختتم حديثه بقوله :

بل اننى أرى بل أننى اعتقد ان هذا الذى تمارسه اسرائيل على تراب القدس الشريف انما هو علامة من علامات الساعة على أن الانتقام الالهى قريب أقرب اليهم مما يظنون فيؤمئذ سوف تضفى السماء نصرها وأمنها وسلامها عليكم اجمعين

بقية «معادلة النصر»

ثم تمضى الآية فى تجسيم قوة المؤمنين :

(ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بانهم قوم لايفقهون)

المؤمن الواحد يغلب عشرة من الكفار ، وعدته فى النصر ايمانه وضلالهم ، وصبره وجزعهم ،وطاعته وعصيانهم ، وهو يجاهد فى سبيل الله ، وهم يقاتلون فى سبيل الطاغوت ، وهو الطغيان والغدر والاستبداد وعبادة الأصنام من الناس أو الحجارة •

المؤمن الواحد يغلب عشرة من الكافرين ، لأنه من أولئك الذين سألهم القائد العبقرى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم :

– (أتصبرون عند البلاء ؟)

قالوا : نعم •

– (أتشكرون عند الرخاء ؟)

قالوا : نعم •

– (أتثبتون عند الحرب واللقاء ؟)

قالوا : نعم •

فصاح رسول الله : **(مؤمنون ورب الكعبة) •**

ومن هؤلاء تألفت الكتائب الخضر التى صنعت معجزات النصر فى الجيش المحمدى •

ومن هؤلاء كانت المائة الصابرة تغلب ألفا من الكفار والصبر نصف الايمان ، والشكر يزيد الايمان ، والثبات يحول الايمان الى انتصار لله وفى الله وبالله وهو على الله حق للمؤمنين •

المائة المؤمنة الصابرة تغلب ألفا كافرة جازعة تخشى الموت من أمام ، والموت من خلف ٠٠ الطاغوت يدفعهم ، ومناجل الموت تحصدهم ، فيقتلون انفسهم بأيديهم وأيدى المؤمنين •

الايمان الصادق يكسب لصاحبه هذه المزايا والحقوق •

١ – يتولاه الله ويخرجه من الظلمات الى النور •
٢ – يهديه الله الى الصراط المستقيم •
٣ – ينجى الله الذين آمنوا من كل خطر •
٤ – يعلم الله المؤمن أن النصر من عنده وحده •
٥ – ومن ينصرهم الله فلا غالب لهم •
٦ – والنصر فى الحياة الدنيا كما هو فى الآخرة •
٧ – الايمان سبيل التقوى : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا)
٨ – يكفى الله عبده المؤمن عندما يعمل ويتوكل عليه (ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره »
٩ – وقد يصبح المؤمن عبدا ربانيا يقول للشىء كن فيكون •

(يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ؟

تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون • يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار – ومساكن طيبة فى جنات عدن ، ذلك الفوز العظيم •

وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين)

الخطاب الالهى هنا كذلك للذين آمنوا ٠٠ أى للمؤمنين الصادقين ٠٠ ليس للمنافقين ٠٠ ليس لمن يعبد الله على حرف ٠٠ ليس للخائفين المرتعشين ٠٠ ليس لعبيد الهوى وأتباع الشيطان ٠٠ ليس لمن نسوا الله فأنساهم أنفسهم ٠٠ ان الخطاب للمؤمنين وحدهم ٠٠ يسألهم الله : هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ؟

نعم يارب نجنا من العذاب الأليم وأنت الرحمن الرحيم •

عليكم بالايمان بالله أيها المؤمنون ٠٠ لتزدادوا ايمانا مع ايمانكم ٠٠ فان شرط النجاة من العذاب معلق براسخ الايمان ٠٠ فاذا أتم الله على عبده هذه النعمة العظمى ، كلفه بعد ذلك بالجهاد فى سبيل الله بالمال والنفس • بعد الايمان يبدأ الجهاد الذى يستحق النصر •

هو – أى الجهاد – خير لكم ان كنتم تعلمون • مائة مؤمنة صابرة تغلب ألفا من الذين كفروا لانهم جهلوا وضلوا فلا يدركون ان النصر من عند الله وانه قد أوقفه على المؤمنين ، الذين ارتفعت عقولهم فوق الشك ، وجاهدوا بكل أموالهم وأنفسهم فى سبيل الحق ، وهم على يقين من النصر •

✻ كنت أتأمل معانى هذه الأيات البينات وأقرأ أنباء الشباب العربى الذى يضرب العدو فى الأرض المقدسة فأتذكر الكتائب الخضر التى حملت مشاعل الحرية والاخاء والمساواة والتقدم الى البشرية كافة ٠٠ وكانت لهذه الكتائب أيضا مواقف مع اليهود ، فلم تترك لهم أثرا فى الحجاز ، ثم طردهم عمر بن الخطاب – احد قادة هذه الكتائب – من الجزيرة العربية كلها ، ثم طردهم من فلسطين أيضا غداة فتح بيت المقدس •

ان التاريخ لابد أن يعيد نفسه ، (وانما يسعد آخر هذه الأمة بما سعد به أولها) ، وفى أولها كانت السعادة فى التمسك بأحكام القرآن ، هذا الذى يجب ان نعود اليه دائما اذا اردنا النصر فى الحياة الدنيا ، ويوم يقوم الأشهاد)

احتفال
الجامعة الأزهرية
بتأبين الفقيد العظيم
الدكتور ذاكر حسين
رئيس جمهورية الهند الراحل

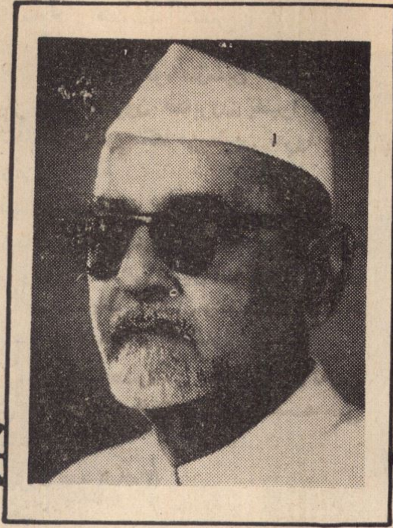

١٢ مايو ١٩٦٩

أقامت الجامعة الازهرية حفل تأبين للراحل العظيم الدكتور ذاكر حسين رئيس جمهورية الهند وقد حضر الحفل السيد الدكتور عبد العزيز كامل وزير الأوقاف وشئون الأزهر نائبا عن السيد الرئيس جمال عبد الناصر كما حضر الحفل فضيلة الامام الاكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الجامع الازهر

وقد تحدث فى الحفل فضيلة الاستاذ أحمد حسن الباقورى مدير جامعة الازهر والسيد الدكتور عبد العزيز السيد والسيد الاستاذ محمد توفيق عويضة سكرتير عام المجلس الاعلى للشئون الاسلامية والسيد أبابانت سفير الهند بالقاهرة •

ومجلة منبر الاسلام اذ تنعى الى العالم الاسلامى والانسانية جمعاء الفقيد العظيم والمعلم الانسان والمربى الفاضل الدكتور ذاكر حسين ، تجد العزاء كل العزاء فيما خلفه من مدرسة تربوية فاضلة تستمد أصولها وتستوحى منهاجها من فيض التعاليم الاسلامية الرحبة الماجدة •• اقرارا للحق وتدعيما لأواصر المحبة وتثبيتا لركائز العدل وتأييدا لمبادىء السلام •

كما أن المجلة تجد الوفاء كل الوفاء للمثل الصالح والقدوة الحسنة والكلمة الطيبة فى نشر النص الكامل للكلمات التى ألقيت فى حفل تأبين الراحل العظيم الدكتور ذاكر حسين •

كلمة السيد الأستاذ أحمد حسن الباقوري

مدير جامعة الأزهر

السيد نائب الرئيس

حضرات السادة والسيدات

ان جامعة الأزهر - وهى تقيم هذا الحفل المخلص لتأبين الفقيد العظيم دكتور ذاكر حسين رئيس جمهورية الهند الصديقة - انما تستجيب فى اقامة هذا الحفل لدواع كبيرة كثيرة ، موصولة الأسباب بالدنيا والدين .

وأولئك الكبار الذين يرحلون عن دنيانا لاحقين بالرفيق الأعلى ، لهم علينا حقوق بينة القداسة ، وفى أعناقنا ديون واجبة الأداء .

ونحن حين نقيم هذه الأحفال ، قضاء لحقوقهم وأداء لديونهم ، ننتفع من ذلك أكثر مما ينتفعون ، بل اننا لننتفع وهم لاينتفعون ، الا أن تنبسط منا كف طهور الى الله تعالى وعز ، داعية لهم بالرحمة والرضوان .

فأما انتفاعنا نحن منهم ، فذلك أننا انما نؤبنهم ، فنذكر فضائلهم ونصور أمجادهم ، ونخلص من ذلك الى الثناء عليهم وتخليد ذكراهم ، وتلك سبيل ممهودة لأجيالنا الناشئة الى الالمام بفضائل أسلافهم ، ومن شأن ذلك أن يدعو الأخلاف الى حسن القدوة بالأسلاف .

وانى حين أتحدث عن الراحل الكريم ، وقد عرفته عن قرب ، وتحدثت اليه وسمعت منه ، لا أتحدث عنه مجاملة لصديقى السيد السفير أبا بانت ، ولا مجاملة لجمهورية الهند صديقة بلادى ، وان تك مجاملة الاصدقاء شيئا جليل القدر عظيم الاعتبار فى موازين الأخلاق ، الى جانب أنها أدب عظيم من أدب الاسلام ، الذى قامت هذه الجماعة وتقوم على الدعوة اليه والجهاد فى سبيله ، فذلك حيث يحث رسول الله المسلمين على تقدير الفضل وعرفان الجميل ، فيقول صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر اخوانه من النبيين والمرسلين : « ماشكر الله من لم يشكر الناس » .

قلت اننى لا أتحدث عن الفقيد العظيم خضوعا لحكم المجاملة ، ولكننى أتحدث عنه نزولا على حكم المعرفة .

فلقد أسعدتنى الأقدار فى سنة ١٩٦٥ بزيارة جمهورية الهند للمشاركة باسم حكومتى فى تنصيب السيد الدكتور محمد برهان الدين سلطانا على طائفة البهرة . ولما انتهت مراسيم الاحتفال هيأت لنا حكومة الهند مقدورة مشكورة وسائل زيارات كثيرة ، فبدأنا أول مابدأنا بزيارة رئيس الجمهورية فى نيودلهى ، ثم زرنا نائب الرئيس ، وكان الفقيد يومئذ هو نائب الرئيس . وفى هذه الزيارة طال مجلسنا معا متحدثين وسامعين ، وكان حديثه الينا كما كان حديثنا معه يدور حول الأزهر جامعا وجامعة .

ولا أنسى حديثه الفاقه المستنير عن المرحوم الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر السابق ، حتى لقد عجبت من وصفه اياه وصفا لايستطيعه الا مخالط لصيق ، أو قريب صديق ، أو ألمعى خبير بأطواء النفوس على مايصور ذلك الشاعر العربى حيث يقول :

الألمعى الذى يظن بك الظـ
ـن كأن قد رأى وقد سمعا

فكذلك كان حديث الفقيد عن المغفورر له الشيخ شلتوت .

ثم أسعدتنى الأقدار أيضا فى سنة ١٩٦٨ بزيارة الدولة الشقيقة باكستان ، للمشاركة فى الاحتفال بمرور أربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم .

وبعد أن فرغت من الاحتفالات المقدورة المشكورة لباكستان شعبا وحكومةمضيت لزيارة الهند . وفى دار الضيافة فى بومباى نزلت ضيفا شاكرا مقدورا وكان الفقيد العظيم يتولى مقاليد رياسة جمهورية الهند يومئذ .

وحضر رحمه الله من نيودلهى الى بومباى قبيل عيد الاضحى ، وأسعدنى صديقى الدكتورنجم الدين بصحبته فى زيارة الفقيد العظيم فى ديوانه بمدينة بومباى . ودار حديث لا أنساه عن المحنة التى كانت تلم ببلادى يومئذ ، ناشئة عن المكر الصهيونى الغادر ، والحقد الاستعمارى المتربص . ورأيت فى الرجل انسانا عظيما فى حسن تقديره ودقة وزنه لجميع الشئون ، سواء منها ما يتصل ببلده ، وما يتصل بالبلاد الاخرى التى تربطه بهاروابط وثيقة فى مجال السياسة والاجتماع .

والمعلمون يطيب لهم دائما أن يبحثوا عن الاسباب التى يمكن أن يسندوا اليها ما يعجبهم من تصرفات الكبار من بنى الانسان .

ومن أجل هذا ، ومن أجل أنى بدأت حياتى معلما ، حاولت أن ألتمس بينى وبين نفسى الأسباب التى يمكن أن ترد اليها الخصائص الطيبة فى فقيدنا العظيم . وبعد طول بحث وكد ذهن وتتبع أحاديث ، رأيتنى أنسب ذلك الى أمور ثلاثة :

أولها : استعداد الفقيد الفطرى للتحليق فى آفاق فسيحة ، والنظر الى أمداء بعيدة ، دون التقيد بما يجعل الخطو قريبا والنظر قصيرا والبصيرة مظلمة . وهذا الاستعداد الفطرى فى فقيدنا العظيم ، تدل عليه أوضح دلالة ، تصريحاته وكتاباته وبحوثه وتصرفاته ، مذ كان طالب علم الى ان لحق بالرفيق الأعلى .

وثانى هذه الأمور : الاسلام الذى كان يدين الله عليه ، والاسلام فى نظرته العالمية الشاملة ــ وهو كذلك أبدا ــ حين يصادف نفسا مستعدة للتحليق فى آفاق بعيدة ، يستطيع أن يجعل من صاحب هذه النفس معجزة تمشى على قدمين فى دنيا الناس .

وثالث الأمور : تلمذته لغاندى . ونفس غاندى من النفوس الكبيرة التى اذا خالطت نفوس طلاب العلم والمعرفة أحالتها الى جوهر صاف ، يحب معالى الأمور ويتعالى عن سفسافها .

وخير ما يضرب فى هذا المقام مثلا للمعلم الملهم ، ومثلا للمريد الملهم كلمتان ، أحداهما لذاكر حسين المريد الملهم ، والكلمة الثانية للمهاتماغاندى المعلم الملهم .

فأما كلمة ذاكر حسين فقوله لاحد الصحفيين عقب انتخابه رئيسا لجمهورية الهند : ((لقد بدأت حياتى عند قدمى غاندى ، فكان لى دائما المرشد والملهم ، وسأعمل وأنا فى هذا المجال الجديد من مجالات الخدمة ، كل مايخضع لامكانى ، كى آخذ بيد شعبنا الى ما حاول غاندى الحبيب اتمامه ، لتحقيق الحياة الطاهرة للفرد وللجماعة ، مع الاصرار على أن تكون الوسيلة طيبة طيبة الهدف ، وعلى أن يكون الباعث على ذلك عطفا ايجابيا غير منقطع على الضعفاء والمساكين .

والذين يتأملون هذه الكلمات ، يتمثلون من خلالها نفسية ذاكر حسين متأثرا بالزعيم غاندى ، وقد مازج هذا الأثر فى نفسه أدب الاسلام الذى يدين الله عليه فى مثل قوله عليه الصلاة والسلام : « الحكمة ضالة المؤمن يأخذها أنى وجدها » .

واما كلمة المعلم الملهم ، فتلك القولة الجليلة التى ترويها عنه مجلة هاريجان بتاريخ ١٢ نوفمبر سنة ١٩٣٨ وفيها يقول المهاتما غاندى :

« ان عواطفى كلها مع اليهود ، ولكن عطفى عليهم لن يعمينى عن مقتضيات العدالة ، فأنا لا أستسيغ المطالبة بانشاء وطن قومى لليهود ، ففلسطين ملك للعرب تماما ، كما أن انجلترا ملك للانجليز ، وفرنسا ملك للفرنسيين ، واذا لم يكن لليهود وطن الا فلسطين ، فكيف بهم اذا ارغموا على ترك الأماكن الأخرى التى يعيشون فيها فى أنحاء العالم ؟ ان فلسطين التى جاء ذكرها فى التوراة ، ليست فى رقعة الأرض الجغرافية ، بل فى قلوبهم . أما اذا كان لابد لليهود من أن يتمسكوا بفلسطين الارض الجغرافية ، فمن الخطأ كذلك أن يدخلوها فى ظل المدافع البريطانية ، وعلى أسنة رماحهم ، وليس هناك ما يمكن أن يقال ضد مقاومة العرب فى مواجهة عقبات لاقبل لهم بها . »

وبعد عشر سنوات ، بدات أولى ظواهر المحنة تشتعل نارها فى فلسطين ، فأعانت بريطانيا اليهود بكل وسيلة تنطوى على غدر ماكر وتحيز

سافر ، وسلمت اليهم أرض فلسطين . ومنذ ذلك الحين والعرب يتعرضون لمحن ضارية ومؤمرات ماكرة فهل تتم الرواية ، ويتعرض اليهود لمحنة طردهم من الأماكن التى يعيشون فيها فى أنحاء العالم كما تنبأ بذلك الروح العظيم ؟

تلك هى النفس الكبيرة التى تأثر بها الفقيد العظيم ، الى مؤثرات أخر ، بعضها متصل بطبيعته، وبعضها متصل بعقيدته .

أيها السادة :

ولكل عصر أسلوبه فى النظر الى الراحلين عن دنيا الناس الى جوار الله تعالى ، وقد كانوا يرجون لخير كثير تنتفع به الجماعات والأفراد .

وأول ذلك وأولاه بالذكر ، مايروى عن أم مسطح من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انها كانت تذهب الى المسجد النبوى ، وتستقبل القبر الشريف متجهة بالخطاب الى الرسول صلوات الله عليه وهى تقول :

قد كان بعدك أنباء وهينمة
لو كنت حاضرها لم تكثر الخطب

انا فقدناك فقد الأرض وابلها
واختل قومك فاشهدهم ولا تغب

وذلك أن الخلاف بدأ فى تلك الآونة يدب بين زعماء المسلمين ، فالامام على رضى الله عنه يتباطأ عن بيعة أبى بكر رضى الله عنه خليفة لرسول الله ، وأبو بكر شديد العتب على على ، ولكل أنصار يتحدثون فى المجالس ويخطبون فى الندوات ، والحرج يملأ الصدور ويوشك أن يهدد بالفرقة الصفوف . وهذا اللون من الحياة يقتضى هذا اللون من التأبين . فلاتملك السيدة الفضلى الا أن تفزع الى رسول الله تخاطبه :

قد كان بعدك أنباء وهينمة
لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

انا فقدناك فقد الأرض وابلها
واختل قومك فاشهدهم ولا تغب

وصورة ثانية من التأبين والرثاء ، تصور المجتمع الذى فجع بفقد كبير من كبرائه وعزيز من أعزائه ، يقول فيها جزء بن ضرار ، راثيا أمير المؤمنين عمر وقد لحق بالرفيق الأعلى مخاطبا له :

فمن يسع أو يركب جناحى نعامة
ليدرك ماحاولت بالأمس يسبق

قضيت أمورا ثم غادرت بعدها
متاعب فى أكمامها لم تفتق

وصورة ثالثة يتراءاها خيال شاعر ، لايرقى الى النظرة الشاملة للمجتمع ، ولكنه يعبر فيها عن ادراكه المحدود فى اطار نظرته الخاصة وهواه الخاص ، فيرثى رجلا مسماحا مضيافا يؤمه ضيوفه فيسعدون به وينالون عنده مايظمأون اليه، فاذا قصده الفقراء المعدمون ، قضى لهم حاجاتهم ، ورجعهم الى أهليهم وذويهم طيبة نفوسهم قريرة أعينهم ، فهو ملاذ السائل ، ومقصد المحتاج فذلك حيث يقول الشاعر يرثيه .

ليبكك الشرب والمدامة والفتـ
ـيان طرا وطامع طمعا

وذات هدم عار نواشرها
تصمت بالماء تولبا جدعا

وصورة رابعة :

يعرفها المهتمون بالأدب والشعر فى هذا العصر الذى نعيش فيه ، فذلك حيث يقول أمير الشعراء المرحوم أحمد شوقى فى رثاء مصطفى كامل :

المشرقان عليك ينتحبان
قاصيهما فى مأتم والدانى

تلك صور من التأبين فى الماضى البعيد والقريب، نراها مرتبطة أقوى ارتباط الى قيمة الراحل الى ربه فى المجتمع الذى يعيش فيه .

ولست أشك أن الفقيد العظيم ، بما وهبه الله من سمو الاستعداد ، وسماحة التدين ، وحسن الأسوة ، انما هو نموذج للرجل الذى أرادت له العناية مكانا مرموقا فى ذرى الشعوب ، فهو وأمثاله ليسوا ملكا لشعب، ولا تراثا لعصر ، ولكنه ملك لجميع الشعوب فى جميع العصور . ولئن فاتنا أن نقع على تأبين يخلد ذكراه مع الخالدين ، انا غدا لمنتظرون من حسن الوصف له ، وجميل الثناء عليه ، ماتظمأ اليه النفوس وتهفو اليه الصدور . ويستفيد به طلاب الاصلاح فى كل زمان ومكان .

كلمة السيد الدكتور عبد العزيز السيد

السيد نائب الرئيس

أيها السادة

منذ أيام خلت مات ذاكر حسين ، رئيس جمهورية الهند

وفى هذا المكان ، وعلى بعد آلاف الأميال من الهند ، يلتئم هذا الجمع لتأبين ذاكر حسين ، وانى لعلى يقين أنه فى هذه اللحظات ؛ تلتقى معنا قلوب الملايين من البشر وأفكارهم على اختلاف أجناسهم وأوطانهم ودياناتهم .

أيها السادة

ان الموت نهاية كل حى ، - ولكن الموتى لا يتساوون أمام الاحياء من البشر حين يلاقون محنة الموت .

فمن الناس من يحيا ، فلا يتأثر بحياته الا الاهل والاصدقاء ؛ - فاذا مات التاع لموته الاهل والاصدقاء حينا ، ثم يطويه النسيان .

ومن الناس من يعيش مغمورا شأنه شأن عامة الناس ، - ولكنه يبلغ شأوا كبيرا من العظمة فجأة وفى لحظة موته - ، ذلك بسبب الطريق الذى سلكه والطريقة التى خطا بها الى رحاب الموت ، - أولئك هم الشهداء - يعيشون كما يعيش الناس ، ولكنهم لا يموتون كما يموت سائر الناس ؛ لا يموتون رغم أنوفهم ؛ - ولكنهم يهبون حياتهم اختيارا وقربانا ، لمعنى سام أو غرض نبيل ، أو لنصرة عقيدة ملكت عليهم نفوسهم - أولئك يحزن لموتهم مواطنوهم ، ولكنه حزن ممزوج بكثير من الفخر والاعجاب .

ان الأولين تنتهى حياتهم بالموت ، - والآخرين تبدأ حياتهم الحقة بعد الموت .

وهناك فريق ثالث ، وهم القلة القليلة ، والندرة النادرة ، - أولئك هم الذين تتأثر وتسعد بهم البشرية أحياء وأمواتا ، ولا يكون فناء الجسد بالنسبة اليهم ، الا مرحلة من مراحل حياتهم الخالدة ، - انما هم ، ينتقلون من دنيا القيم ، والمبادىء ، والمثل العليا ، مجسدة تدب وتسعى بين الناس ؛ الى القيم والمبادىء والمثل العليا تحيا وتعيش فى ضمائر الناس ، أولئك هم صانعو تاريخ الانسانية ؛ وبناة تراثها .

والمغفور له ((ذاكر حسين)) واحد من هذا الفريق .

وحين يموت هؤلاء الرجال ، يرتاع الناس جميعا لموتهم - يرتاعون ارتياعهم للنجم اذا هوى ، أو للجبل الشاهق اذا انصدع ، ولا يستطيعون أن يلائموا فى يسر وسهولة بين الموت وبين هؤلاء الرجال ، أو يقرنوا بهم الفناء .

وحين يجتمع الناس لرثائهم انما يجتمعون للتأمل والتفكير ، فيما تركوه وراءهم من ميراث انسانى عظيم ؛ انهم يعيشون لحظات يعددون مآثرهم ليتقاسموا ذلك الميراث المعنوى الكبير ، واقتسام المواريث المادية ، يختلف اختلافا بينا عن اقتسام المواريث المعنوية ، ففى الاولى يأخذ كل وارث من الميراث نصيبا ، ولا يستطيع أن يستأثر بالميراث كله وحده ، أما فى الثانية فالورثة لا يحدهم عدد ، لانهم الناس جميعا ويمكن لكل واحد أن يأخذ الميراث كله كاملا لنفسه ، - يستطيع كل واحد أن يجعله جزءا من كيانه الخلقى والفكرى والنفسى ؛وأن يعيش وفقا له ، - وأن

ينهل منه بقدر ما يطيق ، وبقدر ما استودعه الله وما وهبه من قدرة على استيعاب مثل هذه القيم والمثل العليا .

أيها السادة

ان عظمة ((ذاكر حسين)) تكمن فى أنه تلميذ من تلاميذ غاندى ؛ ومريد من مريديه النابهين وواحد من أولئك الذين حملوا رسالته ، واستضاءوا بنوره .

لقد كان ظهور غاندى ، حدثا هاما فى تاريخ البشرية عامة ، وبخاصة فى الهند ، وكانت فلسفته وأعماله تدور حول محاور ثلاثة هى : السلام دون الاستسلام والحب والوئام بين البشر جميعا و ((الساتيا جراها)) أو حركة المقاومة السلبية ، ووحدة الهند

ان الدارسين لشئون الهند قبل ظهور غاندى ، كانوا يعتقدون أن الهند تعانى من مشكلتين رئيسيتين ، تقفان حجر عثرة فى سبيل تقدمها وخلاصها من ربقة الاستعمار ، وهاتان المشكلتان هما ،طابع الجماهير الهندية ، ثم ما فى الهند من تباين طائفى ودينى .

كانوا يعتقدون أنطابع الجماهير الهندية ؛ لايكاد يتيح الفرصة للقيام بثورة ايجابية ، وأن جمهور الشعب تعوزه الطاقة وروح المباداة ، — وقد اعتبرت سلبيتهم وقعودهم عن تغيير ما بهم مصدرا من مصادر الضعف ، — واستوى فى هذه النظرة اليهم الاصدقاء والاعداء على السواء .

ولقد وفق غاندى ، فى اطلاق الطاقة التى تنطوى عليها قوة احتمال الشعب الهندى ، فلم يحاول أن يتحدى الحقائق ، بل استخدمها فى تحقيق أغراضه ، واستطاع أن يحيل الضعف نفسه الى مصدر من مصادر القوة فأقام حركة الساتياجراها (Satyagraha) التىسميت خطأ بالمقاومةالسلبية) وتحولت بها سلبيةجمهور الشعب الهندى وقوة احتماله الى مصدر للقوة والطاقة ، وما كادت القوى الكامنة تنطلق من عقالها ، حتى ظهر أن لدى هذا الجمهور رصيدا من الحيوية لم يخطر على بال ، واستطاع أن يقهر به أعظم امبراطورية عرفها التاريخ .

وليست (الساتيا جراها) حركة سلبية كما يظن لأول وهلة فمعناها النزوع الى الحق ، وهى بذلك عمل ايجابى ، — هى الانبراء الى تحدى الشر ومقاومته ، بغير التجاء الى العنف ، لان العنف شر فى ذاته ، — انها تعنى مقاومة الشر بالخير ؛ لا مواجهته بشر آخر .

كان ذلك درسا عظيما ؛ وفتحا جديدا فى تاريخ الفكر الانسانى ، ونورا يضىء الطريق أمام الانسانية لاسعاد نفسها ، وجعل من ضعف المظلومين ، والمغلوبين على أمرهم قوة لاتعدلها قوة .

أما المشكلة الثانية فقد أحالها غاندى هى الاخرى الى مظهر من مظاهر الحيوية والقوة ، فقد آمن بوحدة الهند ، واعتبر التباين الطائفى والدينى فيها ضربا من التنوع ، يمكن أن يتحول تحت ظل من الحرية والتسامح والديمقراطية بالتعليم الى مصدر للحيوية ، يضمن للهند التقدم والازدهار .

وقد تحقق ذلك على يديه وعلى أيدى مريديه وأتباعه ، ومعتنقى مذهبه ، أمثال ((نهرو))و((ذاكر حسين)) وكسبت الهند بذلك احترام العالم كله ، وصارت من أعظم أمم الارض .

ولقد فطن ((ذاكر حسين)) من بادىء الأمر الى تحديد رسالته ودوره فى هذا المجال ، بايمان ووضوح فلسفى وفكرى منقطع النظير .

فحين التقى ((ذاكر حسين)) بغاندى ، لم يدخل رحابه من باب السياسة ، ولكن دخله استقطابا وهدى يشبه هدى القديسيين ؛ وامتزجت عقيدته الاسلامية الخالصة ، بفلسفة غاندى ، فخلص له نوع من الصوفية العقلية يكاد يتفرد به ؛ وأعد نفسه لما رسمه لها ، فسلم من العنف ، وخلا قلبه من الحقد والكراهية ، وامتلأ بحب الهند ، فكان لا يفكر الا فيها ، ويراها أسرةواحدة لاتتجزأ، وقد عبر عن ذلك عند انتخابه رئيسا للجمهورية فقال :

« لقد بدأت حياتى عند قدمى غاندى ، فكان لى دائما المرشد والملهم ، — وسأعمل ، وأنا فى هذا المجال الجديد من مجالات الخدمة ، كل ما فى مكنتى ، كى آخذ بيد شعبنا ، نحو ما حاول غاندى الحبيب اتمامه ، : حياة طاهرة فردية وجماعية ، واصرار على أن تكون الوسيلة طيبة كالغاية ، — وعطف ايجابى غير منقطع على الضعفاء والمساكين ، ورغبة خالصة فى تماسك الوحدة بينأقسام الشعب الهندى المختلفة .

وقد أدرك ((ذاكر حسين)) من أول الامر ، أن العمل السياسى وحده محدود الاثر ، وأن وحدة الهند وسلامها الداخلى لايدركان بالعمل السياسى

وحده ؛ وانه لابد من ازالة الشرور حتى تصبح الوحدة والسلام أمرا محققا .

وازالة هذه الشرور تتطلب ازالة التوتر داخل الفرد ذلك ان التوتر داخل المجتمع غالبا ما يرجع الى التوتر فى نفسية الفرد .

ولا يمكن ذلك الا عن طريق نوع من التربية والتعليم ، يهدف الى تحقيق هذه الغاية ، آخذا فى اعتباره ظروف الهند ، وتراثها الروحى ، وما تهدف اليه من وحدة وطنية شاملة .

ولعل هذا هو السر فى اهتمام ذاكر حسين بالتربية واشتغاله بها .

لقد ولد « ذاكر حسين » فى رحاب الغنى والثروة ، ولكنه آثر أن يعيش فقيرا ، — ورغب عن السياسة ولكن الهند وضعته فى أعلى مناصبها — وحصل على أعلى الدرجات العلمية فى القانون والاقتصاد ولكنه عاش معلما ، ولو اراد أن يكون محاميا مرموقا ، يعيش فى رغد من العيش ويملأ أسماع الناس ؛ لكان له ما أراد ، ولو شاء أن يكون سياسيا تتسلط عليه الاضواء ، ويبهر الابصار ، لكان له ماشاء ، فقد حباه الله ذكاء فارطا وحجة قوية ، وصفاء نفس ، وكان فيلسوفا وعالما توفرت له صفات القيادة والشهرة ، — ولكنه آثر أن يكون معلما — يعلم الصغار والكبار ، — يعلم فى الجامعة وفى المدرسة الاولية ، ويهب عقله وقلبه وجهده للتعليم عن حب وايمان ، ولم ينس يوم الاحتفال بتنصيبه رئيسا للجمهورية انه معلم ، فقال : « أن اختيارى لهذا المنصب العظيم ، يرجع أساسا ، — ان لم يكن كليه — ، الى انى كرست حياتى للتعليم .

وترتكز فلسفة ذاكر حسين التربوية على احترامه للفرد ، وكان يعتقد أنه لا يوجد حد لما يستطيع الفرد باوغه عن طريق التطوير الصحيح المنظم لشخصيته ، — لهذا أولى فكرة التعليم الاساسى كثيرا من وقته وتفكيره — ، والتعليم الاساسى يهدف الى تربية الفرد من حيث هو شخصية متكاملة ، فهو يحاول أن يقضى على الهوة بين العمل والمعرفة ؛ — ويتناول الفرد لا باعتباره وحدة منعزلة ، بل باعتباره عضوا فى مجتمع أو مجموعة ، ويرى الصالح الشخصى جزءا من الصالح الاجتماعى ، ولا يكتفى بتقديم معلومات له ، بل يحاول كذلك أن يستثير فيه استجابات خلاقة ، من شأنها ترقية الفرد من حيث هو عضو فى مجتمع تعاونى .

فبينما كان أفلاطون ، يرى أن التربية تبلغ غايتها ، اذا مكنت للقوة العاقلة من السيطرة على القوتين الأخريين فى النفس البشرية ، وهما القوة الشهوانية ، والقوة الغضبية ، — كان ذاكر حسين يرى رأيا أتم وأكمل — ، كان يرى أن التربية تبلغ غايتها اذا كانت أنشطة التعليم تجمع بين العقل والقلب واليد معا فى عمل خلاق أى أن التربية الصحيحة يجب أن تجمع بين العلم والعمل والعاطفة ، فى آن واحد وفى كل متسق .

ولم تكن هذه النظرة العميقة لعملية التربية ، مجرد رأى فلسفى لأستاذ كبير ، ولكنها كانت انعكاسا لشخصية « ذاكر حسين » ، وتطبيقا لما أخذ به نفسه من دستور فى الحياة ؛ ففى كل ما قام به من أعمال ، جمع هذه العناصر الثلاثة ، — العلم والعمل والايمان ، — جمعها كلها فى اطار واحد .

فلم يكتف بالبحث النظرى فى أمور التربية ، بل قام فعلا بالتدريس فى جميع مراحل التعليم ، لتطبيق فلسفته ، وبينما كان يترجم جمهورية أفلاطون ، ويكتب بعمق واصالة فى التربية والفلسفة ، كان يكتب أيضا كتبا وقصصا للاطفال .

كان ذاكر حسين يضع كل مقومات نفسه فيما يقوم من عمل — ، كان يعمل بكل ما وهبه الله من فكر نفاذ ؛ وبما حباه الله من قدرة فائقة ، على العمل ، وبما استودع قلبه الكبير من حب وايمان ، فكان بعمله هذا غير مسبوق ، وضرب المثل الاعلى لما ينبغى أن يكون عليه المعلم .

ولم ينس ذاكر حسين أبدا أنه هندى وأنه مسلم وأنه انسان ، ووفق بين هذه الاعتبارات الثلاثة توفيقا جعل كل منها يقوى الآخر .

سألته مرة عما اذا كانت جامعة عليكرة جامعة للمسلمين ، فأجابنى أن جامعة عليكرة جامعة اسلامية ، وليست جامعة للمسلمين ، والفرق بين الاثنين كبير ، فهى تدرس العلوم الاسلامية ، ولكن أبوابها مفتوحة لغير المسلمين اذا شاءوا أن يدرسوا شيئا عن الاسلام ، — وبينما كان قلبه يمتلىء ايمانا بالاسلام ، وحبا للمسلمين ، — عندما تعارض هذا الحب مع وحدة الهند ، رفض فكرة التقسيم ؛ وآثر وحدة الهند .

وقد كان انتخاب « ذاكر حسين » رئيسا لجمهورية الهند وهو مسلم ؛ درسا رائعا القته

(البقية ص ٢٨)

كلمة السيّد محمّد توفيق عويضة

سكرتير عام المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

السيد نائب الرئيس
فضيلة الامام الأكبر
السادة الوزراء
أيها السادة

ما أقصر أعمار أكثر الناس .
وما أطول أعمار أقل الناس .

وليس المقصود بقصر الأعمار وطولها هذه السنوات التى نعدها بالعشرات ، فانها قصار مهما امتدت الحياة بالأحياء ، وانما المقصود الخلود النابع من الذكر الطيب والتاريخ المجيد .

ولقد كان المغفور له الدكتور ذاكر حسين رئيس الهند رجلا طويل العمر - لأنه صاحب ذكر عطر وتاريخ مشرف - فدخل جنة التاريخ من أوسع أبوابها واحتل من مقاعدها مقعد الخالدين .

ولقد يتشعب المقال بمن يريد أن يؤرخ لذاكر حسين - ويتتبع آثاره وأعماله وجهاده - ولهذا أوثر أن أقصر كلمتى على أبرز معالم شخصيته - أو على محور هذه الشخصية - وهو انه معلم .

فهو معلم بالمعنى الحقيقى للكلمة - يدرس للتلاميذ والطلاب - ويربيهم - ويثقفهم - ويوجههم ويؤلف لهم .

وهو معلم بالمعنى العام - يرشد مواطنيه - ويحكمهم - ويبصرهم بالحق والخير والعدل - ويهديهم سواء السبيل .

فقد استجاب لدعوة الزعيم غاندى حينما أهاب بالهنود سنة ١٩٢٠ أن يقاطعوا المدارس البريطانية - وينشئوا مدارس وطنية - وكان ذاكر حسين فى ذلك الوقت طالبا يدرس الماجستير بالكلية المحمدية الانجليزية (التى سميت فيما بعد جامعة عليكرة) وكانت سنه ثلاثا وعشرين سنة - فنهض فى جمع من رفاقه - واسسوا الجامعة الملية الاسلامية التى سميت فيما بعد الجامعة الاسلامية الوطنية .

وعاش طيلة حياته يعتز بهذا العمل الجليل الذى ساهم فيه-حتى انه حينما انتخب رئيسا لجمهورية الهند سنة ١٩٦٧ قال : انه لشرف عظيم تسبغه الأمة على مدرس آلى منذ سبعة واربعين عاما ان يهب أفضل سنوات عمره للتعليم الوطنى - لقد بدأت حياتى العامة تلميذا لغاندى - أقفو آثاره - واستلهمه - واتعلم منه .

درس ذاكر حسين سنتين فى هذه الجامعة التى ساهم فى انشائها - ولكنه كان يحس بظمأ الى الاستزادة من المعرفة - وكان يعلم أنه لا يستطيع استكمال دراسته العليا فى انجلترا أو فى معهد بريطانى بالهند - لأنه خصم لبريطانيا - فاتجه الى ألمانيا - وبقى بها ثلاث سنوات حصل فيها على البكالوريوس فى العلوم الاقتصادية من جامعة برلين .

ولم يكن هدفه من البكالوريوس أن يتحلى بشهادة يحملها - بل أن يعد نفسه اعدادا كاملا ليكون معلما كاملا . وعلى الرغم من أنه كان يعمل ليحصل على المال الذى يكفى لنفقاته - فانه لما علم أن الجامعة الملية الاسلامية التى شارك فى انشائها توشك أن تغلق أبوابها لحاجتها الى المال أرسل برقية يقول فيها :

لقد قررت أنا وبعض زملائى فى أوروبا أن نهب الجامعة حياتنا - فيجب أن تبقى حتى نعود الى الهند .

وبقيت الجامعة - وانتقلت من عليكرة الى نيودلهى سنة ١٩٢٥ - وعين ذاكر حسين نائبا لرئيسها حينما رجع الى الهند سنة ١٩٢٦ - وسنه اذ ذاك تسعة وعشرون عاما .

لا شك فى أن هذا المنصب الجليل كان مفخرة للمجاهد ذاكر حسين - ولكنهامفخرة اقتضت منه جهادا متصلا مدة تقرب من ربع قرن - استطاع فى خلالها أن يجعل من الجامعة الملية مركزا للاشعاع الفكرى فى الهند .

ولم يكتف بما يبذله من جهود - بل اتفق هو وزملاؤه الذين تخرجوا فى برلين أو اكسفورد أو كمبردج على الا يزيد راتب كل منهم شهريا على مائة روبل ما دام الانجليز فى الهند .

ثم أضاف الى هذا انه كان ينهض بعمل السكرتير والصراف وجمع التبرعات .

وتأبى طبيعة المعلم الا أن تدفع ذاكر حسين الى أن يدرس بنفسه للصفوف الابتدائية والثانوية بالجامعة الملية الاسلامية - ليصوغ التلاميذ على الأنماط التى يرى فيها الخير لهم ولأمته وهم فى سن قابلة للتشكيل .

وطبيعة المعلم هى التى أملت عليه أن يعتمد فى تربيته للتلاميذ والطلاب على الاسوة والقدوة والمثال الطيب - لا على النصائح الجوفاء - ولا على الانذار والعقاب .

فقد جعل من نفسه أسوة طيبة لأبنائه فى مظهره وسلوكه وثقافته ووطنيته ــ وكان يعاملهم بالرفق الرشيد والتوجيه السديد .

فقد رأى طالبا يلبس طاقية بيضاء قذرة ــ فاصطحبه الى داره ــ وغسل للطالب طاقيته وكواها ــ وكان من الطبيعى أن يخجل الطالب ــ وأن يحرص بعد ذلك على نظافة ملابسه كلها ــ وأن يفعل ذلك اخوانه .

ودخل مرة على الطلبة وجيوبه ملأى بالخرق والأوراق المهملة ــ فدهش الطلبة ــ ولكنه أزال دهشتهم بقوله :

جمعت هذه المهملات وأنا فى طريقى اليكم ــ ان هذا المكان معهد لتلقى العلم ــ فتجب المحافظة على نظافته .

كذلك اقتضته طبيعة المعلم أن يكون نموذجا للمنشىء البانى فيما يستطيع ان يعمل وينشىء .

فهو يحب الناس جميعا .

ويحب الخضرة والحدائق والبساتين .

ويعطف على الحيوان .

ويغرس بيديه الأشجار بحديقة الجامعة وطرقاتها .

وذلك أن الذى يربى النشء ليكبر ويعمل وينفع ليس غريبا منه أن يحرص على تربية الشجر ليظل ويثمر ويفيد . وهو يجمع اللوحات الفنية والعلمية والأحجار والحفريات لأن لها دلالاتها التاريخية ــ وهذا من صميم أعمال المعلم . على أن طبيعة المعلم كانت تسيطر عليه حتى فى أوقات فراغه فيؤلف قصصا للأطفال ــ ويترجم جمهورية أفلاطون وبعض كتب الاقتصاد ــ ويؤلف كتاب اعادة البناء التعليمى بالهند .

فلا عجب أن اختاره الزعيم غاندى سنة ١٩٣٧ لرئاسة اللجنة الوطنية للتعليم الأولى ــ فكان له الفضل فى تطوير هذا النوع من التعليم ــ وتحريره من قيود الأسلوب القديم .

ولا عجب فى أنه كان يعتز بماضيه فى ميدان التعليم ــ فهو يقول فى خطبته بجامعة القاهرة سنة ١٩٦٣ انه ارتبط بالجامعة الملية الاسلامية بنيودلهى سنوات طوالا ــ وأن الحديث عنها يهز وجدانه .

ويقول انه مرتبط بالتعليم ارتباطا وثيقا فى مختلف مراحله . ويقول انه اتفق مع زملائه على الجهاد لايجاد طراز من التعليم القومى على الرغم من الصعاب التى كانت تعترض طريقهم .

ويقول ان المعلم الذى لا يستطيع أن يظفر بحب الشعب الذى يخدمه أو ينال تقديره مخلوق تعس ــ وان المجتمع الذى لا يعرف كيف يحترم معلميه ويكرمهم مجتمع لم يستقم أمره .

ثم شاءت الظروف الملحة ان ينخرط فى الحياة السياسية سنة ١٩٥٢ فى الوقت الذى كان يدين فيه بأن ميدان السياسة أضيق من أن يحقق النهضة الوطنية المنشودة لان ميدانها الرحيب هو العلم والتعليم .

وكان فى ذلك الوقت فى الخامسة والخمسين ــ فعين عضوا فى راجياسابها ــ وهو المجلس الاعلى للولايات فى البرلمان الهندى ــ ثم عين حاكما لاقليم بيهار سنة ١٩٥٧ .

وهكذا ظل ذاكر حسين عالما ومعلما الى أن انتخب رئيسا لجمهورية الهند سنة ١٩٦٧ .

وقد كان لوفد المجلس الأعلى للشئون الاسلامية شرف لقائه عند زيارة الوفد الى الهند فى يناير سنة ١٩٦٨ .

وقد وجدت نفسى أمام عالم وحكيم وفيلسوف ومحدث ــ وقد استغرق اللقاء وقتا طويلا ــ أحاط فيه الوفد بالمودة والمشاعر الطيبة .

وأذكر فى هذا المجال نقطتين فقط من حديث الرئيس ذاكر حسين

النقطة الأولى :

أشاد بتسجيلات المصحف المرتل وأثرها الكبير ــ كما أشاد بمطبوعات المجلس الأعلى للشئون الاسلامية المترجمة الى لغات مختلفة ــ ولكنه قال : الى جانب ذلك يجب اعداد الداعية المؤمن المسلم لكى ينشر الاسلام بالكلمة لأن الكلمة لها سحرها ووقعها ــ ولكى ينشر الاسلام بالقدوة كما فعل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

والنقطة الثانية :

قال الرئيس ذاكر حسين : لقد قرأت فى الصحافة عن موضوع الأحوال الشخصية عندكم فى الجمهورية العربية المتحدة ــ وأن هناك لجنة تحاول أن تعد مشروعا جديدا للأحوال الشخصية ــ وانى أتحدث اليكم كفرد مسلم لى رأى فى هذا الموضوع ــ أرجو أن يكون قانون الأحوال الشخصية للمسلمين مستمدا من القرآن الكريم ــ لأن فى هذا سعادة حقيقية عملا بقول الله تعالى :

((ما فرطنا فى الكتاب من شىء)) .

هذا هو ذاكر حسين المؤمن المسلم

فلا غرابة فى أنه كان رئيسا لجمهورية الهند وهو من الأقلية بالهند فهذا دليل قاطع على أن الشعب الهندى عرف قدره ــ وأولاه ثقته ــ ونظر اليه نظرة الجنود الى القائد ــ ونظرة المجاهدين الى الرائد ــ ونظرة الطلاب الأذكياء العاملين الى معلمهم المحبوب الأمين .

كلمة السيد أبابانت

سفير الهند في القاهرة

السيد نائب الرئيس

ايها الأخوة الأصدقاء

لقد كانت أول مرة شرفت فيها بلقاء الدكتور ذاكر حسين فى سنة ١٩٣٩ ، حين بعث بى المهاتما غاندى لمقابلته . فقد كنا فى ذلك الوقت نحاول ، فى الولاية التى كان ابى حاكما عليها ، أن نعيد تنظيم أساليبنا التعليمية فى القرى ، ورأى المهاتما غاندى أن التجربة التى كانت الجامعة العلمية تجريها فى « التربية الأساسية » تحت اشراف الدكتور ذاكر حسين مدير تلك الجامعة فى ذلك الوقت ، تجربة تمكن الافادة منها ، اذ كان الدكتور ذاكر حسين قد أخرج نظاما تربويا جديدا يقوم على الربط بين العمل والتربية ، من شأنه أن يساعد الفرد فى حياته وأن يأخذ بيده فى التحرر من كل استبداد ، فلقد كان يؤمن بأن التربية الصحيحة هى التى تساعد الأفراد على خلق مجتمع يكون فيه التناسق ، والجمال ، والخدمة العامة ، والتضحية والحقائق الاساسية فى حياة الناس اليومية .

فى ذلك اليوم من شهر سبتمبر سنة ١٩٣٩ حظيت بلقاء الدكتور ذاكر حسين لاول مرة ، فكان الأثر الذى تركه فى نفسى أنه رجل يتصف بالاخلاص ، والشجاعة ، والانسانية الحقة ، والعظمة التى لاصنعة فيها .

ان فى حياة المجتمعات والشعوب ، كما هو الحال فى حياة الأفراد ، فترات تقتضيها أن تختار طرايقها فى الحياه ، فاما عمل على الترابط والتآلف والوحدة ، واما عمل من أجل بهرج القوة الزائفة الذى لا يتحقق لصاحبه الا عن طريق الدمار وانعدام التآلف والعذاب .

وفى دولة كالهند ، هى فى الحقيقة شبه قارة بكل ما يعنيه هذا الاصطلاح ، يعيش فيها ناس من أجناس مختلفة ، وديانات متعددة ، وعادات متباينة ، يتكلمون لغات كثيرة وينتمون الى ثقافات متفرقة منذ آلاف السنين ، يؤدى اختيار الطريق الى أحد شيئين ، أما الى رفاهية وسلام ان كان اختيارا سليما واما الى تهلكة وأسى ان كان خاطئا .

وقد ظل المهاتما غاندى ، خلال فترة الكفاح من أجل الاستقلال ، حريصا كل الحرص على اتباع طريق الوحدة والالفة والترابط دون أن يكون فى ذلك مايشوب جمال التقاليد والثقافات التى ظلت شائعة بين هذه الطوائف المختلفة او يوهن من حيويتها . وقد وقف الدكتور ذاكر حسين ، منذ بداية حركة التحرير ، الى جانب المهاتما غاندى ثابتا لايتزحزح ، قويا لاتلين له قناة هو وكثيرون آخرون من امثال مولانا ابى المكارم آزاد ، والدكتور الانصارى ، ورفيع احمد كدواى وغيرهم يواجهون الصعاب والأخطار ، ويجابهون تحديات قوة أجنبية ذات بأس شديد ، سعيا منهم الى خلق وحدة فى الهدف والعمل من هذه التعددات القائمة .

وقد ظل الدكتورد ذاكرحسين طوال الكفاح من أجل الاستقلال ، وفيما وليه ، يمثل فى كثير من النواحى « المواطن الهندى الجديد » . هذا المواطن الهندى الجديد هو هندوسى ومسلم ، مسيحى وبوذى وجينى ، فلاح وعامل مثقف ومن رجال

الصناعة والمال والأعمال ، رجل علم وتربوى ، كل ذلك في آن واحد .

ومن ثم فان الدكتور ذاكر حسين لم يكن مجرد تعبير عن القوة الدافعة التى تعمل على خلق نمط انسانى جديد من أنماط الحياة ، بل أوتى ، الى جانب ذلك من الشجاعة ماامكنه من التعبير عن هذه القوة الدافعة بأسلوب عملى . من أجل هذا كرس عشرين عاما من حياته لبناء ذلك المعهد العظيم الذى يقوم شامخا على مقربة من دلهى - ذلك هوالجمعية الملية . فما من أحد زار هذا المعهد العتيدالا وخرج منه واثقا من أن خريجيه سوف يمثلون روح الحضارة الجديدة التى كرس الشعب الهندى نفسه لبنائها ، حضارة - فى عبارة المهاتما غاندى - ((تفتح أبوابها ونوافذها على مصراعيها أمام جميع ثقافات العالم وحضاراته كي يهب نسيمها حرا طليقا فى أرجاء البيت ، دون أن يكتسح أقدامنا من مواقعها)) . نعم ، فقد كانت هذه الروح ، روح الوحدة من خلال التنوع ، الشىء الذى عبر عنه الدكتور ذاكر حسين أجمل مايكون التعبيروأكثره شجاعة واقداما .

ولم يكن اهتمام الدكتور ذاكر حسين مقصورا على الانسان ، بل كل ماكان يحيط به - الأشجار والنبات ، والأزهار ، والأحجار ، والأرض نفسها . لقد كان عقله الراجح عقل من حظى بنصيب رفيع من الحضارة ، وأصاب قسطا كبيرا من المرونة فأحس بالألفة والسكينة فى جميع الظروف ، وفى كل الأمكنة والأزمنة . والحق أنه لم يكن ينتمى الى الهند وحدها بل كان من كثير من الوجوه ينتمىالى الانسانية جمعاء ، بقدر ماكانت الانسانية كلها ، فى كل مكان فى العالم ، تنتمى اليه . وكل من حظى بلقائه لم يسعه الا أن يحس بأنه واحد من أولئك الأفذاذ النادرين الذين لاتنحصر ((نفوسهم)) فى مركز واحد حبيس فى جسم معين ، ولكنها نفس تآلفت مع كل مايحيط بها فاتحدت معه

واذا كان الدكتور ذاكر حسين قد رحل عنا بجسده فان روحه التى عبرت عن وحدة الهند ، وايمانه بوحدة الانسان وبالقيم الروحية فى الحياة، واصراره على أن يخلق من حوله الألفة والجمال ستظل كلها باقية بيننا .

وان اجتماعنا اليوم لهو نفسه ، كما ترون ، تعبير صادق عن هذه القيم والمثل التى كرس الدكتور ذاكر حسين حياته من أجلها

رحمه الله وأسكنه فسيح جناته .

بقية كلمة السيد الدكتور عبد العزيز السيد

الهند على سائر الامم ، فقد علمت الدنيا أنه ليس فى الهند طوائف تحكم ، وأخرى محكومة ، وانما جميع الطوائف شركاء فى الحكم .

كما علمت الدنيا أيضا ، أن انسانا لايمكن أن يحرم منصبا مهما يكن بسبب ديانته كما أنهلاينال ذلك المنصب بسبب ديانته .

ترى أيها السادة ، ما أروع هذا الدرس ، وما أعظمه ، فى زمان تقام فيه الدول على أسس عنصرية ، ويحال بين الافراد والجماعات وحقوقهم بسبب أجناسهم أو دياناتهم أو ألوانهم .

أيها السادة

لقد عرفت ((ذاكر حسين)) من خلال ما كتبه وما كتب عنه ، عرفته قبل أن ألقاه ، فملئت نفسى اعجابا به واكبارا له ، - ثم شرفت بلقائه والتحدث اليه عدة مرات أثناء زيارته للجمهورية العربية ؛ فزدت له اكبارا وبه اعجابا ؛ - كان يكفى ان تراه وتتحدث اليه ، لتشعر انك امامرجل عظيم ، - لاتشعر وأنت معه انك أمام نائب رئيس أو رئيس لجمهورية من أعظم جمهوريات الدنيا ، ولكنك تشعر أنك أمام رجل من أعظم الرجال ، - صفاء فىالنفس ، وهيبة فى تواضع ، وعمق وصراحة فى القول ، وكلام ينفذ الى سمعك وقلبك معا ، - وعظمة يحاول صاحبها أن يخفيها رفقا بجليسه ، ولكن هيهات لامرىء أن يمسك عن نفسه ما أراد الله لها من عظمة .

رحم الله ((ذاكر حسين)) وأسكنه فسيح جناته ، وأسبغ عليه رضوانه ، عزاء للهند فى موت رئيسها - عزاء للهند فى موت ذاكر حسينالانسان والمعلم والعالم والفيلسوف .

ولكن الهند العظيمة التى أنبت ثراها أمثال غاندى ، ونهرو ، وذاكر حسين ، وغيرهم من عظماء البشرية ، سيبقى ثراها دائما منبتا لأعظم الرجال ؛ وستبقى الهند الى آخر الزمان معينا لاينضب ،لابداع أسمى القيم والمبادىء الانسانية .

والسلام عليكم ورحمة الله .

الذكرى السنوية الأولى

للمغفور له فضيلة الشيخ

محمد محمد المدني

تمر الايام ويكتمل العام وتتوالى السنين وتتعاقب الأجيال وذكرى الشيخ محمد محمد المدنى تنبض بالحياة فى سماء الخالدين ، ومكانته العلمية تحتل المكان الاسمى فى محراب العلماء ومنتدى الأدباء ، وشمائله الطيبة تأخذ بمجامع القلوب ، وآثاره العلمية كعبة الدارسين ، وسند المحققين فقد كان رحمه الله ممن يفنون زهرة أعمارهم فى التحقيق والتدقيق ويضربون فى طلبه كما يضرب المجاهدون فى سبيل الله ، لابس القديم والحديث فتى ناشئا؛ ثم لابسهما كهلا فتيا مكتمل الفهم والرشاد ، خراجا ، ولاجا ، طلعة ذواقا فكان بهما جد خبير (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين)

ومن ثم جاءت مؤلفاته كنوزا لا يزيدها الانفاق الانماء وزكاة ، وسمت آراؤه الى مستوى المجتهدين فى الفقه والشريعة بما خرج من أقوال ، وجلى من غوامض ، وفصل من مجمل وهذب وركب من مسائل حتى جعل علم الشريعة والعلوم الاسلامية على طرف التمام ، سبيله فى هذا ما وهبه الله من قدرة الادراك وحسن المأخذ والاقتباس ، وما تيسر له من طبع موات وعقل نافذ ، وبصر ثاقب ، وما أطل عليه من سماء النبوغ ، فأفاد الانسانية فوائد جمة ،فكما ان البيئة العملية مدينة لهؤلاء المخترعين بهذا الفضل العظيم ، فان المدنية العلمية والعقلية مدينة لأولئك **المؤلفين المحققين ورحم الله فقيدنا فقيد العلم والدين الذى أدى امانة العلماء ، وبلغ رسالة الفقهاء كأحسن ما تكون التأدية ، واعظم ما يكون التبليغ ، فقد كان شعاره فى منهاج حياته العملية والعلمية مارسمه لنفسه ولطلاب الهداية والمعرفة فى حديثه مما جاء فى كتاب (دعوة التقريب من خلال رسالة الاسلام) الذى قام رحمه الله على جمعه واعداده،وقام المجلس الأعلى للشئون الاسلامية باصداره اذ يقول :**

(ان الفقه الاسلامى هو فكرتنا ومنهاجنا فى الحياة

ولكل أمة نظام ونهج وفكرة تدعو اليها وتحـاول جمع الناس عليها ، فليجمع المسلمون أمرهم على هذا التراث المجيد وليجعلوه منهاجهم الذى عليه يسيرون واليه يدعون)

وقد كان رحمه الله لا يألو جهدا فى اسداء النصح الخالص ، وبيان ما يجب ان يسير عليه الباحثون والدارسون عامة ، والمهتمون بالدراسات الاسلامية والقرآنية على وجه خاص من اتباع اسلوب التحرر من التقليد والبعد عن التعصب لمذهب خـاص وهو ماأشار اليه فى مقدمة كتابه (المجتمع الاسلامى كما تنظمه سورة النساء ، والذى أشرف على اصداره المجلس الأعلى للشئون الاسلامية اذ يقـول :

(ان ميدان التفكير فى القرآن واسع ، وهو كميدان التصوف والتفكير فى الله ، فيجب أن يسلكه كلٌ كفء له ولكن على وتيرته الخاصة وبطابعه الخاص ، كما ان لكل متصوف طريقته واسلوبه فى معرفة الله وفى التفكير فى عظمته ، واجتلاء صفات جلاله وجماله ، فقد ينكشف للمتأخر ما لم ينكشف للمتقدم وقد يؤثر فى المعاصرين اسلوب جديد فى العرض اضعاف ما يؤثر فيهم أسلوب قديم . ومن عاش فى زمان لابد ان يتعامل بأسلوب هذا الزمان ، وان يحسب حساب أفكاره وأحواله ومقاصده ومراميه وآماله وآلامه ولغته وطريقة عرضه ، ومـا فيه من نقط ضعف ونقط قوة وماله من نواحى استقامة ونواحى اعوجاج ، كل ذلك يجب ان يدخل فى حساب من يتناول القلم ليكتب . ومن يجلس مجلس المؤلف والموجه ولاسيما اذا كان تأليفه وتوجيهه عن طريق التفسير وخدمة الذكر الحكيم ، واما الذين لاعمل لهم الا أن يستعيدوا ماكان ، ويرددوا ما قيل دون تصرف فيه ، ولاتحول حتى عن أسلوبه والفاظه . وجدله ونقاشه ، فليس لهم فى معترك الأقلام والأفكـار الآن مجال)

ثم يستطرد رحمه الله فيبين مكانة الاسلام فى تنظيم العلاقات الاجتماعية واخـراج البشرية من ظلمات الضلالة والحيرة الى نور الحق واليقين ،

وذلك فى قوله : (ان الاسلام هو القانون الطبيعى للحياة وان مناهجه النظرية والعملية هى التى تحل مشكلات المجتمع ، وتصون افراده من الوقوع فى حمأة الرذيلة ، وفى ظلمات الشك والحيرة ، ولكن على شريطة ان يجلى للناس صافيـا كما أنزله الله بريئا من التزمت والتحلل كليهما كما أراده الله)

ولم تفت فقيدنا تغمده الله بواسع رحمته وهو بازاء الدعوة الى اصلاح المجتمع ان يشير ضمن مؤلفاته وبحوثه ومقالاته الى شباب المجتمع وما يجب ان يكون عليه من صورة حية تتوافق فى أبعادها وجوهر رسالتها مع مارسمه القرآن الكريم من صور قوية لتربية الشباب وتنشئته على الاخلاق الفاضـلة وتزويده بالاسباب الدافعة الى العمل والانتـاج والتحلى بمكارم الاخلاق من اجل رفعة الأمة الاسلامية يطالعنا بذلك ما جاء فى بحثه الاخير الذى شاء قدر الله وقدرته ان تنتهى به رسالته السامية ، فكان هذا البحث الذى نشر على صفحـات مجلة (منبر الاسلام) فى عدد المحرم ١٣٨٨ هـ من خير ما دبجته يراعته وآخر ما خطه بنانه . وكأنى به وقد أبى الا ان يترك الحياة الدنيا معلما كما عاشها معلما ، وان يكون فى ذلك اقتداؤه برسول الله صلى الله عليه وسلم الذى بعث معلما ومتمما لمكارم الاخلاق ولنا فيه صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة والقدوة الطيبـة (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) ومما جاء بهذا البحث قوله رحمه الله : (عنى الاسـلام

بتحقيق منهج كامل لتربية الشباب ، ومن ثم فقد وضع لذلك تخطيطا منسقا يصاحب الولد منذ كان أملا يجول فى خاطر والديه الى ان اصبح فردا له حقوق وعليه واجبات .. ولكى يعطينا القرآن الكريم أمثلة عملية من منهجه فى تربية الشباب نراه يعرض علينا صورا مختلفة :

يعرض علينا صورة جذابة رائعة لأب يرشد ابنه ويهديه الى الصراط المستقيم فى الحياة ، هى صورة لقمان وهو يعظ ابنه .

(واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابنى لاتشرك بالله أن الشرك لظلم عظيم» ، «يابنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الارض يأت بها الله ، ان الله لطيف خبير ،يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الارض مرحا ان الله لايحب كل مختال فخور ، واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الاصوات لصوت الحمير)

وصية جامعة اشتملت على العقيدة ، والعمل ، والسلوك . هذه صورة جامعة من التأديب والتهذيب يعرضها القرآن ليغرى بها الشباب ولتكون للآباء نموذجا ومثالا يحتذونه •

وصورة أخرى يتغير فيها موقف الأب والابن فيكون الابن هو الذى ينصح اباه ونرى فيها مناشدة قوية مهذبة رائعة •

انها صورة ابراهيم عليه السلام ، وهو فتى فى ريعان الشباب ، يحطم الأصنام ويجادل من يعبدونها ومن بينهم أبوه **(واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا اذ قال لأبيه يأبت لم تعبد ما لايسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا يأبت انى قد جاءنى من العلم مالم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا يأبت لاتعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا ، يأبت انى اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قال : أراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرنى مليا قال : سلام عليك ساستغفر لك ربى أنه كان بى حفيا)**

ان هذه المناشدة تقوم على اساس متين من الأدب الغالى ومن العزة الخلقية . ومن الايمان العميق وكل جملة من جملها تحمل توجيها قويا ، ومعانى شريفة وهى مع هذا كله مثال رائع لنضال صاحب المبدأ المؤمن فى عفة قول ، وصدق حديث وأدب جدال) •

ويستطرد رحمه الله فيعرض لنا صورة ثالثة هى صورة فتية أهل الكهف الذين صور الله لنا أمرهم بهذه الصورة الرائعة من اعتناق القيم والايمان بالمثل **(انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها ، لقد قلنا اذن شططا •**

ثم يذكر ماصوره القرآن الكريم لنا من صورتين أخريين متقابلتين أتم التقابل لصنفين من الشباب

احداهما : الصورة المثالية التى يبتغيها الاسلام للشباب والممثلة فى قوله تعالى : (ووصينا الانسان بوالديه . حملته امه كرها ووضعته كرها ، وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ، حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى ان أشكر نعمتك التى انعمت على وعلى والدى وان أعمل صالحا ترضاه وأصلح لى فى ذريتى انى تبت اليك وانى من المسلمين أولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فى أصحاب الجنة وعد الصدق الذى كانوا يوعدون)

هذه هى الصورة الأولى ، وصية من الله للانسان باسم انسانيته ومثل هذا الصنف هو اللبنات القوية الصالحة التى يقوم عليها المجتمع الصالح وبهم تكون قوة الأمة وعزيمتها ، ويكون صلاح أمر الاسلام ، وانتصار كلمة الحق •

والصورة الأخرى : هى الصورة الممقوتة التى ينفر منها ، ويعمل على الا يبتلى المجتمع الاسلامى بها وهى الممثلة فى قوله تعالى **(والذى قال لوالديه أف لكما أتعداننى أن أخرج وقد خلت القرون من قبلى ؛ وهما يستغيثان الله ، ويلك آمن . ان وعد الله حق ، فيقول : ماهذا الا أساطير الأولين ، أولئك الذين حق عليهم القول فى امم قد خلت من قبلهم من الجن والأنس انهم كانوا خاسرين)**

صورة شاب متعجرف ، يظن انه على شىء من العلم وان والديه لايعلمان مايعلم فهما فى نظره مستمسكان بعقيدة قديمة بالية هى عقيدة البعث ليوم الحساب اما هو فمفكر حديث لايسعه ان يقبل هذا القول ولا ان يؤمن به •

ومثل هذه الصنف من الشباب هم الذين تبتلى بهم المجتمعات وتشقى بهم الأمم لأنهم بهذا الانكار سيتحللون فلا يعرفون حراما ولا حلالا ، ولاخيرا ولا شرا ، ولا يخشون عاقبة فعل فعلوه ، أو أثم ارتكبوه وبذلك ينطلق منهم على الأمة جيش فساد ومنكرات وتتحطم بهم القيم والمثل)

وهذا الصنف هم الذين حق عليهم القول فى أمم التاريخ الخالية كلها : انهم لايؤمنون ولا يصلحون. لأن فى آذانهم وقرا ، وفى قلوبهم كبرا ، فهم جامحون ملتوون خاسرون .

هذه صور يضربها القرآن مثلا للشباب فاننا لنجد فى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه مثلا عليا ما اجدرنا ان ندرسها وان نقيس عليها أمر الشباب فينا ، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شبابه كما كان طول حياته مثلا أعلى للفضيلة ، والهمة والشجاعة والجود والتضحية والجهاد والغيرة على الحق ، والانكار للباطل وكان عزيزا أبى النفس ، اقسم ذات يوم الا يذوق طعاما ولا يشرب شرابا حتى يعمل بكد اليمين وعرق الجبين وكان ذلك فى موقف يفيض منه الحفاظ على كرامته واتجر وسافر فى سبيل التجارة واخلص للمال الذى يتجر فيه وكان أمينا عليه ، وعلى الناس فى شأنه ، حتى عجب ميسرة من أمانته وكريم خلقه ، وسمعت بذلك خديجة فاحبته وخطبته هى لنفسها ، على غير عادة النساء - فمن شاء أن يجد المثل الصالح للشباب ، والقدوة الكريمة التى يقتدى بها ، فليلتمس ذلك فى سيرة محمد صلى الله عليه وسلم . وفى سيرة من رباهم محمد صلى الله عليه وسلم من آله وأصحابه

ولقد أثرى الشيخ المدنى رحمه الله المكتبة الاسلامية بعديد من مؤلفاته ذات الاثر البالغ فى نفوس قارئيها ، وذات النفع الجليل فى حياة الدارسين والباحثين والتى نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

١ - شرح المنهاج فى أصول الفقه

٢ - دعائم الاستقرار فى التشريع القرآنى

٣ - مناهج التفكير فى الشريعة الاسلامية

٤ - سورة الانعام والأهداف الاولى للاسلام

٥ - السلطة التشريعية فى الاسلام

٦ - رأى جديد فى تعدد الزوجات

٧ - وسطية الاسلام (وترجم الى الانجليزية)

٨ - المجتمع الاسلامى كما تنظمه سورة النساء

٩ - الجوانب التوجيهية للعقائد والمثل فى الاسلام

١٠ - النفس الانسانية تحت ضوء القرآن والسنة

١١ - القصص الهادف كما نراه فى سورة الكهف

١٢ - جمع واعداد (دعوة التقريب من خلال رسالة الاسلام) .

هذا فضلا عن بحوثه العديدة ومقالاته السديدة التى نشرت بمجلة منبر الاسلام ومختلف المجلات الاسلامية ، وما سجل له من أحاديث اذاعية وتليفزيونية ودون له من آراء ألقت المزيد من الأضواء على العلوم الاسلامية

وما كانت هذه المؤلفات وتلك الأحاديث والآراء الا ثمرة طيبة لحياة صالحة مليئة بالكفاح العلمى من أجل اعلاء كلمة الله ونصرة الحق ، حتى وافته منيته والأمة الاسلامية أحوج ما تكون اليه والى أمثاله من العلماء العاملين المخلصين لدينهم ووطنهم وعروبتهم .. وهذه نبذة عن تاريخ حياته المشرف .

فقد ولد رحمه الله بمركز المحمودية فى ٢٨ من سبتمبر سنة ١٩٠٧ وتخرج فى الازهر حاصلا على شهادة العالمية سنة ١٩٢٧ قبل ان تبلغ سنه العشرين ثم حصل على الدكتوراه من قسم التخصص بالازهر فى علوم البلاغة والأدب سنة ١٩٣٠ وعين مدرسا بمعهد الاسكندرية وترقى الى كثير من مناصب الأزهر العلمية والادارية ثم عين أستاذا للشريعة الاسلامية فى كلية دار العلوم بجامعة القاهرة ورئيسا لقسم العلوم الاسلامية بها وفى سنة ١٩٥٩ عين عميدا لكلية الشريعة بجامعة الأزهر الاسلامية كما كان رحمه الله رئيس لجنة القرآن والسنة ، وعضو موسوعة الفقه الاسلامى بالمجلس الاعلى للشئون الاسلامية .

رحم الله الفقيد رحمة واسعة وأمطر مثواه شآبيب رحمته ، وسحائب مغفرته وأنزله مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا (وقل رب انزلنى منزلا مباركا وانت خير المنزلين)

التشريع - الفقه - الأبحاث
الدراسات الصوفية فى الإسلام

اسباب انهيار المجتمعات كما تحددها

سورة الفجر

الأستاذ احمد حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

* والفجر
* وليال عشر
* والشفع والوتر
* والليل اذا يسر
* هل فى ذلك قسم لذى حجر
* ألم تر كيف فعل ربك بعاد
* ارم ذات العماد
* التى لم يخلق مثلها فى البلاد
* وثمود الذين جابوا الصخر بالواد
* وفرعون ذى الأوتاد
* الذين طغوا فى البلاد
* فاكثروا فيها الفساد
* فصب عليهم ربك سوط عذاب
* ان ربك لبالمرصاد .

سورة مكية

الذى فى المصحف انها سورة مكية ولا خلاف فى ذلك بين جمهرة المفسرين

والفجر

يقسم الله عز وجل ، وفقا لأسلوب القرآن ، بالفجر . والفجر هو انفجار الظلمة عن النهار من كل يوم ، وهو الوقت المعروف ، عندما تنفذ اول أشعة النهار فتبدد حلكة الليل .

ولقد احتفل القرآن الكريم بالفجر ، كما لم يحتفل بأى وقت آخر من اوقات النهار والليل ، فهو الحد الفاصل بين الافطار والصوم فى ايام رمضان :

« كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر

البقرة ١٨٧

وهو ذروة الخير والسلام فى ليلة القدر :

« سلام هى حتى مطلع الفجر »

القدر ٥

وهو الوقت الذى يشهد فيه الملائكة والملأ الأعلى تلاوة القرآن :

« وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا »

الاسراء ٧٨

واخيرا وليس آخرا اختصه بنسبة الصلاة اليه كما لم ينسبها الى اى وقت آخر باستثناء وقت العشاء .

« يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء .

الفجر والايمان

والحق انه من لم يشهد صلاة الفجر ، فقد جهل حلاوة الصلاة ، ولم يتذوق الخشوع والتبتل لله عز وجل ، ومن لم يشهد هذه اللحظات البهية السنية ، لحظات الصبح اذا تنفس ، عندما تولى جيوش الظلام أمام أشعة الضوء الزاحفة ، من لم يشهد مطلع النهار والدنيا تشرق بنور ربها ، والحياة تدب فى أوصالها فقد حرم نفسه من خير كثير

ولطالما ناجيت نفسى فى الصباح المبكر عند الفجر ، سواء قضت على الظروف ان اشهده فى صحراء وسط بحار الرمال ،او على متن سفينة فوق صفحات الماء ، او على قمة جبل ، او فى ريف او حضر ، او فى الحرم المكى أو النبوى او فى القدس الشريف ، وسواء فى شرفة بيتى على النيل او فى زنزانة أحد السجون التى حللت بها ، والنور يتسلل الى الكون من حولى ويسربله بأثواب البهاء كاشفا عن شتى الالوان والتكوينات والنقوش والزينات ، وقد رق النسيم واعتل وراح يصافح الوجه وينعش الجسد ، وزقزقة العصافير وحفيف الاشجار ورفرفة الطيور المنطلقة بحثا عن رزقها ، كل ذلك يؤلف موسيقى الصباح ، والنفس قد شفت ورقت وخفت حتى لتوشك أن تتصعد فى الفضاء .

اقول طالما ناجيت نفسى فى هذه اللحظات ، كيف يمكن لانسان كائنا من كان ، له عينان وله سمع وفى صدره قلب ووجدان وفى راسه عقل ، ان يشهد ذلك كله ثم لايسبح بخالق هذا الملكوت ، ولا يقدس رب هذا الوجود ومبدع هذا الجمال .

لطالما قلت ان من لم يستطع ان يحس بوجود الله وجلاله فى مطلع الفجر فهو لا يمكن الا ان يكون مريض النفس معتل الروح ، اعمى القلب كما ان هناك عمى الابصار

ومن هنا اقسم القرآن بالفجر ، ووجه انظارنا الى الفجر ، وصلاة الفجر ، وقرآن الفجر

كل فجر

وقد حاول بعض المفسرين أن يخص الفجر فى هذه الاية بيوم معين ، فقالوا اريد به فجر اول يوم

من المحرم اذ تتفجر منه السنة ، وقالَ آخرون بل هو فجر شهر ذى الحجة اذ قرن به الليالى العشر . وكل ذلك تخصيص بغير مخصص ، فالقسم بالفجر هنا عام ويشمل كل فجر وكل صباح فهو آية الله المتجددة فى خلقه ، وهى النعمة الابدية المتكررة ، يحسها كل انسان فى نفسه وهو يستقبل مطلع كل يوم جديد ، حاملا معه الامل والرجاء

وليال عشر

اختلف المفسرون حول المقصود بالليالى العشر التى خصها الله بالذكر فقرنها من دون الليالى بالفجر ، فقال ابن عباس ومجاهد وغير واحد من السلف والخلف ، أن المراد بها عشر ذى الحجة ، وقد نقل ابن جرير الطبرى العديد من الاقوال عن هذه الليالى العشر ، فمن قائل انها العشر الاوائل من المحرم حيث تنتهى بيوم عاشوراء الذى كان النبى صلوات الله عليه يصومه . وقول آخر انها العشر التى اتمها اللهلسيدنا موسى«واتممناها بعشر » وقال آخرون بل هى العشر الاواخر من رمضان حيث تلتمس ليلة القدر ، وحث رسول الله صلى الله عليه وسلم على التهجد والتعبد فيها .

وينتهى ابن جرير من عرضه مختلف مانقل اليه بالقولَ :

والصواب من القول فى ذلك عندنا انها عشر الأضحى لاجماع الحجة من اهل التأويل عليه .

ويخالف الشيخ محمد عبده ذلك كله ويقول قولا لم يسبقه اليه احد وهو : انها الليالى العشر وردت مجهلة فيجب عدم تحديدها واعتبارها ليال عشر من كل شهر وهى ما يكون فيها ضوء القمر مطاردا لظلام الليل الى ان تغلبه الظلمة .

وعندنا أن الشيخ محمد عبده رحمه الله ، قد تكلف فقال قولا عاما غيرمحدد ولا يصح اختصاص عشرة ليال به دون باقى ليالى الشهر التى يظهر فيها القمر ويطارد الظلام الى ان تغلبه الظلمة .

ونحن وان كنا نوافق على مذهب الشيخ محمد عبده فى حرصه على اطلاق معانى القرآن وعدم تخصيصها الا بمخصص ، فان الليالى العشر هنا قد تحددت بعددها وأصبحت بذلك معرفة وموصوفة ، فصار لزاما علينا ان نعرفها على وجه التحديد ، وما دام اكثر السلف وجمهرة المفسرين قد اتفقوا على ان المقصود بها هى العشر الاوائل من ذى الحجة ، حيث يوم عرفات تاسعها، ويوم النحر عاشرها ، ولما كان منسك الحج هو احد أركان الاسلام الذى لايقوم الاسلام الا به عند من استطاع اليه سبيلا ، فقد أصبح من المتعين أن نأخذ بالمأثور والمشهور مما لا يتعارض مع نقل او عقلَ او مصلحة ، وتأسيسا على ذلك فنحن نأخذ بقول القائلين انها العشر الاوائل من ذى الحجة .

والشفع والوتر

الشفع : الاثنان

الوتر : الفرد

ويكون المعنى أن الله عز وجلَ بعد أن اقسم بالفجر وليال عشر ، اقسم بنفسه ومخلوقاته فهو الوتر اى الواحد الأحد الفرد الصمد وقد جاء فى الحديث على ما روى القرطبى « **الله وتر ويحب الوتر** » والشفع هى مخلوقات الله اد يقول القرآن الكريم :

« **ومن كل شىء خاقنا زوجين** »

٤٩ الذاريات

« **وخلقناكم أزواجا** »

٨ سورة النبأ

وقال بعض المفسرين الشفع هو يوم النحر لانه عاشرها والوتر هو يومعرفه لانه تاسعها ؛ وعمم آخرون فقالوا الشفع هو الايام الزوجية من الايام

العشر ، والوتر الايام الفردية ، ومن هذا الرأى الشيخ محمد عبده .

ونقل عن ابن عباس قوله : الشفع صلاة الصبح والوتر صلاة المغرب .

ويعجبنا قول الزمخشرى فى الكشاف : وقد اكثروا فى الشفع والوتر حتى كادوا يستوعبون اجناس ما يقعان فيه ، وذلك قليل الطائل جدير بالتلهى عنه .

وناخذ بقول شيخ المفسرين الطبرى اذ يقول فى تفسير الشفع والوتر : والصواب من القول فى ان يقال ان الله تعالى أقسم بالشفع والوتر ، ولم يخصص نوعا من الشفع ولا من الوتر ، فكل شفع ووتر فهو فيما أقسم به الله .

ونحن نقول ان الوجود كله يمكن أن يرمز له بالعدد فالله هو الواحد ، والمخلوقات هى المتعدد وهذا هو الشفع والوتر .

والليل اذا يسر (١)

يسرى : بمعنى يمضى ويذهب

واذا كان القرآن الكريم قد استهل القسم بالفجر أى مطلع النور ؛ فهو يختم القسم بنقيض النور وهو الظلام عند ما تشتد ظلمته وتحلولك

هل فى ذلك قسم لذى حجر

ذو حجر : اى ذو عقل . وسمى العقل حجرا لانه يحجر على صاحبه ، ويمنعه من التهافت فيما لاينبغى ، كما سمى العقل عقلا لانه يعقل صاحبه اى يوثقه . والمعنى : اليس فيما اقسمت به من هذه الامور العظيمة مقنع لذى حجر اى لكل عاقل .

الم تر كيف فعل ربك بعاد

وتبدأ الآيات فى تبيان موضع العظة ، التى قدمت الاقسام السابقة لالفات النظر اليها ، وكيف أن الله يعذب الكافرين والمفسدين والطغاة ويدمرهم تدميرا ، فيسائل الله نبيه ، وكل مؤمن بعد ذلك يتلو القرآن : «الم تر كيف فعل ربك بعاد» اى الم يأتك نبأ عاد وما حل بهم .

ولا بد أن حديث قوم عاد ونهايتهم الفاجعة ، كان معروفا ومشهورا لدى سكان جزيرة العرب ومن هنا فان القرآن يذكر السامعين بهم ويطلب منهم استخلاص العبرة مما حل بهم

وقبيلة عاد من العرب العاربة او البائدة ، وقال عنهم بعض نسابى العرب انهم أولاد عاد بن عاص ابن ارم بن سام بن نوح عليه السلام .

ولم يشر القرآن الكريم الى هذا النسب ، على كثرة ما ردد ذكرهم وانما هم قوم النبى هود .

« والى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله » .

٦٥ الاعراف

ويشير القرآن الكريم الى ان موطنهم بالاحقاف ، وهو مكان معروف حتى الآن بحضرموت فى جنوب جزيرة العرب ، حيث لاتزال آثار مساكنهم تشهد بنهايتهم :

« واذكر اخا عاد اذ انذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه الا تعبدوا الا الله انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم . قالوا أجئتنا لتافكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين . قال انما العلم عند الله وأبلغكم ما أرسلت به ولكنى أراكم قوما تجهلون فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم . تدمر كل شىء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى الا مساكنهم كذلك نجزى القوم المجرمين »

الاحقاف ٢١ – ٢٥

ارم ..

افترق المفسرون حول تفسير كلمة ارم فذهب قوم الى انها اسم مدينة ، بينما قال آخرون بل

---

(١) قرأ بعض القراء يسر باثبات الياء ، اذ لم يسبقها جازم يحذفها – ولنا المثبت فى المصحف ، الذى نلتزم به نطقا ورسما

هو اسم شخص وهو جد عاد فأصبحوا يذكرون منسوبين اليه « عاد ارم »

والذين قالوا ان ارم مدينة اختلفوا بدورهم فقال البعض انها مدينة خاصة بنفسها بهذا الاسم بينما قال البعض أنه قد اريد بها مدينة دمشق ، وقال آخرون بل مدينة الاسكندرية ، وكل هذه تخبطات فالقرآن صريح فى أن عادا تقيم بالأحقاف، فضلا عن أن مدينتى دمشق والاسكندرية باقيتان لم يدمرا ولا موضع للاستشهاد بهما فى هذا الصدد .

والقول الذى نأخذ به ؛ أن ارم اسم لشخص او قبيلة وهو ما قال به ابن جرير شيخ المفسرين اذ يقرر : واشبه الاقوال عندى بالصواب انها اسم قبيلة من عاد .

ذات العماد

يقول ابن جرير : اختلف أهل التأويل فى معنى قوله ذات العماد فى هذا الموضع ، فقال بعضهم ذات الطول وذهبوا فى ذلك الى قول العرب للرجل الطويل رجل معمد وكانوا طوال الاجسام . وقال بعض آخر بل قيل لهم ذات العماد لانهم كانوا أهل عمد « أى خيام » ينتجعون الغيوث وينتقلون الى الكلأ حيث كان ، ثم يرجعون الى منازلهم .

فهم أهل عمود سيارة لأن المعروف فى كلام العرب من العماد ما عمد به الخيام من الخشب والسوارى التى يحمل عليها البناء

هذا هو ما قاله شيخ المفسرين وأقدمهم ، ولكنك واجد فيما عداه من التفسيرات الحشو والزيادات والتهويل فى وصف ذات العماد مما يصل الى حد الخرافة والمهاترة ، وقد ادهشنا أن نجد رجلا كالزمخشرى قيل عنه أنه معتزلى أى ممن يحكمون العقل فى كل شىء ، ومع ذلك فهو يقول لنا أن طول الرجل من عاد كان يبلغ أربعمائة ذراع وكان يأتى بالصخرة العظيمة فيلقيها على الحى فيهلكهم .

اما القرطبى فينقل مثل هذا القول عن ابن عباس ولكنه لا يلبث أن يرد عليه بقول معارض عن ابن عباس نفسه مما يسقط القولين معا

أما القول الاول فهو أن الرجل من قوم عادطوله خمسمائة ذراع والقصير منهم طوله ثلثمائة ذراع بذراع نفسه . واما القول الثانى لابن عباس فهو أن طول الرجل منهم كان سبعين ذراعا . وينقل القرطبى عن ابن العربى تكذيب ذلك وبطلانه فقد جاء فى صحيح البخارى : ان الله خلق آدم طوله ستون ذراعا فى الهواء فلم يزل الخلق ينقص الى الآن ..

ويكشف القرطبى عن نفسه وانه يستهجن كل ما قيل فى طول عاد فيقول : وزعم قتادة أن طول الرجل منهم اثنا عشر ذراعا »

واذا كان بعض المفسرين قد وقعوا فى هذا الخلط والتخبط حول طول أجسام عاد (١) فان ما قالوه فى وصف مدينة ارم لايقل غرابة وشذوذا متأولين الآية التالية

التى لم يخلق مثلها فى البلاد

القول عند جمهور المفسرين أن الضمير فى « مثلها » انما يعود على قبيلة عاد أى لم يخلق مثل قبيلة عاد فى شدتها وقوتها ، ولكن المفسرين الذين قالوا أن كلمة ارم تعنى مدينة ، قد أعادوا الضمير على المدينة ، ثم راحوا يصولون ويجولون فى تصور هذه المدينة ، ومرة أخرى يدهشنا أن يقول لنا الزمخشرى فى الكشاف انه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها ، فسمع بذكر الجنة فقال ابنى مثلها ، فبنى ارم فى بعض صحارى عدن فى ثلثمائة سنة ، وكان عمره تسعمائة سنة ، وهى مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت ، وفيها أصناف الاشجار والانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها بأهل

(١) لا تزيد أجسام الفراعنة الذين عاشوا منذ الوف السنين والتى عثر عليها سليمة محنطة عن أجساد البشر العاديين فى ايامنا هذه .

مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا .

ومن عجب ان لا يرد فى هذه القصة ذكر لسيدنا هود وان هلاك عاد كان بسبب تكذيبهم له ، ومع ذلك فهى تجد طريقها الى تفسير القرآن وعلى يد عالم كالزمخشرى دون ان يعلق عليها برأى .

اما ابن كثير رضى الله عنه فهو يرفع الصوت منددا بهذه الترهات والسخافات والاسرائيليات فيقول فى تفسيره :

لا ينبغى أن يغتر بكثير مما ذكره جماعة من المفسرين عن هذه الآية من ذكر مدينة يقال لها ارم ذات العماد مبنية بلبنة من الذهب ولبنة من الفضة قصورها ودورها وبساتينها ، وان حصباءها لآلىء وجواهر ، وترابها بنادق المسك ، وانها تنتقل فتارة تكون بارض الشام وتارة تكون بأرض اليمن واخرى بالعراق ، وتارة بغير ذلك من البلاد ، فان هذا كله من حرافات الاسرائيليين ووضع بعض زنادقتهم .

اما شيخنا محمد عبده فيقول : وقد يروى المفسرون هنا حكايات فى تصوير ارم ذات العماد، كان يجب ان ينزه عنها كتاب الله ، فاذا وقع اليك شىء من كتبهم ونظرت فى هذا الموضع منها ، فتخط ببصرك ما تجده فى وصف ارم واياك ان تنظر فيه .

رحم الله الشيخ محمد عبده ، كانت غيرته على الاسلام ، وحماسه للاصلاح يدفعه احيانا الى مثل هذه العبارات الحادة كقوله : « اياك أن تنظر فيه » .

وكيف يتعلم الانسان ، اذا لم ينظر فى كل ما يعرض عليه ، وكيف يتعلم التمييز بين الغث من السمين والصالح من الطالح اذا لم يقف على نماذج من هذا وذاك .

الا ان محمد عبده اراد ان يعبر عن استهجانه فانزلق قلمه الى هذه العبارة التى لا يعنيها بطبيعة الحال .

ان مهمتنا ان نبصر الجيل الحاضر والاجيال القادمة بتنقية تفسير كتاب الله مما دس اليه من مثل هذه الاقوال معتمدين على حسن ادراكهم ، بعد ان تطورت اسباب العلم والثقافة ، وهو ما نحاول ان نفعله ان شاء الله .

وثمود الذين جابوا الصخر بالواد

جابوا الصخر : اى قطعوا الصخر ، يقال فلان يجوب البلاد اى يقطعها

الواد : الوادى وهو وادى القرى فى شمال الجزيرة العربية .

ثمود : احدى قبائل العرب العاربة او البائدة كقبيلة عاد . وكانت تعيش قبل الميلاد فيما يعرف الآن بالحجر وهو موقع بين الحجاز والشام الى وادى القرى ، ولا تزال آثار ثمود باقية حتى اليوم ويطلق عليها اسم مدائن صالح ويزورها السواح والرواد .

وكانت قوافل قريش على زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم تمر على مدائن صالح فى ذهابها الى الشام وعودتها ، ومن هنا فكانت قصة نهاية عاد وثمود مما يعرفه العرب ويكررونه ، ومن هنا كان ذكر القرآن لهما فى اكثر من سورة على سبيل التذكير والوعظ

« وعادا وثمودا وقد تبين لكم من مساكنهم »
٣٨ العنكبوت

وكانت ثمود تنحت بيوتها فى الجبال كما تتضح من آثارها ، مما ينطق بشدة قوتهم وبأسهم ولهذا يشير القرآن فى قوله :

« وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين »
الحجر ٨٢

وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه عندما مر فى غزوة تبوك على وادى ثمود وكان يمتطى فرسا اشهب قال :

« اسرعوا السير فانكم فى واد ملعون »

وقد فصلنا القول عند تفسيرنا لسورة الشمس « عدد شوال ١٣٨٨ » عن ثمود ونبيهم سيدنا صالح .

وفرعون ذى الأوتاد

فرعون : تصور قدماء المفسرين ان فرعون هو الاسم الخاص لحاكم مصر أيام موسى ، وقد نقلوا ذلك عن التوراة ، ولكن علماء الآثار قد كشفوا لنا ، ان كلمة فرعون هى لقب كل من حكم مصر فى القديم وهى مشتقة من بيت فرعون الذى كان يطلق عليه اسم « القصر الكبير » فاستعمل اسم القصر كناية عن الملك فأصبح يعرف به .

وقد ورد اسم فرعون فى القرآن ٧٤ مرة ، ووصف بالاستعلاء والعزة والتأله والاغترار بملك مصر وعظمتها .

« وان فرعون لعال فى الارض »

٨٣ يونس

(وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون)

٤٤ الشعراء

« وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى »

٣٨ القصص

« ونادى فرعون فى قومه قال يا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى افلا تبصرون »

٥١ الزخرف

« فاستخف قومه فأطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين »

الزخرف ٥٤

ماهى الأوتاد

وقد وصف فرعون فى هذه السورة ، كما وصف فى سورة « ص » بانه ذو الأوتاد . وقد ذهب جمهرة من المفسرين الى ان معنى ذى الاوتاد ، انه صاحب الجنود والعساكر الذين يشدون ملكه ، والى هذا الرأى ذهب المنتخب فى تفسير القرآن الذى يصدره المجلس الاعلى للشئون الاسلامية .

وذهب آخرون الى أن فرعون وصف بذلك لأنه كان يعذب الناس فيربطهم الى الاوتاد ثم يقذف عليهم الصخور العظيمة فتشدخهم .

وقال ابن جرير : واولى هذه الاقوال عندى بالصواب قول من قال : عنى بذلك الاوتاد التى توتد من الخشب كانت أو حديد لأن هذا هو المعروف من معانى الاوتاد ، ووصف بذلك لانه اما ان يكون كان يعذب الناس بها كما قال ابو رافع وسعيد ابن جبير ، واما ان يكون كان يلعب بها .

الاهرام هى المقصودة

اما نحن الذين نستهدى فى تفسيرنا بالفاظ القرآن وكيفية استعماله لها ، فلم نجد فى القرآن كلمة الاوتاد الا ثلاث مرات ، مرتين منها ذكرت منسوبة الى فرعون وانه ذو الاوتاد « ص والفجر » والمرة الثالثة حيث وصف القرآن الجبال بأنها أوتاد

« والجبال أوتادا »

النبأ — ٧

فالقرآن لم يستعمل الاوتاد على انها أوتدة الخشب أو الحديد وانما وصف للجبال .

ونحن نعلم ان مصر اشتهرت فى القديم ولا زالت تشتهر بالاهرامات ، واذا كانت الاهرامات علما على مصر فى الوقت الحاضر ، فكم كانت بالحرى فى القديم . وليست الاهرامات الا جبالا صناعية ، فمن الطبيعى أن لا يذكر فرعون مصر الا ونذكر معه ما انشأ من جبال صناعية ، ويكون تفسير فرعون ذى الاوتاد اى بانى الاهرامات شبيهة الجبال .

وقد سبقنا الى هذا الرأى الشيخ محمد عبده

« الذين طغوا فى البلاد فاكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب

الطغيان : مجاوزة الحدود

الفساد : نقيض الصلاح ، وصلاح كل شىء ما يكون به بقاؤه .

سوط عذاب : كناية عن غاية العذاب والسوط معروف « الكرباج »

الى هنا حدثنا القرآن عن ثلاث مجتمعات مختلفة متباعدة الاماكن والازمنة ، ومع ذلك فقد سارت الامور فيها سيرة واحدة ، انتهت بها الى نتيجة واحدة ، مما يثبت أن ذلك يسير وفق قاعدة وقانون .

القرآن وعلم الاجتماع

وما أكثر ما صدع رؤوسنا المصدعون ، من أن علماء أوربا هم خالقوا علم الاجتماع الذين كشفوا عن قوانين المجتمع وانها تنمو وتزدهر ، وتضعف وتذبل ثم تموت وفقا لقوانين ثابتة ، ثم تفضل علينا بعض الاوربيين فقالوا ان ابن خلدون العالم الاسلامى قد سبق أوربا فى تأسيس علم الاجتماع . مع أن كل مشتغل بعلوم القرآن ، كل متفهم لروحه ومعانيه لا يمكن الا أن يكون مدركا لهذه الحقيقة التى يقول بها علم الاجتماع من أن الجماعات الانسانية ككل الظواهر الكونية تسير وفق قوانين ونواميس ثابتة مطردة .

فالقرآن الكريم يقول لنا :

« سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا »

أحزاب ٦٢

« فهل ينظرون الا سنت الاولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا »

٤٣ فاطر

« ان الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم »

ولعل أعظم قوانين الاجتماع التى كشف عنها القرآن ، أن أحوال المجتمع ككل انما يرجع الى نفسية كل فرد فيه فيقوى المجتمع بقوة هذه النفوس ، ويضعف بضعفها ، ولا سبيل للانتقال من حالة الضعف الى حالة القوة الا بتغيير النفوس ، كما أن النفوس اذا ضعفت ، ضعف بضعفها المجتمع القوى

« ان الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم »

الرعد ١١

« ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم وأن الله سميع عليم »

الانفال ٥٣

البقاء للاصلح

ويتابع القرآن الكشف عن قوانين الاجتماع الاخرى ، كقانون البقاء للاصلح عندما ما يقول لنا :

« فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث فى الارض »

الرعد ١٧

واذا كان البقاء للاصلح هو قانون عام طبيعى فان القرآن الكريم يسحب هذا القانون على المجتمعات البشرية لذلك ، فيقول لنا وقوله الحق :

« ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون »

الانبياء ١٠٥

فالارض ميراث القوى الصالح من بنى الانسان وليست من نصيب الضعفاء ولا الطغاة الفاسدين كذلك .

دمار المجتمعات

وفى هذه الآيات الثلاث التى نحن بصددها **« الذين طغوا فى البلاد . فاكثروا فيها الفساد . فصب عليهم ربك سوط عذاب »** أحد قوانين الاجتماع التى كشف عنها القرآن الكريم ، من أن دمار المجتمعات ينتج عن انتشار الفساد فيها ، وذلك أمر لا يحتاج الى كبير جهد لشرحه أو فهمه ، فالماء اذا فسد لا يعود صالحا

للشرب فيؤدى الى الهلاك ، والهواء اذا فسد يؤدى الى الاختناق ، والارض اذا فسدت فلا تعود صالحة للانبات ، وأى آلة من الآلات التى يستخدمها الانسان ، اذا فسدت لا تعود صالحة للاستعمال وهكذا .

وليس المجتمع الانسانى فى حقيقته الا انسانا واحدا كبيرا اذا شئت ، أو آلة وجهازا ضخما اذا اردت لا يسير ولا يعمل الا وفق قوانين وقواعد ثابتة فاذا اختلت هذه القواعد أو القوانين واضطربت فان ذلك يكون فسادا وبالتالى الدمار .

الطغيان سبيل الفساد

ويكون السؤال التالى ، وما هو مصدر الفساد وكيف ينشأ أو من اين ينشأ ؟

لقد أجاب الله عز وجل على هذا السؤال بكلمة واحدة تغنى عن الكثير وتتحدث بالكثير وتلك هى « الطغيان » وقد تكفلت كتب اللغة بتفسير كلمة الطغيان فقالوا عنها انها تعنى تجاوز الحدود فكل شيء تجاوز المقدار والحد فهو طاغ ، وطغى السيل ارتفع حتى جاوز الحد فى الكثرة

شرائع المجتمع وتقاليده

فما هى هذه الحدود التى ينبغى عدم تجاوزها حتى لايكون الامر طغيانا ، انها مجموعة الشرائع والقوانين والعرف والتقاليد التى تحدد لكل انسان فى المجتمع ابتداء من أصغر صغير فيه الى اكبر كبير ، واجباته وحقوقه ، ودوره ووظيفته ، وطريقة سلوكه ، ويتوقف على وضوح هذه الحدود وثباتها واطرادها وتأصلها فى النفوس وقداستها ، عدم الاخلال بها أو تجاوزها .

وعندما يلتزم كل انسان الحدود فذلك هو العدل وهو ما يأمر الله به « **ان الله يامر بالعدل** » وهو اساس الملك ، وهو السبيل الى ازدهار المجتمعات فاذا ما تجووزت الحدود فذلكم هو الجور والطغيان الذى يؤدى الى الفساد فالدمار .

طغيان العامة وطغيان الخاصة

والطغيان بمعنى تجاوز الحدود يقع من العامة كما يقع من الخاصة ، ولكن تجاوز العامة وجماهير الكادحين للحدود قلما يقع ، فهم أكثر طبقات المجتمع تدينا والتزاما للقوانين على سبيل الخوف ، فاذا حدث تجاوز فانما يكون من أفراد قلائل ، ويكون ضرره محدودا بحكم قلة تأثيرهم فى المجتمع ، فضلا عن ان العقاب الذى تفرضه القوانين لهذا التجاوز سرعان ما يحل بهم فيكونوا عبرة لغيرهم .

وانما تبدأ خطورة الطغيان عندما يقع من الخاصة ، ممن بيدهم الامر ، اذ هنا تكون الطامة الكبرى ، لان الخاصة فى كل مجتمع ومن بيدهم الامر ، هم بمثابة العقل من الجسد ، ونحن نعلم ماذا يصيب الانسان اذا اختل عقله واصبح بغير ضابط أو رابط .

وفى ذلك يقول القرآن الكريم :

« واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا »
الاسراء ١٦

ان ربك لبالمرصاد

الرصد : الطريق . وبالمرصاد اى واقف على الطريق ويرى البعض ان هذه الآية جواب الاقسام السابقة والمعنى ان الله لعباده بالمرصاد ، يسمع ويرى ، ولا يفوته من اعمالهم شيء ، وهو ينزل حكمه على الافراد والجماعات ، من خلال نواميسه وسننه المقررة ،ان خيرا فخير وان شرا فشر ، وهو يبعث برسله وهداته وبالمصلحين والمختارين من عباده فى كل زمان ومكان ، يدعون الناس الى الايمان بالله خالق الانسان ، ومنزل القوانين والشرائع التى تصلح احوال هذا الانسان ، ويدعون الى الالتزام بأحكام هذه الشرائع والقوانين ، ويحذرون من تجاوزها والخروج عليها وهو ما يسمى فى عصرنا الحديث بسيادة القانون فليس هناك سوى نتيجة واحدة للاخلال بالشرائع وهى الخسران المبين جزاء وفاقا للطغيان وتجاوز الحقوق .

وصدق الله العظيم :

« ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس »

الروم ٤١

« وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم »
الشورى ٣٠

« للبحث بقية »

حول احياء موات كتب مثل كتاب الجامع الصغير أو الكبير للشيخ السيوطى ، أغلب ما فيهما تشويه لتعاليم الاسلام والقليل الصحيح منها موجود فى كثير من الكتب الصحاح ٠

– ٢٨ –

بينما نرى الأمم الاسلامية والامة العربية تقف كلها صفا واحدا وجبهة واحدة تدافع هجوما ملحوظا على كتابنا المقدس وما حواه من مبادىء فيها سعادة البشرية ، وعلى سنة رسولنا الأكرم النقية البيضاء ، التى حاول اليهود تشويهها بكثرة ما وضعوا فيها من اسرائيليات منسوبة الى النبى – صلى الله عليه وسلم – وهو منها برىء بينما نحن لذلك اذ بالأستاذ الدكتور عبدالحليم محمود ؛ يتبنى فكرة طبع الجامع الكبير للسيوطى ، بغرض احياء كتب السنة ، احياء سنة خير الأنام – صلى الله عليه وسلم – يا للعجب كأن سنة رسول الله وما ألف فيها من الكتب الصحاح الضخام لا تزال ميتة يجهلها المسلمون حتى تدعى هذه الفكرة المتأخرة لنفسها العمل على احياء موات كتب السنة ٠

ولا أدرى كيف ساغ لها أن تفكر فى نشر كتاب كبير الحجم ، قليل الفائدة ، وهو كتاب الجامع الكبير للسيوطى ، الذى يحتوى على مائة ألف حديث ، ومن فضل الله على المسلمين أنه لا زال مخطوطا لم يطبع الى الان ٠ ونعلم خطره على حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – اذا علمنا أن الشيخ السيوطى فحصه واختار منه عشرة آلاف حديث وسماها الجامع الصغير ، وسيمر بك أيضا ما حواه هذا الجامع الصغير من الأحاديث الضعيفة والمكذوبة ٠٠

اذا علمنا ذلك فكيف يكون حال أحاديث الجامع الكبير الذى تدور الكثرة من أحاديثه ما بين ضعيف وموضوع ، أى مكذوب على النبى – صلى الله عليه وسلم – وما فيه من أحاديث صحيحة كلها موجودة بل وأكثر منها فى الكتب الستة المعترف بها ، والمعروفة بين المسلمين من أول عهد التأليف فى

الحديث ، وفى مقدمتها صحيح البخارى ومسلم ، ثم مسند احمد بن حنبل ، وموطأ مالك .

وفضلا عن ذلك فقد عنى العلماء قديما بجمع هذه الكتب الستة فى كتاب واحد يسمى « جامع الاصول » ، ولكى نعلم خطر هـذه الكثرة التى حواها الجامع الكبير نرجع الى ما حواه كتاب صحيح البخارى وهـو أجل كتاب عول عليه المسلمون فى كل العصور الى يومنا هذا .

ولعل القارىء يعجب اذا علم أن البخارى اطلع على مئات الآلاف من الأحاديث ، وغربلها بدقة وحذر ، وخرج من هذا الفحص بعدد ٢٦٠٠ .. حديثا فقط ، ملاحظا فى هذا العدد عدم حساب التكرار فى الحديث الواحد ، وسبب هذا الجهد الذى بذله البخارى فى التحرى هو خوفه من أن ينسب الى النبى - صلى الله عليه وسلم - حديث لم يقله . لذلك كان لا يروى عن رجل الا اذا علم أنه عاصر من روى عنه ولقيه .

وكم لاقى من التعب فى تحقيق هذين الشرطين من السفر لكل الأقطار الاسلامية ليتحقق من تاريخ كل راو ومن روى عنه ، قال رحمه الله عن نفسه : رحلت الى الشام ، ومصر ، والجزيرة مرتين ، والبصرة أربع مرات .. وأقمت بالحجاز ستة اعوام ، ولا أحصى كم دخلت الكوفة ، وبغداد « انتهى » .

وقد جمع البخارى أحاديثه فى أكثر من ١٦ سنة ، وتوفى سنة ٢٥٦ هـ .

فاذا كنتم جادين فى احياء تراث اسلامى مجيد ينتفع به الناس فى مشارق الأرض ومغاربها . ويكونون لكم شاكرين ، فان هذا التراث فيه كثير من الكتب النافعة التى أجمع العلماء على عظيم فائدتها ، ولم تزل الى الان مخطوطة ، منها كتاب **(الذخيرة) الذى يعتبر أجل موسوعة فى فقه مالك والصحابة والتابعين ، على غرار كتاب المجموع للنووى ، وكتاب المغنى لابن قدامة ، وغيرهم ممن دونوا الفقه الاسلامى بعيدا عن التعصب لمذهب معين ، وعن كل ما من شأنه أن يوقع فى نفس المطلع عليه ضيقا بالنسبة لمذاهب الأئمة المخالفين، وهذا الكتاب موجود منه نسخ مخطوطة فى الرباط بالمغرب ، وفى القيروان بتونس ، ومنه بدار الكتب تسعة أجزاء ، ولم يطبع منه الا جزء واحد بمصر قريبا ، ومؤلفه شهاب الدين بن العباس القرافى المتوفى سنة ٦٨٤ هجرية، ومن المخطوطات النافعة أيضا « كتاب المحيط البرهانى للامام السعيد محمد بن الصدر برهان الأئمة ، من علماء القرن الثانى عشر الهجرى ، وهو يقع فى عشرين مجلدا ، ويوجد منه بمصر نسختان احداهما بدار الكتب المصرية ، والثانية بالمكتبة الأزهرية ، وهذا الكتاب يدل على عبقرية مؤلفه ، وسعة فقهه ، فقد تعرض لتوضيح مسائل حدثت للمسلمين فى العصور المختلفة وبالأخص فى العصور الأخيرة ، وطبقها على الأصول الفقهية خير تطبيق .**

ويحسن أن نعطى للقارىء الكريم صورة من هذه المفتريات التى سماها السيوطى أحاديث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حماه الله من أمثال هذه البلاهة . قال فى حرف « القاف » فى صفحة ٢٢١ جزء ٢ طبع مصطفى محمد ، روى الطبرانى فى الأوسط ورمز له بأنه ضعيف ، والحقيقة انه موضوع يدرك وضعه بالبداهة. قال: عن عمر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال « القرآن ألف ألف حرف وسبعة وعشرون ألف حرف » ، أى مليون وسبعة وعشرون ألف ، أى ان عدد حروف القرآن منزه عن الآحاد والعشرات والمئات ، ثم قال : فمن قرأه صابرا محتسبا **كان له بكل حرف زوجة من الحور العين » .**

قال صاحب كتاب « المغير على الأحاديث الموضوعة فى الجامع الصغير » تعليقا على هذا الحديث :

قال الذهبى : باطل ، وأقول مع بطلانه وكونه كذبا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فانه

باطل فى نفسه ، لان عدد حروف القرآن أقل من ثلث هذا العدد ، فانه اذا لم يهد الى بطلانه من جهة الرواية ، فكيف لم يهتد الى بطلانه من هـذه الجهة ؟ ان هذا لعجب .

وأيضا هذا الحديث يخالف ما رواه هو نفسه فى الجامع الصغير فى حرف الميم عن ابن ماجه أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : ما من مؤمن الا وله فى الجنة اثنتان وسبعون زوجـة ، اثنتان من الحور العين وسـبعون من ميراثه من زوجات أهل النار . وقال عنه انه حديث حسن .

وهذا أيضا باطل .

ولبيان خطورة التسـاهل فى رواية الأحاديث المكذوبة على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ رأينا أن نضع أمام القارىء بحثا فى هذا الموضوع ، وضعه القرطبى فى مقدمة تفسيره تحت عنوان :

« التنبيه على أحاديث وضعت فى فضل سـور القرآن وغيره » .

لا التفات لمـا وضعه الواضعون ، واختلقـه المختلقون ، من الأحاديث الكاذبة ، والأخبار الباطلة فى فضل سور القرآن ، وفى غير ذلك من فضائل الأعمـال ، قد ارتكبها جماعة كثيرة ، اختلفت أغراضهم ومقاصدهم فى ارتكابها ، فمـن قوم من الزنادقة ، مثل : المغيرة بن سعيد الكوفى ، ومحمد بن سعيد الشامى ، المصلوب فى الزندقة وغيرهما وضعوا أحاديث وحدثوا بها ليوقعوا بذلك الشك فى قلوب الناس ؛ فمما رواه محمـد بن سعيد عن أنس بن مالك فى قوله ـ صلى الله عليه وسـلم ـ **« أنا خاتم الأنبياء لا نبى بعدى الا ما شاء الله » . فزاد هذا الاستثناء لما كان يدعو اليـه من الالحاد والزندقة ـ أى لأنه كان يريد فتح الباب لمن يدعى النبوة ـ وقد حصل ، فقد ادعى النبوة غلام أحمد فى الهند ، كما ادعاها البهائية فى عصرنا هذا ، وقد خذلهم الله فى مصر منذ عهد قريب ، فقـد حكمت محاكمها بعدم الاعتراف بعقيدتهم الكاذبة ، وعدم دفنهم فى مقابر المسلمين » .**

ومنهم قوم وضعوا الحديث لهوى يدعون الناس اليه ..

قال شيخ من شيوخ الخوارج بعـد أن تاب : ان هذه الأحاديث دين ، فانظروا ممـن تأخذون دينكم ، فانا كنا اذا هوينا أمرا صيرناه حديثا ..

ومنهم جماعة وضعوا الحديث حسبة كما زعموا يدعون الناس الى فضائل الأعمال ، كمـا روى عن أبى عصمة نوح بن أبى مريم المروزى ، ومحمد بن عكاشه الكرمانى ، واحمد بن عبد الله الجويبارى ، وغيرهم ..

قال ياقوت فى كتـابه « معجـم البلدان » : والجويبارى نسبة الى جويبار ـ بضم الجيم وبفتح الواو ـ ، وهى قرية من قرى هراة ، منها احمد بن عبد الله بن خالد ، التميمى ، القيسى ، الهروى .. كان يحدث الناس بآلاف الأحاديث ، مدعيـا أنه رواها عن ثقات المحدثين ، كسفيان بن عيينـة ، ووكيع بن الجراح ، وأبى ضمرة .. والحقيقـة : انهم لم يحدثوه بشىء منها .. ولما تبين حاله للناس قال عنه العلماء : انه أحد أركان الكذب من الدجاجلة ، الذين لا يحل ذكرهم الا على سبيل التعريف بهم ، والتحذير منهم ، نسأل الله العصـمة من غوائل اللسان ، انتهى ياقوت .

ثم قال القرطبى : قيل لأبى عصمة : من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس فى فضل سور القرآن سورة سورة ؟ فقال : رأيت الناس قد أعرضـوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبى حنيفة ، ومغـازى محمد بن اسحاق ، فوضعت هذا الحديث حسبة ؛ قال أبو عمرو عثمان بن الصـلاح فى كتاب « علوم الحديث » له : وهكذا الحديث الطويل الذى يروى عن أبى بن كعب ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فى فضل القرآن سورة سورة ، وقد بحث باحث عن مخرجه حتى انتهى الى من اعترف بأنه وجماعة

وضعوه ، وان أثر الوضع عليه لبين ، وقد اخطأ الواحدى المفسر ، ومن ذكره من المفسرين فى ايداعه تفاسيرهم .

ومنهم قوم من السؤال والمكدين - بتشديد الهمزة - اى السائلين والمجهودين يقفون فى الأسواق والمساجد ، فيضعون على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أحاديث بأسانيد صحاح قد حفظوها ، فيذكرون الموضوعات بتلك الأسانيد قال جعفر بن محمد الطيالسى : صلى أحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، فى مسجد الرصافة ، فقام بين أيديهما قاص ، فقال حدثنا احمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، قالا : أنبأنا عبد الرازق قال : أنبأنا معمر ، عن قتادة ، عن أنس ، قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قال لا اله الا الله يخلق الله من كل كلمة منها طائرا منقاره من ذهب وريشه مرجان ، وأخذ يقص نحو من نحو عشرين ورقة ، فجعل احمد ينظر الى يحيى ويحيى ينظر الى احمد ، فقال : أنت حدثته بهذا ؟ **فقال : والله ما سمعت به الا هذه الساعة ، قال : فسكتا جميعا حتى فرغ من قصصه ، فقال له يحيى : من حدثك بهذا الحديث ؟ فقال : احمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، فقال : أنا ابن معين ، وهذا احمد بن حنبل ، ما سمعنا بهذا قط فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان كان لا بد من الكذب فعلى غيرنا ، فقال له : أنت يحيى ابن معين ؟ قال : نعم قال: لم أزل أسمع أن يحيى بن معين أحمق ، وما علمته الا هذه الساعة ، فقال له يحيى : وكيف علمت أنى أحمق ؟ قال : كأنه ليس** فى الدنيا يحيى بن معين، واحمد بن حنبل غير كما كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل غير هذا ، قال : فوضع احمد كمه على وجهه وقال : دعه يقوم ، فقام كالمستهزئ بهما ، فهؤلاء الطوائف كذبة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ومن يجرى مجراهم . يذكر أن الرشيد كان يعجبه الحمام ، فأهدى اليه حمام ، وعنده أبو البخترى القاضى ، فقال : روى أبو هريرة عن النبى - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « لا سبق الا فى خف، أو حافر ، أو جناح » فزاد : « أو جناح » ، وهى لفظة وضعها للرشيد ، فلما خرج قال الرشيد : والله لقد علمت أنه كذاب ، وأمر بالحمام أن يذبح، فقيل له : وما ذنب الحمام ؟ قال : من أجله كذب على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فترك العلماء حديث البخترى هذا ،و غيره من موضوعاته ، فلا يكتب العلماء حديثه بحال .

قلت : فلو اقتصر الناس على ماثبت فى الصحاح والمسانيد وغيرهما من المصنفات التى تداولها العلماء ، ورواها الأئمة الفقهاء ، لكان لهم فى ذلك غنية ، وخرجوا عن تحذيره - صلى الله عليه وسلم- حيث قال : « اتقوا الحديث على الا ما علمتم فمن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ». الحديث ..

ومن العجيب أن هذا الحديث رواه السيوطى فى الجامع الصغير ، وهو حديث صحيح باجماع المسلمين ، ومع ذلك يروى فى الجامع الصغير نفسه ، فى مكان آخر ، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - انه قال : « ان الشمس والقمر اذا رأى أحدهما من عظمة الله شيئا انحرف عن مجراه، فأصابه الكسوف أو الخسوف » رواه ابن النجار عن أنس ، وحكم عليه السيوطى بأنه صحيح ، انتهى ، أى : ان كسوف الشمس أو خسوف القمر ناتج عما يراه السيوطى ، لا عما ثبت بالمشاهدات.

ثم يقول القرطبى : فتخويفه - صلى الله عليه وسلم - أمته بالنار على الكذب ، دليل على أنه كان يعلم أنه سيكذب عليه .

فحذار مما وضعه أعداء الدين، وزنادقة المسلمين فى باب الترغيب والترهيب ، وغير ذلك .

وأعظمهم ضررا : أقوام منسوبون الى الزهد ، وضعوا الحديث حسبة فيما زعموا ، فيقبل الناس موضوعاتهم ؛ ثقة منهم بهم ، وركونا اليهم ؛ فضلوا وأضلوا . انتهى القرطبى .

مفتراة هذه التوراة

الدكتور أحمد الحوفي

ـ ٣ ـ

ومن الصور المفتراة التى جاءت بالتوارة صور لا تليق بالالوهية ولا يرتضيها مؤمن بالله ولا يطمئن لها عاقل ليس له دين ٠

٦ ـ والله تعالى فى مزاعم التوراة ضعيف المقدرة يعيا كما يعيا البشر ، لأنه بعد أن خلق السماوات والأرض فى ستة أيام استراح فى اليوم السابع ، وكان يوم سبت ، فبارك هذا اليوم ، وحرم فيه العمل ٠

سفر التكوين الاصحاح الثانى ٠

اما القرآن الكريم فيذكر فى آيات شتى ان الله هو القدير ، وانه لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، كقوله تعالى :

« ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب » ٠ وقوله سبحانه :

« وهو الذى خلق السموات والارض بالحق ويوم يقول كن فيكون ، قوله الحق وله الملك يوم ينفخ فى الصور ، عالم الغيب والشهادة ، وهو الحكيم الخبير » ٠

وقوله تعالى « يسبح لله ما فى السموات وما فى الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير » وقوله سبحانه « اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون » ، وقوله تعالى « لا يسأل عما يفعل وهم يسألون » ٠

٧ ـ ويتصل بهذا الافك أن واضعى التوراة أسفوا فى بهتانهم فزعموا أن فى البشر من ينافسون الله فى قدرته وقوته ، كأنهم لم يسائلوا أنفسهم كيف خلق الله الناس بقدرته ، ثم صاروا أندادا له ؟ وكيف يهيمن على الكون ، ويهب الحياة ويمنح القوة وفى مخلوقاته من ينافسه فى القوة حتى يكاد يماثله ؟

ومن ذا الذى يعقل ان الله تشكل فى صورة انسان صارع يعقوب ولم يستطع أن يصرعه ؟

ومن ذا الذى يصدق أن الله أراد أن يفلت من يد يعقوب فعجز ، وأن يعقوب لم يسمح له بالانطلاق الا بعد أن باركه ؟

ان هذا ليس اشراكا فحسب ، وليس وثنية فحسب ، بل هو أخس الشرك ،و أحط دركات الوثنية ، وأقبح صورة يرسمها خيال للاله .

تزعم التوراة أنه بعد أن عاد يعقوب من مصر رغب فى أن يقابل أخا له ، فجلس فى خيمة ، فدخل عليه رجل ، فتصارعا حتى طلع الفجر ، ولما رأى الرجل أنه غير قادر على يعقوب ضرب حق فخذه ـ رأس الورك الذى فيه عظم الفخذ ـ فانخلعت فخذ يعقوب ، فقال الرجل ليعقوب : أطلقنى لأن الفجر قد طلع ، فقال يعقوب : لا اطلقك ما لم تباركنى ، فقال الرجل : ما اسمك ؟ فقال : يعقوب ، قال الرجل : لن يكون اسمك بعد اليوم يعقوب ، بل اسرائيل ، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت ..

فقال له يعقوب : أخبرنى باسمك ، فقال الرجل : لماذا تسأل عن اسمى ، وباركه هناك ، فسمى يعقوب ذلك المكان « فنوئيل » وقال : لأنى نظرت الله وجها لوجه ، ونجيت نفسى .

وحينما أشرقت الشمس كان اسرائيل يعبر ذلك المكان ، وهو يخمع ـ يعرج ـ وهذا هو السبب فى أن بنى اسرائيل لا يأكلون عرق النسا ، لأنه على حق الفخذ ، فقد ضرب الاله حق فخذ يعقوب على عرق النسا .

« سفر التكوين ٣٢ /٢٤ ـ ٣٢

٨ ـ ولقد أبى واضعو التوراة الا أن يكون تصويرهم للاله نابعا من حماة نفسياتهم ، وصدى لأخلاقهم الشريرة ، فهو ـ تنزه عما يختلقون ـ شديد القسوة ، كلف بالتدمير ، مولع بالتخريب .

فقد نسبت اليه التوراة هذا التوجيه : حين تقرب من مدينة لتحاربها استدعها الى الصلح ، فان أجابتك وسلمت لك فكل من بها عبيد لك ، وان لم تسالمك وحاربتك فحاصرها ، فاذا دفعها الرب الهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بالسيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة فهو غنيمة لك .

وهكذا افعل بجميع المدن البعيدة منك التى ليست من مدن الأمم التى هنا ، والتى يعطيك الرب الهك ، لا تستبق منها نسمة .

« سفر التثنية ٢٠ ـ ١٠ ـ ١٦ »

وتفترى التوراة أنه تعالى قال : وكلم الرب موسى فى عربات موآب قائلا : كلم بنى اسرائيل ، وقل لهم انكم عابرون الأردن الى أرض كنعان ، فتطردون كل سكانها أمامكم ، وتمحون جميع تصاويرهم ، وتبيدون كل أصنامهم المسبوكة ، وتخربون جميع مرتفعاتهم وتملكون الأرض وتسكنون فيها .

فان لم تطردوا سكان الارض فسيكون الذين تستبقونهم أشواكا فى عيونكم ، ومناخس فى جنوبكم ، يضايقونكم فى الأرض التى تسكنونها .

« سفر التثنية ٣٣ـ٥٠ـ٥٥ »

وتذكر الأسفار المفتراة فيما تذكر من وصايا الاله : لقد أوصيتكم بأن تضرموا النار فى المدينة التى تحتلونها .

« سفر يشوع ٨ـ٨ »

وتذكر : **احرقوا المدن بالنار** ».

« سفر يشوع ٨ـ١٩ »

وتقول : ولما انتهى اسرائيل من قتل جميع سكان عاى فى حقل بالبرية فافناهم بحد السيف رجع الاسرائيليون الى عاى فافنوا من كان قد بقى بها ، فكان الذين قتلوا فى ذلك اليوم من رجال ونساء اثنى عشر الفا ، هم سكان عاى جميعا .

« سفر يشوع ٨ـ٢٤ »

وتذكر التوراة أن اثنى عشر ألف رجل من بنى الياس اتجهوا الى يابيش جلعاء ليقتلوا رجالها ونساءها وأطفالها بالسيوف . سفر القضاة ٢٠ـ١٠

ولم تقتصر القسوة الضارية على البشر ، بل تعدتهم الى الحيوان ، كأن الحيوانات ليست من خلق الله التى أوصى بالرحمة بها .

جاء فى التوراة أن نوب ضرب مدينة الكهنة بحد السيف رجالا ونساء وأطفالا ورضعا وثيرانا وحميرا وغنما .

« سفر صمويل الأول ٢٢-١٩ »

كذلك لم تقتصر بشاعة الضراوة على الانسان والحيوان ، بل تجاوزتهما الى النبات والجماد .

ففى التوراة المفتراة وصايا بقطع الأشجار ، وتخريب المزارع والحدائق ، وطمس الآبار كزعمها ان الله أمر بنى اسرائيل بان يقطعوا كل شجرة طيبة ويردموا عيون الماء ويتلفوا الحقول المثمرة بالأحجار التى يلقونها فيها ، ففعلوا ما أمروا به ، فكان كل واحد منهم يشارك فى هدم المدن ، وفى قذف الحجارة فى الحقل الخصيب ، وفى طمر منابع الماء ، وفى قطع الشجرات المثمرات .

« سفر الملوك الثانى ٣-١٩-٢٤-٢٥ »

أما القرآن الكريم فيصف الله تعالى بالرحمة بعباده الطائعين والمغفرة للعاصين التائبين ، ويصفه بالشدة على عباده العصاة المستكبرين فى غير ما ضراوة وموجدة .

قال تعالى : « والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم » .

وقال تعالى : « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم » .

وقال سبحانه : « ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ، ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما » .

وقال جل وعلا : « قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم » .

وفى القرآن الكريم آيات كثيرة تأمر بالرحمة ، وتحض على الاصلاح والعمران ، وتنهى عن القسوة وعن التخريب .

وقد رحم الله عباده فوضع لهم دستورا أوجب عليهم ألا يتعدوه فى حروبهم ، منه قوله تعالى :

« وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » .

وقوله تعالى : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ، واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين » .

ارشادات للزراع

أيها المزارع

١ - بطاقة الحيازة التى تسلمتها من الجمعية التعاونية تعتبر سندا للمحاسبة بينك وبينها .

٢ - عند استلامك للسلف بكافة أنواعها أو شرائك للاسمدة والتقاوى بالنقد أو دفع أى مبلغ لخزينة الجمعية احرص على تقديم البطاقة ليقوم الكاتب أو أمين المخزن باثبات جميع معاملاتك بها

٣ - احرص على حصولك على ايصال مختوم بخاتم الجمعية ويوقع عليه من كاتب الجمعية أو رئيس حساباتها نظير أى مبالغ نقدية تدفعها لخزينة الجمعية

٤ - عند قيامك بصرف أثمان المحاصيل المسوقة أيا كانت قدم بطاقتك لمندوب الصرف لاثبات الكمية الموردة منك وثمنها والمبالغ المخصومة لحساب الاموال الأميرية ومطلوبات البنك وصافى الثمن المنصرف اليك بالبطاقة

٥ - لن تسلمك الجمعية السلف المعتمدة لك بدون تقديم البطاقة لاثبات قيمة السلفة بها .

٦ - عليك مراجعة ما اثبت بالبطاقة قبل مغادرتك مقر الجمعية أو مركز التجميع للتأكد من صحة البيانات المدونة بها .

٧ - تقدم ببطاقتك للجمعية كل ثلاثة شهور حتى يتم مراجعتها لاثبات العمولات وسلف المقاومة .

٨ - احذر التوقيع على أى مستند على بياض أو دون التعرف على تفاصيل ما توقع عليه وخاصة ببيان المبلغ المطلوب التوقيع عليه

٩ - لك الحق فى الاطلاع على حسابك فى الجمعية فى أى وقت تشاء

١٠ - أى شكوى تتعلق بالطعن فى حسابك أو عدم استلام ايصالات المبالغ المدفوعة بادر بتقديمها الى فرع بنك التسليف الزراعى والتعاونى التابعة له الجمعية وستخطر بنتيجة البحث فورا

المؤسسة المصرية العامة
للائتمان الزراعى والتعاونى

الإعجاز التشريعي في القرآن

المستشار علي علي منصور

استكمالا للاشارة الى ما يحويه القرآن الكريم من نواحى الاعجاز المتعددة ومنها الاعجاز التشريعى وهو ما بدأناه فى سلسلة من المقالات نتابع السير بتوفيق الله.

سورة الأنفال

الآية رقم ١ من سورة الانفال :

« يسألونك عن الانفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين » .

سورة الأنفال نزلت بالمدينة وهى تشتمل على خمس وسبعين آية . وقد بين الله سبحانه وتعالى فى هذه السورة بعض أحكام القتال والبواعث عليه ، وأسباب النصر ومقام القوة المعنوية فى الانتصار وأحكام غنائم الحرب ، ومتى يكون الأسر

واجتمع فيها الحكم الشرعى بحكمته • وهى تذكر قصة غزوة بدر وبعض ما كان قبلها وما جاء فى أعقابها من الاشارة الى سببها وهو اخراج المشركين للنبى من مكة ويذكر سبحانه فيها الاستعداد للحرب ووجوب الجنوح للسلم ان جنحوا لها •• وتختتم السورة الكريمة ببيان ولاية المؤمنين بعضهم لبعض ووجوب هجرة المؤمنين من أرض يستذلون فيها ليجاهدوا مع أوليائهم من المؤمنين فى سبيل عزة الاسلام وعزتهم ، وتشير الآية الأولى من هذه السورة الى ما يلى :

أخرج النبى من مكة مهاجرا بسبب مكر المشركين وتدبيرهم أمرقتله وليكون للمسلمين دولة واستقر بالمدينة حيث النصرة • وكان لا بد من الجهاد لدفع الاعتداء لكى لا يفتن أهل الايمان فكانت غزوة بدر الكبرى ، وكان فيها النصر المبين والغنائم • وكان وراء الغنائم بعض الاختلاف والتساؤل فى توزيعها يسألونك عن الغنائم : ما مآلها ؟ ولمن تكون ؟ وكيف تقسم ؟ فقل لهم أيها النبى : انها لله والرسول ابتداء والرسول بأمر ربه يتولى تقسيمها فاتركوا الاختلاف بشأنها واجعلوا خوف الله وطاعته شعاركم ، وأصلحوا ما بينكم فاجعلوا الصلات بينكم محبة وعدلا فان هذه صفة أهل الايمان •

الآيتان رقم ٧ و٨ من سورة الأنفال :

« واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون » •

تتناول الآيات الكريمة ما يجيش فى النفوس أثناء القتال من تمنى ملاقاة قلة من العدو ، وكره ملاقاة العدد الكثير ، والرغبة فى اصابة المال والغنائم دون ملاقاة المكاره ، بينما يريد الله تعالى اعلاء الدين واظهار الحق واستئصال الكافرين •

الآيتان ٩ و١٠ من سورة الأنفال :

« اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم بألف من الملائكة مردفين وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم » •

لما علم مقاتلو المؤمنين أن لا محيص عن القتال أخذوا يستعينون بالله تعالى للنصر ، فاستجاب الله لهم وأمدهم بألف من الملائكة متتابعين ، أى بدأ الأمر بارسال مقدمة تليها باقى القوات وهو مايعمل به حاليا عند ارسال قوات لتعزيز الجنود المقاتلين فى ميادين القتال ، اذ تنص المبادىء على ارسال الامدادات أفواجا متتابعة حتى يسهل توجيه كل فريق الى مكانه فى المعركة دون تعطل أو ازدحام وعندما تصل التعزيزات للقوات المقاتلة تبتهج النفوس وتعلو الروح المعنوية وهو ما أراده الله سبحانه وتعالى بقوله :

« وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم » •
والنصر دائما من عند الله •

الآيتان ١١ و١٢ من سورة الأنفال :

(اذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجس الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام اذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان)

تتناول الآية الأولى فضل الله تعالى على المقاتلين المؤمنين من الحصول على الأمن فى راحة النوم ، ونزول المطر للطهارة ، والاغتسال ، وتلبد الرمل نتيجة وجود الماء فثبتت عليه الأقدام • ومن المعروف ان الرمال الناعمة تسبب تعبا للمقاتلين وتعتبر عائقا يحول دون خفة الحركة التى هى من مبادىء الحرب الرئيسية ، وتتناول الآية الثانية خطاب الله تعالى الى الملائكة بتثبيت المؤمنين والقاء الرعب فى قلوب الكافرين ، والمعروف أن الرعب

اذا استولى على الجنود فى الميدان أصابهم الفشل وفى الآية الكريمة اشارة الى مكان الاصابة المهلكة وهى فى أعلى الرقبة وقطع الأطراف حتى يسقط السلاح من اليد .

الآيتان ١٥ و١٦ من سورة الأنفال :

« يأيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير » .

تصور الآيات الكريمة بعض قواعد القتال الهامة، فمواجهة قوات العدو العديدة لاتكون بالهرب انما تكون بالثبات ، ولا يسمح بالانسحاب الا استعدادا للكر بعد الفر ، وتغريرا للعدو ، أو الانحياز الى فئة أخرى قريبة من المسلمين للاستعانة بهم ، والحرب مكيدة وخدعة ، وفى هذا اشارة الى مبادىء الحركة والمناورة والمفاجأة وهى كلها من مبادىء الحرب الحديثة .

الآيتان ١٧ و١٨ من سورة الأنفال

« فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم ، ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين » .

فى الآيات الكريمة اشارة الى أثر الروح المعنوية وما يخالج القلب ، فليس المهم العتاد والسلاح بقدر ما يصيب الروح والنفوس من وهن الى الهزيمة للكافرين . أما المؤمنون فينعم الله تعالى عليهم بنعمة النصر والغنيمة والبلاء الحسن فى القتال ، هذا وليست كثرة العدد سبيلا الى النصر والفوز فى الحرب ، انما المهم قوة الروح والعقيدة والايمان .

الآية ٣٩ من سورة الأنفال :

« وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير » .

سبق أن علقنا على آيات القتال من سورة البقرة ابتداء من الآية ١٩٠ الى الآية ١٩٣ ، وحاصلها أن القتال فى الاسلام لدفع الاعتداء ،ولم يشرع لذاته ولا لحمل الناس على الدخول فى الاسلام كرها . فاذا قاتلنا غيرنا يجب حصر القتال فى ميادينه فلا يعتدى على المدنيين ولا النساء ولا الأطفال ولا رجال الدين فى معابدهم ، ويحرم الاسلام التمثيل بجثث القتلى كما يحرم القتال فى الأشهر الحرم ، يراجع التعليق كاملا على آيات القتال فى سورة البقرة .

الآيات ٤٥ و٤٦ و٤٧ من سورة الأنفال :

« يأيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط » .

فى الآيات الكريمة تنبيه لضرورة الثبات فى وجه العدو ، ان العبد ينبغى ألا يشغله شىء عن ذكر الله، وأن يلتجىء اليه عند الشدائد . وفى ذلك ايضا تنبيه الى أهمية التدين والايمان فى رفع الروح المعنوية والثبات وفى الآيات أيضا ايضاح لأهمية الطاعة وتنفيذ ما أمر الله ورسوله به حتى لا يدب الفشل نتيجة الفرقة . كما ينبغى عدم التفاخر والتباهى بالعظمة والانصراف الى التظاهر بالشجاعة والسماحة والرياء .

الآيتان ٥٦ و ٥٧ من سورة الأنفال :

« الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لايتقون فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون » .

فى الآيات الكريمة تحذير من الذين يعاهدون ثم ينقضون العهد . هؤلاء يجب التنكيل بهم وبمن وراءهم . وفى الآية بيان لأهمية تدمير مؤخرة العدو وهو أسلوب من أساليب القتال الحديثة ، لأن ايقاع الاضطراب فى مؤخرة العدو كفيل بارباكه

ودفعه الى توزيع جنوده لحماية مؤخرته وفى هذا تفكيك لقوته، يضاف الى ذلك أن فى المنطقة الخلفية لميادين القتال توجد المنشآت الادارية التى تعتمد عليها القوات فى الاعاشة ووقوع الاضطراب فى هذه الانحاء يؤدى الى عدم انتظام اعاشة القوات وبالتالى الى ايقاع الهزيمة بالعدو ٠

الآية ٦٠ من سورة الأنفال :

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون » ٠

فى الآية الكريمة حث صريح وأمر على الاستعداد لملاقاة العدو ؛ فالحرب قديما وحديثا أمر خطير جلل تتوقف عليه مصائر الأمم ٠ لذلك فهى جديرة بالتحضير والتجهيزات والاعداد فى مختلف نواحى العدد والقوة والعتاد ٠ ودخول الحرب دون تجهيز واعداد يسبب الفشل ٠

ونحن نرى الدول الآن تستعد فى وقت السلم للحرب وتبنى سياستها واستراتيجيتها ، وتعبىء جميع مواردها للحصول على النصر فى الحرب٠ والحرب الآن شاملة يشترك فيها الشعب والجيش وهى بذلك أولى باعداد كل منهما اعدادا شاملا يضمن النصر ٠

الآية ٦١ من سورة الأنفال :

« وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم » ٠

مبدأ عظيم من مبادىء الاسلام دين السلام ٠٠ ونحن الان نسمع كل دول العالم تنادى بالسلام ومن هنا أنشئت هيئة الأمم المتحدة وقد نادى القرآن الكريم بالسلام منذ ثلاثة عشر قرنا من الزمان ٠

الآيات ٦٤ و٦٥ و٦٦ من سورة الأنفال :

يأيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين٠ يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون ، الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين » ٠

فى الآيات الكريمة بيان لأهمية العقيدة الراسخة والايمان فى الحرب، فليس المهم العدد، وانما القوة قوة الروح المقاتلة وايمان القلب وهو أمر واضح فى جميع الحروب على مر الزمان ، وكم من فئة قليلة قوية الايمان بفرضها ، غلبت فئة كبيرة واهنة لا تؤمن بقضيتها الخاسرة ٠ وفى الآيات أيضا بيان لوضع القائد فى المعركة ، ففى واجباته تنظيم ودفع جنوده وتحريضهم للقتال ٠ ويدخل فى ذلك أن يكون أسوة لهم ، وأن يوضح لهم أساليب النصر وهذا وذلك واجب كل قائد فى كل زمان ٠

الطـاعة

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : جاءت امرأة الى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالت يارسول الله ، انى رسول النساء اليك ، ومامنهن امرأة الا وتهوى مخرجى اليك : الله رب الرجال والنساء والههن ، وأنت رسول الله الى الرجال والنساء كتب الله الجهاد على الرجال ، فان أصابوا أثروا « أجروا » وان استشهدوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون فما يعدل ذلك من أعمالهم من الطاعة ؟ قال : طاعة أزواجهن والمعرفة بحقوقهم وقليل منكن من يفعله

براعة الاستهلال وروعة الأساليب في فواتح سور القرآن

فضيلة الدكتور عبد الغنى الراجحى

في مقالات سابقة نوهنا بهذه الفواتح التى جاءت في سور القرآن بأسلوب النداء ، واستعرضنا بالدرس والتحليل ما كان من ذلك بقوله تعالى ((يأيها الناس)) في فاتحة سورتى النساء والحج وقوله تعالى ((يأيها الذين آمنوا)) في فواتح السور المائدة والحجرات والممتحنة ، واليوم نستعرض من ذلك ما كان فيه نداء الله لنبيه صلى الله عليه وسلم بقوله له ((يأيها النبى)) في فاتحة السور : الأحزاب والطلاق والتحريم ، وقوله تعالى له ((يأيها المزمل)) فاتحة سورة المزمل و ((يأيها المدثر)) فاتحة سورة المدثر .

أما سورة الأحزاب فكانت الفاتحة فيها قوله تعالى ((يأيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ، ان الله كان عليما حكيما ، واتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا ، وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا)) .

ونحن اذا تأملنا هذه الفاتحة قليلا وجدناها مشتملة على الأمور الآتية الأول : نداء حضرة النبى صلى الله عليه وسلم ، الثانى : أمره بتقوى الله . الثالث : التحذير من الكافرين والمنافقين ، الرابع : اتباع مايوحى اليه من ربه ؛ الخامس : التوكل على الله .

ما فى أسلوب النداء من الروعة والطاقة البلاغية مضى الكلام فيه أكثر من مرة .

وما فى هذه الفاتحة كلها بأجزائها الخمسة من براعة الاستهلال للسورة كلها وابتناء آيات السورة الكريمة على هذه الأمور الخمسة المذكورة فى هذه الفاتحة ، واتصالها بها فى المعانى ، حتى لكأنها بالنسبة لها تفصيل بعد اجمال ، نشرع فى بيانه على الطريقة الآتية .

أولا ـ بالنسبة للامر الأول وهو نداء حضرة النبى صلى الله عليه وسلم ، نستطيع أن نجد هذا النداء مكررا بنفسه فى السورة الكريمة اكثر من مرة مفتتحا به آيات يؤمر فيها بأشياء وينهى عن أشياء ويخبر بأشياء فالآية ـ ٢٩ ((**يأيها النبى قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن وأسرحكن سراحا جميلا**)) والآية ٤٥ ((**يأيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا**)) والآية ٥٠ ((**يأيها النبى انا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن**)) والآية ٥٩ ((**يأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين**)) **الآيات** .

ثم نستطيع أن نجد ذكر النبى بلفظ النبى أو معناه قد تكرر فى السورة مرات أخرى كثيرة فى غير أسلوب النداء ؛ أخبارا عنه أو اضافة اليه أو

بيانا لحال من أحواله وحكم من أحكامه ، فالآية ٦ « النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم » والآية ٧ « واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم » والآية ٢١ « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » والآية ٣٠ « يانساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين » والاية ٣٢ « يا نساء النبى لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلاتخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض» والاية ٣٦ «وماكان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » والآية ٣٨ « ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له » والآية ٤٠ « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » والآية ٥٣ « يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى الا أن يؤذن لكم » وفيها قوله تعالى « وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا أزواجه من بعده أبدا » والآية ٥٦ « ان الله وملائكته يصلون على النبى يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » هذا كله مع ضميمة الآيات الكثيرة الواردة فى السورة المتضمنة كثيرا من الأحكام الخاصة بشخص الرسول وحياته الزوجية والاجتماعية كمسألة زواجه بزينب بنت جحش ومسألة الأدب الواجب فى مقام دخول بيته ومكالمة نسائه ، والأحكام الخاصة بزوجاته وتخييره لهن بين البقاء معه على شظف العيش أو الطلاق ، وما الى ذلك مما يدرك تمام الادراك بمراجعة آيات السورة الكريمة فى كل ما ذكرناه من الآيات والمعانى أو اشرنا اليه اشارات اقتضى المقام أن تكون خفيفة .

ثانيا ــ تقوى الله المأمور بها فى فاتحة السورة والمقصود بها النبى والأمة ، تعتبر اجمالا للسورة كلها من حيث ان آيات السورة لا تخرج عن أحكام مأمور بها واخرى منهى عنها ، والتقوى هى امتثال الأوامر واجتناب النواهى .

ثالثا ــ التحذير من الكافرين والمنافقين مناسب لما فى آيات السورة من ذكر غزوة الخندق وهى غزوه الأحزاب التى سميت السورة بها والتى صال فيها الكافرون والمنافقون وجالوا ، وجنوا وأوضعوا ، وزلزل المؤمنون من أجل ذلك زلزالا شديدا وزاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ، واطنبت السورة فى ذكر تفاصيل ذلك من أول **قوله تعالى فى الآية ٩ « يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا ، اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا » الى قوله تعالى فى الآية ٢٦ « وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطئوها وكان الله على كل شىء قديرا » وفى السورة الكريمة ذكر المنافقين والكافرين صراحة فى قوله تعالى « واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا » وقوله تعالى « ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا » وقوله تعالى « وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا » وقوله تعالى « لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا » وقوله تعالى « ان الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا » وقوله تعالى ختاما للسورة الكريمة « ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما » .**

رابعا ــ بالنسبة للامر الرابع وهو اتباع حضرة النبى الكريم ما أوحى اليه من ربه وتنفيذه عمليا دون خشية أو مراقبة أو استحياء من غير الله ، فذلك على أقوى مناسبة بما تضمنته السورة الكريمة من قصة زواجه صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش التى كانت زوجة لمتبناه زيد بن حارثة ،

وكانت ترى انه ليس كفؤا لها ، وكان هو يريد طلاقها، وكان الله تعالى يريد زواج الرسول بها بعد طلاقها لتشريع ابطال عادة التبنى فى الجاهلية ، فمن المعلوم أن زوجة الابن لا تحل للاب ، وكذلك كانت زوجة المتبنى لانه فى حكم الابن ، فأراد الله تعالى أن يقر الأولى ويبطل الثانية بتزويج الرسول من زينب زوجة متبناه زيد بعد طلاقها واعتدادها ، فكان كلما جاء زيد الى الرسول يريد طلاق زينب ، أخفى الرسول ما اعلمه به ربه من أنها ستطلق وتتزوجه ، فيقول له ، امسك عليك زوجك واتق الله ، كأنما كان الرسول يرى انها مسألة ماسة بالكرامة أو فرصة للقيل والقال من أعدائه وأعداء الاسلام ، فعاتبه ربه فى آيات هذه السورة بقوله تعالى له « واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا » وقد جاء التركيز على أبطال التبنى فى الآية الرابعة فى السورة بعد فاتحتها مباشرة حيث يقول تعالى « ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وما جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن أمهاتكم وماجعل ادعياءكم أبناءكم ، ذلكم قولكم بافواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ، ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ماتعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما » ثم تكرر ذلك المعنى فى الآية ٤٠ « ما كان محمد أباأحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شىء عليما » .

وقد جاء من تتمات هذه المسائل الشخصية الخاصة بحياة الرسول الزوجية واستحيائه من زائريه فى بيته أن يامر باخراجهم بعد تناول الطعام وحين جلوسهم للسمر فى بيته قوله تعالى فى نفس السورة « يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيى منكم والله لا يستحيى من الحق واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ان ذلكم كان عند الله عظيما » وأحكام بيت الرسول وزوجاته وحياته الزوجية فى آيات السورة كثيرة كما فى قوله تعالى « النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم » وقوله تعالى « يأيها النبى انا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى ان أراد النبى أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين» وقوله تعالى « لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن » وقوله تعالى « يأيها النبى قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها .. الآيات » وقوله تعالى « يا نساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة » . الآية وقوله تعالى « يانساء النبى لستن كأحد من النساء» الاية ؛ وقوله تعالى « وقرن فى بيوتكن .. » الاية .. وقوله تعالى « واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا » وقوله تعالى « يأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما » .

نعم ان اتباع الرسول ما أوحى اليه من ربه عام فى كل شىء ، لكن أول ما يدخل فى هذا العموم دخولا أوليا هذه الاحكام الواردة فى هذه السورة والمتعلقة بهذه المسائل الشخصية والاجتماعية الحساسة التى ربما كان يتوقف فى اتباع ما يجب فيها لولا هذه الآيات ، الا يرى الى قوله تعالى فى شأن استحيائه صلى الله عليه وسلم وصبره على الايذاء « ان ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيى منكم والله لا يستحيى من الحق » ثم الى قوله تعالى فى مثل هذا المعنى « وتخفى فى نفسك ما الله مبديه

وتخشى الناس والله أحق ان تخشاه » فحياء الرسول وخشيته الناس فى تنفيذ مايجب تنفيذه، متصل أشد اتصال بقوله له فى اول السورة « واتبع ما يوحى اليك من ربك » كما انه من تتمات هذه المعانى وتأكيدها قوله تعالى فى نفس السورة « ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له سنة الله فى الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا»

خامسا ـ بالنسبة للامر الخامس وهو أمره تعالى لرسوله أن يتوكل عليه وكفى به وكيلا يمكننا أن نعتبر ذلك بصورة واضحة شحذا لهمته صلى الله عليه وسلم فى القيام بما وكل اليه من مثل ماتحدثت عنه السورة الكريمة من جهاده للكافرين والمنافقين واتباعه ما أوحى اليه من ربه ووضعه موضع التنفيذ حتى يكون على رأس قائمة الذين قال الله فيهم من رسله الأطهار فى نفس السورة الكريمة الآية ٢٩ « الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله وكفى بالله حسيبا »

اما سورة الطلاق وافتتاحها بقوله تعالى « يأيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم » الآيات .. فان السورة من أولها الى ما يقرب من ثلثها قد تمخضت فى نفس هذا الموضوع الذى افتتحت به من أحكام الطلاق والعدة للحامل والآيس وغيرهما وما يجب للمعتدة من النفقة والمسكن ونحو ذلك ، والنداء وان كان خاصا بالنبى تشريفا ومحبة الا أن التكاليف والأحكام التى جاءت بعده عامة للناس كلهم ، ومن حيث أن هذه حدود حدها الله تعالى لعباده لا يجوز لهم أن يتعدوها (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه)فقد استرسلت آيات السورة الكريمة فى ختامها الى ذكر أهل القرى الغابرة الذين أهلكهم الله بسبب انهم عتوا عن أمر ربهم ورسله ؛ وان المؤمنين أرسل الله اليهم ذكرا رسولا ليهتدوا به فى عمل الصالحات تقربا الى الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لنعلم ان الله على كل شىء قدير وان الله قد احاط بكل شىء علما .

اما سورة التحريم وافتتاحها بقوله تعالى « يأيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضاة أزواجك والله غفور رحيم » فقد نزلت فى علاج مظاهرة وتظاهر على رسول الله من بعض أزواجه اضطرته الى أن يحرم على نفسه احدى نسائه أو طعاما خاصا كان قد تعاطاه عند احدى نسائه ، تعاتبه الآيات على ما فعل من التحريم وتمهد له طريق التحلل من الايمان بالكفارة ، وتعاتب أزواجه فى افشاء سر الرسول وتهددهن بأنه صلى الله عليه وسلم ، الله مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير ، ولو طلقهن سيبدله الله أزواجا خيرا منهن « مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا » وفى خواتم السورة رجعت الآيات الى ما يشبه هذه المعانى من العلاقات الزوجية وما فيها من العبر والمفارقات ، فامرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين وامرأة فرعون الكافر الجبار المتأله آمنت وابتهلت الى الله « رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين » ومريم ابنة عمران لم تكن طالحة تحت صالح كامرأة نوح ولوط ولا صالحة تحت طالح كامرأة فرعون ولكنها كانت عذراء بتولا أحصنت فرجها فنفخ الله فيها من روحه وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين ، وكان هذا الختام للسورة بما فيه من هذه المعانى بالنسبة لما فى أولها من الآيات والمعانى من قبيل رد العجز على الصدر ، لمسات نسائية فى حياة الرسل وما كان بين الفواتح والخواتيم فى السورة الكريمة من المعانى التى تناولت الحث على العمل الصالح واتقاء نار جهنم والتوبة النصوح وجهاد الكفار والمنافقين والاغلاظ عليهم ليس بغريب عما قبله أو بعده من الآيات .

اما سورة المزمل التى كانت فاتحتها قوله تعالى لحبيبه « يأيها المزمل قم الليل الا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا او زد عليه ورتل القرآن ترتيلا » فان النداء هنا نداء ملاطفة يؤخذ الوصف فيه من الحالة التى يكون عليها المنادى كما تقول لنائم تعرفه

باسمه « قم يانومان » ، والمزمل هو المتلفف بثيابه، وكان ذلك من الرسول أول الرسالة بعد نزول جبريل عليه فى غار حراء وفترة الوحى ، والآيات تفرض عليه قيام الليل متهجدا لله فيما بين نصفه وثلثيه، وجاء فى ختام السورة فى آية طويلة ذكر آخر لقيام الليل يعتبر نسخا لوجوبه السابق « ان ربك يعلم انك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك ، والله يقدر الليل والنهار ، علم أن لن تحصوه، فتاب عليكم فاقرأوا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى ، وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله ، وآخرون يقاتلون فى سبيل الله ، فأقرأوا ما تيسر منه ، واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واقرضوا الله قرضا حسنا ، وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم أجرا ؛ واستغفروا الله ان الله غفور رحيم » ومابين الفاتحة والخاتمة فى السورة الكريمة من التهديد بذكر اليوم الآخر والتذكير بخسران فرعون لما عصا الرسول الذى أرسل اليه ليس بغريب عن معنى ما قبله .. وما بعده .

وكذلك كان الأمر فى سورة المدثر المبدوءة بقوله تعالى لحبيبه « يأيها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر » فانه نداء ملاطفة من الله لحبيبه يأمره أن يشمر عن ساعد الجد فى تبليغ الدعوة والانذار بعقاب الله الصارم للضالين الكافرين وكان ذلك بعد فترة الوحى التى استمرت سنتين ونصف بعد لقاء جبريل له فى حار حراء ؛ وكان الرسول فى بيته متدثرا فجاءه جبريل بهذه الآيات المبدوءة بهذا النداء فكانت الشرارة الاولى للانطلاق بعزيمة وجد فى تبليغ الدعوة والانذار والتهديد للمعاندين الكافرين ، على هذه المعانى انتظم أمر السورة كلها من ألفها الى يائها ، فى آيات قصيرة وفواصل قوية ، وعبارات شديدة اللهجة قوية الشكيمة ؛ حارة الانفاس ، كلها نذروقوارع ، كأنها سيل ينحدر من قمم الجبال « فاذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير » والذى خلقه الله وحيدا ، وجعل له مالا ممدودا وبنين شهودا ، ومهد له تمهيدا ، وكان لآيات الله عنيدا ، وفكر وقدر ثم أدبر واستكبر ، وقال ان هذا الا سحر يؤثر ، سيصليه الله سقر ، وما أدراك ما سقر ، لا تبقى ولا تذر ، لواحة للبشر ، عليها تسعة عشر ، والتسعة عشر ملائكة لا يستطيع البشر كلهم مقارعة واحد منهم ، وكل نفس بما كسبت رهينة ، وأصحاب اليمين فى جنة والمجرمون فى سقر ، لأنهم كانوا مكذبين بيوم الدين لا يصلون ولا يتصدقون ، ويعرضون عن التذكرة كالحمر المستنفرة فرت من قسورة ؛ وذلك كله بجملته وتفصيله مقتضى الانذار المذكور فى براعة استهلال السورة فى قوله تعالى لرسوله « قم فأنذر »

هذا والسورتان ، المزمل والمدثر ؛ متشابهتان فى طريقة النداء فى فاتحتهما وفى الوصف المنادى فيهما ، المزمل والمدثر ، وفى كونهما مكيتين من أول ما نزل بعد فترة الوحى ، وفى وضعهما فى ترتيب السور الواحدة تلو الأخرى ، وفى كونهما من أواسط المفصل ، وفى تشابه معانيهما بعض الشىء فى الغلظة على الكافرين .

كما كانت السورتان الطلاق والتحريم متشابهتان فى طريقة النداء ، وفى الوصف المنادى ، وكونهما مدنيتين ذواتي أحكام شرعية ، ووضعهما فى ترتيب السور متواليتين الواحدة تلو الأخرى ، واقتراب معانيهما اجمالا بعضها من بعض وكونهما من أواسط المفصل .

« الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ، ومن يضلل الله فما له من هاد » .

هـذا والحديث - اذا أعان الله - موصول لعرض انماط اخرى من فواتح سور القرآن لدراسة ما فيها من براعة الاستهلال وروعة الأساليب ، دراسة تعتمد على الجهد الذاتي والتأمل المباشر فى آيات الذكر الحكيم .

الشريعة الإسلامية والآداب

المستشار محمد خاطر

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((**تنكح المراة لأربع ، لمالهـا ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها .. فاظفـر بذات الدين تربت يداك**)) . **رواه البخارى ومسلم .**

كما قال المصطفى صلوات الله وسلامه عليه : ((الا أخبركم بخير ما يكنز المرء ؟ المراة الصالحة - اذا نظر اليهـا سرته واذا أمـرها أطاعته - واذا غاب عنها حفظته فى ماله وعرضه)) .

ففى الهدى النبوى الكريم من الدعائم والقواعـد والآداب ما تقام عليه الأسس الثابتة لحياة الأفراد والجماعات فى هناءة وسعادة .

ذلك ان المجتمع الصالح لا يوجـد الا اذا كانت نواته اسرة طيبة صالحة تكونت على أساس سليم طبق احكام الشريعة الغراء وآدابها التى احاطت عقد الزواج بالعناية ، وحقوق الزوجين والذرية بالرعاية والصيانة ، فالعشرة المستقرة ، والحياة الطيبة الدائمة أثر من آثار عقد الزواج ، بـه وفى اطـار الشريعة الغراء وأحكامهـا يأنس كل من الزوجـين بصاحبه وتسكن نفسه اليه ، كما يحس كل منهما ان له مودة صاحبه كاملة ورحمة موفورة . وفى ذلك يقول الله جل شأنه : ((**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون**)) .

وفى ظل الزواج الشـرعى ينبت الأولاد بـين والديهم فيشرفون على تربيتهم التربية الصالحة ولا يكونون عالة على المجتمع يضيق بهم ويضيقون به وينشرون الشر ويشيعون الفساد .

من اجـل ذلك كان للزواج خطره واهميته فى تكوين الاسرة وبناء المجتمع . ولذا فقـد عنيت الشريعة ببيان احـكامه واوضحت من الآداب والصفات الشىء الكثير فيما يجب ان تكون عليـه الزوجة وما تتحلى به ، بل لقد ذهبت الى ما هو أوسع من ذلك فأشارت الى البيئة التى تختـار منها ، وبينت ما يحسن ان تكون عليـه من القرابة أو عدمها ، وأثر هذه الصلة فى النسل من صحة وضعف ، ونجـابة وذكاء ، وعللت ذلك كله بالحكم العالية والأسرار العلمية المذهلة التى كان يظنهـا علماء الوراثة فى العصر الحـديث من مسـائلهم المستحدثة فى حين أن الهدى النبوى الكريم كان سباقا فى بيانها فى عبارة بليغة موجزة تضـع الأسس الكليـة لمن أراد أن يغترف العلم والحكمة والمعرفة والآداب من معين الشريعة الاسلامية ، اذ يقول صلى الله عليه وسلم : « **تخيروا لنطفكم فان العرق دساس**)) - وهـو فى ذلك يشـير الى مـا يرثه الطفل من صفات واخلاق وعادات بل وأمراض احيانا من اصوله واجداده وان بعدوا ، فطالب من

يريد التزوج بالبحث والتحرى فى اختيار من ستكون شريكة حياته وأم أولاده .

كذلك يقول الرسول الكريم : **أياكم وخضراء الدمن ـ قيل وما خضراء الدمن يارسول الله ؟ قال المرأة الحسناء فى المنبت السوء »** . فهو يصرح فى عبارة واضحة الى مقدار أثر البيئة فى الاخلاق والصفات والى أن جمال الخلقة يعكر عليه سوء المنبت حتى يشوهه ويفسده بطباع البيئة الموروثة والمنبت الخبيث .

ثم انظر ايضا الى الهدى النبوى حين يشير باختيار الزوجة غريبة عن الشخص غير قريبة فيقول : **« اغتربوا لا تضووا »** . وما كان ذلك الا لأن الزواج فى القرابات القريبة ينشأ عنه نسل ضعيف جسميا وعقليا ، أما الزواج فى غير الأقارب فانه يأتى بنسل قوى سليم ـ وقد قيل ولد الغريبة أنجب واقوى ، وولد القريبة أضعف واضوى ، هذا والزواج بين غير الأقارب فوق ما فيه من ايجاد دم جديد فى الأسرة فان فيه الارتباط بين العائلات البعيدة فتقوى بالمصاهرة وتتماسك عراها .

من اجل ذلك كله بين الرسول صلى الله عليه وسلم فى الحديث السالف بصدر المقال . الصفات المرغبة فى اختيار الزوجة المال والحسب والجمال والدين ، ثم حث على اختيار ذات الدين بقوله : **« فاظفر بذات الدين تربت يداك »** . والمراد خبت وحسرت ان لم تعمل بهذه النصيحة .

والمصطفى صلوات الله وسلامه عليه اذا أوضح ذلك انما يعلمنا التريث والتثبت حين تقوم على الزواج وأن على المرء أن يختار الزوجة بعقله محكما دينه وعقيدته فيوازن بين ما تتحلى به من صفات وأخلاق لا أن يختارها بعاطفته وحدها ذلك لأن كثيرا من مشاكل الحياة الزوجية ومآسيها قد تعود الى سوء اختيار المرء لزوجته وسوء اختيار المرأة لزوجها .

فمن الأشخاص من يبحث عن الزوجة الغنية ذات المال دون نظر الى ما سواه من صفات ليباهى بغناها ولينتفع بمالها . وهو فى سبيل ذلك لا يسأل عن شىء سوى المال ، وقد نسى هذا الصنف من الناس أن هذه المرأة بمالها ربما تسلطت عليه واذلته فيصير عبد هواها ، يأتمر بأمرها ، ويخضع لاهوائها ؛ ويفقد سلطانه عليها . والله جل شأنه يقول : **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم »** .

هذا فضلا عما ستورثه هذه الزوجة لأبنائها من غطرسة وكبرياء وسوء معاملة للناس نتيجة لطغيان المال وقد يفنى هذا المال ويضيع وتبقى هى على طباعها ليس لها من دين او خلق يردعها فيشقى الزوج بها . وقد تشقى هى به ايضا اذا تمرد فلم يصادف ميولها وهواها ومن الناس من يختار الزوجة لحسبها وفقط ليفاخر بمجد أهلها وذويها وما لهم من حسب وقد يكون هو دونها حسبا فيشعر بنقصه بالنسبة لها وربما تعالت عليه بسبب ذلك فيفقد شخصيته بجانبها، ثم تورث أولادها ذلك أيضا فيفقد الرجل صلة الأبوة بينه وبين أبنائه وهنا تكون الكارثة أيضا .

وقد يختار الرجل الزوجة لجمالها دون نظر الى ما عداه من صفات مطلوبة ، وفى ذلك الخطأ كل الخطأ ، اذ قد يطغيها جمالها ويركبها الغرور فتقع فى الهاوية ، وتضل سواء السبيل ، وأخيرا سيزول جمالها بمضى الزمن وتبقى بما هى عليه من أخلاق .

أما من اختار الزوجة بعقله دون هواه متبعا تعاليم الدين ، وهدى سيد المرسلين جاعلا نصب عينيه اختيار الزوجة ذات الدين ، فقد صاب خير الدنيا والآخرة لنفسه وذريته ، فان اجتمع لها من ذلك باقى الصفات الأخرى من مال وحسب وجمال أو بعضها فذلك خير ـ لأن الدين يحفظها فلا يطغيها المال أو الجاه ولا يرديها الجمال . ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك **« لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن ، ولكن تزوجوهن على الدين ، ولأمة سوداء ذات دين أفضل »** . وفى هذا المعنى أيضا . ما رواه مسلم والنسائى عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه صلى الله عليه وسلم قال **« الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة »** .

من أجل هذه الصفات التى تضمنتها احكام الشريعة وآدابها والتى رأت مراعاتها وتحققها أو بعضها حين اختيار الزوجة ، وفى سبيل التحقق من هذه الصفات . كان تشريع الخطبة وما جاء بشأنها من أحكام . وما يترتب عليها من آثار مما سنعرض له أن شاء الله فى أحاديثنا المقبلة .

من أخلاق القرآن

الشكر

فضيلة الدكتور احمد الشرباصى

ان مادة « الشكر » فى اللغة تدل على الكرم والسخاء .. يقال : شكر فلان - بوزن علم ، صار سخيا بعد أن كان شحيحا ، وتدل أيضا على الزيادة والنمو ، فيقال : ناقة شكرة - بكسر الكاف - أى تعتلف أى علف كان ، فتزيد ويصبح ضرعها ملآن ، والدابة الشكور هى التى يكفيها قليل العلف ، فتسمن عليه وتصلح .

وقد عرف الأصفهانى « الشكر » بأنه تصور النعمة واظهارها ، وضده الكفر ، وهو نسيان النعمة وسترها ، وقيل ان الشكر هو الامتلاء من ذكر المنعم . وقال الجوهرى فى « تهذيب اللغة » نقلا عن الليث ان الشكر هو عرفان الاحسان ونشره وحمد موليه ، وتوسع البعض فى تصوير الشكر فوصفه بأنه مقابلة النعمة بالفعل والقول والنية ، فيثنى على المنعم بلسانه ، ويذيب نفسه فى طاعته ، ويعتقد أنه موليها . والشكور من عباد الله تعالى هو الذى يجتهد فى شكر ربه ، بطاعته وأداء ما وجب عليه من عبادته .

وقال العلماء ان الشكر مثل الحمد ، الا أن الحمد أعم منه ، فأنت تحمد الانسان على صفاته الجميلة وعلى معروفه ، ولا تشكره الا على معروفه دون صفاته . والشكر يتضمن الرضى وزيادة ، لأن الشكر الكامل هو ما كان بالقلب واللسان والعمل ، وهذا يندرج تحته معنى الرضى ، ولذلك كانت منزلة الشكر عند الصوفية فوق منزلة الرضى .

والشكر ثلاثة أنواع : شكر القلب وهو تصور النعمة ، وشكر اللسان وهو الثناء على المنعم ، وشكر سائر الجوارح وهو مكافأة النعمة بقدر استحقاقها ، والقرآن الكريم يدعو الى التحلى بالانواع الثلاثة ، ولذلك قال :

« اعملوا آل داود شكرا » فهو قد قال « اعملوا » ولم يقل : اشكروا ، لينبه على التزام الأنواع الثلاثة ، ومن هنا ذكر حجة الاسلام الغزالى أن الشكر يتحقق بعلم وحال وعمل ، فالعلم هو

معرفة النعمة من المنعم ، والحال هو الفرح الحاصل بانعامه ، والعمل هو القيام بما هو مقصود المنعم ومحبوبه ، وهذا العمل يتعلق بالقلب واللسان والجوارح .

ويعبر ابن القيم عن حقيقة الشكر بأنه ظهور الأثر لنعمة الله على لسان عبده ثناء واعترافا ، وعلى قلبه شهودا ومحبة ، وعلى جوارحه انقيادا وطاعة ، ولا بد من خضوع الشاكر للمشكور ، وحبه له واعترافه بنعمته ، وثناؤه عليه بها ، وأن لا يستعملها فيما يكره .

وللشكر فى نظر الدين منزلة رفيعة ومكانة مجيدة ، حتى ورد عن ابن مسعود أن الشكر نصف الايمان ، وكذلك ورد أن الايمان شطران هما الصبر والشكر ، ولذلك أمر الله به - كما قال ابن القيم - ونهى عن ضده ، وأثنى على أهله ، ووصف به خواص خلقه ، وجعله غاية خلقه وأمره ، ووعد أهله بأحسن جزائه ، وجعله سببا للمزيد من فضله وحارسا وحافظا لنعمته ، وأخبر ان اهله هم المنتفعون بآياته ، واشتق لهم اسما من أسمائه ، فانه سبحانه هو الشكور ، وهو يوصل الشاكر الى مشكوره ، بل يعيد الشاكر مشكورا ، وهو غاية الرب من عبده ، وأهله هم القليل من عباده .

ولقد نوه الحديث بهذه المكانة للشكر حين قال : « الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر » ، وقد قطع الله تعالى بتحقيق المزيد من النعمه مع الشكر ، ولم يستثن فى ذلك ، فقال سبحانه « لئن شكرتم لأزيدنكم » ، ولكنه استثنى فى خمسة أشياء .. استثنى فى الاغناء فقال :

« فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء » ، وفى الاجابة فقال : « فيكشف ما تدعون اليه ان شاء » وفى الرزق فقال : « يرزق من يشاء بغير حساب » وفى المغفرة فقال : « ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » وفى التوبة فقال : « ويتوب الله على من يشاء » .

وقد عنى القرآن المجيد بالحديث عن الشكر عناية واضحة ، فذكره فى مواطن كثيرة من آياته ، وطلب من عباد الله أن يتحلوا به ويحرصوا عليه ، فقال فى سورة البقرة « فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون » وقال أيضا يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون » وقال فى سورة النحل : « فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا ، واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون » .

وقال فى سورة الأعراف « فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين » .

وقال فى سورة لقمان : « ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ، ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غنى حميد » .

وقال أيضا : « أن اشكر لى ولوالديك الى المصير » . وقال فى سورة الزمر : « بل الله فاعبد وكن من الشاكرين » .

ولأن الشكر مطلوب من الله تعالى بهذه الصورة أوصى النبى صلى الله عليه وسلم - معاذ بن جبل فقال له : لا تنس أن تقول فى دبر كل صلاة : اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك » .

واذا كانت الآيات الكريمة السابقة قد طالبت بالشكر عن طريق الأمر الصريح المباشر ، فان هناك آيات كريمة أخرى طالبت بالشكر عن طريق التوجيه والتحريض والحث ، ولقد وردت عبارة : « لعلكم تشكرون » أربع عشرة مرة فى القرآن الكريم ، وهى فى الغالب مسبوقة بذكر نعم الله وآلائه وأفضاله ، ونحن نفهم من لغة العرب أن « لعل » تكون للترجى والتوقع والانتظار ، وتكون للحض على الشىء ، ولذلك قالوا ان « لعل » تكون للترجى فى الشىء المحبوب ، والاطماع فيه ، أو - كما يعبر بعضهم - للرجاء والطمع ، ومن بين هذه الآيات قوله تعالى فى سورة المائدة :

« كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون » وقوله فى سورة الأنفال : « وأيدكم بنصره ورزقكم

من الطيبات لعلكم تشكرون » • وقوله فى سورة النحل : « وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلم تشكرون » •• وقوله فى سورة الحج : « كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون » ، وقوله فى سورة القصص : « ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » •

وكان الحق ــ جل جلاله ــ يذكر نعمه وآلاءه ثم يعقب على ذلك بالتوجيه الى الشكر ، لكى يشعر المنعم عليهم بأن واجب التقدير للنعمة ، أو الانصاف فى المعاملة ، أو العدل فى التصرف ، يستلزم شكر النعمة وتقديرها ، حتى يكون ذلك داعيا الى استمرار المزيد منها ، والله تبارك وتعالى هو خير الشاكرين •

وفى مواطن أخرى نجد القرآن الكريم يستعمل بدل كلمة « لعل » كلمة أخرى مثل « لولا » ، وهى أيضا تأتى للتحضيض ، وبمعنى كلمة : « هلا » ، **كما فى قوله تعالى : « لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون » • أو كلمة « أفلا » كقوله فى سورة يس « لياكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون » وقوله ايضا « ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون » • أو كلمة « هل » كقوله فى سورة الأنبياء « فهل أنتم شاكرون » •**

وهذه المواطن توحى بروح الحث على خلق الشكر والدعوة اليه ، مع التنبيه على أنه مقتضى الادراك الواعى ، والتقدير البصير للاشياء ، والاحساس بقيمة النعم والآلاء ، ولذلك نجد القرآن الكريم يعلمنا بأن الرجل المتحلى بخلق الشكر هو الانسان المتدبر المعتبر الناظر الى آلاء الله وآياته نظرة فاحصة عميقة مقدرة ، فيذكر قوله سبحانه وتعالى : **« ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور » ••** فى سور ابراهيم ولقمان والشورى ، وذلك بعد أن يورد جانبا من نعم الله التى لا تعد ، وآلائه التى لا تحصى •

واذا كانت الأشياء تتميز بضدها ، وتبدو قيمتها عند المقارنة بما يناقضها ، فلعل القرآن الكريم قد اراد ان يهدينا الى الخير الكثير الذى نناله حين نتحلى بخلق الشكر ، وحسبنا من الخير أن يكون عاصما لنا من الهلاك والدمار •

والقرآن قد ذكر لنا فى مواطن كثيرة ان الشكر يقابل الكفر ، فاذا لم يشكر الانسان فقد جحد الفضل وكفر النعمة ، و طريق الجحود الى خسار ، وسبيل الكفر الى دمار ، ولذلك يقول القرآن الكريم فى سورة البقرة : « واشكروا لى ولا تكفرون » • وفى سورة ابراهيم « لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد » • وفى سورة النمل : « ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربى غنى كريم » •• وفى لقمان : « ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غنى حميد » •

وبعض هذه الآيات السابقة قد أشار الى أن الشكر يحقق لنفسه جزاء طيبا ، ويصونه من السوء والأذى ، وقد أكد القرآن أن لخلق الشكر جزاءه وثوابه ، فقال فى سورة الزمر : « ان تكفروا فان الله غنى عنكم ، ولا يرضى لعباده الكفر ، وان تشكروا يرضه لكم » • وقال فى سورة القمر : « نعمة من عندنا كذلك نجزى من شكر » • وبداية ثواب الشكر أنه يصون صاحبه من العذاب ، ولذلك قال القرآن : « ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم » •

ثم ضمن الله تبارك وتعالى ثواب الشاكرين وجزاءهم بالخير ، فقال فى سورة آل عمران : « وسيجزى الله الشاكرين » ، وقال أيضا : « وسنجزى الشاكرين » • وقال فى الاسراء « ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا » • وقال فى سورة الانسان « ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا » • ثم افهمنا القرآن المجيد أن تقوى الله تعالى هى مفتاح التوفيق للتحلى بالشكر والتمتع بثمراته ، فقال فى سورة آل عمران « فاتقوا الله لعلكم تشكرون » •

ولله در حجة الاسلام الامام الغزالى حين يتفنن فى أعطائنا صورا كثيرة للشكر ، فيذكر فى الاحياء « أن حياء العبد من تتابع نعم الله عليه شكر ، ومعرفته بتقصيره عن الشكر شكر ، والاعتذار عن قلة الشكر شكر ، والمعرفة بعظيم حلم الله وكنف ستره شكر ، والاعتراف بأن النعم ابتداء من الله تعالى من غير استحقاق شكر ، والعلم بأن الشكر أيضا نعمة من نعم الله وموهبة منه شكر ، وحسن التواضع

للنعم والتذلل فيها شكر ، وشكر الوسائط شكر ، وقلة الاعتراض وحسن الأدب بين يدى المنعم شكر ، وتلقى النعم بحسن القبول واستعظام صغيرها شكر .. الخ .

والتزام التحلى بخلق الشكر الحقيقى الكامل أمر صعب المرتقى ، وكثير من الناس لايكلفون انفسهم عناء الاستمساك بهذا الخلق القرآنى الرفيع ، ولذلك حكم القرآن على كثير من الناس بقلة الشكر ، فقال فى سورة الأعراف « وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون » . وفى سورة يوسف « ولكن أكثر الناس لا يشكرون » وفى سورة غافر « ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون » . وفى سورة الملك « وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون » . وفى سورة سبأ : « وقليل من عبادى الشكور » .

ثم يخبرنا القرآن الكريم بأن الشكر صفة من صفات الله تعالى ، ولذلك قال الغزالى : « الشكر خلق من أخلاق الربوبية » ، وقد ورد وصف الله جل جلاله بصفة الشكر فى آيات كثيرة ، ففى سورة البقرة « ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم » . وفى سورة النساء « وكان الله شاكرا عليما » ، وفى فاطر « ان ربنا لغفور شكور » وفى الشورى « ان الله غفور شكور » . وفى التغابن « والله شكور حليم » .

ووصف الله بالشكر معناه انعامه على عباده ، واثابتهم على ما قاموا به من العبادة .. وفى « تهذيب اللغة » أن الشكور اسم من أسماء الله تعالى ، وأن أبا اسحاق الزجاج فسر معناه بانه الذى يزكو عنده القليل من أعمال العباد فيضاعف لهم به الجزاء ، وقيل ان شكر الله لعباده هو مغفرته لهم ، والأول أظهر .

والشكر كذلك صفة من صفات خاتم الأنبياء وسيد المرسلين ــ عليه أفضل الصلاة والسلام ــ وعلى الرغم من أن الله تعالى قد أنزل على نبيه قوله : « انا فتحنا لك فتحا مبينا ، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، ويتم نعمته عليك ، ويهديك صراطا مستقيما » ، فقد ظل ــ صلوات الله عليه وسلامه ــ عابدا قانتا ، متهجدا متقربا ، ليضرب المثل الأعلى فى خلق الشكر ، ولقد روى عن عطاء أنه قال :

« دخلت على عائشة ــ رضى الله عنها ــ فقلت : أخبرينا بأعجب ما رأيت من رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فبكت وقالت : وأى شأنه لم يكن عجبا ؟ أتانى ليلة فدخل معى فى فراشى ، حتى مس جلده جلدى ، ثم قال : يا ابنة أبى بكر ذرينى أتعبد لربى . قلت انى أحب قربك ، لكنى أوثر هواك .

فقام الى قربة ماء ، فتوضأ فلم يكثر صب الماء ، ثم قام يصلى ، فبكى حتى سالت دموعه على صدره ، ثم ركع فبكى ، ثم سجد فبكى ، ثم رفع رأسه فبكى فلم يزل كذلك يبكى حتى جاء بلال فأذنه بالصلاة ، فقلت يا رسول الله ، ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : افلا اكون عبدا شكورا ؟ ولم لا أفعل ذلك وقد أنزل الله تعالى على : « ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » . وكان الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ يدعو ربه تعالى فيقول « رب اجعلنى لك شكارا لك ، ذكارا لك » .

والقرآن يحدثنا كذلك بأن الشكر صفة الأنبياء ، فهو اذن خلق من أخلاق النبوة ، يقول الله تعالى فى سورة النحل « ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين ، شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم . ويقول فى سوارة الاسراء : « ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا » . ويقول فى سورة النمل عن سليمان « قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر » . وقال عنه أيضا « فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب اوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه ، وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين » .

واذا كان أول من يشكر هو الله - جلّ جلاله - لأنه صاحب الفضل والنعمة والمنة ، ولا منعم فى الحقيقة سواه ، فان شكر الوالدين يأتى عقب ذلك ، ولعل هذا هو ما يشير اليه قوله تعالى « أن أشكر لى ولوالديك الى المصير » ، وهو أيضا المفهوم من قوله عز من قائل : « وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا » وشكرهما يكون بطاعتهما وتوقيرهما ، والاحسان فى الأعمال والأقوال اليهما وعدم ايذائهما ولو بأقل لفظ ، وخفض جناح الذل لهما تأدبا ، ورحمتهما وهما كبيران ، والدعاء لهما وصلة رحمهما ، وبر من يحبان أو يعاونان .. الخ .

ثم يأتى شكران الناس ، لأن القرآن الكريم يقول « هل جزاء الاحسان الا الاحسان »؟ ويقول أيضا : « واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها » .

ولقد عنيت السنة النبوية المطهرة بالحث على شكر الناس فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » لأن الذى لا يقدر صنيع الناس الجميل معه ، ولا يشكرهم عليه يكون مقصرا فى حق الله عز وجل ،

وقد جاء فى « النهاية » أن الله تعالى لا يقبل شكر الانسان على احسانه اليه اذا كان العبد لا يشكر احسان الناس، ويكفر معروفهم ، لاتصال أحد الأمرين بالآخر . وقيل ان معنى الحديث هو ان من كان من طبعه وعادته كفران نعمة الناس وترك الشكر لهم ، كان من عادته كفر نعمة الله تعالى ، وترك الشكر له . وقيل : معناه أن من لا يشكر الناس كان كمن لا يشكر الله وان شكره ، كما يقول : لا يحبنى من لا يحبك ، أى ان محبتك مقرونة بمحبتى ، فمن أحبنى يحبك ، ومن لم يحبك فكأنه لم يحبنى .

وفى رواية : « من لا يشكر الناس » . وقد أرشد الرسول - صلى الله عليه وسلم - الى طريق الشكر للناس بقوله : « من أعطى عطاء فوجد فليجز به ، ومن لم يجد فليثن ، فان من أثنى فقد شكر ، ومن كتم فقد كفر » . ويقول - صلى الله عليه وسلم - : « من صنع اليكم معروفا فكافئوه فان لم تجدوا ما تكافئون به فادعوا له ، حتى تروا انكم قد كافأتموه .

وعن أنس - رضى الله عنه - قال : لما قدم النبى - صلى الله عليه وسلم - المدينة أتاه المهاجرون فقالوا يا رسول الله ، ما رأينا قوما أبذل من كثير ، ولا أحسن مواساة من قليل ، من قوم نزلنا بين أظهرهم - يعنون الأنصار - لقد كفونا المئونة ، وأشركونا فى المهنأ - محل الهناء والسرور - حتى لقد خفنا أن يذهبوا بالأجر كله ، فقال النبى - صلى الله عليه وسلم - : « لا ، ما دعوتم لهم وأثنيتم عليهم » .

وكذلك جاء فى الحديث : « من صنع اليه معروف فقال لفاعله : جزاك الله خيرا ، فقد أبلغ الثناء » . وهذا بالنسبة للعاجز غير القادر على الشكر المادى ، وجملة « جزاك الله خيرا » فيها ثناء بليغ ، لأن فيها معنى الاعتراف بالعجز عن الشكر ، وقائلها قد دعا الله ورجاه بأن يثيب صاحب المعروف نيابة عنه ، والله واسع الفضل والعطاء ، فلو أخلص الانسان فى الدعاء لكان شكرا عظيما .

هذا وللصوفية أقوال كثيرة فى تصوير الشكر، فقال بعضهم : « الشكر هو مشاهدة المنة وحفظ الحرمة » . وقال ثان « الشكر معرفة العجز عن الشكر » . وقال ثالث « الشكر اضافة النعم الى موليها بنعت الاستكانة له » . وقال رابع « الشكر أن لا ترى نفسك أهلا للنعمة » . وقال خامس : (الشكر استفراغ الطاقة) . وقال سادس : « الشكر التلذذ بثنائه ، على ما لم تستوجب من عطائه » .

اللهم اجعلنا أهلا لنعمتك ، ووفقنا لواجب ذكرك وشكرك .

خدمتك للمجتمع عائدة..

مثل المجتمع البشرى مثل جسم الانسان ، افراده هم أعضاؤه ، وجماعاته هم أجزاؤه ، وكما أن كل عضو لا يمكن ان تقوم به الحياة ولا يستطيع ان يؤدى مهمته الا بصلته الوثيقة بالجسم الذى يضمه مع بقية الأعضاء فى وحدة متماسكة ، وكما ان اجزاء الجسم كلها متعاونة مترابطة تتوقف حياة بعضها على حياة البعض الآخر كالدورة الدموية والجهاز العصبى والجهاز الليمفاوى وغيرها من الأجهزة ، كذلك الفرد فى المجتمع لا يستطيع ان يحيا ويزاول نشاطه بعيدا عن المجتمع الذى تتشابك فيه المصالح وتتبادل المنافع .

وكل خدمة يؤديها العضو للجسم هى فى الحقيقة خدمة له ، لأن الجسم أصل بقائه وسبب وجوده وأساس نموه وصلاحيته ، وكذلك الفرد اذا قدم خدمة للمجتمع فهو فى الحقيقة يقدم خدمة لنفسه ، ضرورة وجوده فى مجتمع لا يعيش بدونه .

ان الغنى اذا قدم معونة للفقير ، جنى ثمرة هذه المعونة أضعافا مضاعفة ، ولمس أثرها فى حياته ماديا وأدبيا ، وأصبح بذلك دنياه وآخرته على السواء ، ذلك انه كسب بأحسانه الى الفقير ثقته وحبه واحترامه وتقديره . وملك عليه بمعروفه قلبه ولسانه وجوارحه ، وأمن على نفسه وعرضه وماله فهو لا يفكر فى شر له ابدا ، ومدحه بلسانه فى كل مجلس وفى كل حال ، ويتقدم لمساعدته بما يقدر عليه مكافأة له على جميله ، والى جانب هذه الثمرة الدنيوية ، يحظى الغنى برضا ربه ودرجاته العالية التى اعدها للمنفقين المتصدقين ، وصدق الشاعر اذ يقول :

احسن الى الناس تستعبد قلوبهم
فطالما استعبد الانسان احسان

ورب العمل اذا نفح العامل نفحة او قدم له مكافأة ، انشرح صدره واقبل على العمل بايمان واخلاص ، وجد ونشاط ، شكرا على هذا المعروف، وانتظارا لتقدير أعلى وعطاء أجزل ، وفى ذلك اتقان للعمل وبالتالى وفرة للانتاج وزيادة فى الأرباح ، وهذا اعظم ما يتمناه صاحب العمل ، وقد تحقق له بأحسانه الذى خدم به نفسه فى الحقيقة ، فوق ما خدم به عامله .

وأمثال هذه النتائج تتحقق فى كل خدمة يؤديها الفرد لمجتمعه ، فى القطاع الصناعى او الزراعى او

... إليك

فضيلة الشيخ عبد الله المشد

التجارى أو الثقافى أو السياسى أو الحربى ، وفى كل القطاعات . فان هذه الخدمات المتنوعة تتضامن فى النهوض بالمجتمع وتوفير اسباب الخير له ،وفى ظل هذا المجتمع السعيد يعيش الفرد آمنا مطمئنا هادئا مستقرا ، ينعم بالخير الذى وضع سببه ، وبالثمرة الطيبة التى غرس شجرتها .

ولو فهم الناس هذه الحقيقة ـ لاندفعوا الى عمل الخير وخدمة المجتمع بوازع من عقولهم وضمائرهم ، وبغير حاجة الى قوة تسوقهم أو سلطة تقهرهم ، ولكن نوازع النفس وسلطان الشهوة تعمى الانسان عن هذه الحقيقة ، وتسول له ان خدمة الغير خسارة لأنها بذل بلا عوض ، وجهد ليس له مقابل ، وتحبب اليه السلبية والانعزالية ،وتغريه بالأثرة والأنانية ، ومن أجل هذا جاءت الرسالات متتابعة لتلفت انظار الناس الى هذه الحقيقة ، وتبين **لهم ان صلة الفرد بالمجتمع ، وتفصح لهم عن قيمة الخير الذى يعود عليهم من وراء البذل والتضحيات والخدمات الاجتماعية ، وعمق الدين الأسلامى هذا المعنى فى نفوس المؤمنين ، وتضافرت النصوص على تاكيده ، وجاءت تطبيقاته على يد السلف الصالح شاهد صدق على قوة أثره وعظيم فائدته**

ان خدمة الانسان لغيره فى اية صورة من الصور خدمة للانسان نفسه ، وكما قال بعض الفلاسفة المتأخرين ، أن الانسان يعيش فى دنياه أنانيا تطغى عليه الأثرة وحب الذات حتى فى تقديم المساعدة للفقير ، انها فى واقع أمرها أنانية لأن الغنى حين يرى الفقير متألما تتألم نفسه لمنظره فهو يسعى لأبعاد هذا الالم عن نفسه بابعاده عن الفقير عن طريق العون والمساعدة ، فتكون النتيجة انه خدم نفسه وأراح ضميره وابعد الأذى عن طريقه .

ان خدمة الانسان لغيره شكر لله على نعمته ، على الأقل انه لم يجعله محتاجا لمثل ما احتاج غيره اليه ، والله سبحانه يقول فى جزاء ذلك **((لئن شكرتم لأزيدنكم))** فتقديم الخدمة يزيد فى خير الانسان بنص هذه الآية ، ويقول « ومن شكر فانما يشكر لنفسه » واقل ما يعود على الشاكر من خير بشكره النعمة ان الله يحفظها عليه ويقيه الم الحسرة والأسى على زوالها ، ويقول **(وما انفقتم من شىء فهو يخلفه)** وهذا وعد من الله يبين ان

الخير الذى يخرج من الانسان لغيره لاينقص رصيده بل يعوضه الله بدله ، وان لم يكن هذا العوض حسيا كان معنويا فى حفظه ونمائه وبركته ، أو كان فى صورة خدمات وانعامات تأتيه من الله لو لم تكن لأنفق عليها مالا كثيرا ، وذلك كالمعافاة من الأمراض، وتوفيق الأولاد فى المدارس والأعمال وهكذا .

والنبى صلى الله عليه وسلم يبين لنا بعض صور الجزاء الدنيوى الذى يناله المحسن على احسانه فيقول « **ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة . والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه** » رواه مسلم عن أبى هريرة . ويقول فى حديث آخر « **من سره أن يبسط له فى رزقه وأن ينسأ له فى أثره فليصل رحمه** » رواه البخارى ومسلم عن انس . ويقول ايضا « **ما أكرم شاب شيخا لسنه الا قيض الله له من يكرمه عند سنه** » رواه الترمذى عن أنس . وندب الى مقابلة الأحسان بالأحسان فقال « **من اصطنع ، اليكم معروفا فجازوه ، فان عجزتم عن مجازاته فادعوا له حتى تعلموا أن قد شكرتم فان الله شاكر يحب الشاكرين** » رواه الطبرانى عن عبد الله بن عمرو ورواه أبو داود والنسائى وابن حبان فى صحيحه بلفظ آخر وقال صحيح على شرط مسلم . وهذه كلها ثمرات طيبة يجنيها الانسان على ماقدمه من خير للمجتمع ، وهى ثمرات تدعوه الى مداومة البذل ومضاعفة الخدمة . أما الجزاء الأخروى فمقرر معروف انه لصاحبه لا يشركه فيه غيره ، ولا يظلم منه مثقال ذرة ، تحقيقا لقوله تعالى « **وان ليس للانسان الا ما سعى . وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى** » ولقوله « **من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد** » وقوله « **ان أحسنتم احسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها** » . وهو جزاء مضاعف كما يقول سبحانه . « **من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها** » والنبى صلى الله عليه وسلم يقول « **ان الله يقبل الصدقة بيمينه فيربيها لأحدكم كما يربى أحدكم فلوه – أى مهره – حتى تكون مثل الجبل** . قال تعالى « **مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم** » . ان هذه الخيرات التى يقدمها الأنسان لغيره هى فى واقع أمرها معاملة بين العبد وربه ، بيع يقدمه له ويأخذ مقابلا له شيئا عظيما ، قال تعالى « **من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة** » **وقال** « **ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والأنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم** » .

ان الأسلام يسمو بالرابطة الاجتماعية فيجعل كل فرد أخا للآخر ، بل يجعله نفسه فى كثير من التعبيرات ، اشعارا له بأن واجب الأخوة يقتضيه الغيريه والتعاون والمشاركة فى السراء والضراء . وشعور الوحدة النفسية يغريه بخدمة نفسه عن طريق خدمة أخيه . ألم ينه الله عن التعرض بالسوء للمال الذى يملكه الغير لأنه مال الأنسان نفسه ، اذ هو لخدمة الجميع ، من هو فى حيازته ومن هو منتظر له ، وأمر الله بالمحافظة على حياة الآخرين لأنها محافظة على حياة الأنسان نفسه ، اقرا قوله تعالى (**يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا انفسكم** » ونهى الانسان ان يعيب غيره فذلك عيب لنفسه قال تعالى « **ولا تلمزوا أنفسكم** »

واذا كانت خدمة الغير هى خدمة للنفس يلمس الأنسان أثرها بطريق مباشر أو غير مباشر فى حياته الدنيا فلا ينبغى ان نغفل عن ذلك الخير الكثير الذى يجنيه الانسان من وراء نشاطه الاجتماعى وهو الجزاء الأخروى الذى يحرص عليه كل مسلم يؤثر مايبقى على مايفنى . قال تعالى (**ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا** » . فليبذل كل انسان ما استطاع من خير للمجتمع فهو عائد عليه ، والشاعر الحكيم يقول :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه
لا يذهب العرف بين الله والناس

القرآن .. حياة وعصمة

الأسرة الكبيرة

فضيلة الشيخ عبد الحميد بلبع

الأسرة الكبيرة وهى - كما مر - الجماعة التى تربط بين أفرادها رابطة قوية - غير القرابة والمصاهرة ، وهى رابطة الدين - فهى رابطة روحية وليست رابطة قرابة فجماعة المسلمين عامة

كلهم أسرة واحدة يحيط بها اطار واحد ويجمعها لقب واحد ، وسلوكهم سلوك واحد ، وغايتهم غاية واحدة وأفراد المسلمين هم لبنات هذه الأسرة وكل مسلم عضو فيها عليه لها واجبات يقوم بأدائها نحوها وله عليها حقوق يطالبها بها .

ولقد عنيت الشريعة الاسلامية بهذه وتلك نعم عنيت بالواجبات وحثت عليها فى مواطن كثيرة على أدائها لأصحابها .. وانما تقصد الشريعة الاسلامية بهذه الواجبات وهذه الحقوق التى وضعتها لتنظيم هذه الأسرة الكبرى تقصد ربط المسلمين بعضهم ببعض ، وبعث روح الود والمحبة بين الأفراد والجماعة فيهم - وهذه بدورها تقوم باحياء الشعور الدافع للقيام بمستلزمات الأخوة التى أوجدتها الروابط الأسرية وأكدتها الشريعة الاسلامية من التعاطف والتراحم تحقيقا لقول الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - « مثل من الكتاب والسنة ، كما عنيت بالحقوق وحثت المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » وقوله « المؤمنون اخوة تتكافأ دماؤهم يسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » ، وقد قرر الله سبحانه ذلك فى كتابه الكريم اذ يقول فى وصف أتباع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

« محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم » .

ومتى أحست نفوسهم بهذا التراحم والتعاطف ونمت فيهم بواعث الود والمحبة والألفة اندفعوا من فورهم اندفاعا لا شعوريا للحفاظ على هذا الأخ الأسرى يعاونونه ويؤازرونه ماديا وأدبيا دعما لهذه الاخوة **« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » .**

وارتفاعا بمستوى الأسرة الكبرى حتى تكون مثلا أعلى للجماعات الانسانية الراقية المهذبة فى دخائلها ومظاهرها ، فى تعاملها وتفاهمها وسلوكها ولا تزال هكذا مرموقة مرهوبة حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

ما وضعته الشريعة الاسلامية من المبادىء لتنظيم هذه الأسرة

قلت سابقا ان الشريعة الاسلامية وضعت مبادىء واحكاما تدعم الروابط الأسرية وتضع العضو من هذه الأسرة فى مكان ملحوظ فى نفس أخيه العضو فى الأسرة أيضا بحيث يحس احساسه ويشعر شعوره ؛ وتأخذ فيه العاطفة الأخوية فيذكره دائما ويتحسس أحواله دائما فان وجد خيرا حمد الله له وان وجد غير ذلك سارع لاغاثته والنهوض به ماديا وأدبيا ، فلا يألو جهدا فى توفير الخير له ، ولا يدخر وسعا فى دفع الشر عنه ، فما هى هذه المبادىء . نعم هى كثيرة وكثيرة وهى نوعان مادى ويكون بالمال ، وأدبى ويكون بالجاه والنفوذ وقوة الجسم وغير ذلك مما سيأتى بيانه ان شاء الله ، وهاك شيئا منها :

١ - التكافل الاجتماعى المالى :

وقد عنيت الشريعة بهذا النوع عناية تحمل المؤمن الواعى المتفهم لروح التشريع - على أن ينسى فى هذا الميدان نفسه ويذكر أخاه بل ويؤثره على نفسه - عنيت الشريعة بهذا النوع فدعت اليه وأشادت به ورغبت فيه ووعدت على القيام به أجرا وعوضا يحمل النفس على بذل المال فى هذا السبيل فى سماحة وسخاء ويجعلها كذلك تستهين بالمال بل وتسترخصه فى هذا الميدان وهى الحبيبة للمال ، الحريصة على جمعه ؛ الضنينة بانفاقه ، تبذل عن رضا ثمنا لأمرين هامين أعز من المال ..

وأجدى فائدة وأكثر نفعا على الفرد والمجموع من المال ..

أحدهما طواعية العبد لربه واستجابته لتنفيذ أمره راجيا ان يرضى الله عنه فيقبل منه عمله .. وحدث عن هذا القبول وما ينبثق منه من ألوان الخير والمنح الألهية التى لا يعلم مداها الا علام الغيوب .

ثانيهما حفظ كيان الوحدة العامة فى اطار هذه الأسرة .. وهذه أيضا لها ما أعد لها من أجر ورفع شأن فى الدنيا والآخرة .

واليك أيها القارىء الكريم صورا من الدعوة التى وجهتها الشريعة الاسلامية لأفراد المسلمين يتكافلون ويتعاونون على أساسها .. قال تعالى : **« مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .**

وقال « ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير » .

وقال « وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون » وقال « وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه وهو خير الرازقين » وقال « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » .

وقال الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - فيما يرويه مسلم عن ثوبان :

« أفضل دينار ينفقه الرجل : درهم ينفقه على عياله ودرهم ينفقه على دابته فى سبيل الله ودرهم ينفقه على أصحابه فى سبيل الله » .

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : **« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تصدق**

بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب ، فان الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل »

متفق عليه • الفلو بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو ـ صفير الخيل •

ولينفق مايستطيعه ولو شيئا قليلا فان الاسلام لا يحقر من الاحسان شيئا ، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « اتق النار ولو بشق تمرة » متفق عليه • وغير ذلك كثير يطول سرده ومما تقدم نعلم أن دعوة الشريعة للانفاق مقرونة بما وعد الله به المنفقين اشادة بهم وتشجيعا لهم، وحفزا لغيرهم ، وكما وعدت المنفقين بالخلف والنعيم المقيم ؛ توعدت البخلاء بالانفاق بتلف ما بخلوا به فى الدنيا وبالعذاب الأليم فى الآخرة، **قال تعالى : « وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى وما يغنى عنه ماله اذا تردى » ••**

وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : **« ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم اعط منفقا خلفا ، ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلفا »** متفق عليه •• وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أنه سمع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول (مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثديهما الى تراقيهما ، فأما المنفق فلا ينفق الا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفى بنانه ويعفو أثره وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئا الا لزقت كل حلقة مكانها ، فهو يوسعها فلا تتسع » •• متفق عليه ، والجبة الدرع ، وقال شارح الحديث معناه أن المنفق كلما أنفق سبغت جبته عليه وطالت حتى تجرى وراءه وتخفى رجليه وأثر مشيه وخطواته •

وعلى المنفق أن يفهم أنه ليس متفضلا على الفقير بما ينفقه عليه ، بل هو حق عنده للفقير يؤديه اليه فى كرامة وعزة لا فى منة وذلة حتى لا يجمع للفقير ألم الفقر ومذلة الامتنان ، سيما وأن المن بالصدقة يبطلها ويقلبها سيئة بعد أن كانت حسنة ومثل المن بها اعطاؤها رياء وسمعة ، كما قال تعالى :

« يأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس » •

والله يحب من العبد أن يخفى صدقته ، لا يعلن بها حتى تكون بعيدة عن رغبة النفس فى حب الثناء والمدح عليه وحتى تكون أقرب الى الله ـ عز وجل ـ مخلصة ابتغاء مرضاته وثوابه ، كما قال : **« ان تبدوا الصدقات فنعما هى ، وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير » •**

وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى حديث سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله ، عد من السبعة « رجل تصدق بصدقة أخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفقه يمينه » •

وعلى المنفق أن يفهم أيضا أن المال لدى الأغنياء ليس ملكا لهم ، وانما هو مال الله وضعه تحت أيديهم ابتلاء لهم لبيان مبلغ ايمانهم بالله ومدى يقينهم بما وعد الله « ونبلوكم بالشر والخير فتنة » ومن الخير المال ، ومن الشر الفقر كلاهما ابتلاء واختبار لصاحبه ، فالأغنياء أمناء على ما تحت أيديهم من المال يصرفونه فى وجوه البر التى أرشد اليها صاحب المال ، قال تعالى **(وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) •**

فان أحسنوا التصرف فى المال أبقاه تحت أيديهم وبارك لهم فيه ، وان أساءوا التصرف سلبه منهم وعاقبهم عليه •

هذا وللتكافل الاجتماعى المالى جوانب عديدة فى حياة العضو فى الأسرة الكبيرة ، رسمها الاسلام للاقارب فى صورة نفقات ، ورسمها للفقراء فى صورة زكوات وكفارات ، وأنواع الكفارات كثيرة ككفارة اليمين ، ككفارة الظهار ، كفارة الصوم وغير ذلك والله تعالى ولى التوفيق ، والهادى لأقوم طريق •

بنو إسرائيل في ميزان القرآن

مع محمد عليه السلام

الأستاذ البهى الخولى

المعروف أن بنى اسرائيل هم أبناء يعقوب - عليه السلام - ابن اسحاق بن ابراهيم - عليهما السلام ، ومن المعروف - أيضا - أن ابراهيم حين هاجر من مدينة الكلدانيين بعد أن نجاه الله من النار التى ألقاه فيها عدوه ، نزل بشرق أرض كنعان - فلسطين - ورزق بولديه اسماعيل واسحاق ، وتوفى بتلك الديار تاركا ولده اسماعيل ببلاد الحجاز ، وولده اسحاق بأرض كنعان نفسها ٠٠ ورزق اسحاق بابنه يعقوب الذى أعقب من الذكور اثنى عشر ولدا منهم يوسف - عليه السلام - وهؤلاء جميعا وذرياتهم ٠٠ هم المعروفون ببنى اسرائيل ٠٠

فبنو اسرائيل - اذن - ولدوا ونشأوا بأرض كنعان ، فما صلتهم بأرض الحجاز ، أو ماذا جاء بهم الى تلك الأرض ليكون لهم مع النبى العربى محمد - صلى الله عليه وسلم - ذلك الدور الذى سجله القرآن ووزنه بميزانه العادل الدقيق ، وفصله التاريخ على النحو الذى نعرفه فى كتب السيرة ٠٠

ونشير فى الاجابة عن ذلك الى خلاصة ماقدمناه فى كلمات سابقة ٠٠ فان عشرة من هؤلاء الأبناء - أبناء يعقوب - تآمروا على أخيهم يوسف ، تآمرهم المعروف الذى كانت نتيجته أن بيع رقيقا فى مصر ، وتطورت به الأحداث الى أن تولى فيها منصبا لمتصرف فى خزائنها ومحاصيلها بعد أن دخل عليه أولئك العشرة قادمين من بلادهم ليشتروا من محاصيل مايردون به ضر مجاعة أصابت بلاد الشرق الأوسط ٠٠ وتستمر القصة فى تفاصيل يعرفهم فيها ويعرفونه ، ويطلب اليهم ان يأتوه بأبيهم وبأهلهم أجمعين ٠٠ وتحول الجميع من أرض كنعان الى مصر ، فكانت مقاما لهم حتى مات أبوهم ، ومات يوسف بعده ٠٠ وظلوا بها الى أن ظهر فيهم موسى - عليه السلام - فنجا بهم من عذاب فرعون الى برية سيناء ٠٠ وبعد موسى عبر بهم يوشع نهر الاردن الى أرض كنعان حيث نشأ آباؤهم الأولون ٠٠ ويجدون فى التوراة أنهم سيفسدون فى الأرض مرتين ، وسيثبتون فى كل مرة عدم أهليتهم لأمانة الحياة التى وكل الى الانسان عمارة الأرض بها ٠٠ فلما أفسدوا الأولى بعث الله عليهم البابليين ، فدمروا بلادهم ، وخربوا

هيكلهم المقدس ، وساقوا من بقى منهم أحياء رجالا ونساء وأطفالا ، عشرات ألوف سبيا ذليلا الى بابل، وقضوا فى محنة هذا التغرب والأسر سبعين عاما أذن الله بعدها أن يعودوا الى الأرض المقدسة ، ولكنهم عادوا ليثبتوا مرة أخرى أن ديدنهم الافساد المتمرد على ما سن الله للحياة من سنن ، فأرسل الله عليهم تيطس الرومانى ، فخرب مدينتهم ودمر هيكلهم ، وقتل منهم مقتلة كبيرة، وتفرق سائرهم فى قارات الأرض الثلاث ، ولم يبق منهم أحد بفلسطين ، ولم تقم لهم بعدها قائمة .. ويقول الله تعالى فى ذلك :

« وقطعناهم فى الأرض أمما .. » . قال الامام البيضاوى « أى وفرقناهم فيها بحيث لا يخلو قطر منهم تتمة لادبارهم حتى لا يكون لهم شوكة قط .. » .

ومن هؤلاء الذين تفرقوا فى الأرض أمما ، فرقة نزلت بأرض الحجاز ، ولا سيما مدينة يثرب وما وليها شمالا الى خيبر .. وفى هذا يقول الدكتور اسرائيل ولفنسون فى كتابه : اليهود فى بلاد العرب « بعد حرب اليهود والرومان سنة سبعين بعد الميلاد ، التى انتهت بخراب بلاد فلسطين ، ودمار هيكل بيت المقدس ، وتشتيت اليهود فى أصقاع العالم قصدت جموع منهم الى بلاد العرب » .. الى أن يقول « وظهرت مدن وقرى جديدة ، وآطام وحصون على رءوس الجبال ، وانتشرت الحركة الزراعية فى الأراضى التى كانت منذ الوف السنين قاحلة ماحلة ،لأن اليهود كانوا يشتغلون بالزراعة قبل كل شىء » .. الى أن يقول « وكانت هناك قرى كثيرة فى أرض خيبر الواقعة شمال يثرب آهلة بأكثرية مطلقة من اليهود ، ثم هناك وادى القرى المشهور بأرضه الخصبة وحدائقه الزاهرة ، كان أيضا من المستعمرات اليهودية ،ووجد اليهود أيضا بكثرة فى أرض تيماء .. ومن هذا وضح ان جموع اليهود كانت منتشرة فى أرض الحجاز » .

ويهمنا من هذه القرى والأودية والمدن التى ذكرها ولفنسون مدينة يثرب ، لأن عامة يهودها هم الذين لقيهم الرسول - عليه الصلاة والسلام - حين هاجر اليها وهم الذين اتخذوا معه المواقف التى سجلها التاريخ ، وأجملها القرآن الكريم .. وقد تعرض السمهودى - فى كتابه وفاء الوفا - لذكر كثير من قبائل اليهود التى نزلت يثرب فسكنتها ، منها بنو النضير ، وبنو قريظة ، وبنو قينقاع ، وذكر أماكن كل منهم ، وما كان لهم فيها من حصون وبساتين وزروع .. وقال : ان الأوس والخزرج طرأوا على المدينة - أى يثرب - واليهود فيها هم أرباب الحصون ، والجاه والثروة ، ولكنهم استطاعوا بشجاعة وحذق - فيما بعد - أن ينتزعوا زمام الأمور من أيدى اليهود ، وان يكونوا أصحاب الرأى فى مصير المدينة .

وقبل أن نعرض لدور اليهود مع الرسول - عليه الصلاة والسلام - نعرض لدعوى يزعم اربابها - حسدا من عند أنفسهم - **أن اليهود حين نزلوا الجزيرة العربية فرارا من الرومان ، ارادوا ان يتقربوا الى العرب ، ويمكنوا لأنفسهم بينهم ، فاخترعوا لهم من الخيال وجود ابراهيم واسماعيل ببلاد العرب ، وانهم واياهم ابناء عمومة ، العرب ابناء اسماعيل بن ابراهيم ، واليهود ابناء اسحاق ابن ابراهيم ، ودخل على العرب ذلك الاختراع وصدقوا أنهم ابناء اسماعيل .**

ويريد أصحاب هذه الدعوى أن يبطلوا هجرة ابراهيم بولده اسماعيل الى مكة ، وأن مايروى من أنباء هذه الهجره ، وما ترتب عليها من تزوج اسماعيل من قبيلة جرهم ، وما صار له من نسل عظيم استفاضت شعوبه من مكة الى أنحاء الجزيرة العربية - كل ذلك لا أصل له الا أن اليهود اخترعوه تأمينا لأنفسهم فى موطنهم الجديد » ، ويرمون من وراء ذلك أن محمدا - صلى الله عليه وسلم - جاز عليه ذلك الافتراء كما جاز على الذين صدقوه من قبل بمئات السنين فأقحمه فى قرآنه .. واذن ، فالقرآن ليس كتابا سماويا ، بل هو من عند محمد بدليل اثباته هذه الدعوى المخترعة فيه .

وأصحاب هذا الافتراء لم يقدموا له دليلا واحدا ، لانقشا ، ولا نصا يهوديا ولا عربيا ، ولا نصا تاريخيا من أى بيئة ، بل لم يقدموا قرينة واحدة تثبت ولو من بعيد ما يدعونه ..

ونريد أن نفترض صدق ذلك الزعم لنناقشه ونرى هل يثبت على المناقشة والتمحيص أو لا يثبت ؟.. نريد أن نفترض العرب قد صدقوا هذا

الزعم ، وان اباهم اسماعيل كان نبيا له دينه وشعائره ، وأن تأثير اليهود فيهم كان قويا بالغا ، فانبعثوا لتخليد ذكرى هذا الأب المجيد ، فأقاموا له بيتا بمكة ـ هو الكعبة ـ يكون اليه حجهم ، ويجعلونه مثابة للناس وأمنا ، ومما لا شك فيه أن الدعاية التى تبلغ هذا التأثير لا تتم فى يوم وليلة، فان اقناع العرب بدين جديد يقتضى بناء بيت للرب ، والبيت يقتضى حجا تعظيما للرب ويقتضى من أجل ذلك أن يكون حرما آمنا ، وأن ينخلع العرب فى حرم هذا البيت من دأبهم فى الثأر وسفك الدم لأقل شىء .. أقول ان اقناع العرب بذلك كله لايتم فى يوم وليلة ، بل لابد له من أمد لا يمكن أن يقل عن ثلاثين عاما فى نظر أكثر المتفائلين .. فاذا كان اليهود قد نزلوا ببلاد العرب سنة سبعين بعد الميلاد فالكعبة على هذا بنيت بعد ذلك بثلاثين سنة على الأقل ، أى بنيت سنة مائة بعد الميلاد .. وفى مناقشة ذلك نسأل :

✻ اذا كان ذلك كله صحيحا ، فلماذا لم يبن اليهود لأنفسهم بيتا يعظمه عامتهم كالذى حثوا العرب على بنائه ، ولا سيما أن مثل ذلك البيت يكون عزاء لهم عن البيت الذى دمره لهم تيطس الرومانى ؟.. واذا لم يستطيعوا البناء فهل شاركوا العرب فى تعظيم بيتهم والحج اليه وهم الذين أقنعوهم بشرعية هذا ؟ .. ان العرب بناء على هذا الافتراض لا عهد لهم ببيت ، ولا بحج ، ولا بتقاليد أمن وسلم فى الحرم ، ولا بد لتعليمهم ذلك وترسيخ فرية النسب فى نفوسهم أن يقودهم اليهود اليه .. فهل يجرؤ قائل أن يزعم أن ذلك حدث ؟ .. وهل يجرؤ قائل أن يقول ان اليهود هم الذين سنوا للعرب تقاليد السلم والأمن فى الحرم حتى ليلقى الرجل فى هذا الحرم قاتل ابنه أو قاتل أخيه ، فلا يلهجه بنظرة سوء ، فاذا لقيه خارج الحرم لا يصبر عنه طرفة عين ؟..

ان كل انسان يدرك أن تاريخ اليهود انما قام على الحقد وسفك الدم ، وهم قتلة الأنبياء ، وهم الذين كانت أولى تجاربهم فى الحياة أن قالوا فى أخيهم « اقتلوا يوسف » ، فهل يعقل أن يسن هؤلاء للعرب تلك التقاليد الرائعة فى السلم ، والمعروف أن فاقد الشىء لا يعطيه ..

ذلك الى أن قبائل العرب قاطبة كانت تحج هذا البيت ، وكذلك كان يفعل عامة ملوكهم فى الجنوب والشمال ، فهل بلغ من نفوذ فئة طارئة من اليهود فزعة أن يعم كل قبائلهم لاتشذ عنه قبيلة ؟ واذا افترضنا السذاجة فى قبائل البدو ، فهل نفترضها فى ملوك الجنوب والشمال وقد كان لهم من الحضارة ما لهم ؟..

✻ وثمة اعتبار آخر ، اذ يقول الدكتور ولفنسون العالم اليهودى فى كتابه الذى أسلفنا ذكره : « اننا نجد المصادر الاسرائيلية خالية من ذكر شىء عن اليهود بين بلاد العرب ، وساكتة عن التحدث عنهم سكوتا تاما ، كأن لم يكن هناك يهود ، وكأن لم تحدث لهم حوادث ، وكان هذا السكوت موضع العجب عند الباحثين ، اذ هم يعلمون أن الأمة **الاسرائيلية كانت كثيرة التدوين فى كل عصورها ، معروفة بجمع حوادثها واخبارها فى كل البلاد التى نزلت بها جموع منها »** .

الى أن يستنتج من ذلك : « أن اليهود فى بلاد العرب كانوا منقطعين تمام الانقطاع عن بقية أبناء جنسهم ، ولم تكن لهم بهم أية صلة » ..

فاذا كان يهود العرب لم يتركوا أثرا ما يدل على نجاحهم فى ذلك الذى أدخلوا على العرب على شدة احتفاء اليهود بتدوين أخبارهم .. واذا كان اليهود فى الانحاء الاخرى كانوا منقطعين عن أبناء جنسهم فى بلاد العرب، فلم يذكروا عنهم فى كتبهم شيئا من أخبارهم قليلا كان أو كثيرا ، فان معناه أن صاحب تلك الفرية لا يستند فيها الى أى أثر يهودى » .

وشأن المصادر العربية بعد ذلك أعجب ، فانها لم تسكت عن أخبار ابراهيم واسماعيل والبيت والحج ، بل تكلمت ولكن فى اتجاه آخر ليس فيه أشارة ما الى استحداث البيت ، ولا الى صلة لليهود بتاريخه والتوجيه الى حجه ومناسكه ، اذ تجمع كلها بلا استثناء على نسبة بنائه ابتداء الى ابراهيم واسماعيل ، وعلى هجرة ابراهيم بابنه الى وادى مكة ، وزواج الابن من احدى عقائل جرهم ، وتذكر فى تفصيل تاريخ البيت وسدانته، ومناسكه ، وتعظيمه مذ كان الى ظهور الاسلام ، لاتتخلله اشارة واحدة الى صلة لليهودية قريبة أو بعيدة .. ولقد كان مما يسر العرب ويساير

نزعة الفخر فيهم أنهم حين علموا بنسبتهم لاسماعيل قاموا – فى وفاء وتيمن – فأحيوا ذكراه بذلك البيت الخالد ، فما معنى خلو أشعارهم وأخبارهم من أى اشارة له مع اجماعها على الاتجاه الأول ؟..

ان العرب كانوا حريصين على حفظ أنسابهم عن ظهر قلب ، كما كانوا حريصين على تخليد مناقبهم وتوريثها أبناءهم لتكون مناط فخر لهم ومبعث همة واقتداء ، فكيف خلت دواوينهم فى الاخبار والأسفار من ذكر هذه المفخرة التى لا تساميها مفخرة فى تاريخهم ؟..

لقد كان مما يتسق مع تأثر العرب باليهود وزعامتهم الروحية التى بعثتهم على بناء البيت ، وسنت لهم ما سنت من شعائر الحج والسلم .. كان من مقتضى ذلك – لو انه صحيح – أن يتجه تسجيل الأخبار والمفاخر فى الاتجاه الذى يتفق ويتسق معه ، أما أن تتجه الى غيره دون اشارة واحدة الى ظل منه فيكون ذلك السكوت دليل اثباته فهذا ما لا يدور بذهن بدائى فضلا عن أن يكون عمدة فى الاثبات فى أوساط البحث العلمى ، وعلى أى حال فان صاحب هذه الفرية لا يستند لها الى أى أثر عربى .

✻ واذا عجز صاحب الفرية أن يسندها بأثر ما اسرائيلى ، أو عربى ، فهل استند لها بأثر أو آثار من مصادر أخرى مصرية – مثلا – أو فارسية ، أو عراقية أو هندية ؟

يقول الأستاذ العقاد فى كتابه « ابراهيم أبو الأنبياء » : « ان تبجيل العرب للكعبة أقدم من هذه الاسرائيليات ، وقد جاوز حدود جزيرة العرب الى الهند ومصر ، كما ذكر « برتون » فى رحلته الى الحجاز » . فهذا تقرير من رحالة قديم يثبت ارتباط العرب بتعظيم الكعبة تعظيما استفاضت أنباؤه حتى كان من المعالم المعروفة للعرب لدى مصر والهند .

ويقول العقاد عن الصابئين ، وهم أمة قديمة كانت تسكن جنوب العراق قبل ظهور الاسرائيليين فى التاريخ ، يقول : « المشهور عن الصابئة أنهم يوقرون الكعبة فى مكة ، ويعتقدون أنها من بناء ادريس – عليه السلام – قبل ابراهيم – وانها بيت الاله زحل ، أعلى الكواكب السيارة » فاذا صرفنا النظر عن الجانب الوثنى فى معتقد الصابئين بقيت لنا حقيقة تاريخية مسلمة هى ان الكعبة بمكة كانت بيت عبادة معظم لدى العرب ، ولدى غيرهم قبل ظهور الاسرائيليين .

وفى تاريخ يوسيفوس اليهودى يذكر أن اسحاق ختنه أبوه فى اليوم الثامن من ميلاده .. **وأن العرب يؤجلون الختان الى السنة الثالثة عشرة كما اختتن أبوهم اسماعيل** » .

ففى ذلك النص ارتباط للعرب بشعيرة من شعائر ابراهيم القديمة ، وتسليم من هذا اليهودى بأن اسماعيل أبو العرب .. واليهود لم يحلوا ببلاد العرب الا فى غضون سنة سبعين بعد الميلاد ، ولا يعقل أن يكون لهم فيهم سلطان دينى قاهر يسن لهم تقاليد الحج والسلم والختان – ان كان – قبل نهاية القرن الأول للميلاد على ما قدمنا .. ويوسيفوس كتب ماكتب قبل ذلك بيقين .. ويقول هذا اليهودى المؤرخ : ان اسماعيل ولد له اثنا عشر ولدا ، احدهم بنايوت ، وان هؤلاء استولوا على الأرض كلها من العراق الى البحر الأحمر وسموا باسم « النبطيين » وهم الذين سمى باسمهم جميع أمة العرب وقبائلها اكراما لشأنهم ولشهرة ابراهيم » .

فهذا اقرار من هذا المؤرخ الاسرائيلى بأن العرب الذين كانو يسكنون ما بين العراق والبحر الأحمر هم أبناء اسماعيل – عليه السلام – وانهم فى عصور ما بعد الميلاد لم يكونوا بحاجة الى من يزور أو يختلق لهم تلك النسبة لاسماعيل ..

ويقول الأستاذ العقاد : « ان العرب كانوا يذكرون فى عبادتهم : الابل ، والاله ، والله . وكان اليهود يعبدون الابل كما يعبده العرب ، ومن ذلك تسمية اسماعيل واسرائيل » ولا يورد العقاد سندا بذلك من أشعار العرب واخبارهم بل يورده من أخبار رجل لا يمكن أن يدعى عليه التحيز لقضية من قضايا الأجناس والمعتقدات هو « هيرودوت » أبو التاريخ الذى عاش فى القرن الخامس قبل الميلاد ، أى قبل فرار اليهود الى بلاد العرب بأكثر من ستمائة عام ، قال هيرودوت انه زار بلاد العرب الشمالية عند مدخل مصر – أى المكان الذى كان يسكنه بنو اسماعيل على ماذكر يوسيفوس – فروى عنهم أنهم كانوا يعبدون الله ، واللات أو ابلايلات منذ قرون سابقة للقرن الخامس قبل الميلاد واللات أو أيليلات هو اسم « الابل » مع ملاحظة

التغيير الذى يطرأ على اللغة بتعاقب الزمن واختلاف البيئات ٠٠ فوحدة اسم الاله المعبود بين العرب الأقدمين وبين اليهـود ، دليل ناهض لا يدحض على ارتفاع كلا الدينين الى ابراهيم مؤسس عقيدة التوحيد فى الأرض ٠٠ فالعرب هم ابناؤه الروحيون كما هم ابناؤه فى النسب بطريق أبيهم اسماعيل – عليه السلام – ٠

ومما يذيعه المفترون أن محمدا تودد الى اليهود أول مقدمه الى المدينة طمعا فى اسلامهم ، وساق لهم فى القرآن من أجل ذلك نعوت الثناء والتعظيم ، فلما أبوا وتعالوا غير أسلوبه معهم وساق لهم فى كتابه ألفاظ السباب والتحقير : « يريدون بذلك أن القرآن كان تحت ارادته ، فاذا رضى سجل فيه عبارات الثناء ، واذا غضب ضمنه ما شاء مما يرضى مشاعره ٠٠ فالقرآن على هذا – أى فى قصد تلك الفرية – هو من عند محمد لا من عند الله ٠٠

وكان من الممكن ان ندفع ذلك بمناقشة القرآن المدنى نفسه بتحليل مقامات الثناء ومقامات الذم ، ومقتضى كل مقـام ، ولكن لعل أقرب الأدلة الى الافحام أن نسوق عبارات الثناء وعبارات الذم من القرآن المكى ، أى قبل أن تكون لمحمد معهم مواقف تستدعى الثناء والذم ٠٠ ولعلنا لابطال هـذا الكذب فى غنى عن أن نسوق عبارات الثناء ، فان عبارات التنديد بخلائقهم وهو ما يزال فى مكة لم يحدث بينهم وبينه أى لقاء لها وزنها فى ترجيح دعوى المدعين ، أو ابطالها ٠٠ ولدينا سـورة الأعراف ، وهى مكية باجماع ٠٠ فلننظـر بعض ما تقول فيهم :

١ – لقد عبدوا العجل أيام موسى فكان وزن ذلك عند الله قوله فى سورة الأعراف :

« ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيـا ، وكذلك نجزى المفترين » ٠

٢ – وأوصاهم فى أحد المواقف وصايا معينة ، أى مواقفهم السابقة قبل الاسلام فلم يعملوا بها ، فكان تقويم الله لذلك فى سورة الأعراف قـوله : **« واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية ، وكلوا منهـا حيث شئتم ، وقولوا حطة ، وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين ، فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون » ٠**

٣ – وشرع لهم موسى – عليه السلام – تعظيم السبت لا يعملون فيه شيئا من عمل الدنيا فاعتدوا فى ذلك ، وكان من اعتداءاتهم أن قرية منهم على البحر لم تصبر على رؤية الحيتـان يوم السبت فاحتالت لاصطيادهم ، فقرر الله ذلك فى سورة الأعراف ، وغضبه عليهم ، ومسخه اياهم بسببه بقـوله :

« واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر، اذ يعدون فى السبت ، اذ تأتيهم حيتانهـم يوم سبتهم شرعا ، ويوم لايسبتون لا تأتيهم ، كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون » « فلمـا عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين » ٠

٤ – واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ، ان ربك لسريع العقاب، وانه لغفور رحيم » ٠

تلك بعض آيات القرآن التى نزلت فيهم بمكة ، فلو أن محمدا كان يقول فى القرآن بهواه على حسب المواقف – حاشاه عليه الصلاة والسلام – لما كان لذلك التنديد بهم وبخلائقهم مسوغ قبل أن يلقاهم ٠٠ واذن ، ففريتهم التى افتروها تنهار من أساسها امام الشواهد البينة التى أوردنا من سـورة الأعراف ٠

تلك مزاعم يرددها ذوو الأغراض الفاسدة ٠٠ أردنا ان نناقشها استبراء للمقام من كل شبهـة قبل أن نعرض لتحليل دورهم الشائن مع الرسول – عليه الصلاة والسلام – ولعل مما نمهد به الذهن لادراك ذلك الدور ، أنهم كانوا هم العقبـة الكأداء فى سبيل الدعوة ، بل العناصر الايجابية الحاضرة فى التأليب عليها ومناوأتها ٠٠ فان لهم شانهـم الواضح فى تكذيبه ، ودسائسهـم فى تشكيك أتباعه والتفريق بينهم ٠٠ وكانت لهم صلتهـم بمشركى مكة لاثارتهم وتحريضهم على قتاله ٠٠ وهم الذين تولوا تغذية النفاق والمنافقين بوقود الحقد والغيرة والتربص سنين عديدة ٠٠ فلما استؤصل شرهم من المدينة كفت قريش عن مناوأته – صلى الله عليه وسلم – ومالت الى مهادنته فى عـام الحديبية ، وانفصم النفاق بزوال سنده ومدده ، فما أن سلمت له خيبر آخر حصونهم حتى كان نصر الله والفتح ٠٠ أما تقويم الدور بميزان الله وتفصيله فموعدنا العدد القادم ان شاء الله ٠

بعض المبادئ الإيجابية في التصوف الإسلامي

الدكتور
أبو الوفا الغنيمي التفتازاني

١ – يلاحظ المتأمل لاحكام الاسلام على اختلافها انها مردودة الى اساس اخلاقى ، سواء فى ذلك الاحكام الاعتقادية أو الاحكام الفرعية التى هى موضوع الفقة ، بحيث اذا افتقرت الى هذا الأساس كان صورة لاروح فيها ، وهيكلا فارغا من المضمون. وقد نبه صوفية الاسلام الى ضرورة قيام جميع الأعمال الشرعية على مبدأ الاخلاص ...

وهو مبدأ أخلاقى هام ، والى ذلك يشير ابن عطاء الله السكندرى بقوله فى « الحكم » :

« الأعمال صور قائمة وأرواحها وجود سر الاخلاص فيها ».

وذهبوا كذلك الى القول بسهولة العلم وصعوبة العمل ، فما أكثر ما تجد من العلم فى الكتب بحيث يسهل عليك تحصيله، أما الأخلاق فتحصيلها عسير لأنها تكون ثمرة ممارسة شاقة وصراع بين الانسان ونفسه الأمارة بالسوء ليلزمها جادة الصواب فالعلم بدون السلوك العملى الفاصل لا قيمة له.

وقد عرف الصوفية أنفسهم علمهم بأنه العلم الباحث فى الأخلاق .. فيقول ابن القيم فى «مدارج السالكين» : « واجتمعت كلمة الناطقين فى هذا العلم على أن التصوف هو الخلق » ، ويقول الكتانى « التصوف هو الخلق فمن زاد عليك فى الخلق زاد عليك فى الصفاء ».

وعلم التصوف بهذا الاعتبار يعتبر من العلوم الشرعية ، وهو مكمل لعلمى الكلام والفقه ، بحيث يطلق على جماع هذه العلوم الثلاثة اسم الشريعة بالمعنى العام.

٢ – وقد خلف لنا الصوفية تراثا رائعا جديرا بعنايتنا ، فالتصوف فى الحقيقة يخاطب وجدان الانسان ويدفعه دفعا الى عالم كله صفاء وجمال وروحانية ، ويرسم له طريقا واضح المعالم الى الله، أساسه تصفية النفس وتكميلها بالفضائل على اختلافها ، ويبعث فيه الرجاء فى الله حين تظلم الحياة من حوله ، فينعم بالاستقرار النفسى ، ولا غرابة فى ذلك فقد عاش الصوفية من اجل الناس لا من أجل أنفسهم ، فكانوا هداة للبشرية، ومنقذين لها من التردى فى هوة المادية السحيقة ، وكان هدفهم خلق الأفراد المتكملين روحيا ، المهذبين أخلاقيا ، ايمانا منهم بأن المجتمع هو مجموع أفراده ، فاذا صلح الفرد صلح المجتمع.

وقد استطاع كثير من كبار صوفية الاسلام ان يجعلوا من التصوف « مذهبا فى الحياه » محببا الى النفس ، ولم يجعلوا منه « مذهبا مغلقا » ، يصرفك عن واقع الحياة الى متاهات فكرية لاسبيل الى الخروج منها • ويتميز كثير من آرائهم بايجابية واضحة تنفى ما يذهب اليه بعض الذين لم يدرسوا التصوف الاسلامى دراسة متعمقة من أنه - أى التصوف - فلسفة سلبية انهزامية •

وسنشير فى مقالنا هذا - على سبيل المثال لا الحصر - الى ثلاثة مبادىء هامة من مبادىء التصوف تدل على ايجابية واضحة فى التفكير وفى العمل :

٣ - أول هذه المبادىء مبدأ محاسبة النفس وهو فى رأينا مبدأ هام فى التغيير الاجتماعى ، وهو عند الصوفية بداية الطريق ، بحيث اذا لم يصح لم يصح التصوف كله • ولو لم يكن فى التصوف الاسلامى كله الا هذا المبدأ لكان من الزم ما يكون لمجتمعنا فى هذه المرحلة التى يمر بها من تطوره ، لأن محاسبة النفس ومخالفة أهوائها مما يدفع الانسان دفعا الى العمل الايجابى والاخلاص فيه ، مع تقدير كامل للمسئولية ، ولو حاسب كل واحد منا نفسه عما قدمه لمجتمعه لكان هذا كفيلا بتصحيح كثير من الأوضاع الخاطئة • وما أجمل ما يقول ابن عطاء الله السكندرى فى معنى محاسبة النفس :

« أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضا عن النفس ، وأصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضا عنها » •

« اذا التبس عليك امران فانظر أثقلهما على النفس فاتبعه فانه لا يثقل عليها الا ما كان حقا » •

٤ - وثانى هذه المبادىء مبدأ الزهد ، ومعناه ان يكون الانسان معرضا عما يملك ، لا أن يكون معرضا عما لا يملك ، فان من لايملك شيئا ففيم يكون زاهدا ؟

وكذلك من معانى الزهد أن تكون قويا على نفسك ، منصرفا عن ملذاتها وشهواتها الى الجاد من أمور الحياة ، ومما له دلالة واضحة على ايجابية الزهد ، انه قيل يوما لابراهيم بن أدهم ، أحد كبار زهاد المسلمين : « ان اللحم قد غلا سعره ، فقال : أرخصوه ، ثم أنشد :

واذا غلا شىء على تركته
فيكون أرخص ما يكون اذا غلا

وقيل لابن المبارك : يا زاهد ، فقال : الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ اتته الدنيا راغمة فزهد فيها.

وهذا الزهد الذى هو أحد أركان التصوف مستمد من أدب القرآن الكريم وسنة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وطريقة صحابته ، فقد حملت كنوز كسرى الى عمر بن الخطاب ، فنظر اليها وقال : اللهم انى أعلم أنك تقول فى كتابك الكريم :

« سنستدرجهم من حيث لا يعلمون » ، وأمر بوضعها فى بيت المال حتى لا يفتتن بها •

ويؤدى الزهد أيضا الى الثبات النفسى ، وما أجمل ما يقول ابن عطاء الله السكندرى :

« وللزاهد فى الدنيا علامتان : علامة فى فقدها ، وعلامة فى وجدها ، فالعلامة التى فى وجدها الايثار منها ، والعلامة التى فى فقدها وجود الراحة « النفسية » منها ، فالايثار شكر لنعمة الوجدان ، ووجود الراحة منها شكر لنعمة الفقدان » •

وبهذا كله يصبح الزهد شعارا للمجتمعات الجادة التى تريد بقاء نفسها وتحقيق تقدمها لا المجتمعات التى يركن أفرادها الى حياة الترف والكسل والتهالك على الكماليات •

٥ - وثالث تلك المبادىء الايجابية مبدأ الحرية، فقد كان لصوفية الاسلام مفهوم للحرية يحق لنا أن نفخر به، وهم يستمدونه أساسا من الكتاب والسنة •• ذلك ان الانسان فى رأيهم لا يكون حرا بالمعنى الحقيقى للحرية الا اذا ارتفع فوق شهواته وأهوائه بارادته - أى بفعل حر - •

وهم يعيبون على الانسان تمزقه الروحى بين اللذة والألم ، فنحن - فى العادة - نفرح حين تقبل علينا الدنيا بأسبابها ، وقد يحدث أن تزول عنا هذه الأسباب على الرغم منا فنتألم لذلك الألم ، وتصبح حياتنا بين تعاقب الفرح والالم عذابا لا يطاق • ولو سكن الانسان منا وثبت ، فلم يشتد فرحه بما يقبل عليه من أسباب الدنيا ، وخضع

لحكم وقته كما يقول الصوفيه ، لم يحزن قط لوجود زوالها عنه ، وهذا هو المعنى المشار اليه عندهم فى قوله تعالى :

« لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم»

وبهذا يصبح الانسان حرا بالمعنى الحقيقى للحرية فيتقبل الشدائد ، ويتمكن من الوقوف على قدميه فى معترك الحياة مكافحا كفاح الشجاع الواثق بنفسه وبالله .

وقد أجاد ابن عطاء الله السكندرى فى التعبير عن هذا المعنى من معانى الحرية فقال ناصحا مريده: **« ينبغى لك ان لاتيأس على فقد شىء ، وان لا تركن الى وجود شىء ، فان من وجد شيئا فركن اليه ، أو فقد شيئا فحزن عليه ، فقد اثبت عبوديته لذلك الشىء الذى أفرحه وجوده وأحزنه فقده »** .

وهو يقول لمريده أيضا :

« متى كنت اذا أعطيت بسطك العطاء ، واذا منعت قبضك المنع ، فاستدل بذلك على وجود طفوليتك وعدم صدقك فى عبوديتك » ، ويقول أيضا : « ليقل ما تفرح به يقل ما تحزن عليه » .

وهذا المعنى من معانى الحرية ايجابى لا سلبى ، ويضفى على حياة الانسان معنا ساميا انه يجعل الانسان ثابتا فى معترك الحياة ، وغير خاضع للتمنى أو أحلام اليقظة ، بل عليه أن يعمل اذا أراد أن يحقق أمانيه ويخرجها الى حيز الوجود الفعلى ، والى هذا المعنى يشير ابن عطاء الله بقوله : **« الرجاء ما قارنه عمل والا فهو أمنية »** .

واذا وصل الانسان الى هذا المستوى من الحرية فقد نعم بالاستقرار النفسى ، وتخلص بذلك من كل قلق ، ولعلك بعد هذا تدرك عمق المعنى فى قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : « تعس عبد الدنيار والدرهم » فانت حر فى ان تملك الدينار والدرهم ولكن لا تكن لهما عبدا ، أى لا تكن عبدا لشهوة امتلاكهما

يتبين لك أن الحرية الجديرة بالانسان ليست حرية بعض المذاهب العبثية المعاصرة التى تصلح منطلقا لانحراف الانسان طالما كان هذا الانسان هو الذى يخترع نفسه ومعاييره وقيمه وطالما لايكون ثمة ما يعين سلوكه ، أو ما يحد من حريته . وانما الحرية الحقيقية هى حرية الاسلام التى عبر عنها صوفية الاسلام بأنها ارتفاع الانسان بنفسه فوق شهواته ونزواته التى يكون عبدا لها .

٦ - وبعد : فاننا نعيش فى عصر مادى ، مسرف فى المادية ، ولم يعد الناس فيه - اللهم الا قلة واعية - يلقون بالا الى القيم الروحية ، وأصبح الغالب على حياة الناس فيه عدم الاستقرار النفسى الذى ينبعث من نظرهم الى كل شىء فى ضوء المادة ، وقياسهم كل شىء بمقياس الحس .

ويقيننا ان الناس لو انصرفوا قليلا عما شغلتهم به الدنيا الى تدبر ما فى الاسلام من المثل الأخلاقية ، ولو آمنوا بأن وراء المادة عالما آخر له روعته وجلاله ، وله قيمه ومعاييره ، لغيروا من حكمهم على الأشياء ولوجدوا الراحة النفسية بعد العناء ، ولأقبلوا على حياتهم فى تفاؤل وابتسام ، ولاندفعوا الى العمل المثمر فى همة وثبات .

والتصوف بما انطوى عليه من المبادىء التى أشرنا اليها وغيرها منهج كامل فى الحياة ، والصوفى المحقق هو الذى لا يرى تعارضا بين حياته التعبدية وحياة المجتمع الذى يعيش فيه ، بل هو الذى يستعين بحياة التعبد على حياة المجتمع وما فيها من مشقة وكفاح ، والتصوف بهذا الاعتبار يعد « فلسفة ايجابية » ، أو يعد بتعبير آخر « فلسفة تقدمية » ، اذ أن التقدمية الحقيقية فى رأينا هى التقدمية الأخلاقية التى هى أساس ضرورى ولازم لكل تقدمية اجتماعية ، وكل انسان منا يشعر بأنه قادر على أن يختار بين طريقى التقدم والتأخر ، وهو مسئول فى كلتا الحالتين عما يختار لنفسه أمام الله وأمام المجتمع الذى يعيش فيه . وتأمل جيدا معنى قوله تعالى :

« لمن شاء منكم ان يتقدم أو يتأخر . كل نفس بما كسبت رهينة » .

الشريعة الاسلامية كمصدر للتشريع

المستشار فتحى عبد الصبور

— ٥ —

٢٣ — بينا فى مقالات سابقة بهذه المجلة الغراء مسلك الشريعة الاسلامية فى تشريع الاحكام وهو يقوم على مقومات ثلاث : (أ) الاتيان بالكليات وأصول الاحكام دون الجزئيات والفروع (ب) ومراعاة احوال الزمان والمكان والبيئة والعادات والتقاليد تحقيقا لمصالح الناس واقامة العدل بينهم (ج) وتغليب مصلحة الجماعة على المصلحة الفردية،وبهذا المسلك الدقيق الذى اقتضته « عالمية » الشريعة الاسلامية وتوجهها الى الناس كافة حتى تقوم الساعة وصلاحيتها للتطبيق فى كل زمان ومكان ، أتت الشريعة الاسلامية بنظام قانونى مستقل متميز فى مصدره وفى احكامه الاساسية عن غيرها من الانظمة القانونية الاخرى

ذاتية مصادر التشريع الاسلامى :

٢٤ — لا يمارى مؤمن فى ان الشريعة الغراء قد نبعت من مصدرين عظيمين : القرآن الكريم والسنة النبوية ولم تستق احكامها ونظرياتها من اى تشريع وضعى من صنع الانسان وانما تكونت أحكامها وأحكمت نظرياتها من نبع الهى روحى وتشريع ربانى فوق طاقة العقل البشرى قال تعالى « **قل لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا** » وقال جل شأنه « **كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير** » وقوله سبحانه « **ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا** » .

٢٥ — اما السنة فهى تشريع الهى كذلك لان الرسول صلى الله عليه وسلم فى سنته القولية والفعلية لا ينطق عن الهوى قال تعالى « **وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى** » . وقد اختلف فى اجتهاد الرسول بغير وحى وفيما اذا كان هذا الاجتهاد — ان كان قد وقع — يعد تشريعا الهيا

رأى عامة الاصوليين والمالكية والشافعية والحنابلة ان الرسول قد اجتهد فيما لم ينزل عليه فيه وحى لا لمعرفة أحكام النصوص ومراد الشارع منها فهو أعلم بها ، وانما لمعرفة حكم ما لم يرد به نص بقياسه على ماهو منصوص عليه . وقد استدلوا على ذلك الرأى بقول الرسول الكريم لما شاور ابا بكر وعمر رضى الله عنهما فى حادثة « **قولا فانى لم يوح الى مثلكما** » وقوله عليه الصلاة والسلام لرجلين تخاصما فى ميراث « **انما أنا بشر وانكم تختصمون الى وانى أقضى برأيى فيما لم ينزل على فيه فمن قضيت له بشىء من حق أخيه فلا يأخذه فانما أقطع له قطعة من النار يأتى بها يوم القيامة فى عنقه** » **وقد قال أبو يوسف بأن الرسول قد اجتهد وجوز الشافعى اجتهاد الرسول دون قطع بحصوله .**

ويرى آخرون ومنهم ابن حزم **عدم جواز اجتهاد الرسول الا فى أمور الدنيا وان اجتهاده عليه الصلاة والسلام اجتهاد تطبيق اى « اجتهاد المناط » وليس اجتهادا لمعرفة حكم الله سبحانه واستدلوا على ذلك الرأى بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال « ان اتبع الا ما يوحى الى »** وبقول الله سبحانه وتعالى **« وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى » ويرى** الحنفية أن الرسول مأمور بان ينتظر الوحى الى أن يخاف فوات المصلحة ثم بأن يجتهد اذا لم يوح اليه

فاذا أقره الله جلّ شأنه على اجتهاده كان ذلك دليلا على صحة الحكم ولا تجوز مخالفته وكان ذلك الحكم مصدره الوحى وهو ما يسميه الحنفية « الوحى الباطن » اما اذا لم يقر القرآن اجتهاد الرسول كان مصدر الحكم ايضا هو الوحى وذلك كما حدث فى واقعة فداء الاسرى وواقعة الاذن بعدم الخروج لغزوة تبوك اذ عاتب الله رسوله على اجتهاده فى هذا فقال تعالى فى الواقعة الاولى « **ما كان لنبى ان يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم** »

وبالنسبة للواقعة الثانية قال تعالى **عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين** » وكما حدث فى واقعة الظهار حين قال الرسول للمراة التى ظاهرها زوجها « **ما أراك الا قد حرمت عليه** » فلما جادلته عليه الصلاة والسلام وضرعت الى الله تعالى نزلت الايات (من ١ ـ ٤) من سورة المجادلة بان الظهار ليس طلاقا وانما فيه كفارة هى « **فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا** » « **فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا** » **فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا** »

والرأى الذى نراه صحيحا هو ما يذهب اليه بعض الفقهاء من أن **اجتهاد الرسول عليه السلام كان من قبيل التطبيق القضائى وفى أمور السياسة وشئون الحرب ولم يكن هذا الاجتهاد هو مصدر الشىء فى احكام الله وانه لم يثبت ان هناك احكاما مصدرها اجتهاد الرسول دون ان يكون للوحى فيها اقرار أو ابطال**

الاجماع كمصدر تشريعى :

٢٦ ـ واذا كان القرآن والسنة مصدرين الهيين للشريعة الغراء فان المصادر الاخرى فى الفقه الاسلامى ترجع كذلك الى ما جاء عن طريق الوحى فالاجماع كمصدر من مصادر هذا الفقه له سند من كتاب الله وسنة نبيه الكريم ولو كانت خبر آحاد ويعتبر اتباعا لسبيل المؤمنين قال تعالى « **ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا** » كما يرى البعض ان اساس الاجماع فكرة الشورى التى أمر الله رسوله بها فى قوله سبحانه « **وشاورهم فى الامر** » ووصف بها المؤمنين فى قوله تعالى « **وأمرهم شورى بينهم** » ومن أجل ذلك كان رسول الله عليه الصلاة والسلام يستشير أصحابه فى شئون التشريع وقد روى عن سعيد بن المسيب عن على : (**قلت (يارسول الله الأمر ينزل بنا لم ينزل فيه قرآن ولم تمض فيه منك سنة فقال : (اجمعوا له العالمين من المؤمنين فاجعلوه شورى بينكم ولا تقضوا فيه برأى واحد** »

الاجتهاد الفقهى :

٢٧ ـ والى جانب ما نصت عليه ايات الاحكام فى القرآن وأحاديث الاحكام فى السنة الشريفة وما اجمع عليه العالمين من المؤمنين وضعها الشارع الحكيم علل وامارات تنير الطريق لتصريف حكم الله فى الحادثات قال تعالى (واطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله الرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا

وقال جل شأنه (**ولو ردوه الى الرسول والى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم**)

ولذلك كان الاجتهاد بالقياس والاستحسان راجعا فى مصدره الى النص التشريعى الذى ورد عن طريق الوحى كما ان استنباط الاحكام بطريق الاجتهاد طريق رسمه الرسول الكريم فى حديثه مع معاذ بن جبل حين بعثه قاضيا فقال له (**بم تقضى اذا عرض لك قضاء** » قال « **أقضى بكتاب الله** » . قال : « **فان لم تجد** » قال : « **فبسنة رسول الله** » قال « **فان لم تجد** » ٠ **قال « اجتهد رأيى ولا آلو** » فاقره رسول الله قائلا « **الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله** » وليس هذا الاجتهاد فيما عدا القياس والاستحسان ، راجعا الا الى الأخذ بالمصلحة المرسلة التى يقرها الشارع او القواعد الكلية الشرعية التى أتت بها الشريعة الغراء

ولا ينال من كون الشريعة الغراء تشريعا الهيا لا وضعيا من صنع البشر ، ان يكون مصدر بعض

الاحكام — الفقهاء — هو الاجتهاد ، ذلك بان هذا الاجتهاد — على ما بينا — انما يستند فى مصدره ومنبته الى التشريع الالهى ومن ثم فليس صحيحا أو دقيقا القول بان جزءا من الشريعة الاسلامية تشريع الهى والاخر تشريع وضعى

وغنى عن البيان ان الحكم الاجتهادى لا يلزم الا المجتهد ومن استفتاه وان كان للمجتهد ان يعدل عنه الى ما يراه صوابا ولكن لولى الأمر سلطة حمل الناس على ما يختاره لهم من الاحكام الاجتهادية اذا راى فى ذلك ان المصلحة العامة تتطلب القضاء على الفوضى التشريعية التى قد تترتب على اختلاف الاختلاف فى الراى فى فروع الاحكام عن طريق الاجتهاد

٢٨ — وهكذا تتميز الشريعة الغراء بمصدرها الالهى فمشرعها الاعظم هو الخالق البارىء العليم الخبير وسع كل شىء علما ولذلك جاءت الشريعة الاسلامية تشريعا متكاملا قال تعالى ((**ما فرطنا فى الكتاب من شىء**) **وقال سبحانه** (**ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء**)) اما التشريعات الوضعية التى سنها الانسان فانها بالغة ما بلغت من الدقة والنضوج ، تتصف بالنقص والتناقض ودون الكمال لان ذلك النقص والتناقض من طبيعة نتاج العقل البشرى قال تعالى ((**وما أوتيتم من العلم الا قليلا**))

أثر اعتبار الشريعة تشريعا الهيا :

٢٩ — ويترتب على اعتبار الشريعة تشريعا الهيا ان يحترم المكلفون احكام الشريعة ويسعون الى تطبيقها وان الجزاء الذى يترتب على مخالفة هذه الاحكام ليس جزاء دنيويا فحسب وانما هناك جزاء أخروى مما يؤدى الى استقرار الاحكام التشريعية وضمان حسن تطبيقها .. كما ان الشريعة الغراء — بطبيعتها كتشريع الهى لم تتناول احكام المعاملات والحدود والعلاقات الدولية فحسب بل وضعت الى جانب ذلك الاحكام التى تنظم علاقات الفرد بربه الكريم من حيث العقائد والعبادات ، وعلاقات الفرد بمجتمعه وما ينبغى ان يكون عليه من تكافل اجتماعى وخلق قويم وتضامن فى الشريعة الاجتماعية

الصوفية فى الهامهم

الأستاذ حسن كامل الملطاوى

(وأنا أبرأ الى الله مما أقول بغير حق ، فأوصيك بالتقوى ، وأطلب من الله المزيد من الأعمال الصالحة ، فهو المعطى سبحانه وتعالى، وجد واجتهد ؛ ولا تقل عملت كذا ، بل خذ ساعة من نهارك أو ليلك ؛ وحاسب نفسك بين يدى ربك ، وعلمها الأدب معه ، واستصغر نفسك أمام الله ؛ فلا تعرف سواه ، فهو العليم الحكيم القادر المقتدر؛ وارض بقضائه وقدره ؛ وكن مع القضاء حيث أراده الله لك ، واترك أمورك بين يديه ؛ فانك لا تعلم الخير فى تعجيل المسائل أو تأجيلها)

ذلك مما كتب سيدى وشيخى العارف بالله الشيخ عبد السلام الحلوانى ، رضى الله عنه ؛ الى تلميذه الصالح المبارك الصديق السيد / سالم جمعه مد الله فى عمره وزاده من فضله ، وهى نصيحة غالية كما تراها ونحن احوج ما يكون للانتصاح بها ، فهى تدعو الى تقوى الله تعالى والهمة فى طلب مرضاته ومحاسبة النفس فى سلوكها معه سبحانه ؛ واستقلال الكثير من عملها فى جنبه تعالى ، والركون اليه ؛ والاعتماد عليه ، والرضا بحكمه ؛ لأن أفعاله كلها حسنة . وان خالفت مانريده ، وهو تعالى يعلم مالانعلم .

وانما أراد الشيخ لتلميذه أن يسلك فى ايمانه طريق الخاص من عباد الرحمن الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فاستقامت ظواهرهم وبواطنهم ؛ وساروا الى الله على نور من ربهم ، وتأسوا بمولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أقواله وأفعاله وأحواله والفرق كبير بين هؤلاء وبين عوام المؤمنين الذين قال الله لهم (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون) .. وعلى الرغم من أن عوام المؤمنين لم يصدقوا الله فيما عاهدوه عليه فانه سبحانه حذرهم من غضبه ، ولم يسلبهم وصف الايمان . بل ترك لهم فرصة لتوبتهم واصلاح شأنهم حتى تتفق أفعالهم مع أقوالهم والله غفور يقبل توبة التائبين ويعفو عن كثير

فأهل الايمان ليسوا سواء ، فمنهم ذاكر وغافل؛ أما الذاكرون فانهم يسعون فى تقوى الله ومرضاته وأما الغافلون فانهم مفرطون فى الطاعات ؛ومقبلون على الشهوات فاذا دهمتهم الحوادث هرعوا الى الله يجأرون ، ودعوه أن يكشف الضرعنهم ؛ فلم يعرفوه سبحانه على الدوام فى العسر واليسر ، والبلاء **والرخاء ، فافتقارهم الى الله قائم ودائم ، ففى الرخاء** هم راضون شاكرون ، وفى البلاء هم صابرون مسلمون ومع ذلك هم فى معترك مع أنفسهم يستنهضون همتها فى الطاعات والمجاهدات ، ويتهمونها على مر الاوقات بأنها مفرطة فى جنب الله؛ الذى أسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة ، وهم فى ذلك يقولون : كيف يصح لعاقل الرضا عن نفسه ويوسف الصديق يقول **(وماأبرىء نفسى ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربى)** .

فلا تعجب بعد ذلك أن ينصح الشيخ تلميذه ، فيوصيه بالتقوى وطلب المزيد من الاعمال الصالحة من ربه المعطى الوهاب ، كما يوصيه ألا ينسب لنفسه عملا يمن به على الله ؛ بل هو سبحانه صاحب المنة والفضل العظيم **(ومابكم من نعمة فمن الله)** .

والتقوى كلمة قليلة فى مبناها ؛ كثيرة فى معناها ومما يدل على عظم معناها أن القرآن الكريم يدور كله حول قوله تعالى **(ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقوا الله)** فالتقوى اذن تتضمن - فى أساسها - الايمان بالله تعالى وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء خيره وشره وسائر الايمانات .

ثم تتضمن بالتبعية طاعة الله ورسوله وذلك بفعل المأمورات وترك المنهيات ، وهو مايقتضى مجاهدات ظاهرة وباطنة ، لا يحرص عليها ويوفق اليها الا السابقون بالخيرات باذن الله .

وانك لا تستطيع أن تدرك من التقوى عظم شأنها الا بعد أن تتدبر طويلا فى قول الله عز وجل (**انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا**) •

والمقصود بالأمانة فى الآية الكريمة التكاليف الشرعية التى حملنا الله اياها ؛ ولا يصل الانسان الى تقوى الله الا اذا أدى تلك التكاليف كما يحب الله ورسوله ، وهذا يفسر لنا مانبهنا الله اليه من العناية بفهم كتاب الله الكريم والاصغاء التام لأوامره ونواهيه فى مثل قوله تعالى (**واذكروا مافيه لعلكم تتقون**) وقوله تعالى (**كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون**) والمؤمن مخاطب بالقرآن الكريم كلمة كلمة وحرفا حرفا ، وقد يسره الله للذكر ، فهل من مدكر •

وقد كان أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه يتغير لونه اذا جاء وقت الصلاة ؛ فكانوا يقولون له :

مالك يا أمير المؤمنين فيقول : جاء وقت أمانة عرضها الله تعالى على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان فلا أدرى أحسن أداء ما احتملت أم لا •

والمتأمل فى قوله تعالى (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) يرى ولا شك أن الله حاضر معنا ويرى مايقع منا من خير وشر • فيجب أن نعامله معاملة الحاضر لا معاملة الغائب ، فان اجترحنا السيئات التى نهانا سبحانه عنها كان فى اجتراحها الدليل القائم على غفلتنا عنه مع ما نبهنا اليه فى كتابه الخالد من أنه حاضر معنا ويرانا فى متقلبنا ومثوانا ويعلم سرنا وجهرنا •

ومما تقدم تعلم كيف تفاوتت رتب المؤمنين فى قوله تعالى (**ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله**) فالاولون ظلموا أنفسهم أو ظلمتهم أنفسهم الامارة بالسوء حين أطلقوا لها العنان فى الشهوات ، والاوسطون ذوو نفوس لوامة تغفل حينا وتتيقظ حينا ، واذا غفلت تابعت هواها واذا تيقظت ندمت على مافرط منها وتابت الى الله فثابت الى رشدها بعد الغى ؛ أما السابقون فهم الذين سبقت لهم من الله الحسنى ؛ وألزمهم كلمة التقوى ، وفهموا عن الله فساروا الى الله وأعرضوا عما سواه ، فأنسوا به واستوحشوا من غيره ؛ فهم أجسام روحانيون وفى الارض سماويون •

وهؤلاء السابقون بالخيرات هم أهل السعادة الحقة ؛ فان لهم فى الدنيا جنة المعرفة ، ولهم فى الآخرة جنة الزخرفة التى ورد فيها حديث البخارى فقد روى بسنده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال عن الله تعالى (**أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ؛ واقرأوا ان شئتم فلا تعلم نفس ماأخفى لهم من قرة أعين ؛ وما أبدع مايقوله سيدى ابن عطاء الله السكندرى رضى الله عنه فى الفرق بين عوام المؤمنين وخواصهم حين يقول فى حكمه : اهتدى الراحلون اليه بأنوار التوجه • والواصلون لهم أنوار المواجهة فالاولون للانوار وهؤلاء الانوار لهم لانهم لله لا لشىء دونه (قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون**)

والتقوى تقتضى المبادرة بالاعمال الصالحة قبل أن يحول بين المؤمن وبينها بعض المعوقات أو الموت ، وقد وعظنا مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة بالغة حين قال لنا صلوات الله وسلامه عليه (**بادروا بالاعمال سبعا قبل طروء سبع ، هل تنتظرون الا فقرا منسيا ؛ أو غنى مطغيا أو مرضا مفسدا ؛ أو هرما مفندا ، أو موتا مجهزا ؛ أو الدجال فشر غائب ينتظر ، أو الساعة أدهى وأمر) وهو بهذا يشرح لنا قول الله تعالى (فاستبقوا الخيرات**)

ويقول الامام سهل بن عبد الله التسترى رضى الله عنه : أول الانس من العبد أن تأنس النفس والجوارح بالعقل ، ويأنس العقل والنفس بعلم الشرع ، ويأنس العقل والنفس والجوارح بالعمل لله خالصا ، فيأنس العبد بالله أى يسكن اليه •

ويدلنا السادة الصوفية على الميزان الذى نعرف به منزلتنا فى سيرنا الى الله فيقولون : **اذا أردت أن تعرف قدرك عند الله فاعرف قدر الله عندك ، وهو** كما ترى ميزان قسط ؛ وقد نبه اليه أستاذى العارف بالله سيدى الشيخ على عقل طيب الله ثراه فى فتوحاته الشعرية الملهمة التى سجلناها سماعا منه فقال :

واذا أردت بأن توازن بينهم

فزن الرجال بحبربك واصطف

ثم استطرد فدلنا على علامة حبه سبحانه فقال رضى الله عنه :

واذا اقتديت فبالكتاب لك الهدى
حافظ على آياتـــه بتلهـــف

وانهض بروحك نهضة قدسـية
ولسنة المختار فى السير اقتف

وأرشدنا رضى الله عنه الى اخلاص النية والصبر فى العبادة وذكر الله تعالى فقال :

لا تذكـر البارى بقصـد ولاية
أو أن تكون على السما لا تنطفى

بل فابغ وجه اللهجل جـلاله
من رام غيـر جنابـه لم يشرف

واصبر فان الصبر عنـوان الوفا
لا يدرك التقوى سوىالقلب الوفى

ليس التصـوف بالكلام وانمـا
صدق الفعـال قرارة المتصوف

ولا يبلغ المؤمن درجات المتقين الا بالورع ، وقد قال الامام ابن سيرين ؛ رضى الله عنـه ، ليس شىء أهون على من الورع ؛ اذا رابنى شىء تركته ؛ ولاشك انه استضاء فيمايقوله بالحديثالشريف (**الاثمماحاك فى صدرك**) ولهذا قال صلى الله عليهوسلملسيدنا وابصـــة الصحابى رضى الله عنه (**استفت قلبك وان افتـاك المفتون**) وقد يفتى أهل الفتوى بشىء لا يرتاح اليه القلب التقى فيترك المــؤمن ما يريبـه الى ما لا يريبه وقد قال تعـالى (**يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم**) والفرقان نور فى القلب يفرق به بين الحق والباطل وقد زكى مولانا رسول الله صلى الله عليـه وسلم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال ان الله جعل الحق على لسان عمـر وقلبـه • ولذلك لقبه مولانا رســول الله صلى الله عليه وسـلم بالفاروق أى الذى فرق الله به بين الحق والباطل •

ويحرص السادة الصوفية على أكل الحـلال حتى يقبل الله عبادتهم ويعرفون الحـلال فيقـولون : **الحلال هو الذى لاتعصى الله فيه ، والحلال الصافى هو الذى لا تنسى الله فيه • ويقول أمير المؤمنيـن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى دعائم العبادة : وجدت العبادة فى أربعة أشياء : أولها أداء فرائض الله تعالى ، والثانى اجتناب محارم الله تعـالى ، والثالث الامر بالمعروف ابتغاء ثواب الله تعـالى : والرابع النهى عن المنكر اتقاء غضب الله تعالى •**

وأما محاسبة النفس التى يدعو سيدى الشيخ اليها تلميذه ؛ فانها من نهج السلف الصالح ، وقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يقول : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزن عليكم • وقد شكا اليه جماعة من امام عينـه عليهم وقالوا له انه يصلى بنا ثم يغنى فسأله أمير المؤمنين أحقا أنك تصلى ثم تغنى قال نعم ياأمير المؤمنين ، قال ماذا تغنى قال أغنى وأقول :

وفؤادى كلمــا عاتبته
عاد للــذات يبغى تعبى

لا أراه الدهــر الا لاهيا
فى تماديه فقــد برح بى

ياقرين السوءماهذا الصبـا
فنى العمر كـذا فى اللعب

وشباب بــان منى فمضى
قبــل أن أقضى منه أربى

نفسى لا كنت ولاكان الهوى
اتقى المولى وخافى وارهبى

فنظر أمير المؤمنين للشاكين وقال لهم : من كان منكم مغنيا فليغن هكذا ؛ لأنه رأى الامام يحاسـب نفسه فيما يتغنى به • وقد كان الصحابى الجليل سيدنا أبوذر رضى الله يقول : ان قيامى بالحـق لله تعالى لم يدع لى صديقا ، **وان خوفى من يوم الحساب ماترك على بدنى لحما ، وان يقينى بثواب الله تعالى ماترك فى بيتى شيئا ، وقد كان سيدى عبدالوهاب الشعرانى يقول : ومما من الله به تعالى على تفتيشى صباحا ومساء •• لكل جارحـة من جوارحى الظاهرة والباطنة لانظر مافعلته كل جارحة فى ذلك النهار أو فى تلك الليـلة من الطاعات أو المعاصى لأشكر الله تعالى أو استغفره •**

وقد نصح سيدى الشيخ تلميذه أن يجد ويجتهد فى مرضاة ربه مراعيا فى نصيحته هذه قول الله تعالى (**ماعندكم ينفد وماعند الله باق**) وفى ذلك

يقول شيخى وسيدى الشيخ على عقل الهاما لوقته من كلام كثير :

واسلك سبيل الاقدميـ
ـن وخل ذكر الله وردك

يا قلب انك ان ترد
باب الاله فلن يردك

البس لباس تقى وسر
تدوك بفضل الله رفدك

ودع الحياة اذا دعت
وانظر لما خلدت بعدك

انا قد خلوت عن الورى
وجعلت حبى فيك وحدك

واخذت ذكرك غايتى
وتبعت بالايمان جندك

يا قلب مالك غيره
بعد الممات يعيد ذكرك

اياك أن تأوى الى
دنيا تغر ولن تمدك

مهما اقمت بها فلن
تلقى على الايام خلدك

ستزول عنك بصفوها
وسيفسحك الباقون بعدك

وأما ما يوجه اليه سيدى الشيخ من الرضا والتسليم بقضاء الله فانه من كمال الايمان ، لأن مايجرى به القضاء هو من حكم الله الذى يجب أن يقابل بالصبر الجميل تنفيذا لقوله تعالى لمولانا رسول الله صلى اللهعليه وسلم **(واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا)** ويقول سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه : من وصل الى مقام التسليم فاز برياض النعيم • ويقول سيدى أحمد الحلوانى والد سيدى عبد السلام رضى الله عنهما :

أفعاله محكمة — وقل من يفهمها
يفعل الله مايشاؤه — لحكمة يعلمها

ويعلق على البيتين بقوله : مافرحت بشىء من نظمى قط فرحى بهذين البيتين ، وأرجو أن ينفعانى غدا ان شاء الله تعالى ؛ وانى أكررهما فى النازلة تنزل بى فينكشف عنى غمها

ويقول القطب الكبير سيدى عبد القادر الجيلانى قدس الله سره :

لا الامر أمرى ولا التدبير تدبيرى
ولا الأمور التى تجرى بتقديرى

لى خالق رازق ماشاء يفعل بى
أحاط بى علمه من قبل تصويرى

ويقول السادة الصوفية : رضاء العوام بما قسم الله وأعطى ؛ ورضاء الخواص بما قدره وقضاه ؛ ورضاء خواص الخواص بالله تعالى عن كل ماسواه وهو كلام نفيس فاحرص عليه وانتفع به •

ولهذا كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الى أبى موسى الاشعرى رضى الله عنهمايقول له : أمابعد فان الخيركله فى الرضاء ؛ فان استطعت أن ترضى والا فاصبر • كما أنه رضى الله عنه كان يصف رضاءه بالقضاء فيقول فى استواء البلاء والرخاء عنده : لو كان الصبر والشكر بعيرين ماباليت أيهما أركب •

ولا تعجب أن يقول أمير المؤمنين عمر ذلك فانه كان يقول فى فلسفته العالية التى يتحلى بها خواص الخواص : ما من بلاء يصيبنى الا وأرى لله على فيه أربع نعم ؛ النعمة الاولى أن البلاء وقع فى دنياى ولم يقع فى دينى ؛ النعمة الثانية أنه لم يقع أكبر مما وقع ، النعمة الثالثة أن الله منحنى صبرا عليه فاحتملته ؛ النعمة الرابعة أن الله ادخر لى ثواب الصبر عليه •

أما مولانا الامام أبو عبد الله الحسين السبط رضى الله عنه فقد مات له ابن فلم ير الناس عليه الجزع الذى يرونه على الآباء حين يفقدون الابناء فسألوه فى ذلك فقال شارحا رضاءه بقضاء الله تعالى : **نحن أهل البيت نسأل الله فيعطينا فاذا أراد مانكره فيما يحب رضينا • وبذلك دلنا رضى الله عنه على أننا يجب أن نشكره تعالى على العطاء •• وكما نشكره على العطاء يجب أن نصبر على البلاء لأنه سبحانه هو المقدر للعطاء والبلاء على السواء •**

ويقول سيدى أبوبكر الشبلى رضى الله عنه : من عرف الله لايكون له غم أبدا • وسئل فى معنى تلك الكلمة فقال : معناها كلمة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : أصبح سرورى فى مواقع القضاء والقدر ؛ ولذلك سمعوا سيدى الشبلى ينشد :

ذاب مما فى فؤادى بدنى
وفؤادى ذاب مما فى البدن

فاقطعوا حبلى وان شئتم صلوا
كل شىء منكمو عندى حسن

ويقول شيخى العارف بالله سيدى الشيخ على عقل فى فتوحاته الملهمة :

رضاء الفتى بالله يشرح صدره
فلن يتأذى بالحوادث والخطب
ونحن أولو علم ولكن بوجدنا
شربنا من الانوار ماليس بالشرب

كما يقول رضى الله عنه :

حياة الورى حلو ومر وانما
حلا المر بالتوحيد من رقة الحس
وانك لو عظمت دينك عالما
وعاملت بالحسنى وأدبت للنفس
وكنت على الاحداث بالله راضيا
سواء عليك الموت أو ساعة العرس
سعدت من الدنيا بربك محسنا
ونلت من الاخرى العطاء بلا بخس
اذا قيل لى اطلب قلت ربى مطلبى
وان قيل اشرب قلت أنواره كاسى

ولا يظن القارىء الكريم أن ماقاله سيدى الشيخ بعيد المنال ، فقد رأيت بنفسى منه صبر أولى العزم حين فقد أكبر أبنائه وكان فى نحو العشرين من عمره فصبر صبرا جميلا حتى كأنه لم يصب بشىء؛ وقد أخبرت سيدى عبد السلام بعجبى من ثبات وصبره فى ذلك الحادث الأليم فقال لى رضى الله عنه: **أنا والشيخ على هكذا تأتينا المصائب فلا نتزحزح فقلت فى نفسى (ثلة من الأولين وقليل من الآخرين) .**

ويفلسف سيدى الشيخ على عقل علة نزول البلاء فيقول فى روعة ظاهرة :

لولا التألم فى الحياة لما بدا
نور التأمل لامرىء قوام
لولا وقود النار فما ينبغى
أن كان ينضج بعد أى طعام

وقد يسأل البعض وكيف يتأتى للانسان أن يحمل هموم المسلمين اذا نزل بهم بلاء أخذا بالحديث الشريف : من لم يحمل هم المسلمين فليس منهم ؛ مع تسليمه ورضائه بمايجرى به القضاء ؟ والجواب على ذلك السؤال أجاب به الامام سيدى عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه فقال: **ان تحمل هموم المسلمين لا ينافى التسليم لله تعالى؛ فيسلم العبد لله من حيث تقديره ويحمل همهم من حيث استحقاقهم ذلك بكسبهم .**

ومن بديع مانصحنى به سيدى الشيخ عبدالسلام الحلوانى رضى الله عنه ؛ حين كنت فى شرخ شبابى وانتفعت به - فى حياتى - قوله لى فى احدى رسائله (أما عن الدنيا وما فيها ومن فيها ، فدعها بمافيها لمن يدبرها فبوفقها ؛ وفيها مافيها ؛ لأنك ان دبرت وصح التدبير وهو مصيب شرعا ، فلا تدرى كيف قضى فيه ، فان صح القضاء بالرضا فهو القضاء ، وان حصل الجفاء ؛ سألنا اللطف فى القضاء ، مع الرضا على أنه الرضاء .

وخيرا وليس آخرا أرد أن أنبه الى مانهى الشرع عنه من الجدل فى القضاء والقدر : فقد حدث أبوهريرة رضى الله عنه فقال :

(خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتنازع فى القدر فغضب حتى احمر وجهه ، ثم قال

(ابهذا أمرتم ؟ أم بهذا أرسلت اليكم ، انما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا فى هذا الامر ؛ عزمت عليكم الا تنازعوا)

وسأل رجل الامام عليا بن أبى طالب كرم الله وجهه عن القدر ؛ فقال طريق دقيق لا تمش فيه ، فقال ياأمير المؤمنين اخبرنى عن القدر ، فقال بحر عميق لا تخض فيه ؛ فقال يا أمير المؤمنين أخبرنى عن القدر ، فقال سر خفى لا تفشيه ؛ فقال ياأمير المؤمنين أخبرنى عن القدر ، فقال ان الله تعالى خلقك كما شاء أو كما شئت ؛ فقال : كما شاء فقال ان الله يبعثك يوم القيامة كما شئت أو كما شاء ؛ قال : كما شاء ، قال ألك مشيئة مع الله ، أو فوق مشيئة الله أو دون مشيئة الله ؟ أما ان قلت مع مشيئته ادعيت الشركة معه ، وان قلت دون مشيئته استغنيت عن مشيئته ؛ وان قلت فوق مشيئته كانت مشيئتك غالبة على مشيئته .

وهذا الكلام المنطقى ؛ كما ترى ؛ درس قيم من امامنا على كرم الله وجهه . فمن تعلمه وحرص عليه تجنب السخط على المقدور ، وعاش فى راحة من الرضا ، لأن قضاء الله وقدره من سلطانه المطلق الذى لا دخل لنا فيه ؛ ولاحيلة لنا معه ؛ فانما نحن عبيد ، والله يفعل مايريد . سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون » . لا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه .

المؤمن بين الثقة والحذر

فضيلة الشيخ عبد الرحمن النجار

شان المؤمن ، الذى يعى مسئوليته فى هذه الحياة ، ويدرك واجبه نحو مجتمعه الذى يعيش فيه ، ان يعد لكل أمر عدته ، وان يتزود بما يهيىء له الحياة العزيزة الكريمة ، التى تليق به كانسان كرمه ربنا تبارك وتعالى ، وفضله على كثير من خلقه تفضيلا ، وان اول ما يجب عليه اعداده ، هو صلته القوية بربه ، الذى يملك موته وحياته ، وسعادته وشقاءه ، وعن طريق هذه الصلة يستمد منه العون والتأييد ، ويدعوه بقلبه الطاهر النقى فيجيب دعاءه تحقيقا لقوله جل ذكره : (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان ، فليستجيبوا لى ، وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) ويأتى بعدذلك اعداد القوة التى تردع الاعداء سواء أكانت قوة عسكرية أو اقتصادية أو تنظيمية ، وقد أمرنا ربنا بذلك فى قوله : (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم) فقوله (من قوة) تشمل جميع المجالات التى تمكن للانسان فى وطنه ، وذكر (رباط الخيل) لان الخيل قديما كانت تمثل أكبر قوة ضاربة ، فاذا تطور الزمن ، وتطور بالتالى السلاح فلنعد أحدث الاسلحة لملاقاة العدو ، من دبابات وطيران

وصواريخ ، فان كان عند العدو علم فيجب ان يكون عندنا اشمل من علمه وأعمق ، وان كان عنده سلاح فيجب ان يكون لدينا سلاح أقوى منه وأشد ، واذا كان له تنظيم فيجب أن يكون عندنا تنظيم ادق منه ، والمعيار فى ذلك هو قوله تعالى : **(ترهبون به عدو الله وعدوكم) ..**

واذا تسلح المؤمنون بهذه القوى : الايمان العميق بالله ، واعداد كل ما يستطيعون من قوة ، استطاعوا ان يحافظوا على حرياتهم من أن تنتهك ، وعلى أرضهم من أن تغتصب ، وعلى كرامتهم من أن يعتدى عليها ، انهم يذكرون توجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما جاء صحابى جليل ، وسأله : يا رسول الله ، أرأيت ان جاء رجل يريد أخذ مالى ؟ قال : لا تعطه مالك ، قال : أرأيت ان قاتلنى؟ قال : قاتله ، قال .. أرأيت ان قتلنى ؟ قال : فأنت شهيد ، قال أرأيت ان قتلته ؟ قال : هو فى النار .. ان المؤمن الذى يقاتل العدو وهو يرفع شعار النصر أو الاستشهاد ، لا بد من أن ينال احدى الحسنيين : اما نصر كريم أو شهادة ينعم بها فى جوار الله ولقد علم الله تبارك وتعالى رسوله ان يذكر المؤمنين بهذا الجزاء فقال : **(قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم ، أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بايدينا فتربصوا انا معكم متربصون) .**

ولقد أعد المسلمون الاولون انفسهم اعدادا قويا ، وانطلقوا الى المعارك الطاحنة بينهم وبين قوى الكفر ، وهم واثقون بقوتهم الذاتية ، وحسن الاستعداد لملاقاة الاعداء ، وكثيرا ما كانت القوتان : قوة الايمان وقوة الكفر - غير متكافئتين عدديا ، لكن السلاح القوى فى اليد المؤمنة القوية يحسم المعركة مع جيوش الأعداء مهما تكن كثرتهم ، ففى معركة بدر كان المؤمنون لا يتجاوز عددهم ثلاثمائة واربعة عشر مقاتلا ، أما المشركون فكانوا تسعمائة وخمسين مقاتلا ، ومعهم مائتا فرس يقودونها ، واستشار الرسول اصحابه ، فماذا قالوا ؟ لقد أظهرت مشورتهم مدى ثقتهم بأنفسهم ، انهم لم يرهبوا أعداءهم وهم كثرة ، ولم يهتزوا أمام استعدادهم العسكرى ، لقد قام أبو بكر فقال وأحسن ، وقام عمر بن الخطاب فقال واحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال :

يارسول الله امض لما أراك الله فنحن معك والله لانقول لك ما قال **بنو اسرائيل لموسى : اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ،** ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ، فوالذى بعثك بالحق ، لو سرت بنا الى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه ، فقال له الرسول خيرا ودعا له ، ووقف سعد بن معاذ وأعلن عن ثقته هو وقومه الانصار بانفسهم ، وانهم على استعداد للمعركة ، وكانت نتيجة هذه الثقة نصرا حاسما ، سجله القرآن الكريم فى قوله تعالى **(اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين ، وما جعله الله الا بشرى ، ولتطمئن به قلوبكم ، وما النصر الا من عند الله . ان الله عزيز حكيم) ...**

والمقاتل المؤمن حينما يدخل المعركة وهو يدرك بأن أجله واحد فالاقدام لا ينقص من عمره لحظة كما ان الخوف والاحجام لا يزيد من عمره لحظة ، يدخلها بهمم الابطال وعزائم الرجال ، ومادام ان الاجل واحد فليكن النصر مع حياة الشرف أو الاستشهاد فيجد عند ربه ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وللشهادة فضلها عند الله .. ويروى الرسول فى هذا الفضل نبأ عظيما ، يوضح لنا أبعاد هذه المنزله ، فقد روى أنه قال لسيدنا جابر بن عبدالله الصحابى الجليل يا جابر ، ما كلم الله أحدا قط الا من وراء حجاب ، ولقد كلم أباك كفاحا وكان من شهداء احد فقال له : يا عبدى ، سلنى اعطك فقال : يارب اسألك أن تردنى الى الدنيا لاقتل فى سبيلك ثانية قال الله له انه قد سبق القول منى : انهم اليها لا يرجعون ،

قال .. يا رب ومن يبلـــغ من وراءنا ما نحن فيه من نعمه ؟ قال الله : أنا أبلغهـم عنكم وأنزل قوله تعالى .

(ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا) ففكرة الموت منفية أساسا ، انهم ليســوا بأموات ، ثم يقرر لهم عشر نعم فيقول :

(١) بل أحياء - (٢) عند ربهم (٣) يرزقون - (٤) فرحين بمـا آتاهم الله من فضلـه - (٥) ويستبشرون بالذين لم يلحقـوا بهم من خلفهم (٦) - الا خـوف عليهم - (٧) ولا هم يحزنون - (٨) يستبشرون بنعمة من الله - (٩) وفضل - (١٠) وان الله لا يضيع أجر المؤمنين) ..

ان الثقـة بالنفس هى التى دفعت قائدا كخالـد بن الوليـد لكى يمضى مع جيشـه لتأديب القوى المضادة من بنى حنيفـة الذين ارتدوا عن الاسـلام عقب وفاة الرسـول وكان يقودهم مسيلمة الكذاب ، وأمر خالـد جنوده بأن يذكروا ربهم فى موقفهم هذا ، وأن يجعلوا قتالهم خالصا لله ولتقرير مبادىء الحق والعدل وبعد ان كانت رياح المعركـــة تسير فى بدئها لصالح القـوى المضادة ، الا ان استبسال خالد وثقته بنفسه وبجنده جعلت فى دقائق معدودة رياح المعركة تتجه لمصلحة الجماعة المؤمنة ، وقتل مسيلمة ، وملأت جثث رجـاله وجيشه أرض القتال ، وطويت تحت التـراب الى الأبد رايـة مسيلمة الكذاب ..

ووصلت الانباء الى الخليفـة أبى بكر فى المدينة فصـل لربه صلاة الشكر اذ منحهم هذا النصر الحاسم .. واراد الخليفـة ان يستفيد من عبقرية خالد ومهارته العسكرية ، فوجهه بجيشه صوب العراق ، واتجه الى هناك واستهل عمله بكتب أرسلها الى جميع ولاة كسرى ، يدعوهم الى الطـاعة والانتظام فى صف القوى المؤمنه كتب يقول :

(بسم الله الرحمن الرحيم - من خالد بن الوليد الى مرزابة فارس سلام على من اتبـع الهدى ، أما بعد فالحمد لله الذى فض خدمكم وسلب ملككم ووهن كيدكم من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلكم المسلم له مالنا وعليه ما علينا ، اذا جاءكم كتابى هـذا فابعثـوا الى بالرهن ، واعتقـدوا منى الذمة ، والا فوالذى لا اله غيره لأبعثن اليكم قوما يحبـون الموت كما تحبون الحياة) .

وسار بجيشه الظافر ينشر دين الله حتى وصل الى مشارف الشام ، وهناك وصـل مواقع المسلمين بهذه الارض ، ونسـق جيشه ، ونظمه فى مواقعـه ، وقبيل المعركة وقف فى المقاتلين خطيبا ، فقال بعد ان حمد ربه واثنى عليه :

(ان هذا يوم من أيام الله ، لا ينبغى فيه الفخر ولا البغى ، اخلصوا جهادكم ، وأريدوا الله بعملكم ، وتعالوا نتعـاور الامارة - أى نتبادلها - فيكون احدنا اليوم اميرا والاخر غدا والاخر بعد غد حتى يتأمر كلكم

لقد كـان جيش الروم قويـا بأعداده وبعتاده ، وقد قرروا ان يحشدوا كل قواهم فى معـركة واحدة مجهزون فيها على العرب فلا يبقى لهم وجود بعدها الا أن ايمـان المؤمنين ، وثقتهم بأنفسـهم ملأت قلوبهم أملا فى نصر حاسم سريع ..

وحينما بلغ الخليفة أبا بكر نبأ هذه الحشود المعادية قال: خالد لها ، وقال : والله لاشفين وساوسهم بخالد ، وقبيـل بدء القتال طلب قائد الروم أن يبرز اليه خالد ليقول له بضع كلمات دبرز له خالد ليسمع منه هـذا القول قد علمنا أنه لم يخرجكم من بلادكم الا الجوع والجهـد فان شئتم أعطيت كل واحد منكم عشر دنانير وكسوة وطعـاما وترجعون الى بلادكم وفى العام القادم أبعث اليكم بمثلها؟؟ فاجابه خالد فى كبرياء المؤمن الواثق من قوته :

انه لم يخرجنـا من بلادنـا الجوع كما ذكرت ، ولكننا قوم نشرب الدماء ، وقد علمنا انه لا دم أشهى ولا أطيب من دم الروم فجئنا لذلك ..

وبدأ القتال بعنف وضراوة ، وأبلى المؤمنون بلاء حسنا فرق صفوف الاعداء حتى ان احد قادتهم يقول لخالد : يا خالد ، أصدقنى ولا تكذبنى ، فان الحر لا يكذب ، هل أنزل الله على نبيكم سيفا من السماء فأعطاك اياه فلا تسله على أحد الا هزمته ؟ وبالطبع أجابه خالد بالنفى ، انما هى قوة الايمان ، وبسالة المؤمن وفدائيه المخلصين لدينهم ومبادئهم ، وثقتهم بأنفسهم وبقوتهم الذاتية ، لهذا انتصروا على الروم كما انتصروا على الفرس قديما ، وكما انتصرت الامة العربية على مر التاريخ ، على الصليبيين وعلى التتار ، وعلى الاستعمار بأشكاله المختلفة ، ودوله المتعددة ، وكل هؤلاء فنوا وعفا عليهم التاريخ ، وبقى العرب ، لهم العزة والكرامه حسبما أكد القرآن الكريم فى قوله تعالى (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين)

وكما أن المؤمن يثق بقوته التى يعدها ، فانه مفروض عليه أن يأخذ حذره من غدر أعدائه ، وليكن فى يقظة دائمه · قال تعالى (يأيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا) وليحافظ المقاتل المؤمن على سلاحه ، حتى لا يجد العدو منه فرصة من غفلة فينقض عليه (ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) وكان الرسول اذا عزم على غزوة ورى بغيرها حتى لا يعلم بتحركاته الاعداء ، وبذلك كان يحقق عنصر المفاجأة المطلوب فى المعارك · ونحن فى معركتنا الحاضرة مع الصهيونية الغادرة فى اشد الحاجة الى ان نجلس الى تاريخنا المشرق لنأخذ منه دروسا مستفادة ·· فنثق بقدرتنا الذاتية ثقة كاملة ، ونكون على حذر من مكايد الاعداء ·· وبذلك مع وحدة الصف ، والوقوف صفا واحدا وراء القائد نحقق النصر الكامل ·· الذى يجعلنا حقيقة خير أمة أخرجت للناس ····

الإسلام والحضارة العالمية

الأستاذ محمود أبو الفيض المنوفي

يقول الله تعالى « فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا »

وفحوى الآية الكريمة : أن الله يخاطب الرسول محمدا صلى الله عليه وسلم مثبتا له أن الدين الفطرى منذ بدء الخليقة هو الاسلام الذى جاء بالتوحيد الذى أرسل الله به محمدا كخاتم للانبياء جميعا وللمرسلين ، جاء يدعو الى هذا الحق القديم الذى بدأت به الخليقة فطريا (فطرة الله التى فطر الناس عليها) وسنثبت فى موضع غير هذا بالدليل الواضح ان أول ما وعى الانسان بعد أن شبع وارتوى وبدأ أن يفكر فى خلق السموات والارض وفى خلق نفسه ومن أين جاء والى أين يذهب (وما المبدأ

وما المصير ؟ الهم عندئذ ان للكون خالقا مبدعا فطر السموات والارض على ما يريد ويحب ثم يطويهن جميعا ويعود اليه فى النهاية امر من فيهن من مخلوقات حاسة أو عاقلة أو ملهمة .

ولما فلسف الانسان بعقله وخدعته حواسه وابتلى بسدنة وكهنة أوتى بعضهم كما عظيما من المكر والخداع وأراد بعضهم ممن فهم الحقيقة اخفاء تلك الحقيقة عن عوام الناس ، وخصوصا فى عصور بدائية كان العقل فيها آخذا فى النماء فأحلوا الرموز محل الحقائق مدعين أن خصائص الالوهية متجلية على أفراد الخليقة وكل كوكب أو حيوان فيه خاصة من الخصائص التى تدل على الابداع الالهى وتشير اليه وهو رمز للاله الخفى الذى لا يرى ، ولهذا السبب نفسه شاع فى عامة الناس من الشعب ضروب من الوثنية وتأليه غير الله ولكن أقدم الشعوب المتمدنة وهى (مصر) كانت تعرف الاله الحق الواحد الاحد ، وذلك مما سنبرهن عليه بأوفى الادلة : التاريخية والعقلية والدينية .

ولكن بعض متوسطى العلم فى أوربا أو قل بعض الماديين فيها قالوا بعكس ما نقول :قالوا : ان الانسان أول ما عبد عبد الاصنام ثم تنور فجعلها رموزا لآلهته ، ولما كمل علمه وزادت معرفته فى العصور الاخيرة عبد اله الديانات القائمة الها واحدا او اكثر او عبد الطبيعة نفسها .

ولو صح رأى أولئك وهؤلاء لكان انسان القرن العشرين أكثر الناس تدينا وتبتلا الى الله ولكن !! باللاسف ان انسان القرن العشرين لاسيما فى أوربا واميركا من أبعد الناس عن التدين بالتوحيد أو التثليث أو بالوثنية .

وهذا مما يدل على تحدر الاصل الاصيل وهو التوحيد الفطرى المجرد الى الرمز ثم الى الوثنية ، ثم الى الانكار أخيرا من الماديين والملحدين فى القرن العشرين هذا ولكن التوحيد مع ذلك فى قلوب وعلى السنة من أوحى الله اليهم بالرسالة والنبوة خلال التاريخ وظل محفوظا وسائرا فى طريقه السوى من طريق الكتب المنزلة ليبلغه أهل الرسالة الالهية من السلف الى الخلف جيلا بعد جيل من آدم لنوح لابراهيم لادريس ، وعيسى وموسى وخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم .

وهكذا جاء الاسلام مكملا للانسانية حضارتها الحضارية ومدنيتها وقوانينها الاجتماعية والاخلاقية السنوية وقد برهن الاسلام فى ذاته ، وبصرف النظر عن أهله وغير أهله ممن ارتقوا او انحدروا .. برهن الاسلام على ذلك بنابل تعاليمه التى سنبينها مشروحة محكمة اذا ما وصلنا الى الحضارة العربية والاسلامية .

وان ما نكتبه الآن انما هو تمهيد لذلك ، لاننا لا يمكن أن ندعى والتاريخ معنا ان العرب المسلمين **خالقو الحضارة أو مبتدعوها أو ان الاسلام قد** طفر بالعقل والحضارة طفرة دون تدريج أو ترقى للعقل الانسانى وللحضارة لا ندعى ذلك أبدا وانما الذى نريد أن نقوله فقط هو أن الامم القديمة كان فيها رقى وعلوم ومعارف وان كانت بدائية ولكنها تدل على العظمة والاستعداد للترقى ، وكان الامر فى رقى الامم بحسب تاريخ التطور وهو أكبر القوانين المكونة للحضارات هذا وجه ومن وجه آخر فانه كلما ارتقت فى التفكير والوعى أمة أرسل الله لها رسولا مرسلا أو جعل فيها نبيا غير مرسل ليبشر بالحقيقة كمؤمن آل فرعون مثلا ذلك الذى كان يكتم ايمانه لضلال القوم الذين كان يعيش بينهم ويتحدث القرآن عنه فيقول (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب) ومن امثال ذلك ما حدث لسحرة فرعون الذين آمنوا بالله عن طريق رسالة موسى عليه السلام ويقول الله فى حقهم مصرحا فى كتابه الكريم بايمانهم » والقى السحرة ساجدين ، قالوا آمنا برب العالمين ، رب

موسى وهارون ، قال فرعون آمنتم به قبل ان آذن لكم ٠٠ ـ الى قوله تعالى ردا على فرعون ـ قالوا انا الى ربنا منقلبون ، وما تنقم منا الا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين » سورة الاعراف الاية ١٢٠ الى ١٢٦ .

ومن امثال ذلك ايضا ما جاء فى سورة (يس) من قوله تعالى « وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين ، اتبعوا من لا يسالكم أجرا وهم مهتدون ، وما لى لا اعبد الذى فطرنى واليه ترجعون أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئا ولا ينقذون، انى اذا لفى ضلال مبين ، انى آمنت بربكم فاسمعون» من آية ٢٠ الى اية ٢٥ .

هذا وقبل أولئك جميعا وهؤلاء فى الزمن التاريخى الغابر حدثت تلك اليقظة الكبرى لابراهيم عليه الصلاة والسلام .. ذلك الذى كان أبوه يصنع الاصنام ويبيعها فصحت نفس ابراهيم بواسطة تلك الاصنام والاوهام الى التوحيد الخالص وانظر حكايته فيما يرويه الله عنه فى كتابه العزيز (واذ قال ابراهيم لأبيه آزر أتتخذأصناما الهة انى أراك وقومك فى ضلال مبين وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين ، فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا احب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين ، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا اكبر فلما افلت قال ياقوم انى برىء مما تشركون ، انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين).

وغير ذلك كثير وكثير مما يدل على أن توحيد الله قديم وهو فطرة فى البشر جميعا من اقدمهم مدنية واكاد اقول واحدثهم ولكن للأسف !!

وقدمنا أن الحضارة نشأت فى جزء صغير من أجزاء العالم يمتد من البحر الاسود وبحر قزوين شمالا الى حدود مصر جنوبا ومن حدود الهند شرقا الى حدود ايطاليا غربا ومن هذا البيان الجغرافى نرى واضحا أن مهد الحضارات الاولى يكاد لا يشمل سوى حوض نهر النيل فى افريقيا وجزءا خصبا يمتد على شكل هلال فى الصحراء بين الخليج الفارسى والبحر الابيض المتوسط وكان اصل تلك الحضارة قبل عصر العائلات والملوك اى قبل عصر مينا ، كما يقول هيرودوت وغيره من المؤرخين الذين يرون « ان مصر أم العجائب والغرائب » ويقولون « ليس السبب فى ذلك حسن هوائها ولا مناظر آثارها ذلك الهواء الجيد وتلك الآثار المجيدة فقط بل الجدير بالاعجاب انما هو اخلاق شعبها وعاداته ومعتقداته فانه كان من اقدم الشعوب التى آمنت بوحدانية الاله « الواحد الاحد الفرد الصمد » وبخلود النفس ودينونتها يوم القيامة وقد آمنوا بالنعيم والجحيم » ثم يطنب مؤرخو اليونان كهيرودوت وتيودور الصقلى فى علوم قدماء المصريين وآدابهم وديانتهم .

وفى عهد الملوك الذين شيدوا الاهرام كان فى مصر دور كتب عديدة كما قدمنا وذلك ما يقوله المؤرخ المصرى « مانيتون » المتوفى فى القرن الثالث قبل الميلاد وكان هرمس أو هرميس أو حوروس الكبير أو خنوخ أو اخنوخ الذى نعتقد انه كان نبى المصريين وقد وفد من بابل عن طريق خليج السويس وميناء القصير والوجه القبلى وكانت له تلاميذه الذين يسميهم المصريون الحرشوس فى عصر حكم الكهنة وقبل عصر مينا كما جاء فى الروايات التى تسلل اكثرها الى متاحف العالم .

ولا يزال الى الآن اعجاب العلماء والعظماء واهل الوعى بمعارف قدماء المصريين وافكارهم والحرص على اكتشاف آثارهم وكشف النقاب عن مدنيتهم لانهم يعتبرونهم أجدادا لهم فى العلم والحكمة ويرون فيهم نبع علومهم وفنونهم ومعارفهم .

وحسبك ان اكثر حكماء اليونان وفلاسفتهم كطاليس وفيثاغورث وافلاطون وغيرهم قد جاءوا

الى مصر فنهلوا من علوم المصريين وفلسفتهم « فى هليوبوليس » حتى ارتووا ، وكان تاريخ المصريين قبل شامبليون وقبل حجر رشيد وقبل ان يكشف شامبليون عن لغة المصريين القديمة .. فيه قيل وقال واما الآن فقد علم الجميع ان المصريين قد وصلوا الى درجة سامية من العلم وحسب الناس فى ذلك انهم أول من وضع أحرفا هجائية «بالصوت وبالصورة» وقد ظهر للمكتشفين ان عقيدة المصريين كانت عقيدة سامية فى الوحدانية واثباتها لله وحده وذلك ما دون فى الكثير من الاوراق البردية التى يعززها ما نقش على جوانب المقابر وجدران المعابد من صلوات لله وادعية دلت على اعتقادهم فى الاله الواحد الاحد وفى اليوم الآخر .

ويتساءل اليوم علماء أوربا كيف وصل قدماء المصريين الى هذه الدرجة من التوحيد والعلم والكمال الادبى ؟ فقال البعض : « ان هذه معلومات اقتبسوها مما أنزله الله تعالى على أبينا آدم وصلت اليهم بطريق التلقين والرواية جيلا بعد جيل » وبالاخص من طريق ادريس عليه السلام.

وقال البعض الآخر : انهم كانوا فى بدء أمرهم شعبا همجيا ولكنهم ارتقوا لانهم كانوا أول شعب زراعى حباه النيل بخيراته وكانوا أذكياء فوصلوا الى ما وصلوا اليه بجدهم واجتهادهم وانهم نقلوا علم الزراعة الى بقية الامم كاليونان وغيرهم .

وكانت العلوم السرية كالتوحيد والحساب والبعث.. الخ أسرارا يختص بها الكهنة ولايهبونها الا للفهماء والتلاميذ الحكماء والملوك والامراء

وكان لهم كتب خاصة فى أولها « كتاب الموتى » الذى سمى فيما بعد كتاب الحياة وكان كل مصرى يهتم بحياته الابدية بعد الموت يضع هذا الكتاب معه فى قبره ويلى كتاب الموتى أو كتاب الحياة « كتاب خروج الميت الى العالم الثانى » وغير ذلك من الاوراق البردية التى اكتشفت واشتهرت باوراق بريس وانسطاس وساليير وأوربينى وأبوت ولى وورلين وليد وبولاق .

هذا وسواء فحصنا المواطن القديمة التى نشأت فيها حضارة الانسان كسوس والصين وسومر وبابل وآشور .. الخ رأيناها كلها اقباسا عن المصريين منذ أقدم العصور وهو العصر الحجرى ثم البرنزى ثم الحديدى وكانت مصر أقدم الشعوب المنتجة للطعام فى الشرق القديم وأقدم كتاب فى العالم كان بردية « بريس » منذ خمسة الاف وخمسمائة سنة قبل الميلاد واكتشفت هذه البردية حين حفر أحد الفلاحين فعثر على مقبرة وكان من زراع أبى النجا بطيبة والاقصر .

عدالة الاسلام

مر عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ برجل يسأل على الابواب وكان الرجل شيخا ضريرا ، فقال له عمر : من أى أهل الكتاب أنت ؟ فقال : يهودى قال عمر : فما الذى الجاك الى ما أرى ؟ قال : الجزية والحاجة والسن فاخذ عمر بيده ،وذهب به الى منزله وأعطاه مما وجده ثم أرسل الى خازن بيت المال وقال له : أنظر هذا وضرباءه

من كنوز القرآن

مصالح الناس مقصودة فى التشريع

فضيلة الشيخ محمد انيس عبادة

كرم الله الانسان على سائر ما فى الكون فميزه بالعقل وسخر له ما فى السموات والأرض ولم يتركه هملا بغير غاية فشرفه بعبادته لخالقه فقال جل ثناؤه « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » ، « ولقد كرمنا بنى آدم » .

وقد شرع لهم منذ خلق أباهم آدم عليه السلام من الأحكام ما فيه صلاح أمرهم واصلاح شئون حياتهم فى مبدأ الخلق وعلى امتداد المعايش ونهاية الدنيا ومعادهم . وبين النظم والقوانين التى تحقق الخير والمصلحة لهم . وقد اختلفت أجزاؤها وتفاصيلها باختلاف الزمان والمكان والمجتمعات . ثم وحد الغاية من هذه القوانين والنظم فجمع ما تفرق منها ولم شتاتهاوانواعها وأجزاءها تحت ضابط عام يوضح الغاية ويحث على الامتثال ويهيىء النفوس للقبول فكانت جميعها لمصلحة العباد وخيرهم فى الدنيا للاخرة وهو سبحانه وتعالى غنى عن العالمين تنزه عن المنفعة بكماله المطلق وجلاله المقدس وقدرته الباهرة وعلمه المحيط فلا غاية له سبحانه الا مصلحة عباده .. وما التكاليف الا اعمال للناس تحصى عليهم وتعود آثارها ونتائجها اليهم .ومهما عبدوه وتفانوا فى طاعته فانهم لن يبلغوا باعمالهم فضل اللهعليهم جزاء . ولكن كرمه ورحمته فاضت سحائبها عليهم ووسعت كل شىء .

١ ـ ذروة المصالح : ولقد شرع الله الشرائع وارسل الى خلقه رسله فبلغوهم الرسالات واخذوا بأيديهم من حيرة قصورهم فهدوا بهم الى غاية الغايات رضا ربهم فى جنته وقد بين مصالح العباد فى ارسال الرسل بقوله جل جلاله « رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعدالرسل» وخص امة محمد صلى الله عليه وسلم فجعل رسالته رحمة لهم فقال تعالى « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » . وقال فى موسى « وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل » . لكنهم عموا وضلوا .

وبين مصالح الرسالات الثلاث بالكتب الثلاثة القرآن والتوراة والانجيل فقال سبحانه « نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس » .

واكد بيان مصلحة الأمة الاسلامية التى جاء بشريعتها القرآن الكريم بقوله تعالى « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » . وقال سبحانه « كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم » . وهداية الناس عامة وهداية المتقين الخاصة بوصف التقوى واخراج الناس من ظلمات الكفر والالحاد الى نور الايمان هذا كله مصلحة عظمى للناس بما اشتملت عليه كتب الله المنزلة على عباده من الاحكام والقوانين السماوية.

وأبلغ نص ـ الهى ـ وآيات الله كلها فى غايةالبلاغة ـ دلت على أن التشريع مصلحة للناس قوله تعالى فى سورة يونس « يايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون » . ودلالة النص الكريم على ذلك من وجوه :

الأول : قوله تعالى « قد جاءتكم موعظة من ربكم » حيث اهتم بوعظهم وفيه أكبر مصالحهم اذ فى الوعظ كفهم عن الردى وارشارهم الى الهدى .

الثانى : وصف القرآن بأن شفاء لما فى الصدور . يعنى من شك ونحوه وهو مصلحة عظيمة .

الثالث : وصفه بالهدى . والهدى أعظم النعم

الرابع : وصفه بالرحمة . وفى الرحمة مع الهدى والشفاء غاية المصالح .

الخامس : اضافة ما تقدم الى فضل الله ورحمته . اذ لايصدر عن الفضل والرحمة الا المصلحة العظيمة .

السادس : امره سبحانه لهم بالفرح بما تضمنه القرآن الكريم من هذه المصالح . لأن قوله تعالى « فبذلك فليفرحوا » فى معنى التهنئة لهم . والفرح والتهنئة لا يكونان الا لمصلحة عظيمة .

السابع : قوله عز رجل « هو خير مما يجمعون » . والذى يجمعونه هو من مصالحهم . والاصلح من المصلحة هو غاية المصلحة . فهذه الوجوه السبعة التى اشتمل عليها النص الكريم تدل على أن الشرع راعى مصلحة المكلفين واهتم بها .

وقد وردت نصوص خاصة فى أحكام خاصة . ومع هذا فانها تضمنت العموم . وهى بذلك مقرة لأصول عامة فى الشريعة اعتبرت أساسا ومبدأ هاما من مبادىء التشريع كقوله تعالى بعد تشريع الرخصة للمسافر والمريض فى رمضان بالفطر ثم قضاء ما أفطره فى عدة من أيام أخر « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » . فان المعنى أن المولى سبحانه يريد بتشريعه وتكاليفه لعباده التيسير والسماحة . ولا يريد عسرهم والمشقة عليهم ولهذا كانت هذه الشريعة سمحة . وكان الدين يسرا . لا مشقة فيه ولا اعنات كذلك قوله تعالى « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » . ودلالته على نفى الحرج الذى جاء بصيغة واضحة . ويزيد فى هذه الدلالة لفظ حرج الذى جاء بصيغة التنكير . والنكرة بعد النفى تفيد العموم كما هو معلوم لغة . فالمعنى : ان الله تعالى لم يجعل على عباده أى حرج وباستقراء نصوص الاحكام التى وردت فى أنواع خاصة نجد كثيرا من الآيات فى جميع انواع الاحكام نصت على الحكم وبينت المصلحة المترتبة على شرعيته فى الاوامر . كما بينت المفاسد التى يجب دفعها فى المنهيات . نذكر على سبيل المثال :

١ ـ فى بيان شرعية الجهاد لاعلاء كلمة الله تعالى ولدفع الظلم والمحافظة على الدين جاء قوله تعالى « أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا » . وقوله تعالى « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله » . وهكذا جاء تشريع الجهاد لدفع الظلم وكذلك كان كل قتال فى كل موقعة خاضها المسلمون لدفع ظلم الشرك وأهله عن الحق وأهله . حيث آذى الكفار المؤمنين وأخرجوهم من ديارهم وجردوهم من اموالهم . وكرروا الاعتداء لفتنة المسلمين عن دينهم . فلم يكن المسلمون معتدين . ولكن الايمان بالله وهو حق لكل عاقل بصير كان أعز عليهم من النفس والمال . فخلق فيهم الشجاعة والتفانى حتى كتب الله لهم النصر وتمت كلمة الله صدقا وعدلا .

٢ ـ وفى بيان مصلحة تقسيم الفيىء وتوزيعه على مستحقيه وبيان الغاية من تحديد المستحق وتقرير العدالة بين الناس قال تعالى « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم » أخذ الفقراء وترتبت مصلحة استحقاقهم وامتنع حبس المال على الاغنياء يتداولونه بينهم » وذلك من رحمة التشريع .

٣ ـ وللمحافظة على الارواح وصيانة الاعراض وحفظ الاموال، واستقرار الامن بين الناس وجعل المجتمع الانسانى مجتمعا شريفا نظيفا عفيفا آمنا جاءت آيات تشريع القصاص والحدود مبينة المصالح المترتبة على التشريع « ولكم فى القصاص حياة » « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله » وهكذا سائر الأديان .

٤ ـ وفى بيان آداب السلوك الانسانى .. وردت الآيات موضحة مصلحة الاستئذان فى دخول البيوت « يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون » ثم فى الرجوع عند عدم الاذن « وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم » . فاستقر الخير والطهارة النفسية بالتشريع .

٥ ـ ولتطهير القلوب من الضغينة وتربية النفوس على القناعة وعدم الاستغلال حرم الله الربا وبين مصلحة المتطهر منه المبغض له المبتعد عنه فأكد الله حرمته بعد تشريع الحرمة يقول سبحانه « وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون » . وهذا من اعجاز البيان فى القرآن الكريم . وذلك لأن آكل الربا يريد باستغلال الناس ان يزيد ماله ويربيه بالكثرة فيأخذ العشرة مائة ان استطاع . هذا ما يريده آكل الربا . ولكن هذا المال الخبيث لا يربو فى علم الله لان الله تعهد بمحقه . وحينئذ يضيع مع راس المال . وحتى لو بقى فى يده ، فان حقد المدين وبغضه للمرابى يجعل الربا فى مهب الريح . فقد يدفع الحنق الى اتلافه أو سرقته وقد تاتى عليه حادثة من الحريق أو الشدائد فيستغيث ولا يغاث لان الناس كرهوه وتمنوا أن يذهب الله كل ما فى يده . ومع أن الزكاة فى ظاهرها نقصان للمال واخراج لبعض منه فى سبيل الله لكنها فى الحقيقة زيادة للمال وطهارة له بان يخلف الله على المتصدق فيقدر له ظروف النماء والكسب. ويمنع الله عنه أحداث الحياة التى تهلك المال وان صادفته شدة . فان الحب الذى يكنه له الفقراء الذين انتفعوا بالتصدق عليهم يدفعهم الى عانته والدعاء له ويتمنون له المزيد . ولذلك عبر الله عنهم «فاولئك هم المضعفون» . وقد بين الله ذلك بقوله سبحانه « يمحق الله الربا ويربى الصدقات » وتبين آية الدين وسائل اثبات الحقوق والتوثق لحفظها فتامر بكتابة الدين واشهاد رجلين . وتبين الحكمة فى جعل المرأتين بمثابة رجل « أن تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى » وتبين مصلحة التشريع على العموم بقوله تعالى « ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى أن لا ترتابوا » .

ثم يحفظ الله عباده من الضرر ويرشدهم الى مصلحتهم حتى فى باب الاستمتاع وقضاء الحاجة بقوله سبحانه « ويسالونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن». ومن أدق مايرشدنا المولى اليه بالتشريع ارشاده لنا الى مصلحة هامة فى هذا الباب بقوله « نساؤكم حرث لكم فأتوا

حرثكم انى شئتم » . ومكان الحرث والولادة القبل . سبحانك ما أعظم فضلك . حتى فى هذه المتعة التى يباشرها العباداشباعا لحاجة الجنس يتولانا مولانا بالارشاد الكريم والتعليم ويوجهنا الى الاعفاف . وطلب الولد . ويبعدنا بذلك عن الاخباث . ثم بقدرته الباهرة يخلق من ذلك الانسان بعقله ولسانه وقلبه وسمعه وبصره وبنائه العام الذى احسن خلقه « فتبارك الله احسن الخالقين » .

وفى محيط هذا الاعجاز يضع الله تبارك وتعالى هذا الميل فى الحيوانات والطيور لتندفع فى بهيميتها الى ذلك لتتكاثر وتبقى انعما ومواهب من العلى القدير ليدوم نفع الانسان ويستمر متاعه فسبحانه ما اجل نعمته وما أعظم آلاءه علينا . ومع ذلك فان كثيرا من الناس ظالم يجحد نعمة الله ويكفر بها وهم فى كل طرفة عين تغمرهم نعمه وتسعهم رحمته وتتوالى عليهم الارزاق فلنشكر المولى على نعمته . ونستعين به ليوفقنا الى عبادته والسير على طريق شرعه وهدايته . ولنتدبر بعد هذه الأمثلة العظيمة للمصالح التى كفلها لنا فى شرائعه واحكامه . مصالح هامة التى حققها لنا بخلقه وايجاده « خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين . والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنهاتاكلون.ولكم فيها جمالحين تريحون وحين تسرحون. وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرءوف رحيم . والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون » . ولقد وعدنا وعدا كريما باضعاف ما ذكر . وبعث فى نفوسنا الأمل فى مزيد فضله وواسع مواهبه فان التنصيص على انه تعالى يخلق مالا تعلمون . بعد بيان النعم السابقة يرشد الى أن عنده تعالى أضعاف أضعاف ما قرأناه . فهو يخلق ما لا نعلم من كل شىء لمصالح خلقه ومنافع عباده ما يرفه حياتهم. ويجملها ويباركها بانعم الله ورحمته . ومن هنا ندرك الفوائد والاسرار التى نراها فى كل جديد وحديث مما لم يرد ذكره بعينه فى الكتاب الكريم . فان ما وصل اليه الانسان من نعم وما وفقه مولاه اليه من مخترعات سخرت بارادته لمصلحة الناس. وبرزت الى عالم المشاهدة بالارادة الازلية . هذا كله قليل من كثير يدخل فى محيط ارادته وعلمه ويحدث بقدرته ويسخر لمصالح عباده فيهديهم اليها . وينعمهم بها ، ومهما ظهر على يد الانسان العاجز فهو بقدرته سبحانه كما انه قليل وقليل بالنسبة لمولانا وخالقنا فهو على الدوام « ويخلق ما لا تعلمون » ثم تبين الآيات بعد ذلك نعما ساقها الينا من خلقه للسموات وما أودع فيها من النجوم التى سخرها بامره والماء الذى ينزل منها فيشربه الانسان وينبت به النبات والزروع والثمار والزيتون والنخيل والاعناب قال تعالى « هو الذى انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون . وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون وما ذرألكم فى الارض مختلفا الوانه ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون وهو الذى سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون والقى فى الارض رواسى أن تميد بكم وانهارا وسبلا لعلكم تهتدون » الى قوله « وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها » .

وفوق ما تقدم فانه سبحانه . ساق الذكر الحكيم فى هذا الشان مساق التشويق والترغيب ليحبب الى عباده الامتثال . ويرفه عن نفوسهم التزام أسلوب واحد فى الامر والنهى . فنوع لهم فى الذكر الحكيم فى بيانالمصالح بالاجمال مرة ثم بالتفصيل اخرى . وليجعل المامور به غاية تتسابق الى امتثاله النفوس عدد أوصافه من الخير الى الطهارة الى الزكاة يبصر بالنعمة ويؤكد بيان المضرة فى المنهى عنه ويصرح بنفى الجرح عن المكلفين . ويشوقهم باليسر فى صراحة تدركها جميع الافهام وتنبيه تلتفت اليه العقول . وهكذا كان شرع ربنا خيرا كله ويسرا كله ومصالح ومنافع لايقدر على منحها الا الله علام الغيوب .

تلك هى بعض مقاصد التشريع فى كتاب الله سبق فى علمه تقديم الايمان بمصدر النعم، وتوحيدالواحد الاحد، وتنزيهه عن كل ما لا يليق بجنابه . والوثوق بكماله المطلق والتصديق برسله وكتبه حتى اذا اطمأن القلب . وتطهرت النفس . واستعدت لقبول الأمر . أصدر اليهم أوامره بكل ما ينفع ونواهيه عن كل ما يضر . وبالامتثال يصبح العبد ربانيا فى افعاله بجوارحه كما هو مؤمن باعتقاده فى قلبه . فيتفق ظاهره مع باطنه . ويتحد مظهره ومخبره . فيصير مع مولاه فى سره وجهره وباطنه وظاهره . ينبض قلبه بالايمان . فيسرى نوره الى كل جارحة فيه . ويتحرك جسمه بالأفعال مسلما وجهه لرب العالمين فتصير صلاته ونسكه ومحياه ومماته له تعالى من غير شرك . ويتمحض كله فى سبيل الله من غير شك . يخافه كانه يراه . فان لم تكن تراه فانه يراك . وبين الخوف ومراقبة المولى تابى نفسه المعصية ويشفق قلبه من الغفلة . فيعيش دائما يذكر الله . ومتى ذكر الله فى نفسه كان فى ذمة الله حتى يلقاه ، عين الله تحرسه فلا يخاف ظلما ولا هضما . وفضل الله يغمره فلا يخشى حاجة أو فقرا . وقوة الله ترعاه . فلا يذل ولا يضام . وروح من الله تسرى فى قلبه وبين جوانحه فينظر بنور الله .

ومع أن الكتاب الكريم غنى بهذا المعنى . فان هدى الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذا كثير وجليل . فعلى منوال الاصل الاصيل وردت الاحاديث فى مختلف الاحكام مبينة لمصالح الخلق فى شرع الخالق وتنوعت فى البيان . بذكر ما يوضح نصوص الآيات . وبيان ما لم يذكر فى القرآن مفصلا . وهذا مانرجو الله تعالى أن يوفقنا لبيانه فى مقال آخر ان شاء الله .

من آداب القرآن الكريم

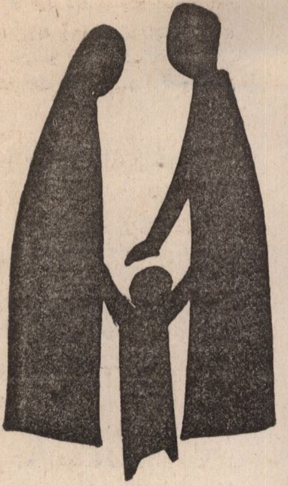

البِرّ بالوالدين

الأستاذ
محمد عبد الجواد الأصمعى

بمناسبة الاحتفال « بعيد الاسرة » بتاريخ ٢١ مارس سنة ١٩٦٩ الموافق ٣ من محرم سنة ١٣٨٩ يجمل بنا أن نكتب هذه الكلمة ونهديها الى كل أم استشهد ابنها المناضل فى ساحة الجهاد فى سبيل الله وتحرير الاراضى المحتلة او الجندى الباسل فى المعركة بخط وقف النار ، أو من رجال المقاومة الجبابرة الشجعان الذين يقومون بعملياتهم العسكرية الخطيرة فى معظم الاراضى المحتلة ، وهجماتهم المتكررة الدائمة فى مناطق الضفة الغربية وغزة ونابلس وصاعدة والقدس والكرامة وغيرها من المدن الواقعة فى الضفة الشرقية بنسف وتدمير السكك الحديدية ومحطات المياه والكهرباء بمتفجراتهم القوية داخل الاراضى المحتلة قبل عام ١٩٦٧ وقتل عدد لا يستهان به من جنود العدو اللدود المحتل لارضهم ، أو الفدائيون من منظمة تحرير سيناء الذين الحقوا بالعدو الغاصب من اليهود المنبوذين والصهاينة الغادرين بالضربات القوية خسائر فادحة فى العتاد والجنود المقهورين - بعون الله تعالى - لاسترداد الاراضى المحتلة ، واستشهد منهم من استشهد فى ساحة المجد والشرف من الجنود البواسل الابطال المناضلين وفى مقدمتهم القائد البطل الشجاع ساكن الجنان المرحوم الفريق أول « عبد المنعم رياض » رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة الذى استشهد فى الخط الاول بساحة المعركة فى السويس ، أسكنه الله فسيح جنانه مصداقا لقوله جل شانه :

« ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن » الآية ١١١ من سورة التوبة »

ونبدأ القول فى تفسير الاية الكريمة الآتية وما تضمنته من المعانى :

قال تعالى - جل شانه : « وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا » الآيتان ٢٣ و ٢٤ من سورة الاسراء

وايم الحق ، لست تجد أروع من أدب القرآن أدبا ، ولا أصدق من حديثه حديثا ، ولا أغنى من بيانه بيانا ، ولا أمتع من منطقه منطقا . آخذ للب ، واخلب للقلب ، وأدخل فى النفس وأقرب الى العظة ، وأصغى للآذان ، وأدنى الى الجنان .

ولا ريب ، فهذا أدب رائع من آداب الاسلام ، وأخذ الى الخلق الكريم فى أقوم جدد ، وأحسن أسلوب ، يؤدب الله به عباده ، ويروض به نفوسهم على محاسن الاخلاق ، فيوصيهم بآكد رحم ، وأقرب وشيجة ، بالوالدين والاحسان بهما فى هذه الآيات الكريمة .

قال تقدست أسماؤه . « وبالوالدين احسانا » . ومن هما الوالدان ؟ أتدرى ؟ هما أصل الاقرباء اليك . وأمس الناس وألصقهم بك ، هما أرومتك ونبعك ، من صنوهما نجمت ، ومن قنوهما طلعت ، بهما فخرك وعصبيتك ، وكرم نسبك وشوكتك ، واليهما رفع بيتك ، وطهر رياشك ، وشرف عنصرك ، وبعد صيتك . وفى كنفهما رفاهتك وهناءتك ونعماؤك وسعادتك .

على شاكلتهما تعرفت شئون الحياة وتصاريفها ، واستكشفت دقائق الكون وحقائقه ، ألم تبل عنهما الدهر وسبره ، وتعرف حلوه ومره ، وجليه وخفيه ؟؟

ثم ألم تخرج من مدرستهما - بعد أن تعرفت الناس وعجمتهم ، وخبرت الرجال ورزت أمورهم - وأنت أوسع خبرة ، وأكثر تجربة ، وأطول ممارسة ، وأغزر علما ، وألين جانبا ، وأصدق سياسة ، وأدوم عشرة .

يأمرنا الله - جل شانه - بالاحسان الى الوالدين فى هذه الآيات الكريمة وكثيرا ما أمرنا الله بذلك ، وفى غير موضع من التنزيل الكريم . قال : « وبالوالدين احسانا » فى آية من آى سور : « البقرة » و « النساء » و « الانعام » وفى سورة « لقمان » يقول : « ووصينا الانسان بوالديه حسنا » . وفى آية سورة « الاحقاف » يذكر « احسانا » .

ويقرن الله سبحانه شكرهما بشكره ، والاعتراف بنعمتهما ازاء الاعتراف بنعمه . فيقول فى وصيته لقمان :

« ان اشكرلى ولوالديك الى المصير »

الى جانب هذا يردف الله سبحانه الاحسان بهما ، الى الامر بعبادته وتعظيمه ، فكان تعظيمه سابقا ومجليا ، وتعظيمهما رديفا ومصليا .

يقول الله جل شانه : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا » ويقول : « واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا » .

ففى هذه الآيات الكريمة جميعا يعهد الينا الرءوف الرحيم بخلقه ، أن نحسن بالوالدين احسانا تاما كاملا ، لا ندخر فيه وسعا ، ولا نالوا فيه جهدا .

وهذا الاحسان الكامل والأمر به ، يتبعه ترك الاساءة مهما تكن صغيرة الشان ، تافهة الموضوع ، فكيف بما يقابل هذا الاحسان المؤكد من العقوق الذى هو أكبر المحرمات ؟؟

وقد يظن كثير ان الله سبحانه ، عنى فيما عنى بامر الوالدين ، لكونهما سببا للوجود الظاهرى ، كما أشار اليه عامة المفسرين .

ونحن نبعد هذا ولا نقول - كما تلقينا من شيوخنا العلماء الاجلاء الافاضل فى حلقات دروس التفسير قديما بالجامع الازهر ، وكنا نجلس فى ذلك العهد على الحصير فى حلقة حول كرسى الاستاذ الشيخ فى حرية كاملة نسأله ويجيب من علمه الفياض الغزير رحمهم الله وأسكنهم فسيح جناته - انه السبب فحسب ، لانه لامنة لهما على الولدبه ، فلم يك هذا منهما اكراما له ، ولا هو منهما حفاوة بشانه ، وايناسا بخاطره ، كيف ولم يكن الولد حينئذ معروفا فيكرم ، أو موجودا ، فيعنى بامره .

لا ، ليس هذا هو السبب الحقيقى فحسب وانما السبب الحقيقى ، هو العناية الصادقة التى بذلاها فى تربيته ، والقيام بدراسة نفسيته وتهذيبها .

هو ذلك المجهود المضاعف الذى افرغاه فى استكشاف غرائزه وميوله ، وتنمية الصالح منها وامالة الخبيث . هو ذلك الداب الصالح المتواصل فى تعهد حاله باصلاح أسبابه ، ومجارى أموره ، وانتظام شؤونه . كل ذلك مع توفر عناية ، ومزيد اختصاص وحرص ، حين كان كلا ضعيفا عاجزا جاهلا ، لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا : « والله اخرجكم من بطون امهاتكم لاتعلمون شيئا » .

كانا يحوطانه فى مراحله جميعها بعناية ورعاية تامين ، فهما مصغيان اليه مقبلان عليه ، يتلقيانه فى غدوه ورواحه ببرهما المعهود ، ويستقبلانه بطلاقة وجه واشراق منظر . يسهران لسهره ، وينعمان لراحته ، وينامان بعافيته ، ويسعدان لهناءته ، فان هو ارق فى ليله ، أو قلق فى نهاره ، أو رجف قلبه رجفة ، أو وكفت عينه دمعة ، فلا هجع لهما ليل ، ولاهدأ نهار ، ولااطمان قلب ، ولا رقا جفن . ولا عجب !! فهو قرة العين ، وفلذة الكبد ، وشغل الفؤاد ، وملء السمع والبصر ، ومتاع الحياة وزينة الدنيا .

وما زالا به كذلك رويدا رويدا حتى قدر ان ينهد بامره ، ويضطلع بشانه ، ويقوم بأعباء العيش ، ويستقل بتكاليف الحياة، فاذا هو اجرى منهما فى ميادينهما وأهدى لسبلها ، وأعرف بوجوهها ، واعلم بمصادرها ومواردها ، ان آنس أودا ثقفه ، وان تقلد عملا قومه ، واذا هو أبين فى مكاره الامور حزامة ، وأقوى على مصاعبها شهامة ، وأوفى فى كؤودها غناء ، وأحسن نفاذا . ان ولى امرا وكلف شأنا كان سداده وعمدته ، وعماده وحجته .. واذا بهما وقد مسهما اللغوب فى تربيته ، وانصبهما القيام بحقوقه ، اصبحا لا يكفيان كفايته ، ولا يجزئان جزاءه . وحقا ، فقد أعجزتهما فى تربيته الايام ، وقوست ظهرهما السنون ، فكانا فى انكماش بعد جد ، وتوان اثر تشمير ، معقولين بالضعف ، مشكولين بالوهن . كل هذا ألا يستدعى الجزاء ؟؟ بلى !! عناية بعناية ورعاية برعاية ، ، وحدب بحدب، واخلاص باخلاص ، وعطف وحنان ، بعطف وحنان .

هذا هو الاحسان الذى صدر عن الابوين بعلم واختيار ، بل مع شوق حار ، وحنان متحرق ومحبة واقبال ، وسرور واستبشار .

فقلبهما الى هناءة الابن كان أبدا مشوقا ، وروحهما كان الى نعيمه واسعاده مسوقا ، لا يشغلهما عن ذلك شاغل ، ولايذهلهما عنه نفيسة أو رغيبة .

والله سبحانه أودع فى الوالدين حنانا فطريا ، لاتمام حكمته ، به كان حب الوالدين أحب اليهما من كل مستفاد ، وأجدى لهما عن كل مرتفق ومغتنم .

أرأيت فى القرآن الكريم نصا على الاحسان بالولد ؟؟ هذا هو سر الامر ولبابه ، فلم ينص العليم بذات الصدور على الاحسان بالولد ، لانه أمر طبعى فطرى لا حاجة الى التنصيص عليه فهو مفروغ منه .

وانظر — أيها القارئ المفكر الكريم — ثم انظر كيف آثر النظم الحكيم فى هذه الآية وأضرابها ، الامر بايجاب الاحسان على النهى عن المقابل ، وهو الاساءة كيفما كانت ، ذلك أن الاساءة ليس من شانها أن تقع ، لانها خلاف ما تستدعيه الفطرة السليمة ، والآداب المرعية عند جميع الامم ، وفى سائر الشرائع .

فالاشبه بالفطرة ، والاليق بالاحسان ، والاحرى بسلامة الطبع ، والاقرب الى الجميل ، تبادل الحب ، وتجاذب الاحسان، وهل جزاء الاحسان الا الاحسان ، ولو لم يرد فى التنزيل الكريم الا قوله تعالى « وبالوالدين احسانا » ولو غير مكرر لكفانا فى تعرف السر فى حفاوة الشارع بالوالدين والعناية بشانهما ، وذلك بدلالة الصيغة ، والتعدية بالباء ، قالوا : وهى ابلغ ، لان من احسنت به ، هو من يلتصق بك اولا وبالذات ، وبه يتصل برك وايناسك واكبارك والطافك ، أما من احسنت اليه ، فهو ذلك الذى تسدى اليه البر ولو عن بعد . وصيغة الاحسان وورودها فى مقام الاحسان بالتنكير امر يدل على احسان كامل عظيم ، لم تشبه اساءة ما ، وكيف لا ؟ أليس احسانهما قد بلغ النهاية ، وحاز الغاية ، فاستوجب ان يكون الاحسان اليهما كذلك جزاء وفاقا . فمن قصر فى برهما لم يكن الا فاسد الفطرة ، مضيعا لكافة الحقوق ، فلا يرجى منه خير للجنب ، اذ لم يرج منه لاقرب الاقارب ، بل لمن هما واسطة انشائه ، ومادة تنميته وتكوينه ، فهو منبوذ المجتمع بفيض الجامعة الانسانية .

قال ابن عباس — رضى الله عنه — فى معنى الاحسان بالوالدين : « يريد البر بهما مع اللطف ولين الجانب ، فلا يغلظ لهما فى الجواب ، ولا يمد النظر اليهما ، ولا يرفع صوته عليهما ، بل يكون بينهما كما يكون العبد الذليل بين يدى سيده تذللا » . وكل هذه المعانى تضمنتها صيغة الاحسان على صورتها ومادتها التى وردت بها . ولأهمية المقام صرح بهذه التكاليف فى الآيات الكريمة . قال الامام محيى الدين بن العربى : « لا يقع الجهل بحقوق الوالدين الا من الجهل بحقوق الله تعالى ، ومعرفة صفاته ، لانهما أول مظهر ظهر فيه آثار صفات الله من الايجاد والانعام والولاية والتربية والرأفة بالنسبة اليك » .

وبعد ، فلينظر الانسان الى أى مدى وصل العلماء الى معنى الاحسان بالوالدين ، والى أى غاية يجب أن يعامل الابناء آباءهم .. وعلى جميع الفروض فلا جزاء ولا مكافأة ، ألم يك انعامهما على سبيل البدء والبادئ بالبر لا يكافأ ؟ . وهيهات ! ، وقد كانا يتحملان كل نصب ، ورجاءهما من الله بقاء الولد ، وهو ان فعل ، فبضجر وملال ، واستثقال وكلال ، هذا ان لم يرد موتهما، ولا حول ولا قوة الا بالله هذا هو الواقع الملموس . وفى الحديث النبوى الشريف : « لن يجزى ولد والده حتى يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه » .

وقد رأى ابن عمر — رضى الله عنهما — رجلا يطوف بالكعبة ، حاملا امه على رقبته فقال : يا ابن عمر ، أترى أنى جزيتها ؟؟ قال : « لا ، ولا بطلقة واحدة » . وفى رواية : « ولا بزفرة واحدة ، ولكنك أحسنت ، والله يثيبك على القليل كثيرا » .. أرأيت كيف يرى ابن عمر ان مافعل لا يغنى عن طلقة واحدة ، فكيف بما قاست من طلقات : طلقات الحمل والوضع ، وآلام التربية ، ومن حين جاءها المخاض الى أن وضعت كم من طلقة تكون ؟ انها طلقات والام حملته تسعة أشهر كرها ، ووضعته كرها ، وأرضعته حولين كاملين ، وأسهرت له ليلها ، وأظمأت نهارها ، فهل يقضى الابن بذلك حقها ؟ اللهم لا . فالى الله تكل المثوبة والجزاء ، فهو ولى النعم وبه التوفيق .

هذا مبلغ ما أوجزناه عن قوله تعالى : « وبالوالدين احسانا» اما سائر الاية الكريمة وما فيها من تكاليف فهذا موضوع آخر سنذكره فى المقال التالى ان شاء الله ، وما توفيقى الا بالله .

الأسـرة العـالـميـة

دين الأسرة واحد :

دين الأسرة ونظامهـا العام واحد وهو دين الفطرة ودين الأنبياء جميعـا من لدن آدم الى يوم القيامة نرى ذلك جليا فيما سبق عرضه من آيات كتاب الخلود فى العدد السابق واليك المزيد منها ولقد تحدث رب العباد الى عباده فى مواضع كثيرة مؤكدا ذلك حتى لا يلتبس على البشرية شىء من أمور العقيدة والشريعة والسلوك الفردى والجماعى فقال جل شأنه :

((وانه لتنزيل رب العـالمين . نـزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنـذرين . بلسـان عربى مبين . وانه لفى زبر الأولين . أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى اسرائيل)) . ((ما يقال لك الا ماقد قيل للرسل من قبلك)) ((ان هـذا لفى الصحف الأولى . صـحف ابراهيم وموسى)) ((ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين)) . ((قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسـماعيل واسـحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون))

« واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال : أأقررتم وأخـذتم على ذلكم اصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ، فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون . أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها واليه يرجعون)) . ((انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيـون الذين أسـلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء » « وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التـوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين » . « وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتـاب ومهيمنا عليه)) . ((وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون)) ((فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » « واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا بلى شهدنا » .

الكبرى

فضيلة الشيخ
حسن صالح

فلا تجد فى دين الأسرة الآدمية الا وحدة فى العقيدة ووحدة فى الشريعة وفى العبادة والسلوك.

فكل رسل الله يدعون الى الخالق حتى يتلقى الناس عن ربهم بعد ايمانهم به ـ وهو فى فطرتهم ـ ما ينير الطريق امامهم ويفتح آفاق المعرفة بهدى الله وتوجيهه اياهم الى ماينفعهم ويجنبهم مزالق الحياة فلا يستعبد أحد منهم أحدا ولا يدل بعضهم على بعض بنظام ابتدعوه وقوانين يتعصبون لها وينسبون الفضل فيها لبشر منهم ويدعون أنه الهدى والأصلح لقيادة العالم وسلوك الأمم الى مثلها العليا وتحقيق سعادتها بهذا النظام أو تلك القوانين **« قل ان هدى الله هو الهدى وأمرت أن أسلم لرب العالمين »** **والتركيز على تلك العقيدة فى دعوة كل رسول أول ما عنى به كل منهم « قل انما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به اليه أدعو واليه مآب » « ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال : ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره » « والى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره » « والى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره » « والى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره »** .

« ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون » .

وما فضل العرب فى ذلك الا أن الرسالة نزلت أخيرا بلسانهم على قلب نبى الهدى ورسول الرحمة بعد فترة من الرسل وبعد أن ضيع أولئك رسالات الأولين وضللوا البشرية فى حقيقتها وطمسوا معالمها وسحروا الناس بباطلهم الذى كتبوه بأيديهم وقالوا هذا من عند الله وكذبوا الأنبياء وقتلوهم بغيا وعدوانا فحفظ الله رسالته بحفظهم اياها وعملهم لها وبها وكتابتها وعنايتهم بكتابها ذخرا للبشرية وضنا بالرسالة أن يسرى عليها ما حل بما قبلها من تشويه ومسخ أو تنسخ بتعدد الترجمات واختلاف التعبير. وانما كان كل رسول سبقها يحدث قومه بلسانهم ليبين لهم ورسل الله فى التبليغ عن الله أمناء منزهون عن الهوى صادقون أسوياء فى الخلق والخلق مثل عليا فى أرفع درجات الانسانية ولم يخالج أحدا منهم خطرة من تسفل فى غاية شخصية أو انحراف عن سبيل ما يدعو اليه أو يقصر فى أدائها وانما كانوا جميعا أولى عزم اختارهم الله قادة مصلحين وهداة مرشدين رحماء بأممهم صابرين على

اذاهم وتكذيبهم اياهم ووضعهم العراقيل من شبه وضلالات فى طريق دعوتهم .

« وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم . ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفى شقاق بعيد . وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهاد الذين آمنوا الى صراط مستقيم » .

وكل ما اشتملت عليه الكتب السماوية التى انزلها الله على رسله أعاد الله تسجيلها فى كتابه الخالد ورسالة خاتم النبيين كما سجل فى سجل البشرية مؤامرات اليهود ومكرهم بها وبرسالاتها حتى استبان لها أمر هؤلاء وخداعهم اياها ولعبها بعقول الأسرة العالمية وتلاعبها بالدين ونظامها الربانى العام ومحاولة حجب ضيائه عنها فاستعمرت العقول بترهاتها فى كتبها وأسفارها وتلمودها حتى كاد يستعصى على جهابذة الفكر وعلماء الأديان فهم الرسالة على وجهها ومعرفة ما دسوا من قول واتبعوا ما تشابه من آياتها ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويل الذكر الحكيم وما أحكم من آياته ثم فصل من لدن حكيم خبير . ازاغة للقلوب وبلبلة للفكر العالمى وتشقيقا للصفوف وهدما للمعتقدات واشاعة لفاسدها وتعمية على الناس من كل ملة أو دين وايقادا للشعوبية وتحيزا بين المعسكرات واغراء لبعضها على البعض الآخر وأضعافا لكلها أو انهاكا لقواها وتخديرا لفريستها من كل أمم الارض فوضعت للمسيحية المؤمنة وكادت لها حتى ربطتها بعجلتها ثم أوضعت خلال العقيدة السمحة بالاسرائيليات والأحاديث والمرويات ما يربو على اربعة عشر الفا مما يعسر أو يتعذر على الفاحص الخبير ادراكه لولا ما قيض الله لرسالته من رجالات البصر وعلماء التعديل والتجريح واهل الفقه بالسنة وبروح الرسالة فنفوا عنها ما استطاعوا وذبوا عن حياضها ما وسعهم الجهد وجاهدوا فى سبيل وصولها وضاءة نقية . وانما علينا أن نتم ما بداوا وان ننحى عنها ما أثاروا حولها وفتحوا بها على الناس أبواب الجدل والمذهبية والمدارس المختلفة فتنابذوا وتباعدت قلوبهم باختلاف تفكيرهم وما ذهبوا اليه حتى استقر ذلك فى أعماق الأمة عبر القرون وتعددت الطوائف وتعصب كل لطائفته وما أعتنقته حتى حملوا السلاح والتفت بعضهم الى بعض يتناحرون ويتفانون وجمدوا على ما ورثوا مما وضعه الفكر اليهودى وزيفه عليهم موشى بالدعوات البراقة فى ثياب الدين أو العلم او التقدم .

وحسبى وحسبك أن نحاول فهم سر كتاب الخلود ووحدة دين الاسرة العالمية وشرائعها بعيدا عن الجدل وأسبابه والمماراة التى لا تنتهى الا بما أرادت اليهودية للناس من تشعيب وتمزيق وتفريق وعلى الناظر فى دستور الأسرة وكتاب البشرية أن يخلى بينه وبين قلبه وعقله وأن يأخذه كلا نصوصا حية عاملة لم يتعطل منها نص أصلا الا ما عطله الناس بأهوائهم ولم يلغ منها شىء أو يناقض بعضها بعضا « **وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** » .

وستعلم يقينا لماذا تقف الصهيونية ـ وهى التسمية الحديثة للفكرة اليهودية ـ للعرب كجنس وأصحاب رسالة ولماذا نزلت الى الميدان علنا بعد مؤتمر بال فى سنة ١٨٩٧ ومؤتمر لندن فى سنة ١٩٠٧ وركزت على فلسطين كنقطة ارتكاز للوثوب منها على تراث البشرية ومقومات الأمم ثم تدرك كيف تلعب بمشاعر الغافلين وتؤلب الأمم وتغريها بالتوجيه اللاشعورى على امتشاق السلاح بعضها على بعض حرصا منها على تفتيت المجتمعات الدولية وصرفا لأنظارها عما تكن للبشرية بعد ان تزيل من طريقها تلك الأمة الصامدة العتيدة فانها خصمها اللدود وعدوها التى لم تستطع قهره فيما سبق من محاولاتها فى الحروب الصليبية ـ وهى اليهودية المقنعة ـ وفى اغراء العثمانيين للبطش بالعرب ثم فى اغراء أوربا ثم أمريكا بالشرق ثم وضعت يدها كما تتصور على ما تخيلته حصنا لفكرتها ومبعثا لتحقيق احلامها ولا والله لن يكون ذلك أبدا « **ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا** » ماشاء الله لا ماشاء الناس ، ماشاء الله كان ولو كره الناس .

ولا أحسبك حين صفاء نفسك وجلاء بصيرتك وتتبعك لآيات الذكر الحكيم وتخلية ما بينها وبين قلبك وعقلك الا مدركا لحقيقة الرسالات ووحدتها فى العقيدة والعبادات والأحكام والمعاملات والأخلاق والسلوك وتحديد العلاقات بين العبد وربه وبينه وبين نفسه وبينه وبين الناس بل وبينه وبين الكون كله وعوالمه المنظورة وغير المنظورة وأنها جميعا ربانية علوية تسمو بالنفس الانسانية وتوحد المشاعر ومسارات الفكر وتسلك كل أفراد الأسرة فى عقد الاخاء واطار الأسرة الهادية المهتدية باذن ربها وتعاليم قادتها من رسلها وأنبيائها والذين يأمرون بالقسط من الناس ويدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون عنتا ولا يرهبون جبروتا لا تفتر لهم همة ولا تلين لهم فى الحق قناة يحبون الشهادة كما يتعلق غيرهم بالحياة يود لو يعمر ألف سنة من أعداء البشر ومن قال الله فيهم « من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين من كان عدوا الله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين » أولئك حزب الشيطان من اليهود الذين لا يؤمنون برسالة ولا يرعون عهدا ولا يرقبون فى أحد من خلق الله الا ولا ذمة يرضون الناس بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون « اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ماكانوا يعملون لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون » .

ذلك مكرهم بالانسانية وتلك نحيزتهم وهذه سجيتهم وسليقتهم .

فانظر ما فعلت الفكرة اليهودية بخلق الله من كل الأمم وسائر الشعوب وكيف أضلتهم عن هدى السماء وباعدت بينهم وبين سعادتهم وأشقتهم وطوافتهم وحاولت الحيلولة بينهم وبين غاياتهم من الوحدة الشاملة يعيشون فى ظلها آمنين متراحمين لا اختلاف فى عقيدة ولا غبن فى معاملة ولا بدع فى عبادة مجتمعا نظيفا ومدنية فاضلة تعطى الجسم والروح معا ما يمدهما بالحياة دافقة قوية نقية من كل شوائب الخلف والتخلف والجمود لا يؤله فيها بشر ولا تستعبد أمة ولا تذل شعوب ولا تخضع جباه الا لله الواحد القهار « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون » .

وحدة العبادة فى دين الأسرة العالمية : **« يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير » « يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين » « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » « واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا » « وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا » « وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على مارزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق » « ولقد أخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا وقال الله انى معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلى وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجرى من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل » .**

ومن هذه النصوص وغيرها فى كتاب الانسانية الخالد يتضح جليا ان دستورها فى جميع رسالات السماء واحد حتى فى التفاصيل والجزئيات وكل شىء يتعلق بحياة الاسرة العالمية « وكتبنا له فى الألواح من كل شىء موعظة وتفصيلا لكل شىء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين » « ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذى أحسن وتفصيلا لكل شىء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون . وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون » .

فلما سدر هؤلاء فى غفلتهم وأمعنوا فى جحودهم وضيعوا الرسالات وقتلوا أنبياءها وطعنوا فى عصمتهم وكذبوا وعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا وقالوا نؤمن بما أنزل علينا وهو الباطل الذى كتبوه بأيديهم وكفروا بما وراءه وهو الحق مصدقا لما انزل على موسى ومن قبله ومن بعده وأعلنوها حربا على السماء ورسالاتها و « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون ». يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون » أرسل الله رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وليعلم الناس جميعا أن الدين كله لله وان الدين عند الله الاسلام وانه من يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ولكن كيف يأتون الى هذا الحصن المنيع الذى أحاطه الله برعايته ورعى الله محمدا وصحبه فافتدوه بمهجهم وأموالهم ودمائهم وجاهدوا فى سبيله ورفعوا رايته لا يبالى أحدهم على اى جنب كان فى الله مصرعه !

هذا العملاق الذى لا طاقة لهم به وهذا الضياء الساطع والقوة القاهرة وايمان المؤمنين به وتمسكهم بحقهم وحق البشرية فى بلاغه واستماتهم فى الدفاع عنه وعن مهابط وحيه ومواطنه الأولى وتطبيقهم اياه نصا وروحا عبادة وعملا وسلوكا دينا ودولة لم يستطع الفكر اليهودى مسلحا بكل اسلحة الجدل والمماراة والتشكيك والتشقيق أن يزيد فيه أو ينقص منه أو يحول جنده عنه مستعينا بالمؤامرات والدس وخيال الطفولة البشرية (الوثنية والمجسمة) وما ورثته البشرية فى عهود متطاولة من عقائد لا غناء فيها وانظمة تنافى طبيعة الوجود وعبادة بشر وتاليه كوكب ورموز لآلهة متعددة المناحى والاختصاصات .

فلما أكده السير وعناه السرى أخذ من كل ذلك وملأ جعبته وتظاهر بالاسلام ونفث فى البيئة الاسلامية من سمومه - بعد أن عاش فيها آمنا على نفسه وماله وعرضه - ما عرف بالاسرائيليات ثم القول بنسخ بعض آيات الكتاب الكريم ثم محاولة الاغراء بترجمة الفاظه ثم ابعاد المسلمين عن تطبيقه بيتا ومدرسة وقضاء ثم محاولة تملك الأرض التى انبعث منها هذا الضياء والقضاء على حماته وجنده ومقدساته وتنفيرهم منه بتصويرهم اياه جامدا متخلفا فالمعركة اذن بيننا وبين هؤلاء قديمة حديثة قديمة بقدم الرسالات وما انزل الله من كتب ومن بعث من هداة يأمر رب العباد أن يقتفوا آثارهم ويتأسوا بهم فى قوله جل شأنه « أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين . أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » .

تبدأ من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم متصلة مستعرة الأوار مستترة أو مستعلنة وهى بدورها حرب غير مقدسة منهم على أقدس مواريث البشرية فان وقف العرب فى الميدان الأول من ميادينها فانما هم طليعة البشرية وحماة التراث الخالد ومهوى الافئدة من كل أمة .

فما أعظمه شرفا أن تدافع أيها العربى ويأيها المسلم عن دينك ووطنك وعروبتك واليك بشائر النصر .

« لن يضروكم الا أذى وان يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » « لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله » « وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون فى الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين » والجهاد يا أخى هو سبيل العزة والكرامة وهو شعار الأحرار ودأب المناضلين بل هو الحياة والخلد وماترك قوم الجهاد الا ذلوا وديسوا بالصغار فقف دون وطنك وشرفك ودينك وناضل بكل ما تملك من سلاح ومال وقلم ولسان واعلم انه فرض عين لا يتحلل منه أحد الا بالقيام بحقه (وجاهدوا فى الله حق جهاده) وحتى الضعفاء والمرضى والذين لايجدون ما ينفقون لابد أن ينصحوا لله ورسوله ويحسنوا القيام على من هم خلف خطوط النار ويكونوا مع الجماعة قلبا وكتفا ويدا والله المستعان .

الوفاء بالعهد والأمان

سماحة الاستاذ مبشر الطرازي الحسيني

لقد أثبتنا فى مقالنا السابق تحت عنوان « علل تشريع الحرب فى الاسلام » انه لم تحدث فى العهد الأول للاسلام حرب الا لعلة من العلل ، وذلك بنصوص الآيات من القرآن المجيد التى قررت هذا الوضع قانونا حربيا قدسيا يجب على المسلمين اتباعها فى كل عهد من العهود .

ان الاسلام أوجب الوفاء بالعهد ومراعاة مواد المعاهدة بكل اعتناء ، وأمر قواد الجيش بتنفيذها ، فقد قال الله عز وجل فى القرآن المجيد :

« براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين)) ثم قال ((الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا ، فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين» الآية ٤ ـ سورة التوبة .

كما أمر عامة المسلمين بالوفاء بعقودهم وعهودهم حيث قال :

(يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) . وجعل الوفاء بالعهد من صفات المؤمنين فقال سبحانه :

« والموفون بعهدهم اذا عاهدوا » .

هذا ، وقد اعتنى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالمعاهدة ومراعاة حقوق المعاهد ما لا يرى من الاعتناء فى هذا الموضوع فى صفحات التأريخ عن سائر الأديان ، وليس له نظير فيها .. فقد قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

الا من ظلم معاهدا او انتقصه أو كلفه فوق طاقته ، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس ، فانا حجيجه يوم القيامة » .

رواه صفوان بن سليم عن عدة من أبناء اصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن آبائهم عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وروى أبو داود فى سننه عن أبى رافع ـ رضى الله عنه ـ أنه قال : (يعثتنى قريش (فى أمر لهم) الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلما رأيت رسول الله ألقى فى قلبى الكلام (حتى أسلم وأبقى عنده) فقلت يا رسول الله انى والله لا أرجع اليهم أبدا ، فقال « انى لا أخيس (أى لا أغدر) البرد (أى الرسل) ولكن ارجع فان كان فى نفسك الذى فى نفسك الآن فارجع) قال أبو رافع فذهبت ثم اتيت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأسلمت (يعنى اظهرت الاسلام)

أقول : والظاهر أن قصة أبى رافع كانت بعد صلح الحديبية ، وكان من مواد هذا الصلح : **« من جاء المسلمين من قريش يردونه ، ومن جاء قريشا من المسلمين لا يردونه » .**

ولا شك فى أن القصة تدل على الوفاء بالعهد فى تعاليم الاسلام ، كما يدل على بعد نظر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى قبول هذه المادة فى المعاهدة . فقد قال المسلمون عندما سمعوها : « سبحان الله كيف نرد اليهم من جاءنا مسلما ، ولا يردون من جاءهم مرتدا ؟

ولكن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال فى **جوابهم « انه من ذهب منا اليهم فأبعده الله ، ومن جاءنا منهم فرددناه اليهم فسيجعل الله له فرجا ومخرجا » .**

وكان كما قال عليه الصلاة والسلام ، حيث جعل الله تعالى لأبى رافع فرجا ومخرجا حتى أتى بعد عودته وأظهر اسلامه ـ رضى الله عنه ـ .

هذا ، وقد كان الخلفاء الأربعة الراشدون من بعد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم على هذه السنة النبوية والسياسة الحكيمة فى الوفاء بالعهد والأمان والتمسك بهما وتأكيدهما .

يروى التاريخ قصة فى خلافة عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ نرويها للقراء الأعزاء كمثال واقعى على التمسك بالعقود واحترام العهود وتأكيد المواثيق وهى :

ان هرمزان القائد الفارسى الشهير لما حوصر فى قلعة تستر طلب من قواد الجيش المسلمين النزول على حكم أمير المؤمنين عمر - رضى الله عنه - فقبلوا طلبه وأخذوه معهم الى المدينة . فلما مثل هرمزان بين يدى عمر - رضى الله عنه - قال له عمر : كيف رأيت عاقبة الغدر وعاقبة أمر الله ؟ فقال هرمزان: انا واياكم فى الجاهلية كان الله قد خلى بيننا وبينكم فغلبناكم ، فلما كان الله معكم - بعد الاسلام - غلبتمونا ؟ فقال عمر : انما غلبتمونا فى الجاهلية باجتماعكم وتفرقنا ، ثم قال عمر ما حجتك وما عذرك فى انتقاضك مرة بعد أخرى ؟ فقال هرمزان أخاف أن تقتلنى ان أخبرتك ، فقال عمر لا تخف ذلك واستسقى هرمزان ماء فأتى به فى قدح غليظ ، فقال : لو مت عطشا لم أستطع ان أشرب فى مثل هذا . فأتى به فى اناء يرضاه ؛ فقال أخاف أن أقتل قبل أن أشرب ، فقال عمر لا بأس عليك حتى تشربه فأكفاه .. فقال عمر : أعيدوا اليه ولا تجمعوا عليه بين القتل والعطش ، فقال هرمزان لا حاجة لى فى الماء وانما أردت أن أستأمن به .. فقال عمر : أنى قاتلك ، قال هرمزان : قد أمنتنى قال عمر : يا أنس أنا أؤمن قاتل البراء بن مالك ، ومجزاه بن ثور ؟ والله لتأتين بمخرج أو لأعاقبنك قال أنس : قلت لا بأس عليك حتى تخبرنى ، ولا بأس عليك حتى تشربه » ، وقال من حوله مثل ذلك ، يعنى أيدوا أنسا فى رأيه ، فأقبل عمر على هرمزان وقال : خدعتنى والله لا أنخدع الا لمسلم ، فأسلم هرمزان وصار من التابعين باحسان .

ويقرب من هذه القصة ما كان من أبى عبيد بن مسعود الثقفى ،أمير الجيش فى العراق ، حينما هزم جيش فارس فى وقعة النمارق ، أتوا اليه بأحد قواد فارس أسيرا فأشار اليه بعض أصحابه بقتله ، ولكن أبا عبيد - رضى الله عنه لما علم أن هذا الأسير قد أخذ الأمان ممن أخذه أسيرا بالخدعة قال : أنى أخاف الله أن أقتله ، لأن أحد المسلمين قد اعطى له امانا ، فان المسلمين كالجسد الواحد ، فالذى يلزم على ذمة احد منهم يلزم عليهم جميعا .

نعم : هكذا كان السلف فى سياستهم السلمية ومراعاة العهود - رحمة الله عليهم أجمعين - وانما ذلك اتباعا منهم لسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتعاليمه الاسلامية الشريفة ٨ وبهذه السياسة وأمثالها فتحوا القلوب تنزع اليهم وتخضع لهم قبل أن يفتحوا البلاد ، واصبحوا فاتحين محبوبين فى اعين الأجانب ينظرون اليهم بعين المحبة والاحترام والاعجاب ، وقد اعترف بهذا المنصفون الأجانب منهم مسيو أوجين يوغ الفرنسى ، فانه يقول فى كتابه « يقظة الاسلام والعرب » ما يلى :

« ونعترف نحن الأوربيين انه لا يمكننا فى أية حال أن نجزى العرب جزاءهم الأوفى على خدماتهم للعلم والمدنية ، فانهم أساتذتنا الذين تلقينا عنهم شتى العلوم والفنون . وأما نحن فقد كانت العلوم لدينا محصورة فى الأديرة والصوامع وفى نطاق ضيق جدا .. ثم قال :

«وعلاوة على ذلك فقد علمنا العرب دروسا فى التسامح والكرم ، فانهم لم يرغموا الشعوب التى فتحوها على تغيير معتقدهم الدينى ، كما كان المسلمون يحترمون جميع الأديان مهما ضعفت وقل عدد معتنقيها ، ولا يغرب عن البال أن من خصائص الدين الاسلامى السعى للسلم العالمى ، وأن من يمتزج بالمسلمين يتأكد من انهم يحملون قلوبا بيضاء سليمة من كل حقد وضغينة ، وهم يسعون الى تأليف القلوب والأرواح » .

ثم قال أوجين يوغ :

« ولو أن الغربيين درسوا القرآن لمدوا أيديهم لمصافحة المسلمين بدلا من الجور عليهم ومعاداتهم، ومعلوم أن المسلمين يتمسكون بتعاليم القرآن ، ويطبقونها حرفيا ،فاذا ما قرأنا القرآن أدركنا مبلغ ما يتحلى به المسلمون من الفضائل » .

أقول :

(ان اعتراف مسيو أوجين يوغ ،اعتراف بالحقيقة والواقع ، ناشىء عن انصاف انسانى مما يدل على علو مكانته الانسانية فى قارة أوربا ، وانى أقدره كمبلغ اسلامى كل التقدير ، وعلى أن لا يفوتنى صراحة القول بالحق حول قوله : ومعلوم أن المسلمين يتمسكون بتعاليم القرآن ويطبقونها حرفيا »

نعم هكذا كان المسلمون فى عهود الاسلام الأولى **ويجب أن يكونوا كذلك فى العهود المتأخرة وسوف يصلح الله أمر المسلمين كما أصلح أحوالهم الأولى** وحقا أنه (لايصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها ، اللهم اصلح احوالنا وانصرنا على اعدائنا آمين

« يتبع »

نظام الحسبة في الإسلام

الدكتور مصطفى الرافعي

تمهيد

نتحدث اليكم فى هذا المقال عن شىء اسمه « الحسبة » وهى وظيفة مبتدعة فى العصور الاسلامية وتطورت فى بعض الدول فكانت بين سلطة القضاء وسلطة التنفيذ .

ويتولى الحسبة مأمور مكلف بادائها لا متطوع لها ويسمى المحتسب ويختار من السلطان لصفات تميزه ومهابة ينفرد بها .

واصل اللفظ اللغوى معناه الاحصاء العددى — وتصريفه :

حسب — يحسب — ويحسب — بفتح السين وكسرها فى المضارع — حسبة وحسبانا — كما انه يدل على حسن تدبير الأمور وصحة النظر فيها .

واود ان انبهكم الى موارد الحسبة فى التآليف القديمة والتى كانت مصادر لمن ألفوا فى الحسبة فى الاسلام .

فالى بعض الأخبار المتفرقة فى شتى كتب السيرة التى تعرض أخبار الخلفاء والقضاة ، نشرت مجلة المقتطف فى عدد مارس — اذار — سنة ١٩٣٢ ان اثنين من المعلمين الفرنسيين نشرا كتابا فى اداب **الحسبة فى الاسلام لمؤلف عربى يدعى أبا عبد الله** محمد بن أبى محمد السقطى المالقى ، وكان هذا الرجل محتسبا فى مدينة مالقة فى أخريات القرن الحادى عشر الميلادى .

وكتاب السقطى يتناول قسما من الحسبة هو القسم العملى لا الدينى — وسنعرض للقسمين فى بحثنا هذا — فنتكلم عن الكيل والكيالين والموازين والوزانين وفى عملة الدقيق والخبز وباعتهما وفى القصابين وانواع المطبوخات وفى العطارين والصيادلة وفى الصناع وصنائعهم كما تكلم فى أسواق النخاسة — وهى الأسواق التى لم يعد لها أثر فى البلاد الاسلامية حيث قضى الاسلام من نفسه على التفرقة العنصرية التى نرى لها اليوم وجودا فى غير بلاد المسلمين .

ومؤلف أبى عبد الله السقطى صغير الحجم ولكنه غزير المادة وقد اخبر عن الحال الاقتصادية فى الأندلس بما يضيف غرة واضحة الى غرر التمدن الاسلامى .

وفى مطلع القرن الخامس عشر الميلادى ألف عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المعروف كتابه المقدمة وفيه عرف الحسبة بانها وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الذى هو فرض على القائم بأمور المسلمين ، يعين لذلك من يراه أهلا له ، ويتخذ الأعوان على ذلك .

وفى ايجاز بين ابن خلدون أعمال المحتسب فى مراقبات شتى امور الدين والمعايش والتربية ومنافع الناس . كما بين ان المحتسب يتولى أمره ابتداء عند رؤيته المخالفات دون ان يرى تنازعا بين الخصوم أو ينتظر استعداء من أحد الخصوم ، بل له النظر والحكم فيما يصل الى عمله من ذلك من غير ان يكون من حقه امضاء الحكم في الدعاوى التى يجب ان ترفع مع بيناتها الى القضاء .

ويراها ابن خلدون وظيفة اقل من رتبة القاضى ولكنها تكون فى خدمته ومعونته .

وقد أشار الى أنها كانت فى بعض الدول الاسلامية كالاموية فى الأندلس والفاطمية فى مصر والمغرب .

وقد قال انها كانت داخلة فى عموم ولاية القاضى يولى فيها باختياره ثم لما انفردت وظيفة السلطان عن الخلافة – وهو تعبير يفيد انفصال السلطة الدينية عن السلطة الدنيوية – وصار نظر السلطان عاما فى أمور السياسة اندرجت فى وظائف التنفيذ التابعة للسلطان وانفردت بالولاية .

والف كل من أبى الحسن الماوردى وأبى يعلى الفراء الحنبلى فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى – وهما قبل ابن خلدون – كتابين باسم الأحكام السلطانية – وكلاهما كان يعمل فى القضاء فى بغداد .

وقد أفرد كل منهما « الحسبة » فى كتابه فى باب مفصل . وسنجعلهما مرجع بحثنا الأول الذى نحن بسبيله اليوم .

وقد كتب من هذه الأصول كتاب محدثون : كتبوا مقالات مختصرة او كتبا موسعة كانت هذه منابعها واصولها .

الحسبة اليوم :

ان وظيفة الحسبة فى الدولة الحديثة قد توزعت بين سلطات مختلفة . وحيثما تتبعنا هذه السلطات وجدنا للحسبة مكانا فهى فى السلطة الدينية تتمثل فى الواعظ الذى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وتتمثل فى المؤذن وامام المسجد الذين عليهما مراعاة الوقت وحساب الزمن واقامة الفريضة .

وفى وزارة التربية تتمثل فى مدير المدرسة – الذى يسمى فى مصر ناظرا – ومفتشها حيث يمنعون تطبيق العقوبات البدنية على الصبيان الصغار خوف اصابتهم بأضرار أو عاهات .

وهى فى وزارة التموين تتمثل فى مراقبة الأسعار وعمل الخبز – نوعا ووزنا ونظافة – وفى مراقبة الموازين والمكاييل واشباه ذلك ليمتنع الغش والكسب الحرام وتطفيف الميزان .

وقد تتمثل فى مفتش الرفق بالحيوان ، وفى جندى المرور الذى يراعى حمولة الدواب والعربات والسفن لئلا يحدث الايذاء أو التلف او الكوارث التى تصيب الناس .

كما تتمثل فى مهندسى التنظيم الذين يراقبون صلاح الطرقات للسير والمبانى الآيلة للسقوط واشغال الطريق والقعود فى الأسواق ووضع الدكاكين .

ومن هذا كله نستطيع ان نستنبط ما يلى :

١ – ان وظيفة المحتسب تتوزع بين الدين والدنيا ومن هذا يجب ان تتوافر فى المتعرض لأمور الدين شروط سنأتى عليها ، وكذلك فى المتعرض لأنظمة الناس فى حياتهم ودنياهم .

٢ – ان وظيفة المحتسب يمكن اجتماع اعمالها فى الدولة الناشئة والمجتمع الصغير اما حينما تتعقد أمور الحياة فى المجتمعات الكبيرة فلابد ان تتوزع الأعمال على رجال كثيرين وجهات شتى ويتغير اسم المحتسب واسم الحسبة طبقا لما يكون من انظمة واختصاصات .

٣ – ان وظيفة المحتسب ليست وظيفة اصدار الأحكام ولكنها وظيفة تطبيقها جريا وراء الآداب المتبعة والعادات المألوفة والقوانين المرسومة . وحركة القائم بها فى اطار هذه الأمور .

٤ – ان وظيفة المحتسب اشبه بوظيفة المقطوع لهذه الأعمال ، ولكنها حين تكون نائبة عن السلطة

قائمة بتكليف منها تكون انفذ واهيب فى صدور الناس .

الحسبة والقضاء :

يقول الماوردى ان الحسبة توافق القضاء من وجهين وتختلف من وجهين وتزيد عليه من وجهين :

اما موافقتها لأحكام القضاء فاحد الوجهين انه يجوز الاستعداء الى المحتسب كالقاضى ثم عليه ان يسمع دعوى المستعدى اى المدعى على المدعى عليه – ولكن هذا ليس فى عموم الدعاوى وانما يكون فى المنكر الظاهر الذى لا يحتاج الى صدور حكم من القاضى بعد البينة والشهود وذلك مثل النظر فى الكيل والميزان ومخالفة الأسعار والمطل فى الدين الذى صدر به حكم من القاضى بالثبوت والقضاء .

والوجه الثانى ان له ان يتصرف حسبما يرى الحق فى جانب المدعى أو المدعى عليه ويحكم به على الفور .

واما مخالفتها لأحكام القضاء وقصورها عنها فاحد الوجهين انه ليس للمحتسب ان يسمع الدعاوى الخارجة عن ظواهر المنكرات كالنظر مثلا فى العقود والمعاملات فليس له ان يتعرض للحكم فيها الا أن يرد اليه ذلك بنص صريح فى توليته – وحين ذلك يجمع بين الحسبة والقضاء .

والوجه الثانى ان الحسبة مقصورة على الحقوق المعترف بها دون طلب البينة واليمين .

واما زيادتها على أحكام القضاء فأحد الوجهين انه يجوز للمحتسب ان يحكم ابتداء فيما يراه من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر .

والثانى – وهو الأمر الهام فى المحتسب – هو ان للناظر فى الحسبة من السلطة والقوة فى التنفيذ ما ليس للقاضى ، لان الحسبة موضوعة للرهبة فلا يكون تولى المحتسب لها الا بالمهابة والشدة من غير خرق ولا جور .

صفات المحتسب :

لقد كان من شروط المحتسب قديما حين كان له سلطة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ان يكون فقيها عالما بالخلاف – اى بالوجوه المختلفة للاحكام والآراء المتباينة فيها وهو ما نسميه اليوم بالفقه المقارن – حتى اذا صدر منه حكم لم يكن عن هواه أو تعصبه ويترك للناس فسحة من التيسير .

ولا يجوز أن يتولى هذا النوع من الحسبة من غير الفقهاء الا من كان عارفا بالمنكرات المتفق عليها وحينئذ فلا ضرورة ان يكون من رجال الاجتهاد .

ومن شروط المحتسب قديما وحديثا – مع تغير الأسماء والجهات التى تعينه فى الدولة الحديثة – أن يكون عاقلا بصيرا معروفا بالعدل ذا ضمير ، وان يكون ذا صرامة وخشونة فى الدين والحق .

وقد كان مصدر هذا التشريع فى الحكومات الاسلامية قوله تعالى : **« ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » .**

وهذا وان اتفق فيه المحتسب والمتطوع الا انهما يفترقان فى هذه الأمور :

١ – ان عمل المحتسب متعين عليه بحكم الولاية اما المتطوع فعمله داخل فى فروض الكفاية .

٢ – ان قيام المحتسب بعمله لا يحق له التشاغل عنه اما المتطوع فهو يؤديه نفلا فيجوز له ان ينصرف عنه الى غيره

٣ – انه فى مكان الاستعداء به دون المتطوع .

٤ – ان عليه ان يجيب المستعدى به دون المتطوع فليس عليه حتما ان يجيبه .

٥ – ان على المحتسب ان يبحث ويفحص عن المعروف الظاهر والمنكر الظاهر وليس على المتطوع البحث ولا الفحص .

٦ – ان فى امكان المحتسب ومن حقه ان يتخذ على عمله أعوانا يختارهم ليكون على عمله اقدر اما المتطوع فليس له ان يتخذ الأعوان والنصراء .

٧ – للمحتسب التعزير فى المنكرات وليس له اقامة الحدود – والتعزير تختلف فيه الأحكام بحسب الأحوال وهو من شأن السلطان يتولاه عنه المحتسب فيما كلف به من مراقبة وأعمال .

٨ – المحتسب يتناول أجرا من بيت المال أو من الدولة من الجهة التى تعينه وليس للمتطوع هذا الأجر .

٩ – ان المحتسب له اجتهاده ورايه فيما يتعلق بالعرف دون الشرع وذلك كتنظيم مقاعد الباعة فى الأسواق ومقادير الأجنحة الخارجة من الدكاكين وليس هذا من شأن المتطوع بحال .

فهذه تسعة فروق أوردها الماوردى والفراء بين المحتسب والمتطوع مع ما بينهما من شبه فى النظر للمعروف والمنكر .

المحتسب الديني :

والحق أنه كان للمحتسب الديني شأن أى شأن في الدولة الاسلامية ـ ولا سيما الدولة التي ينفصل فيها الدين والدنيا ـ فقد كان له الأمر بالمعروف فيما يتعلق بحقوق الله وحقوق العباد .

وأهم الحقوق الالهية تادية الفرائض في أوقاتها ومراقبة العصاة والمتخلفين عن مثل الصوم والصلاة .

أما حقوق العباد فكل ما كان عاما كالمرافق العامة والمعونات لمستحقيها ورعاية أسوار البلاد القديمة ومشاربها ومساجدها . وكان عمل المحتسب أن يرفع أمر ذلك كله الى السلطان لينظر فيه ويقوم باصلاحه أو انشائه لأنه احق به وأقدر عليه .

وأما نظر المحتسب في الأمور الخاصة فكالحقوق اذا مطلت والديون اذا تأخرت ، وليس له أن يتجاوز حده الى ايقاع العقوبات بالماطلين والمتاخرين عن أداء الديون .

وكان للمحتسب كذلك ان ينهى عن المنكرات : ما كان منها فى حق الله تعالي أو كان منها في حقوق العباد .

والأول يتناول المخالفات فى العبادات وفعل المحظورات والخروج عن قوانين المعاملات . أما المتعلق بحقوق العباد فمثل التعدى على حقوق الجار ومن واجبات المحتسب مراعاة حال الأمانة والخيانة من الصاغة والحاكة والقصارين والصباغين ، وأن يتصدى لكل ما تفسد به النفوس وتخبث به الآداب .

وخلاصة القول ان أمر المحتسب وأعوانه فى الدولة الاسلامية أمر كان له شان فى سيرها وانتظام امورها الدينية والدنيوية ، وقد تفرق اليوم سلطانه فى الدولة الحديثة الى عدد كبير من السلطات ، والدول تراعى فى اختياره نفس الشروط التى كان يختار عليها فى العهود الاسلامية فاذا روعيت هذه الشروط صلحت الأمور وانتظمت الأحوال .

صور القيامة

لأحاديث الرسول عن اليوم الآخر وما أعقبه من جنة ونار أهمية بالغة فى الدراسات الأدبية المقارنة ، لان العربية لم تعرف قبل القرآن وصفا كاشفا لليوم الآخر وما يتخلله من حساب وميزان وصراط ثم ما يترتب على ذلك من نعيم وعذاب ! وجاء الحديث النبوى ليوضح ما أجمل القرآن ، وليسهب فى ذكر اليوم الآخر اسهابا يقربه من العقول ، ويجعله حقيقة واقعة لدى قوم ينكرون البعث ويقولون فيما حكى عنهم القرآن « أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الاولون قل نعم وانتم داخرون فانما هى زجرة واحدة فاذا هم ينظرون »

كان على رسول الله مع هذا الانكار الجاحد أن يجعل من قضية البعث مجالا للتأكيد والتثبيت . ومن وسائل ذلك أن يستعرض موقفا موقفا يبدأ من النفخ فى الصور وينتهى بوصف مقاعد الجنة ومهاوى النار ! ولابد ان يكون لهذا الاستعراض أدواته البيانية من وضوح الفكرة وابرازها فى صور رائعة مؤثرة ، واجادة تصوير الموقف المنتظر وتوشيته بازهى الالوان والاصباغ مما ألهمه نبى الاسلام باعداد الله وتوجيهه ، لذلك جاءت الثروة النبوية من حديث القيامة قيمة جزيلة النفع !!

وقد تاثر بها الأدب العالمى فى أوربا تاثرا أصبح موضع الاعتراف دون انكار ، فدانتى حين تحدث فى الكوميديا الالهية عن الجحيم قد أتى بصور اسلامية لا تعرفها المسيحية وانما تلوح مصادرها فى آيات القرآن وأحاديث محمد كما سنعرض لذلك بالتفصيل فى الفصل القادم وملتون حين وصف نعيم الجنة فى الفردوس المفقود انما استلهم القرآن والحديث فى بعض ما نظم ! وعجيب جدا أن تحدث مشاهد القيامة فىالقرآن والحديث هذا الأثر العالمى ثم نجد أحاديث الرسول عنها فى المكتبة العربية تقبع فى حيز ضيق لا يجد المجال من الكتاب للتشريح والتحليل ، وهى من قوة التصوير وعمق الادراك ، واثارة العاطفة بحيث استطاعت أن تترك الأدب العربى وتطير الى أبعد الآفاق !

أجل ، لقد وجد لدينا من الادباء من استغل أحاديث القيامة فى انتاجه الفنى كأبى العلاء المعرى حين أبدع رسالة الغفران فتحدث عن جبال الذهب فى الجنة وحياض العسل فى الفردوس، وعن الحور العين فى هيئة الاوز ثم عن شجرة الزقوم وخزنة جهنم مما سنشير اليه قريبا وكان الشاعر الفيلسوف أول أديب عربى استلهم الآثار الدينية فى ابداع رحلة خيالية تحلق فى آفاق اليوم الآخر ، ثم كتب رسالة الخلود فترجمت الى اللغات

فى الأدب النبوى

فضيلة الدكتور
محمد رجب البيومى

المختلفة وصارت مصدرا حيا من مصادر الأدب والفن ، ولا يهمنا الآن أن نثبت تأثير رسالة الغفران فى بعض أدباء الغرب ! انما يهمنا أن نذكر أن المصدر الأول لرسالة الغفران كان الآثار الدينية الاسلامية من قرآن وحديث ! ولقد أفردت كتب خاصة لأحاديث القيامة فى القرآن فلابد أن نعقد فصلا كاشفا هنا لتوضيح حديث القيامة فى آثار الرسول العظيم !!

على أننا حين نقرر أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان أول انسان أضاف للادب العربى صورا مؤثرة نافذة عن عالم غيبى لم يكن الجاهليون على دراية شىء منه انما نقرر أنه بما أضاف للادب من هذه الصور الجديدة قد أعطى الدليل على نبوته الصادقة والا فكيف استطاع هذا الأمى الناشىء فى الجزيرة العربية أن يصف أشهى منازل الترف فى الجنة من قصور عالية وحياض مترعة وحور ناعمة وحدائق نضيرة وسندس وحرير واستبرق وولدان مخلدون ، وأنهار من عسل مصفى ومن خمر للشاربين ، كيف استطاع أن يصور ذلك كانسان لأول مرة فى الادب العربى، ونقول كانسان لأننا نعلم فضل القرآن فى الحديث عن مشاهد القيامة ! فلابد أن نذكر انه كان أول أثر فى العربية فتح العيون على آفاق واسعة من عالم الغيب ، وانها لآفاق تظل على تكرار آياتها وسورها ذات بهجة ونشوة وامتاع !

لم يكتف القرآن برسم المناظر المحسوسة ولكنه أضاف اليها مشاهد الحوار والجدل والنقاش فى الجنة والنار ، فساعد على اكمال صورة حية تجيش بالحركة والخصام والجدل ، وتقف بالقارىء على صور حقيقية لما سيكون ، اذ يرى المشهد المؤثر . ويسمع الرد المحتدم والجواب الثاقب ثم يصل الى العاقبة الهائلة حين يرى المتخاصمين قد كبكبوا فى نار جهنم ! ويطول بنا المقام اذ نعرض بعض مشاهد القرآن فى فصل يتحدث عن مشاهد الحديث ، ولكننا نستشهد بمنظر قرآنى واحد لأهل النار نعده تمهيدا كاشفا لما سيجىء من مشاهد القيامة فى أدب الرسول .

ان الكافرين ليحشرون فى جهنم أفواجا خلف أفواج ، وان القادمين لينظرون الى المقيمين فى تلدد وغيظ اذ كانوا مصدر نكبتهم حين أغروهم بالكفر وصدوهم عن الايمان ! وان النظرات لتتبادل فى غيظ محنق وان النقاش ليحتدم فى كراهية ولدد وان القرآن ليبدع فى تصوير ذلك حين يقول « هذا فوج مقتحم معكم ، لا مرحبا بهم انهم صالوا النار ، قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا فى النار ، وقالوا مالنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار اتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الأبصار ان ذلك لحق تخاصم أهل النار » هذا النمط المعجز من الوحى الالهى قد سار البيان المبدع من القول المحمدى على هديه ، فجاء بكثير من الصور الزاهية والمشاهد الرائعة ليوم الآجلة ! وقد يستكثر بعض الناس وفرة ما روته كتب السنة عن الرسول فى ذلك وهو استكثار فى غير موضعه ! لان قضية البعث قضية أساسية فى الدعوة الاسلامية ، ولن تقتنع بها العقول المغلقة فى سهولة ويسر فلابد من اكثار الحديث عنها بافاضة واستيفاء ! وقد قامت الشريعة الاسلامية على أساس الجزاء من ثواب وعقاب فى الدار الآخرة ! وانها فى معتقد الجاهلين ممن لا يؤمنون بالبعث خيال منكر ، فلا مناص اذن من أن يكثر نبى الاسلام من حديث القيامة ما استطاع لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين! وقد نلاحظ تكرارا لبعض المشاهد فى الحديث بعبارات مختلفة ، وهذا شىء توجبه حقيقة الدعوة وتحتمه رسالتها الخطيرة لان الرسول قد يتحدث عن المشهد المثير لقوم ، ويجىء آخرون فيحدثهم بما سبق أن قال آنفا ليستوى المسلمون فى الابلاغ ! فتكرار الحديث عن المشهد الواحد مما تحتمه طبيعة الدعوة لا مراء ! واذا كان المتحدث بشرا له ادراكه المحدود مهما كان قويا بالغ القوة بالنسبة الى الرسول فانه لا يستطيع أن يعيد المشهد بحروفه والفاظه كما سبق أن حكاه فلابد من اختلاف فى التعبير مع المحافظة على اللباب ! وسنعرض الآن صورا من مشاهد القيامة فى الحديث محاولين أن تكون متساوقة مطردة السياق، جارية مع الزمن تقديما وتأخيرا ، لان كثيرا من رواة السنة فى الكتب الصحاح قد بعثروا أحاديث القيامة فى مئات الصفحات خضوعا لأمور لا تتصل بالترتيب الفنى للاحداث ، فربما ذكر فى أبواب العبادات ـ مثلا ـ ما يدل على الميزان والصراط لان المؤلف قد راعى الموضع الفقهى فى كلمة من الحديث دون غيره ! ولا عليه فى ذلك ، ولكننا الآن نستعرض صورا أدبية لمشاهدة حية مؤثرة فلنلتزم التسلسل الزمنى ما أمكن !

يبدأ اليوم الآخر بالنفخ فى الصور وقد أكثر محمد صلى الله عليه وسلم من الحديث عنه ونحن نكتفى هنا بمثل قوله عن أبى سعيد الخدرى « كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن واستمع الاذن متى يؤمر بالنفخ فينفخ » أرأيت الى هذا القول الموجز وما يحمل من صورة مثيرة ، ان المعنى الاصلى الذى يقصد

اليه الرسول هو ان موعد الساعة قريب فهو تأكيد لقوله صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار الى سبابتيه ، ولكن هذا المعنى الأصلى البسيط قد رسم أجمل رسم أدبى فى موقف اسرافيل وقد التقم البوق قابضا عليه بفمه كأنه يريد أن يأكله ثم أخذ يلقى بأذنه الى السماء منتظرا الأمر بالنفخ كأنه سيصدر وشيكا بين آونة وأخرى وهو على أتم أهبة واستعداد للتنفيذ ، فأى تصوير لقرب الساعة ودنو موعدها يبلغ مبلغ هذا القول !

فاذا وقع النفخ فهناك مشهد جديد صوره نبى الاسلام حين قال عن عبدالله بن عمر : « ينفخ فى الصور فلا يسمعه أحد الا أصغى ليتا ورفع ليتا ، وأول من يسمعه رجل يلوط أبله فيصعق ويصعق الناس ثم يرسل الله مطرا كأنه الطل فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون ، ثم يقال اخرجوا بعث النار فيقال من كم ؟ فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فذلك يوم يجعل الوالدان شيبا » .

أسطر ضئيلة تشير الى عدة مشاهد ! رجل يشغل بحوض يعد لأبله فيفجأ بما يأخذ عليه حياته فيخر صعقا ، ومطر يتساقط رذاذا كالطل تنبت به الأجساد لتنهض عند النفخة الأخرى ! ثم يأتى بعث النار من كل ألف لا نجد غير واحد غير خائف ؟ أما الموقف نفسه فيجعل الولدان شيبا .

فاذا تركنا النفخ متابعين الأحداث المترقبة فى تسلسلها المعقول فاننا ننتقل الى الحشر ! وما أكثر ما تحدث الرسول عن حشر الناس حفاة عراة كما بدأ الله أول خلق يعيده ؟ وقد تساءلت عائشة عن العراة فى الحشر نساء ورجالا فقال محمد فى رواية البخارى يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم الى بعض واذ ذاك تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يكفأ أحدكم خبزته فى السفر ، يقول الرسول ذلك وهو يحرك يديه خائفا وجلا حتى ظن ابن عمر أن المنبر يتحرك برسول الله أما الموقف نفسه فقد قال فيه رسول الله عن ابن عمر :

« تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل فيكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق فمنهم من يكون الى كعبيه ومنهم من يكون الى ركبتيه ومنهم من يكون الى حقويه ومنهم من يلجمه العرق الجاما وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الى فيه » .

أرأيت بحرا يعوم فيه الناس وقد اختلف ارتفاع موجه صعودا وهبوطا وفق ما قدمه السابحون ، فمن واقف فى الماء الى كعبيه ، ومن غائص الى ركبتيه ، أو خصره ، ومن ملجم لا يجد من العرق متنفسا ! اذ يلجمه الماء الجاما ! وحرارة الشمس اللاهبة فوق الرءوس دانية بشواظها اللفاح ! أى موقف هذا الذى صوره البيان فى أقرب لفظ وأيسره دون افتعال !

أما أحاديث الشفاعة فما أروعها وما أشد تأثيرها ، كل حديث يمثل قصة شائقة ذات عرض وحوار وأحداث ، وقد تكررت فى كتب الأحاديث كما تكررت قصص الأنبياء فى القرآن لكل قصة مساق خاص ، ومغزى خاص ، وهدف خاص وان ظن الغافل أنه حديث معاد !! واذا كان المسرح لأحاديث الشفاعة هو ساحة العرض فما أهوله مسرحا تزيغ به الأبصار وتبلغ القلوب الحناجر فهو فى حاجة الى متحدث بليغ ينقله بألوان معبرة من الحروف والكلمات لا تتاح لغير مبين قدير ، وان مشاهده لتتراءى فى مخيلتك حين تقرأ أن الناس جزعون زائغون تائهون يبحثون آدم فيقولون أنت آدم أبو الخلق ، خلقك الله بيده ونفخ من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا عند ربنا حتى تريحنا من مكاننا هذا فيقول آدم لست هناكم ! ويذكر خطيئته فيستحى منها ثم يشير عليهم أن يأتوا نوحا فتفر الجموع الى نوح هلعة متوسلة فيقول ما قال آدم لست هناكم ويذكر دعوته التى قال فيها رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ثم يشير عليهم أن يذهبوا الى ابراهيم .

فيتكرر المنظر ويسرعون الى خليل الرحمن ابراهيم ، فيقول لست هناكم : عليكم بموسى ويتوالى الذهاب الى موسى فيعتذر ويشير الى عيسى ، فيقصدونه فيقول عليكم بمحمد فيأتون خاتم المرسلين باكين صارخين ، قال محمد من حديثه « فاستأذن ربى فيؤذن لى فاذا أنا رأيته وقعت ساجدا فيدعنى ماشاء الله فيقال يا محمد ، قل تسمع سل تعطه ، اشفع تشفع فأرفع رأسى فأحمد ربى بتحميد يعلمنيه ، ثم اشفع فيحد لى حدا فاخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود فأقع ساجدا فيدعنى ما شاء الله أن يدعنى ثم يقال لى ارفع يا محمد ، قل تسمع سل تعطه ، اشفع تشفع فأحمد ربى بتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لى حدا فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ، قال فأقول يا رب ما بقى فى النار الا من حبسه القرآن أى وجب عليه الخلود »

لقد اقتضبنا الحديث السابق باقتطاف نماذج من حواره الحائر بين الخلق والأنبياء ! ولن تكمل البراعة الأدبية لأثر أدبى الا اذا سجل دون اقتضاب ، وخالنا لا نعد كثيرا على باحث يشخص أدب الرسول تشخيصا أدبيا أن يذكر نصا كاملا من نصوصه فى رسالة طويلة تتعمد بيانه النبوى بالتشريح والتحليل ، مهما طال الحديث ان الذى يتحدث عن شاعر كعمرو بن كلثوم يذكر معلقته الطويلة دون حرج أفتكون معلقة عمرو بن كلثوم أو سواه أثقل فى ميزان الأدب من حديث نبوى يرسم مشاهد الحشر الأخروى حتى نتحيفه بالاقتضاب ! لننقل هنا النص النبوى على طوله النسبى ، ففى ترتيبه المتسلسل ، وصوره المتلاحقة وألفاظه المعبرة ما يقدم لنا وثيقة صحيحة من وثائق الوصف النبوى حين يتسع المجال فيتدفق الينبوع .

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن أناسا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال نعم ؟ ثم قال : هل تضارون من رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب ، وهل تضارون من رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال ما تضارون فى رؤية الله تعالى يوم القيامة الا كما تضارون فى رؤية أحدهما ، اذا كان يوم القيامة أذن مؤذن لتتبع كل أمة ما كانت تعبد ، فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله تعالى من الاصنام والانصاب الا يتساقطون فى النار ، حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغير أهل الكتاب ، فتدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون ؟ قالوا عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار اليهم ألا تردون فيحشرون الى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا ، فيتساقطون فى النار ، ثم يدعى النصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد ، فيقال لهم ماذا تبتغون فيقولون عطشنا يا ربنا فاسقنا ، قال فيشار اليهم الا تردون فيحشرون الى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا ، فيتساقطون فى النار ، حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله تعالى من بر وفاجر أتاهم رب العالمين سبحانه فى أدنى صورة من التى

رأوه فيها ، قال فماذا تنتظرون ؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد ! قالوا يا ربنا فارقنا الناس فى الدنيا أفقر ما كنا اليهم ، ولم تصاحبهم فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله لا نشرك بالله شيئا مرتين أو ثلاثا حتى أن بعضهم ليكاد أن ينقلب،فيقول هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها ، فيقولون نعم ، فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد الا جعل ظهره طبقةواحدة.كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ، ثم يرفعون رءوسهم وقد تحول فى صورته التى رأوها فى أول مرة ، فقال أنا ربكم فيقولون أنت ربنا ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة فيقولون " اللهم سلم سلم ، قيل يا رسول الله وما الجسر ؟ قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسك تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ، ومخدوش مرسل ، ومكدوس فى نار جهنم حتى اذا خلص المؤمنون من النار فوالذى نفسى بيده ما منكم من أحد بأشد مناشدة لله فى استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لاخوانهم الذين فى النار ، يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم اخرجوا من عرفتم ، فتحرم صورهم على النار ، فيخرجون خلقا كثيرا قد أخذت النار الى نصف ساقيه والى ركبتيه ثم يقولون : ربنا ما بقى فيها أحد ممن أمرتنا به ، فيقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا . وكان ابو سعيدالخدرى يقول ان لم تصدقونى بهذا الحديث فاقرأوا ان شئتم ان الله لايظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما . فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفعت النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا ارحم الراحمين ، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة من حميل السيل ألا ترونها تكون الى الحجر أو الى الشجر ، ما يكون الى الشمس أصيفر أو أخيضر وما يكون منها الى الظل يكون أبيض فقالوا يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية قال فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة ، هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ، ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين فيقول لكم عندى أفضل من هذا فيقولون ربنا أى شىء أفضل من هذا فيقول رضاى فلا اسخط عليكم بعده ابدا رواه الشيخان .

ما الذى نراه فى هذا السرد الأدبى الشائق يبتدىء بالسؤال الواضح هل تضارون فى رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب هل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب ؟ ما تضارون فى رؤية الله تعالى الا كما تضارون فى رؤية أحدهما ؟ أليس التصوير التمثيلى هنا أدل على المرادوأهدى الى قرب امكانه وتحقق وقوعه دون اعتراض ، وهذا أحد مايهتم به البيانيون .

ثم ما هذا الحوار المفحم بين عبدة غير الله ؟ وكيف عبر عن معان كثيرة بألفاظ معدودات ثم انتهى بهؤلاء الى جهنم وكأنها سراب يحطم بعضها بعضا ؟ أليست هذه صورة جميلة تذكرنا بقول الله عنها تكاد تميز من الغيظ وتلك الصورة تنطق باحتدام اللهيب !

والجسر ما صفته ؟ وماذا يعترضه من الاهوال وما حال العابرين على اختلاف منازلهم على الصراط ؟ ألم يتكفل الحديث بتصوير ذلك أبدع تصوير حين قال عنه دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسك فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس فى نار جهنم ، أهناك وصف للصراط أبلغ مما قال محمد ؟ وقد تحدث عنه فى أقل من ثلاثة أسطر حديثا يرج النفس بأهواله الثقال .

أما رحمة الله فقد تجلت فى هذا الحوار البديع بين الله وعباده بشأن المعذبين حين أخرجوا من كان فى قلبه مثقال دينار أو نصف مثقال أو مثقال ذرة من خير ، وحين أخرجوا بعض من لم يعملوا خيرا بالمرة وقد صاروا حمما فحين قذفوا فى نهر الحياة خرجوا كما تخرج الحبة فى حميل السيل ، ثم أصبحوا كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتيم وهم عتقاء الله من النار أما وصف محمد لحبة السيل من خضراء وصفراء وبيضاء فكان موضع العجب من السامعين حتى سألوه فى دهشة : كأنك كنت ترعى بالبادية ! أليس الحديث على طوله النسبى صورة فنية رائعة تحدر بها لسان أديب مطبوع ! ثم أليس هؤلاء الذين نقلوا بعض صوره الخالدة الى قصصهم الفنى فى الشرق والغرب معذورين حين وردوا أعذب مورد من البيان الرفيع ؟

فاذا انتهى الموقف وأزلفت الجنة للمتقين ، وبرزت الجحيم للغاوين قدم لنا الأدب النبوى فى وصف الجنة والنار مالايسبقه فى دنيا البيان غير وصف القرآن الكريم ! وقد تحدث الرسول عن كلتيهما باسهاب شاف واف وحديث الرسول عن دار الثواب ودار العقاب مما يجب أن يتكرر فى عظاته دون ملال ، كما سبق أن أشرنا الى ذلك فى صدر هذا البحث ، ولكن البراعة أن يضطر الرسول الى اعادة ما قال فما يسأم كما يسأم المعيدون، بل يحاول أن يظهر حديثه المعاد فى ثوب بيانى جديد ، ليضيف بعض الطريف منه الى تليد ما قال ، والانسان منا يتضايق عادة حين يضطر الى اعادة خطبة قالها أو صياغة مقال سبق أن نشره اذ يشعر فى أعماقه أن السامع فى موقف الخطبة والقارىء فى مجال المقالة سيفتقد الجديد دون أن يعثر عليه ، ولكن الداعية المبين يجد من أدوات البيان لديه ما يذهب عنه التضايق ، فيعرض الحديث فى ثوب أقشب وأبهج ، هكذا جاء التكرر من أحاديث الجنة والنار فى بيان خاتم الانبياء .

نسمع أن الجنة « ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » هذه العبارة الذائعة الشائعة أثر من آثار الرسول صلى الله عليه وسلم فى وصف الجنة وقد سارت مسير المثل شهرة واستفاضة ، وهى على قلة ألفاظها لا تدع للنفس بعدها المؤمن من مأمل ، فكل ما أمكن ان يتخيله التصور الانسانى من نعيم ومتعة يندرج تحتها لا محالة ، وذلك بعض ما معطه الأدب البليغ

اذ يشبع النفس امتلاء وارتواء بالفاظ معدودات ، وللرسول فى ذلك مشابه كثيرة ومنها فى وصف الجنة أيضا هذا الحديث المعبر ! « لقاب قوس أحدكم فى الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب » ان الشمس لتطلع وتغرب على الدنيا جميعا بما تحوى من فنون البهجة والامتاع ، وكل ما يتطلب .

وان كل مستمع من الناس لا محالة ماخوذ ببعض ما رآه وشاهده فى الحياة ! فاذا كان قاب قوس فقط فى الجنة خيرا مما طلعت عليه الشمس أو غربت ، فاى دهشة تستولى عليه وهو يعد من طيبات الحياة أفانين وأفانين !!

اما بناؤها وحصباؤها وترابها فقد سال أبو هريرة رسول الله عن ذلك كله فقال من حديث وصفى رائع : « بناؤها لبنة من فضة ولبنة من ذهب وملاطها المسك الأذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفران . ثم أعقب ذلك بقوله : من دخلها ينعم ولا يبؤس ، ويخلد ولا يموت ، لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم ، أما درجاتها فكما قال الرسول فى حديث آخر « فى الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض ومنها تفجر انهار الجنة الأربعة ومن فوقها يكون العرش فاذا سألتم الله فسلوه الفردوس»

أما متعة العين والشم والاحساس فكما قال عنها الحديث النبوى « ان أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدرى يتطاير فى الافق من المشرق أو المغرب وان فى الجنة لسوقا ياتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو فى وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنا وجمالا ، فيرجعون الى أهليهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا فيقول لهم أهلوهم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا ، فيقولون وانتم والله أزددتم حسنا وجمالا كما أن أهل الجنة اذا دخلوها نزلوا بفضل أعمالهم ثم يؤذن فى مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون ربهم ، ويبرز لهم عرشه ويتبدى لهم فى روضة من رياض الجنة فتوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من ياقوت ومنابر من زبرجد ، ومنابر من ذهب ، ومنابر من فضة ويجلس أدناهم وما فيهم من دنىء على كثبان المسك والكافور وما يرون أن أصحاب الكراسى بافضل منهم مجلسا أما غيد الجنة فان فيها « لمجتمعا من الحور العين يرفعن باصوات لم يسمع الخلائق مثلها يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبؤس ، ونحن الراضيات فلا نسخط ، وان الغادة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة ، حتى يرى مخها وذلك بان الله تعالى يقول كانهن الياقوت والمرجان فأما الياقوت فانه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيته من ورائه ، ولو أن امراة من نساء أهل الجنة أطلعت على الارض لاضاءت ما بينهما وللأت ما بينهما ريحا »

انا نسوق هذه الاوصاف النبوية لنقرر انها جديدة فى الأدب العربى لم يهتف بها لسان قبل محمد ! واذا كنا نعد من معجزات الاسلام اتيانه بشريعة محكمة التنزيل صالحة لكل زمان ومكان على وجه لم يسبق فلماذا لا نعد من معجزات البيان العربى ان يفد القرآن والحديث عليه بصورة ادبية كانت عنه بمنأى بعيد ! انا نذكر امرأ القيس فنعد من فضله على البيان العربى انه أول من بكى واستبكى ووصف المراة بانها بيضة خدر : فأى شىء أوصاف المراة فى شعر امرىء القيس اذا قيست باوصاف المرأة فى الحديث عن الحور العين ! لقد رحل الاعشى والنابغة الى بعض الملوك ووصفا مطارف النعيم لديهم فهل قال النابغة فى الخورنق وأبهائه وغرفه وجداوله ما يوازى ذرة مما جاء فى الأثر النبوى عن قصور الجنان ؟ ان المنابر من نور ، والكثبان من مسك ، وشفافية الحجرات بحيث يتراءى أهل الجنة مساكن رفقائهم ، وان الريح والنور يطبقان ما بين الارض والسماء .. كل ذلك صور جديدة فى الأدب ! أفنغض الطرف عنها لنتتبع أمثال وبيضة خدر ، وصدر مثل حق العاج واهمين أن ذلك أبلغ ما قيل فى أدبنا القديم !

هذا قليل من كثير مما نفح به أدب محمد بن عبدالله من مطارف زاهية على البيان .

والنار ! هل نمسك أعصابنا حين نسمع ما سطره الحديث النبوى عنها من الاهوال ؟

انها فى وضعها الطبيعى كما تحدث عنها الرسول قد « اوقدت ألف سنة حتى احمرت ثم أوقدت عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهى سوداء مظلمة وان الصخرة العظيمة لتلقى من شفير جهنم فتهوى فيها سبعين عاما وما تفضى الى قرارها وان الكافر ليسحب لسانه العرسخ والفرسخ يتوطؤه الناس وان شفته العليا لتتقلص حتى تبلغ وسطه رأسه وتسترخى شفته السفلى حتى تضرب سرته - أى هول هذا يا رباه - وان أهل النار يلقى عليهم الجوع فيعدل ما هو فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذى غصة ، فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص فى الدنيا بشراب فيستغيثون من جوع بالشراب فيرفع اليهم الحميم بكلاليب الحديد فاذا دنت من وجوههم شوت وجوههم فاذا دخلت بطونهم قطعت ما فى بطونهم فيقولون ادعوا خزنة جهنم فيقولون ألم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا فى ضلال ، فيجىء مالك فيقولون له ليقض علينا ربك فيجيبهم انكم ماكثون فيقولون لانفسهم ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فيجيبهم اخسئوا فيها ولا تكلمون .

هذه بعض أحاديث النار وما بنا أن نستطرد فنذكر شهادة أعضاء الجسم من يد ورجل وجوارح على الانسان فذلك مااشتهر بين الواعظين انما نسرد ذلك عمدا لنذكر أن المتحدثين عن الجحيم من أئمة الأدب العالمى قد استغلوه فراغ لديهم ، وأصبح فنا عاليا بينما سكت مؤرخو الادب العربى عن تقديره الصحيح. بل ان كثيرا منهم قد احتفل بمشاهد القيامة فى رسالة الغفران أكثر مما احتفل بها فى حديث رسول الله ، وهو مع كتاب الله مصدر أبى العلاء دون نزاع .

على أن أبدع ما فى مشاهد الجنة والنار حوار الله لعباده ، فقد عبر رسول الله عن أعمق المعانى النفسية بين البشر عن طريق الحوار تعبيرا لم يدع مزيدا لمستزيد ، والحوار فن أدبى له أساتذته وأعلامه ، وهو فى مشاهد القيامة لقطات تصويرية بارعة تكتفى باللمح والرمز والكناية عن الكشف الواضح بالتصريح . وذلك ما يكسب الموقف متعة وعمقا ، لان الحوار اذا تحدث

عن كل شيء ، ولم يترك للقارىء أن يستشف ويستنتج فقد أوثق أمامه عالم التصور وقيد احساسه بالمتطور الملموس أما اذا مال الى الايماء والرمز فقد أعطى للقارىء الناضج مفتاحا يلج منه عشرات الابهاء ومئات الحجر ليرى فى كل زاوية ما يصوره خياله من لوامع وايماض ! والأدب العالى فى أرفع أنماطه يعتمد كثيرا على هذا الايحاء الوامض ليقدم فى السطور القليلة عشرات الخواطر والمشاهد والاحاسيس ، وفق تصور القارىء ودرجته من النضوج الذهنى والاشعاع التصويرى ! ولك أن تنظر الى هذا المشهد الاخروى كما رسمه الرسول . « عن عبدالله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه قال آخر من يدخل الجنة رجل ، فهو يمشى مرة ويكبو مرة وتلسعه النار مرة فاذا جاوزها التفت اليها فقال تبارك الذى نجانى منك، لقد اعطانى الله شيئا ما اعطاه للاولين والآخرين ، فترفع له شجرة فيقول أى رب أدننى من هذه الشجرة لاستظل بظلها واشرب من مائها ، فيقول الله عز وجل يا ابن آدم ، لعلى ان اعطيتكها سالتنى غيرها ، فيقول لا يارب، ويعاهده ألا يساله غيرها ، وربه يعذره لانه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ، ويشرب من مائها ، ثم ترفع له شجرة احسن من الاولى فيقول أى رب أدننى من هذه لأشرب من مائها واستظل بظلها ولا أسالك غيرها ، فيقول يا ابن آدم ألم تعاهدنى الا تسالنى غيرها ، لعلى ان ادنيتك منها تسالنى غيرها، فيعاهده الا يساله غيرها ، وربه يعذره لانه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ، ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هى أحسن من الاوليين ، فيقول أى رب أدننى من هذه لاستظل بظلها واشرب من مائها لا أسالك غيرها . وربه يعذره لانه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها ، فيسمع أصوات أهل الجنة ، فيقول أى رب أدخلنيها فيقول يا ابن آدم ما يصرينى منك ، أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها ، قال يا رب أتستهزىء منى وأنت رب العالمين فيقول انى لا أستهزىء منك ولكنى على كل شىء قادر ، رواه مسلم .

فهذا المشهد الرائع له أكثر من دلالات ، فمع دلالته على سعة عفو الله ورحمته فانه بجواره الجذاب يرمز الى تجدد الآمال فى النفس البشرية ويعالج واقعا محسوسا لدى الانسان فى كل عصر وفى كل مكان ، الا يتمنى شيئا فاذا حققه صبا الى ما فوقه فاذا حققه تجددت الصبوة الى شىء آخر ، وهكذا نظل فى سباق مع الامانى حتى تنفد الحياة ، هذه الحقيقة الانسانية الخالدة المتكررة قد أفصح عنها الحديث فكانت احدى دلالاته الرمزية الكبيرة بمغزاها العريق ، أما اختيار الالفاظ لرسم المعانى فلا أبدع منها ولا أروع ، هذا الرجل الذى خرج من النار مستغيثا صارخا رأيناه يمشى مرة ويكبو مرة وتسفعه النار مرة فاذا ما جاوزها التفت اليها فقال تبارك الذى نجانى منك ! لقد أعطانى الله شيئا ما أعطاه للاولين والآخرين ، الا يذكرنا هذا بما نشاهد فى دوامة الحياة هذه اذ يخرج الانسان من أحد مآزقه ، كمعركة حربية أو سجن حكومى أو استجواب فى محكمة فلايكاد يصدق أنه خرج ! فهو يلتفت ويكبو ويتعثر حتى اذا شم ريح الحرية فى الحياة الفسيحة عد نفسه ذا شأن كبير جدا بحريته التى ردت اليه فيقول لقد أعطانى الله شيئا ما أعطاه للاولين والآخرين اما تدرج الآمال من صغير الى كبير حتى تصل بصاحبها الى منتهى الآمال فى الجنة فذلك ما أجاد الحديث النبوى تصويره ، فمن مبلغ عشاق الادب الرفيع فى كل أمة وفى كل لغة أن لدينا من فرائد المشاهد الادبية فى آثار محمد بن عبدالله ما نعجز أن نراه لدى أشنطسين من مشاهر الكتاب ! لعلهم يقرأون ! أما قصة جبريل مع الجنة والنار حين خلقها الله فمن احسن ما تركه البيان النبوى من قصص ، حيث استطاع سيدنا محمد ان يومىء ايماء قويا الى ما يكتنف الجنة من مصاعب ثقيلة على النفس ، حين تفطم عن الشهوات وتقنع بالحلال اليسير ثم الى ما يكتنف النار من مغريات جاذبة شهية لدى النفس حين تقبل على اللذات الوبيئة مستمرئة مستمتعة ! تلك معان دقيقة غاية الدقة ولكنها برزت لامعة واضحة فى قول نبى الاسلام :

« عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل الى الجنة فقال انظر اليها والى ما أعددته لأهلها فيها ، فجاءها ونظر اليها والى ما أعد الله لاهلها فيها ، فرجع اليه فقال ، وعزتك لا يسمع أحد بها الا دخلها فأمر بها فحفت بالمكاره ، فقال ارجع اليها فانظر الى ما أعددت لأهلها فيها ، فرجع اليها ، فاذا هى قد حفت بالمكاره فرجع اليه فقال وعزتك لقد خفت ألا يدخلها أحد ، قال اذهب الى النار فانظر اليها والى ما أعددت لأهلها فاذا هى يركب بعضها بعضا ! فرجع اليه وقال وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها ، فأمر بها فحفت بالشهوات ، فقال ارجع اليها ، فرجع اليها فنظرها ، فقال : وعزتك لقد خشيت ألا ينجو منها احد الا دخلها .

ان بلاغة الايماء فى هذا الاثر مع ايجازه الموحى لتتسع الى صفحات كثيرة ان سيقت مساق الشرح والتفسير !

ولن نأتى الاقصوصة الهادفة فى سياق أحسن منها فى هذا السياق !

على أن لكل من أهل الجنة وأهل النار نهاية محتومة لا شىء بعدها فلابد أن يطمئنوا الى مصيرهم الخالد نعيما أو جحيما فيعلموا أن كل انسان قد أخذ مكانه ، وانهم خالدون وان الموت قد مات بعد الجنة والنار ! فلا خوف منه لفريق الجنة ولا راحة فيه لفريق السعير !! لم يتحدث الرسول عن ذلك حديثا تقريريا ولكن تحدث عنه حديثا تصويريا فقال :

(عن ابن عمر عن رسول الله اذا ادخل الله اهل الجنة الجنة واهل النار النار اتى بالموت فيوقف على السور الذى بين الجنة والنار ثم يقال يا أهل الجنة فيطلعون خائفين ثم يقال يا أهل النار فيطلعون مستبشرين يرجون الشفاعة ، فيقال لاهل الجنة وأهل النار ، هل تعرفون هذا ، فيقولون قد عرفناه ،وهو الموت الذى وكل بنا ، فيضجع فيذبح على السور الذى بين الجنة والنار ثم يقال يا أهل الجنة خلودا لا موت ويا أهل النار خلودا لا موت ثم قرأ وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضى الأمر .

هذه بعض مشاهد القيامة كما رسمها البيان النبوى الخالد ! ولعلنا بما ألقيناه من ضوء على ابداعها التصويرى وألفاظها الموحية ، وسياقها الفنى وأهدافها الحية نستطيع أن نجذب القارئين الى الاستمتاع بها حق الاستمتاع ليعلموا أى كنز رائع كانوا يهملون .

الراجون رحمة الله تعالى

فضيلة الشيخ عبد الوهاب الساكت

لقد عنيت الشريعة الاسلامية ببيان ما يسعد الافراد والجماعات وما به يرجون رحمة الله فى الدنيا والآخرة فوضعت لذلك أسسا ثلاثة : الأول الايمان بالله . والثانى الهجرة الى الله تعالى والى رسوله صلى الله عليه وسلم . والثالث الجهاد فى سبيل الله كما قال تعالى « ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم »

والناظر فى هذه الاسس الثلاثة يرى أنها بحق قوام كل أمة تريد أن تحيا وأن تعيش عيشة راضية تحقق لها الامن والسلام والرفاهية وسنبين أثر كل عنصر من هذه العناصر الثلاثة فى تقويم النفس وتوجيهها نحو الخير والكمال فالايمان بالله بارىء الكون وحده لا شريك له هو أصل الاصول فى الاديان كلها فهو أصل الرسالة المحمدية .. وهو الينبوع الذى أفاضه الله على قلب محمد صلى الله عليه وسلم بالهدى وحقائق الخير والسلام قال تعالى :

« وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم . صراط الله الذى له ما فى السموات ومافى الارض ألا الى الله تصير الأمور »

والايمان معرفة يشعر الفؤاد معها ببرد مثلج مريح ولا تجد النفس معه أثرا للضيق أو التبرم قال تعالى :

« فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » .

هذا الايمان المستقر فى النفس هو الذى دفع محمدا صلى الله عليه وسلم حين ساومته قريش على ترك دعوته بالمال والملك والجاه وقاوموه واضطهدوه وآذوه ان يقول لهم :

« والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى ما تركت هذا الامر حتى يظهره الله أوأهلك دونه » .

فلم يعدل عن ذلك الايمان الذى اطمأنت اليه نفسه ولو وضعت الشمس فى يمينه والقمر فى

يساره وملك الليل والنهار وما فيهما : بل وقف قلبه وجهده وحياته وحياة أنصاره لتمكين هذه الدعامة الاولى واظهارها وخاصم أعداءه وجادلهم ، واستصرخ أهل الاديان الاخرى ليلتقوا معه على كلمة سواء هي عبادة الله وحده لا شريك له قال تعالى :

« قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا • ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله : فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون » •

ولم يهادن أحدا على حساب دعوته هذه : ولم يقبل من المشركين وعبدة الاصنام مساومة ولاهوادة فى ذلك لأن الايمان بالله أساس رسالته وغايتها بل غاية وجود الناس قال تعالى :

« وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمـــون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين » •

ولم يدع فى دعوته الى الايمان بالله أنه مبتدع لها بل قال انه معيد للحنيفية الفطرية التى هى دين ابراهيم ونوح وآدم عليهم الصلاة والسلام • وانه لا تبديل لذلك الدين القيم الذى يستند الى وحدة الله والذى يترتب عليه وحدة خلقه وتساوى القبائل والشعوب جميعا أمام الله تعالى قال تعالى :

« شرع لـكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك : وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب » •

لقد جاهد فى سبيل التوحيد لانه اصل الخير واساس السعادة والخلق المستقيم ولاهميته لم تكد تخلو سورة من سور القرآن من الدعوة الى التوحيد والتنزيه : والحكمة فى ذلك أن الايمان بالله يتفرع منه كل ما فى الدعوة من صلاح واصلاح • وهو منها بمقام الروح من الجسد • والشرائع من غير ايمان تكون كالقوانين الوضـعية تسقط بسقوط القائمين عليها • ويذهب أثرها بذهاب الظروف التى أحدثتها : لكن عقيدة التوحيد هى غاية الحيـاة الانسانية وسبيل الاصلاح المنشود فمتى آمن العبد بربه انعقدت الصـلة بينه وبينه وارتبط برباط لا ينفصم يستمر به العمران والاصلاح والخير على وتيرة واحدة مصدرها الاذعان لارادة الله وحده أرحم الراحمين فاذا امتلأت النفوس به واطمأنت اليه سهل كل شىء فى الحياة ولهذا كان استقرار كلمة التوحيد فى النفوس ونبذ الشرك الشغل الشاغل لصاحب الدعوة محمد صلى الله عليه وسلم وكان اخلاصه لها وصبره وصموده سبب نجاحها واستقامتها فازالة الشرك يتبعه هدم مفاسده من عبودية لصنم يتبعها عبودية للشخص القائم عليها ومن تلك العبودية قامت عهود الاستبداد فى مصر والعراق آلاف السنين لأن الشرك والاستبداد متلازمان والشرك والوثنية يشغلان الذهن بالمحسوسات ويحصرانه فى نطاق الخرافات والاباطيل أما التوحيد فيتبعه الانصاف ويلازمه لأن الله تعالى منزه عن الهوى والغرض لا يريد من خلقه رزقا ولا طعاما وهو اقرب من حبل الوريد الرحمن الرحيم الغنى القدير البارىء المصور له الاسماء الحسنى فصفاته تعالى تجعل الناس امامه متساوين اكرمهم عنده أتقاهم واقربهم اليه ابرهم بالعباد فكان العدل والانصاف والمساواة ملازمة للتوحيد وكان لذلك الايمان بالله فوق كل شىء وكان الشرك به لا يغفر :

« ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء » •

والايمان الخالص يتبعه حتما جميع الفضائل لأن المؤمن يرى ان المحاسب له هو الله فلا يرتكب كبيرة ولا صغيرة عامدا ، ومتى وجد هذا النوع وجد الانسان الكامل فتتغلب جميع الفضائل فى نفسه على عوامل الشر فلا يعيش لنفسه وينمو عنده خلق الايثار والفداء والتضحية فى سبيل الخير العام • فلا يكون ظالما لأن الله ليس بظلام للعبيد • • ولا غليظا قاسيا وسيده هو الرحمن الرحيم وبهذا يحال بينه وبين الصفات الذميمة بحجاب من الايمان بالله ونجد أن الصفات السامية محببة الى تلك النفس المؤمنة المطمئنة التى دخلت فى عباد الله ودخلت فى رحمته حين لبت نداءه بقوله تعالى :

« يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضيه فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى »

فتحيا فى سعادة لا يتذوقها الا الموحدون الذين يفكرون وينظرون فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شىء ، ويحكمون العقل لاعتقادهم أن الاله الحق يجمع السلطان والكمالات وهو مع الناس

أينما كانوا ولكنهم لا ينالونه بحس فيفكرون فيه ويستدلون عليه بآثاره فتتعلق عقولهم بمصنوعاته ولأن القرآن قد حث على النظر والاعتبار وامتدح المفكرين والباحثين الذين يحسنون استخدام ملكاتهم فى النظر فى الكون واستنباط الحقائق من مقدماتها وآثارها .. وبهذه الطريقة التى أرشد اليها القرآن وجاهد فى سبيلها رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع الحجر عن عقول تحجرت فانطلقت للنظر والتفكر وبدت آثارها مسرعة حتى كادت الدعوة ان تكون معجزة بنجاحها المنقطع النظير الذى لا يعرف التاريخ ان دعوة نالت من النجاح ما نالته تلك الدعوة المحمدية وكان أثرها فى النفوس أشد غرابة من الدعوة نفسها .

فالاعراب الجفاة الذين وأدوا بناتهم واعتزوا بسفك الدماء صاروا الخشع الركع يبتغون فضلا من الله ورضوانا والاسرة التى كان الرجل فيها يرث زوجات أبيه كرها أصبحت الاسرة المطهرة المثالية فى عالم الانسان .

والسادة الذين استعبدوا الناس صاروا يخشون الله تعالى ولا يخافون فى الحق لومة لائم .

ومن القساة الجبارين صار الخليفة الذى ترده الى الحق امرأة فى مجمع الناس فيقول « أصابت امرأة وأخطأ عمر » ويكتب الى عمرو بن العاص متهكما حين أساء ابنه الى مسيحى فى مصر « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم احرارا » ومنهم خليفة رسول الله أبو بكر رضى الله عنه الذى دفعه ايمانه أن يقول لعمر رضى الله عنه حين طلب منه أن يعامل المرتدين باللين ان الله تعالى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . قوله الحق ووعده الصدق وبهذه الثقة بوعد الله انتصر ولو كره المشركون . وهكذا نرى العقيدة والمبدأ هما هدف النشاط النبوى ومحوره فى أول الامر بل هما كل شىء فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم لهما يتحرك ويسكن ومن أجلهما يرضى ويغضب وفيهما يحب ويبغض بل فيهما يموت ويحيا :

« قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » .

ولهذا نجد ان البشرية لا تزال مرتكسة فى هذا البلاء وهذه الحروب وتلك الفرقة بين الامم والشعوب وبين الطبقات فى الامم حتى تملأ عقيدة التوحيد قلوب الناس وتستولى على مشاعرهم وتسيرهم الى ما فيه رشدهم وصلاحهم فى دنياهم وأخراهم .

اما عن الهجرة فنقول انه كما أن الايمان فرض عين على كل أحد فقد فرض عليه مع ذلك هجرتان فى كل وقت الأولى هجرة الى الله تعالى بالتوحيد ونبذ الشرك والشك . وبالاخلاص له قال تعالى :

« وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين »
« ألا لله الدين الخالص »

وبالانابة والرجوع اليه :

« وانيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون » .

وبالتوكل عليه بعد الأخذ بالاسباب « وعلى الله فليتوكل المؤمنون » وبالخوف والرجاء « يرجون رحمته ويخافون عذابه » وبالمحبة لله وبالتوبة مما يقترف الانسان من الذنوب « قل ياعبادى الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا » .

فهذه الهجرة اذا تحققت على وجهها المطلوب كانت اعدادا للنفس واصلاحا لفساد القلوب وتوجيها لها نحو الخير والكمال وتهيئة لها لتحقيق الهجرة الثانية وهى :

الهجرة الى رسول الله بالمتابعة له والانقياد لأمره والتصديق بخبره وتقديم أمره وخبره على أمر غيره وخبره :

« فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله . ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه » .

فهذا كله فرض عين لا ينوب فيه أحد عن أحد والطاعات كلها فى أصل صحتها وتضاعف فضلها مرتبطة بالنيات الخالصة لوجه الله تعالى وبها ترفع للخالق جل وعلا فينال العبد بها رضا الله ورضوانه والهجرة أصل من أصول الحياة اذا تهيأت أسبابها

وحين يعز على المؤمن ان يبقى فى أرضه عزيزا آمنا ولا يستطيع أن يدافع عن نفسه فعليه ان يهاجر الى ارض اخرى يجد فيها العزة والكرامة والعيش الرغد حتى يهيىء الله له أسباب الرجوع الى وطنه كما قال تعالى :

« ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم قالوافيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله ان يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا : ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا وسعة . ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما »

نزلت فى ضمرة بن القيس وكان من المستضعفين بمكة . وكان مريضا فلما سمع ما انزل الله فى الهجرة قال اخرجونى فهىء له فراش فوضع عليه وخرج ومات فى الطريق أو فى غيره ومات فى الطريق الى الحبشة أيضا .

لا شك أنه اذا تحققت الهجرة الى الرسول بعد الهجرة الى الله تعالى كان ذلك اعدادا كاملا للمؤمن الذى يستطيع مواجهة أحداث الحياة ومقاومة أعداء الله وأعداء دينه فى صبر وصمود واصرار يعقبها النصر والظفر والسلام .

اما عن العنصر الثالث وهو الجهاد فى سبيل الله فنقول انه ذروة الاسلام وقمته ومنازل أهله أعلى المنازل كما أن لهم الرفعة فى الدنيا فهم الأعلون فى الدنيا والآخرة .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الذروة العليا من الجهاد فاستولى على انواعه كلها فجاهد فى سبيل الله حق الجهاد بقلبه ولسانه ويده ولهذا كان ارفع العالمين ذكرا واعظمهم عند الله قدرا .

ولقد سلطت قريش ومن معها جميع أنواع الأذى والظلم فى بدء الدعوة المحمدية فأصابت المسلمين فى انفسهم وأموالهم واعراضهم ومزقتهم وشتتتهم فى الارض وهم يأبون الرد ويدعون الى تحكيم العقل ويناظرون ليتبين الرشد من الغى لا يدفعون قوة بقوة ولا يلجأون الى عنف حتى جاء أمر الله وأذن بالقتال للدفاع عن النفس والوطن وعن حرية العقيدة قال تعالى :

« اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغيرحق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور »

وفى هذه الآية الاخيرة أباح الله الحرب للصالح العام والخير العام فهى تبين الواجب بعد النصر وهو اقامة الصلاة وايتاء الزكاة والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ومن الآيات نعرف أن الحرب فى الاسلام ليست حربا توسعية كما تفعل الامم المستعمرة . وليست تعجيزا للآخرين وانهاكا لهم ليضعفوا عن المزاحمة فى العيش ويطردوا من الاسواق وميادين التجارة . ولا لوضع اليد على الثروات وكنوز الارض وخيراتها وخامات الصناعة ليستأثروا بها ولا علوا واستكبارا فى الارض ولكن لغاية محدودة هى دفع الظلم واحترام حق الاقامة والحرية فى الوطن ومنع الفتنة فى الدين وكفالة حرية العقيدة للناس جميعا قال تعالى :

« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره »

والحرب المشروعة فى الاسلام هى الدفاعية فقط قال تعالى :

« وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين » .

وكانت تأديبا وزجرا للمعتدين لا محوا وتعذيبا قال تعالى :

« وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله»

فالحرب فى الاسلام ضرورة تقدر بقدرها .

ومن مزايا الشريعة الاسلامية انها عملية تواجه الحقائق وتجابه المعضلات بالحل العملى فما دامت

الموعظة الحسنة لا ترد الظلم والاعتداء . ومادام أعداء الاسلام لا يرضون حسن الجوار والعهد القائم على الانصاف وحرية العقيدة . ومادام اصحاب الشر ذوى سلطان خطر فان الحرب لا بد قائمة بين الناس لا محالة . ولهذا لم يقف الاسلام والمسلمون أمامها مكتوفى الايدى بل واجهوا مثل هذه الحال بالحزم والعزم اللذين لازما الرسول فى دعوته طول حياته والخلفاء من بعده واستعدوا امتثالا لقوله تعالى :

« وأعدو لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم »

وكانت العدة نفسها للارهاب الذى قد يمنع الحرب ويحفظ السلم . وثبتوا وصبروا ولم يتنازعوا وأطاعوا الله ورسوله ولم يلحقهم غرور بقوتهم . وضيقوا الخناق على اعدائهم وشردوهم كما أمرهم الله تعالى ليصلوا الى غاية محمودة يطمئنون اليها من الأمن والسلام والحصول على ثبات واستقرار للدين ومنع الفتنة والارتداد بضغط المشركين وقهرهم ولينتهى المعتدون عما هم عليه فنالهم الله ما أرادوا وجاء نصر الله والفتح فواجبنا الآن أن نجد ونجاهد اليهود فى الله حق الجهاد بكل أنواع الأسلحة وبشتى الوسائل ونقعد لهم كل مرصد ونشرد بهم من خلفهم ليعذبهم الله بأيدينا ويخزهم وينصرنا عليهم ويشف صدورنا بالنصر عليهم فالمؤمن مجاهد فى كل أوقاته بنفسه وماله قال تعالى :

« لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين »

ومن اجل ذلك تسابق المسلمون الأولون فى الجهاد ارضاء لله ورغبة فى دخول الجنة ولهذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (والذى نفس محمد بيده لوددت أن اغزو فى سبيل الله فأقتل ثم أغزو فاقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل) ذلك لمعرفته بما ينال الشهداء من رضوان الله . انه يجب على جميع الامم الاسلامية أن تعبىء قواها الآن لتؤدى فريضة الجهاد فى هذه البقعة التى اغتصبت من ارض الاسلام والعروبة حتى يعلم اليهود ومن وراءهم أن الاسلام قوة وان المسلمين والعرب يستطيعون حماية أوطانهم ومقدساتهم فى كل وقت وانهم يعلمون أن شرف الاستشهادلايدانيه شرف قال تعالى :

« والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم »

وقال تعالى :

« فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما » .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمارواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه (من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق) .

ويقول فيما رواه ابن عباس عنه أيضا (عينان لاتمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله) والآيات والاحاديث كثيرة فى فضل الجهاد .. اننا أصحاب حق لم نعتد على أحد ولم نطلب توسعا ولا استغلالا على حساب احد فيجب علينا أن نعبىء كل قوانا فى الداخل وفى الخارج حتى نكسب المعركة فان الدعوة المحمدية كما بغضت اتباعها فى العدوان أمرتهم كذلك بالهجرة عن الاوطان بل بالاستشهاد والموت دون قبول الذل والهوان :

« ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » .

واننا نود أن نكون من الراجين رحمة الله تعالى المسلحين بسلاح الايمان وبالهجرة الى الله والى رسوله صلى الله عليه وسلم مستبسلين فى جهادنا هذا العدو الماكر الخبيث موحدين صفوفنا باذلين كل مرتخص وغال فى سبيل تحرير ارضنا فهذا سبيل المؤمنين الراجين رحمة الله مع المعتدين الظالمين والمستعمرين وهذا طريق النصر والفلاح : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين » .

أيدنا الله تعالى بروح من عنده فانه عضدنا وناصرنا وهو حسبنا ونعم النصير .

قال الله تعالى « والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم » آية ١٩ سورة الحديد ـ وقال صلى الله عليه وسلم ـ ادفنوهم بدمائهم ـ والله تبارك وتعالى كرم الشهداء بكرامات لم يكرم بها الصالحون ـ فلا يغسلون وليس لهم حاجة الى ماء الدنيا وتكفيهم دماؤهم التى ياتون بها يوم القيامة . اللون لون الدم . والريح ريح المسك . وجميع الناس حتى الأنبيـــاء يغسلون ويكفنون . أما هم . فلا يكفنون ولا تنزع عنهم ثيابهم ، ويجارون من عذاب القبر . ويأمنون يوم الفزع الاكبر ويوضع على رأسهم تاج الوقار ويشفعون فى أقاربهم ، وأرواحهم تسرح فى الجنة ، ولا يسمون موتى . وجميع الناس حتى الانبياء اذا ماتوا يسمون موتى ـ وصدق الله العظيم « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله » آية ١٦٩ ، ١٧٠ سورة آل عمران .

ودم الشهداء يبقى نور هداية للمجـاهدين والمناضـلين والمظلومين . لا يخبو على مر السنين ، بل يوقد الحميـــة فى النفوس ويذكى الايمان فى القلوب . ويرفعها الى مافوق مراتب الحياة فيتجلى الاستشهاد فى سبيل الله باسما مضيئا يفتح لها أبواب الجنة . فيندفع من تجسدت له هذه المعانى السامية أمام عينيه يطلب الشهادة فى سبيل الله .

وشهيد الوطن . عبد المنعم رياض ـ تجسدت فى نفسه هـذه المشاعر والمعانى . فتقدم مع جنوده يشـاركهم الدفاع والذود والنضال ضد الصهاينة الذين عموا وضلوا وطغوا واكثروا من الفساد ـ لقد أعطى المثل الحى والصورة الرائعة للجنـدى العربى . والقائد الناجح الذى يشارك جنوده الشدة والعسر ـ وضحى بدمه . ليشهد العالم اجمع أن التنازل عن شـبر من الوطن العربى مستحيل . مهما كانت التضحيات ومهما كان الثمن فادحا الذى يستلزم النصر ، ضحى بحياته وجاد بدمه . ليثبت للعالم . اننا رجال وان رجولتنا ملء كل عين . واننا نفضل ان نفنى جميعا ونستشهد فى معركة الشرف والبطولة والرجولة . بدلا من أن تغتصب أراضينا . لقد سار ـ عبد المنعم رياض ـ على نفس الطريق الذى سار عليــــه أجدادنا الاوائل . الذين مارسوا القتال والحرب فى عصر كانت القوة فيه هى الحماية ، عصر أشبه بعصرنا هذا وحرب أشبه بحربنا هذه ، فالاسلام دائما وأبدا هو الهدف للصهيونية الضالة ـ ان دول الكفر كلها ملة واحدة تتزعمها الصهيونية . التى تعمل جاهدة لاذلال الجنس البشرى . واغتصاب أرواح المسلمين وحقوقهم ـ وان الاسلام لملىء بصور رائعة لشهداء الاسلام الذين جادوا بدمائهم ، وكانت وما زالت تضحياتهم نموذجا فريدا . ومثلا رائعا . وشـيئا جديدا على الدنيا كلها ـ وقف النبى صلى الله عليه وسلم . يودع جيش الاسلام الذاهب لملاقـاة جمـوع الروم . الذين تجمعوا فى ـ مؤتة ـ للانقضاض على المسلمين . معلنا أسمـاء قواده ، عليكم زيد بن حارثة . فان اصيب زيد . فجعفر بن أبى طالب . فان اصيب جعفر . فعبد الله بن رواحه ـ وما ان وصل المسلمون الى ـ مؤتة ـ ورأوا جيش الروم الذى حشده هرقل. حتى أذهلهم العدد الذى لم يكن فى حسبانهم . فقد كان جيش الكفــر قوامه مائتى ألف مقاتل ، مقــابل ثلاثة آلاف من المسلمين .

ولكن متى كانت معارك الايمان . معارك كثرة وعدد وعدة ، لقد اقدم المسلمون يخوضون الحرب . يقودهم زيد بن حارثة . حاملا راية الاسلام . والبشر والفرح والسرور يغمره ويملأ قلبه . حين رأى جموع الروم شاهرة سيوفها لتقتله . فلقد آمن بأن روابى الجنة ورفرفها الخضر تخفق أمام عينيه . وأن هذه الجيوش الضالة التى جاءت شاهرة سيوفها لتناله . انما جاءت لتزفه الى لقاء الله عز وجل . والمقام فى جنات تجرى من تحتها الأنهار ، وخـر شهيدا فى سبيل الله ، وتقدم جعفر بن أبى طالب يحمل الراية قبل ان تسقط . ودخل المعركة متقدما الصفوف هاجما على الاعداء فى عزم وتصميم وحزم ورجولة ، مقاتلا قتال رجل لايطلب النصر وانما يطلب ما هو أسمى وأعظم عند الله . وهى الشهادة فى سبيل الله ، وتكاثر عليه جند الاعداء . ورأى فرسه تعـوق حركته فنزل عنها . ولمح واحدا من الاعداء يقترب من فرســه ليلو ظهرها فعز عليه أن يمتطى هذا الكافر صـهوتها . فبسط سيفه نحوها وعقرها وانطلق يحارب الاعداء المتكالبين عليــه وهو ينشد هذا الرجز .

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة . وباردا شرابها . والروم روم . قد دنا عذابها ، كافرة بعيدة انسابها ، علىّ اذ لاقيتهــا ضرابها ـ ؟

والتف حوله الكفار واحاطوا به في اصرار مجنون ، لاتهمراوه يحارب كانه جيش لجب ، وضربوا بالسيف يمينه . فتلقى الراية بشماله . فضربوا شماله . فاحتضن الراية بعضديه ، ـ وما درى هؤلاء الضالون ان سيوفهم لم تكن سوى جسر عبر عليه شهيد الاسلام الى الجنة ، وتقدم عبد الله بن رواحه . وكانت الحرب قد بلغت لظاها والقتال وصل ضراوته . وكانما مرت به لحظة تردد . فصاح هاتفا .

اقسمت بانفس لتنزلنــــه
مالى أراك تكـرهين الجنـة

يا نفس الا تقتـلى تموتى
هذا حمـام الحمى قد صليت

وما تمنيت فقـد اعطيت
ان تفعلى فعلهما هـديت

كان يعنى فعل زيد بن حارثة . وجعفر بن ابى طالب واندفع يخوض صفوف الكفار ويعمل السيف فيهم حتى صعدت روحه الى خالقها .

هنيئا لهم شهداء الاسلام . لقد كانوا فى اشد الشوق الى لقاء الله . وكان الله تبارك وتعالى الى لقائهم اشد شوقا ـ فهو القائل فى حديثه القدسى « طال شوق الابرار الى لقائى وانا الى لقائهم أشد شوقا »

وبينما النبى صلى الله عليه وسلم ، يجلس وسط اصحابه يحدثونه ويحدثهم · اذ به يصمت فجاة · وبعد لحظات يقول ـ

اخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتي قتل شهيدا ثم أخذها جعفر بن ابى طالب فقاتل حتي قتـل شـهيدا ثم أخذ الراية عبدالله بن رواحه فقاتل بها حتى قتل شهيدا ـ ثم يصمت ويسبل عينيه . وبعد لحظات يقول ـ لقد رفعوا الى فى الجنة.

وصورة اخرى تدل على أن الايمان اذا تمكن من النفـوس وخالط شغاف القلوب . دفع باصحابها الى الاستشهاد فى سبيل الله بنفس راضية مطمئنة ـ فى موقعة اليرموك ـ كان جيش الاسلام عدده أربعون ألف مجاهـد ، وكان جيش الروم مائتين وأربعين ألف مقاتل وكان على راسهم جرجة الرومانى . الذى يفرح الروم بقيادته لهم · كما يفرح المسلمون بقيادة خـالد لهم ـ والتقى الجيشان وكان بينهما قتال مرير ، وفى فتـرة هدنة بين الفريقين ، طلب جرجة الرومانى . ان يبـرز اليه . خالد بن الوليد · فى الفراغ الفاصل بين الجيشين ، فبرز اليه ـ خالد ـ وظلا يتقابلان حتى اختلفت اعناق جواديهما ، وامن كل واحد منهما صاحبه ـ ودار بينهما هذا الحـوار ـ قال جرجة ـ أصدقنى يا خالد فان الحر لا يكذب ولا تخادعنى فان الكريم يخادع المسترسل · هل انزل الله عل نبيكم سيفـا لا تسله عل احد الا انتصرت عليه ـ قال لا ـ قال له فيم سميت سيف الله ـ قال · ان الله بعث فينا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم . وكنت فيمن كذبه وحاربه . ثم ان الله هدانى للاسلام فتبعته . فسمانى سيف الله المسلول ودعا لى بالنصره ، قال جرجة فما منزلة من يجيبكم ويدخل فيكم ، قال مثل لتنا واحدة قال : فهل له مثل اجركم وذخركم ، قال : نعم والفضل لاننـا راينا النبى وسمعنا منه . وحق لمن راى ما راينا ان يسلم . اما غيرنا فلم يره ولم يسمع منه ، فقلب جرجة ترسه والغمد سيفه ـ وصاح ـ اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسـول الله ـ وانضم الى خالد بن الوليد . وقال له علمنى الاسلام . فاخذه معه الى فسطاطه . واتى له بماء فتطهر وصلى ركعتين . وخرج مع خالد يحارب فى سـبيل الله مستبسلا حتى رزق الشهادة فى سبيل الله ولقى ربه .

يا لله ويا لجلال الايمان الخالص . الذى دفع جرجة الى ان يسرع بروحه فى الجنة ويقيم مقاما محمودا بجوار ربه .

وصورة اخرى لاحدى نساء المسلمين ـ لا تقل فى الروعة والبطولة والثبات على المبدا والتضحية عن موقف الرجال . بل تفوقهم ـ صورة ـ سمية بنت خياط ـ زوجة ياسر ، وام عمار بن ياسر ـ لقد كان اسلام آل ياسر مبكرا فى اول عهد النبوة ، فاصطلوا بنار العذاب من آل مخزوم ، وكان نصيب ـ سمية ـ من العذاب فادحا ورهيبا ووحشيا .. ففاضت روحهـا وهى صابرة متمسكة بايمانها . وصعد روحها الشريفة الى بارئها وهى تقول عندما كانت تلفظ انفاسها . احد احد فرد صمد . اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله ـ لقد منحت ـ سمية ـ البشرية كلها وبنات جنسها . شرفا لا ينفد وكرامة لا حد لها . وبهرت الكفار بصمودها وثباتها وجودها بدمائها فى سبيل الله · وكانت اول شهيدة فى الاسلام · تضحى بدمائهـا فى سبيل عقيدتها ـ هنيئا لها لقد ربحت . لانها اسـتبدلت الحياة الدنيوية الفانية . بحياة اخروية باقية .

ولله در القائل :

موت التقى حيـاة لا فنـاء لهـا
قد مات قوم وهم فى النـاس احياء

عن انس بن مالك قال . قال صلى الله عليه وسلم ـ ما أحد يدخل الجنة يحب ان يرجع الى الدنيا وله على الارض من شيء . الا الشهيد يتمنى أن يرجع الى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة ـ رواه البخارى .

ووالله ان النفس لتهتز اهتزازا والقلب لينفعل اكبارا واجلالا لهؤلاء الشهدا لذين ضحوا بحياتهم وجادوا باموالهم ودمائهم . ليقروا فوق الارض دينا قيما · وليبددوا ظلام الكفر · وضلال اليهود ، وينيروا لمن بعدهم الطريق .

كل ذلك حري بان يبهر القلوب المؤمنة ويوقظ العقول الذكية والنفوس الكريمة فتتبعهم عل نفس الطريق الذى ساروا . ولن يخيب امرؤ عرف الحق فصانه . وكره الباطل فحاربه واهانه وانها لنبوة نبيكم يامسلمون ـ لن تقوم الساعة حتى يقاتلوا اليهود وحتي يقول الحجر يامسلم هذا يهودى ورائى فاقتله ؟

القراءة المقبولة والمردودة

فضيلة الشيخ محمود خليل الحصري

ذكر علماء القراءات قاعـدة تعرف بها القراءات المقبـولة وتميز عن غيرها من القراءات الشاذة المردودة ، وهذه القاعدة هى : كل قراءه وافقت اللغة العربية ، ووافقت رسم أحد المصـاحف العثمانية - وثبتت بطريق التواتر - نقول كل قراءة اجتمعت فيها هذه الأركان الثلاثة ، موافقة اللغة ، وموافقة احد المصاحف • وثبوتها بطريق التواتر هى القراءة التى يجب قبولها ولا يحل جحدهـا وانكارها ، وهى من جملة الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن الكريم • ومتى لم تتحقق هـذه الأركان كلها او بعضها فى قراءة فهى قراءة شاذه مردودة ، وينبغى أن يعلم ان اهم هذه الأركان هو الركن الثـالث والركنين الأولين لازمان له اذ انه متى تحقق تواتر القراءة لزم ان تكون موافقة للغة العرب ، ولأحد المصاحف العثمانية ، فالعمدة هو التواتر ، ومعنى قولهم : وافقت اللغـة العربية ان تكون موافقة لوجه من وجوه النحو سـواء اكان افصح ام فصيحا ، فلا يشترط ان تكون على افصح الاوجه ولذلك يقول الامام الدانى : وأئمـة القرآن لا تعتمد فى شىء من حروف القرآن على الأفشى فى اللغة ، والأقيس فى العربية ، بل على الاثبت فى الاثر ، والاصح فى النقل والرواية اذا ثبتت عنهم لا يردها قياس عربية ، ولا فشو لغة لأن القـراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير اليها » ا• هـ •

ومعنى قولهم : ووافقت أحد المصاحف أن تكون ثابتة ولو فى بعضها كقراءة : وسـارعوا الى مغفرة من ربكم ، بحذف الواو قبل السين فهى ثابتـة ، كذلك فى المصحف المدنى والشامى وقـراءة « والزبر والكتاب المنير » بزيادة الباءين فهى ثابتة فى المصحف الشامى ، وقراءة • « تجرى تحتهـا الأنهار » فى سورة التوبة فى الموضوع الأخير منها بزيادة لفظ من فهى ثابتة فى المصـحف المكى وهكذا ، وموافقة المصاحف أو بعضهـا قد تكون تحقيقية وهى الموافقة الصريحة كقراءة « مالك يوم الدين » بحذف الألف فهى موافقة تحقيقا لسـائر

المصاحف لأن الالف محذوفة فى جميعهـــا ، وقد تكون الموافقة تقـديرية احتماليـــة كقراءة الآية المذكورة باثبات الألف ، فهى موافقة للرسم تقديرا واحتمالا على معنى أن اثبات الألف على احتمـــال وتقدير أنها ثابتة وحذفت فى الرسم اختصارا كما فى مالك الملك فانها قرئت باثبات الألف للجميع مع حذفها اختصارا فى سائر المصـاحف ، ومعظم القراءات موافقة للرســم صراحة وتحقيقـــا لأن المصاحف كتبت مجردة من النقط والشكل فكانت محتملة لما ورد من القراءات نحو « القدس » بالضم والاسكان ، ويعملون « بالغيبـــة والخطاب » .. و « ننشرهـــا » بالزاى والراء ، و « هيت لك » بالهمزة والابدال والفتح والضم وهكذا .

والتواتر نقل جماعة يمتنع تواطؤهم على الكذب عن جماعة كذلك من أول السند الى منتهـــاه الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذا ، وقد جنح الشيخ مكى بن أبى طالب وتبعه المحقق ابن الجزرى الى الاكتفاء بصحة السند وجعلاه مكان التواتر ، قال الامام النويرى فى شرح الطيبة : وهذا قول حادث مخالف لاجماع الفقهـــاء والمحدثين وغيرهم لأن القرآن عند الجمهور من أئمة المذاهب الأربعة منهم الغزالى وصدر الشريعة وموفق الدين المقدسى وغيرهم هو ما نقل بين دفتى المصحف نقلا متواترا فالتواتر جزء من الحد فلا تتصور ماهية القرآن الا به ، وعلى هذا لا بد من حصول التواتر عند أئمة المذاهب الأربعة لم يخالف منهم أحد فيمـــا علمت بعد الفحص الزائد ، وصرح به جماعة لا يحصون ، منهم ابن عبد البر وابن عطية وابن تيمية، والنووى والأذرعى والسبكى والزركشى وابــن الحاجب .. وغيرهم ..

وأما القراء فاجمعـــوا أول الزمان على ذلك ، وكذلك فى آخره ولم يخلف من المتـــأخرين الا أبو محمد مكى وتبعه بعض المتأخرين ، ومن كلام علماء القراءة الدال على اشتراط التواتر ما صرح به الامام الجعبرى فى شرح الشاطبية حيث يقول:

« ضابط كل قراءة تواتر نقلها ووافقت العربية مطلقا ورسم المصحف ولو تقديرا فهى من الأحرف السبعة وما لم يجتمع فيه ذلك فشاذ » ا. هـ

ببعض تصرف اذا علمت هذا فالذى توفرت فيه الأركان الثلاثة المذكورة انمـا هى القراءات العشر فحسب ..

قال النويرى : أجمع الأصوليون والفقهاء على أنه لم يتواتر شىء مما زاد على القراءات العشر وكذلك أجمع عليه القراء أيضا الا من لا يعتد بخلافه .. ا. هـ.

وقال الامام بن الجزرى فى منجـد المقرئين : والذى جمع فى زماننا الأركان الثلاثة هو قراءة الأئمة العشرة التى أجمع الناس على تلقيها بالقبول، وقال أيضا فى الكتاب المذكور : وقول من قال ان القراءات المتواترة لا حد لها ان أراد فى زماننا فغير صحيح اذ لا يوجد اليوم قــراءة متواترة وراء العشرة ، وان أراد فى الصدر الأول فيحتمـل ان شاء الله تعالى . ا. هـ.

ويؤخذ من هذه النقول أن القرآن لا يثبت الا بطريق التـــواتر وأن التواتر لم يتحقـق الا فى القراءات العشرة ، وعلى هـــذا فكل قراءة وراء العشرة لا يحكم بقرآنيتها بل هى قراءة شـاذه لا تجوز القراءة بها لا فى الصلاة ولا خارجها . قال الشيخ محيى الدين النووى : ولا تجوز القراءة فى الصلاة ولا فى غيرها بالقراءات الشـاذة وليست قرآنا لأن القرآن لا يثبت الا بالتـواتر ، وأما الشاذ فليست متواترة فلو خالف وقرأ بالشـاذ أنكر عليه سواء قرأ بها فى الصلاة أو غيرها ، هذا هو الصواب الذى لا معدل عنه ومن قال غيره فهـــو غالط أو جاهل . ا. هـ.

وقد نقل ابن عبد البر اجماع المسلمين على أنه لا يجوز القراءة بالشاذة وأنه لا يصلى خلف من قرأ بها ، وقال ابن الصلاح وهو ممنوع من القراءة بما

زاد على العشر منع تحريم لا منع كراهة فى الصلاة وخارجهـا •

وكذلك صرح ابن الحاجب وابن السبكى بتحريم القراءة بالشاذ ، واستفتى الامام الحافظ ابن حجر العسقلانى عن حكم القراءة بالشاذ فقال :

« تحرم القراءة بالشاذ وفى الصلاة أشد ، ولا نعرف خلافا بين أئمة الشافعية فى تفسير الشاذ انه ما زاد على العشر ، بل منهم من ضيق فقال ما زاد على السبع » ا• هـ•

والحاصل أن القراءة ان خالفت العربية أوالرسم **فهى مردودة اجماعا • ولو كانت منقولة عن ثقة مع ان ذلك بعيد بل لا يكاد يوجد ، وان وافقت العربية والرسم ونقلت بطريق التواتر فهى مقبولة اجماعا، وان وافقت العربية والرسم ونقلت عن الثقـات بطريق الآحاد فقد اختلف فيها فذهب الجمهور الى ردها وعدم جواز القراءة بها فى صلاة وغيرهـا ، سواء اشتهرت واستفاضت أم لا • وذهب مكى بن أبى طالب وابن الجزرى الى قبولها وصحة القراءة بها بشرط اشتهارها واستفاضتهـا ، أما اذا لم تبلغ حد الاشتهار والاستفاضة فالظاهر المنع من القراءة بها اجماعا •**

ومن هنا يعلم أن الشاذ عند الجمهور ما لم يثبت بطريق التواتر ، وعند مكى ومن وافقـه ما خالف الرسم أو العربية ولو كان منقولا عن الثقـات ، أو ما وافق الرسم والعربية ونقله غير ثقة أو نقله ثقة ولكن لم يتلق بالقبول ولم يبلغ درجة الاستفاضة والشهرة •

وبناء على هذا فالقراءات التى انفرد بنقلهـا الأئمة الأربعة أو أحدهم أو راو من رواتهم لا تجوز القراءة بها مطلقا على رأى الجمهـور ولو وافقت العربية والرسم لأنها لم تنقل بطريق التواتر •

وعلى رأى مكى وابن الجزرى تجوز القراءة بمـا وافق العربية والرسم منها حيث كان صحيح السند وظفر بالشهرة والاستفاضة والتلقى بالقبول •

وإذ قد علمت أن القراءة الشاذه لا تجوز القراءة بها مطلقا ، فاعلم أنه يجوز تعلمها وتعليمهـا ، وتدوينها فى الكتب ، وبيان وجهها من حيث اللغة والاعراب والمعنى، واستنباط الأحكام الشرعية منها على وجه من وجوه اللغة العربية وفتاوى العلمـاء قديما وحديثا مطبقة على ذلك والله تعالى أعلم •

كلمات فى التصوف

سئل أبو بكر الشبلى : ماعلامات العارف ؟

قال : صدره مشروح، وقلبه مجروح ، وجسمه مطروح •!

قيل : من العالم ؟

قال : من عرف الله ، وعمل بما علمه الله ، وأعرض عما نهاه الله ••

قيل : فمن الصوفى ؟

قال : من صفا قلبه ، ورمى الدنيا ، وجفا الهوى ، واتبع المصطفى •

قيل : فما التصوف :

قال : التآلف والاعراض عن التكلف ، وأحسن ما فيـه ·تصفية القلوب لعلام الغيوب ، وأحسن منه : التعظيم لأمر الله، والشفقة على عباد الله ، وأحسن منه : من صفا من الكدر، وخلص من العكر وامتلأ من الفكر ، وتساوى عنده الذهب والحجر•

المولد
النبوى
الشريف

ربيع الأول

شهر الرحمة المهداة

فضيلة الشيخ محمود أحمد هاشم

مع هلال ربيع الاول من كل عام يشرق على الكون خير عام .. فيتفتح قلب الانسان وتقر عيناه بذكرى الرحمة المهداة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .. حقا يذكر الانسان الرحمة بأجلى معانيها ، ويتصورها من كل نواحيها يذكر أنه صلى الله عليه وسلم رحمة فى كل وقت وحين رحمة للخلق أجمعين « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » فهو رحمة للانس وللجان ورحمة للطير وللحيوان ورحمة للمؤمنين وللكافرين . رحمة للمؤمنين بالهداية وابعادهم عن الغواية ، ورحمة للكافرين بتاخير العذاب الى يوم الحساب . قال ابن عباس رضى الله عنه رحمة للمؤمنين والكافرين اذ عوفوا مما أصاب غيرهم . وهو رحمة بذاته ورحمة بأخلاقه وصفاته ، ورحمة فى حياته ورحمة بعد مماته . قال صلى الله عليه وسلم « حياتى خير لكم وموتى خير لكم »

وهو رحمة فى صبوته وشيخوخته ، ورحمة فى طفولته وفى رضاعته فقد كان مصدر خيرات كثيرة لمرضعته الفقيرة ، وهو رحمة فى أيام حمله فلم تشعر امه أيام حمله بما تشعر به سائر الامهات ،

وهو رحمة للانبياء والمرسلين حيث قد من الله عليهم بالنبوة والرسالة بعد ما اخذ عليهم العهد والميثاق أن يؤمنوا به وينصروه ان أدركوه . قال تعالى « واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين » وهو الرحمة التى طلبها ابراهيم عليه السلام فى قوله تعالى « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم » وهو الرحمة التى بشر بها عيسى عليه السلام قال تعالى « واذ قال عيسى ابن مريم يابنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » وهذا هو أحد أسماء النبى صلى الله عليه وسلم كما أخبر بذلك قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الامام أحمد « ان لى أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وأنا الماحى الذى يمحى به الكفر وأنا العاقب » . وقال فيما

رواه الامام أحمد أيضا « **انا محمد وانا احمد ونبى الرحمة ونبى التوبة والحاشر والمقفى ونبى الملاحم** »

وان هذه العظمة المحمدية التى تجلت على ايدى الرسل السابقين قبل ميلاد النبى بدت واضحة كذلك يوم ميلاده العظيم فكان يوما جديدا على حياة الناس ، جديدا بالنسبة للنواميس الطبيعية .

فالطبيعة تظهر وكأنها فى ثوب قشيب ، والوجود كله حركة وكله احساس جديد وغريب ولئن لم تعرف نفوس الناس سر هذا ، فان لسان حال الكون يقول : ان هذا اليوم يوم ميلاد الرأفة والرحمة بالبشرية الحائرة المعذبة . « **لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم** بالمؤمنين رءوف رحيم » .

وكان المضمون الكبير لهذه الرحمة هو انتقال الحياة من الجاهلية العمياء الى الحنيفية السمحاء من الضلال الى الهدى ، من الظلمات الى النور .

وكانت السبل متعددة وشاسعة ومتفرقة ومتباينة وكان الصراط المستقيم الذى وقف النبى صلى الله عليه وسلم يدعو الناس الى اتباعه هو المنقذ الوحيد للرحمة التى اذا انضوى الناس تحت لوائها وانتظموا فى صفوفها ، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، ان عادات السوء والشر ، والاستبداد بالضعيف واكل مال اليتيم ووأد البنات وعبادة الاصنام .. وغير ذلك من الشرور لم يعد لها بقاء مع الحياة الجديدة حياة الرحمة : « **وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق** بكم عن سبيله » . وان المسافة الزمنية ، التى قطعتها الدعوة الاسلامية فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم حاملة الرحمة ، وناشرة أعلامها ، وباحثة عن بقاع الخصب لها لا يحدها زمان ، ولا يحصرها مكان .

فقد كانت واضحة فى شخصية الرسول ، فى كل خطاه وحركاته وسكناته كما كانت واضحة كذلك فى كل اقواله واعماله ..

وكانت أشكال هذه الرحمة متعددة المظاهر وان كانت متحدة المصدر فهى تبدو فى شخصية الرسول نفسه ، ووجوده بين أصحابه فيسر به كل من يراه ، ويرتاح له كل من يلقاه دون أن يحدثه ودون أن يتعامل معه وتبدو مرة اخرى فى اقواله وأحاديثه كما بين صلوات الله وسلامه عليه أنه الرحمة نفسها « **انما أنا رحمة مهداة** »

وكانت دعوته الرحيمة تتسم فى تطبيقها العملى بأعلى مستويات الرحمة حتى مع أعدائه الذين آذوه واخرجوه وحاربوه حين تمكن منهم وصاروا فى قبضة يده وجاءه نصر الله والفتح فقال لهم : ما تظنون انى فاعل بكم ؟ قالوا خيرا أخ كريم وابن اخ كريم قال : « **اذهبوا فأنتم الطلقاء** »

وان خلال العفو والتسامح والصفح وكل صفات الكمال التى اتسمت بها حياته الشريفة كانت تحمل طابع النور الذى يضىء للناس حياتهم ويهديهم الى الصراط المستقيم .

فمن اهتدى بهديه واطاعه فقد اطاع الله « **من يطع الرسول فقد أطاع الله** » ورحمة الله الواسعة منوطة باتباع النبى صلى الله عليه وسلم ، تلك الرحمة بمفهومها الشامل رحمة للعبد فى دنياه فى نفسه وماله وولده ، ورحمته له فى أخراه بمغفرة ذنوبه ودخوله الجنة ، وهذه الرحمة التى وسعت كل شىء لمن ؟ انها ليست لكل الناس وانما لاولئك المفلحين الذين أخذوا بأسباب الرحمة وحصلوا على دعائم الفلاح التى ذكرها الله سبحانه فى قوله : « **ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ، الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه أولئك هم المفلحون** » .

وكما أن رحمة الله الواسعة مشروطة باتباع النبى صلى الله عليه وسلم فانها كذلك مرتبطة برحمة الناس بعضهم لبعض وهذه الرحمة تشمل رحمة الانسان بنفسه ورحمته بوالديه ، ورحمته بجاره ورحمته بالناس جميعا ذوى القربى منهم وغير ذوى القربى .

ورحمة الانسان بنفسه قد ترجح فى كفتها على العبادة نفسها مادامت حقا لابد من ممارسة رجاء المداومة على العبادة والمساندة لها فقد بلغ الرسول صلى الله عليه وسلم ذات مرة أن عبدالله بن عمرو ابن العاص يصوم دائما ويقوم الليل كله فيقول له:

« بلغنى أنك تصوم النهار ، وتقوم الليل فلا تفعل فان لجسدك عليك حقا ولعينيك عليك حقا ، ولزوجك عليك حقا ، صم وأفطر صم من كل شهر ثلاثة أيام فذلك صوم الدهر قال يارسول الله انى أطيق أفضل من ذلك قال فصم يوما وأفطر يوما وذلك صيام داود وهو أعدل الصيام قال : فانى أطيق أفضل من ذلك قال رسول الله لا أفضل من ذلك » .

وأما رحمة الانسان بوالديه فانها أكبر من الهجرة والجهاد ، وقد جعلها الله سبحانه بعد توحيده وعبادته مباشرة :

« وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا »

وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايعه على الهجرة والجهاد فقال له النبى صلوات الله وسلامه عليه : **« هل من والديك احد حى ؟ »** قال الرجل : نعم كلاهما حى قال الرسول **« فتبتغى الاجر من الله »** قال الرجل : نعم قال الرسول **(فارجع الى والديك واحسن صحبتهما)**

وأما رحمة الانسان بجاره فتتبلور فى تلك الوصايا الحكيمة ، التى جعلها الرسول صلى الله عليه وسلم حقوقا للجار ، يجب مراعاتها :

« اذا استعانك أعنته واذا استقرضك أقرضته واذا افتقر عدت عليه واذا مرض عدته ، واذا أصابه خير هنأته واذا اصابته مصيبة عزيته واذا مات اتبعت جنازته ولا تستطل عليه بالبنيان فتحجب عنه الريح الا باذنه ولا تؤذه بقتار ريح قدرك الا أن تغرف له منها وان اشتريت فاكهة فاهد له فان لم تفعل فادخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده »

وأما ذوو القربى فان الرسول صلى الله عليه وسلم يعطيهم اهمية بالغة فيقول : **« ان الله تعالى خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة . قال الله : نعم أما ترضين ان أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى قال : فذلك لك .. »**

ورحمة الانسان بالناس عامة اجرها عند الله عظيم كبير اذ انه سبحانه يعدها شكرا له واستجابة من العبد لربه وخشوعا ، وما يبذله من معروف فهو لله ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : **« ان الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدنى قال : يارب كيف اعودك وانت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أن عبدى فلانا مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتنى عنده ؟ »**

يا آدم استطعمتك فلم تطعمنى قال : يارب كيف أطعمك وانت رب العالمين ؟ قال : أما علمت انه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه أما علمت انك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى ، يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقنى قال يارب وكيف اسقيك وانت رب العالمين ؟ قال : استسقاك عبدى فلان فلم تسقه أما انك لو سقيته لوجدت ذلك عندى »

ان تلك الرحمة الواسعة بشتى أشكالها ومختلف ضروبها والتى لا تكفيها سجلات وسجلات حصرا واحاطة ، هذه الرحمة المهداة تطالعنا مفاهيمها المضيئة كلما اقبل علينا هذا الشهر الحبيب ، حاملا للبشرية رحمته وللحياة سناه

ان اكبارنا لايامه العظيمة وحفاوتنا به لا تكون صادقة وصحيحة الا اذا تعلقنا بصاحب الذكرى العطرة ، وسنته الرشيدة السديدة ، وذلك بالعمل بدستوره ، والسير على منهج سنته ، وكثرة الصلاة والسلام عليه ، والانابة المخلصة التى نصطلح فيها مع ربنا ونكون اهلا لشفاعة رسول الله ، فصلوات الله وسلامه عليك يارسول الله يا رحمة ربنا المهداة ويا نعمته المسداة .

في ذكرى مولد الرسول

الأستاذ محمد الخضري عبد الحميد

اتيت والناس فوضى لا تمر بهم
الا على صنم قد هام فى صنم

والارض مملوءة جورا ؛ مسخرة
لكل طاغية فى الخلـق محتكم

فى ذكرى مولدك يانبينا العظيم ؛ ياخاتم الانبياء وسيد المرسلين ، سيدى يا (محمد) صلوات الله عليك : يخلق بالانسانية جمعاء .. أن تتفكر ، وتستذكر .. أن تتأمل وتتدبر وتستعبر .. ماذا يكون الحال والمآل لو لم يشأ الرحيم الرحمن ؛ جل وعلا ؛ أن يضفى على الانسانية من لألاء نوره : نورا .. وأن يهبها من عليين علاه : علوا وارتقاء .. فيهديها ـ من سابغ فضله وبره ـ : الاسلام دينا . و (محمد) نبيا هاديا ، وقائدا رسولا ؟

يجدر بنا نحن البشر جميعا ، والمسلمين على الخصوص ، ان نعود الى سيرتك العطرة .. نتفيأ ظلال روضاتك العبق الوارفات اليانعات .. نستروح .. نستجلى ونتذوق ونستمتع .. لندرك آخر المطاف أنك ؛ عليك الصلاة والسلام ، كنت أجدر الناس بحمل هذه الرسالة الشامخة الخالدة .. وصدق الله العظيم اذ يصف رسوله ونبيه الكريم (وانك لعلى خلق عظيم)

الخلق العظيم .. كان اذن ركيزة النهوض بهذه الرسالة العظمى .. رسالة نشر هذا الدين الخالد القيم ، الأسمى .

وفى روضات (محمد العظيم) العظيم انسانا ونبيا ؛ معلما وقائدا ، يحلو الطواف ؛ ويطيب التأمل .. وتعذب النجوى اليوم .. وفى كل يوم وفى كل حين .

فياسيدى يارسول الحق ، يا أشرف الخلق .. ويا نبى القوة والعظمة فى كل ماهو ناصع ؛ ورائع وقويم .. بالحب الواعى ؛ وبالاجلال الصادق المكين .. نهيم بالمهج والارواح .. بين دوحات وخمائل رحابك الوضىء الطهور ..

***

نتدارس حال القوم فى أم القرى .. حينما آذن العلى القدير أن يكون الاسلام ، والقرآن ؛ والنبى

نجاوى

الرسول : بين ظهرانيهم .. بعد الظلمات الحالكة يسطع النور .. ويفزع واحد من عتاة رجالات الجاه والمال ، كالوليد بن المغيرة .. صائحا فى قومه مستكبرا مستهولا ؛ مستكثرا ؛ كانما (المسوغ) فى عرفه ومفهومه لنيل شرف النبوه : مال وحسب! جاه ونسب !

- (أينزل القرآن على محمد ، وأترك ، وأنا كبير قريش وسيدها) ؟!

فماذا كان الحال بعد أن سطع نورك ؛ وعززك الله بنصر من عنده ؟ . يكون لك من أبناء ذلك الرجل عينه : رجال خلص بواسل ، يزدهى بهم الاسلام وبمضى على كواهلهم وهاماتهم قويا عزيزا ، كالوليد ، وأخيه (خالد بن الوليد) الذى سميته بحق وقبل أن يتألق عطاؤه فى ساحات الحرب : سيف الله المسلول فتبارك الله . **(هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم ، يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين)**

ما ابلغ حسان بن ثابت . اذ قال فيك ياأكمل البشر ويا أنقى الانقياء :

خلقت مبرا من كل عيب
كأنك قد خلقت كما تشاء

ما أقواك فى الثبات على نبل العاطفة ؛ وحفظ كرامة الغائب ، واعطاء كل ذى حق حقه ولو فى غير محضره ، وحتى فى وجه من لايرضيه مثل هذا الذى يرضيك وان يكن قريبا أو عزيزا حتى انك لاتسمح لـ (عائشة) رضى الله عنها ، وهى أحب أزواجك الى قلبك ؛ أن تذكر مايغض من شأن (خديجة) زوجك الاولى رضوان الله عليها .. فاذا بمقدم شعرك يهتز غضبا ، واذا بك فى حمية الغيرة على تصحيح مايستوجب التصحيح ، تبادرها بقولك : **(لا والله ما أبدلنى الله خيرا منها)** .. واذا هى - خجلة - تمسك ؛ وتعتذر ؛ وتعد بألا تعود .. **(لا أذكرها بسيئة أبدا)** .

***

ما ارق قلبك الكبير .. وماأسمى هذه الشفافية المغداق الودود ، اذ هى تزجر (فاطمة) رضوان

الله عليها ، لكى تهدهد طفلها الباكى ٠٠ زجرا رفيقا ؛ يحمل فى أطوائه خصائص فطرتك : **(ألا تعلمين أن بكاءه يؤذينى) ؟**

فاذا هى فعلت ٠٠ وكف الباكى عن البكاء ؛ وتبسم وتهلل وأقبل اليك ٠٠ فيالك أبر الآباء وألطفهم ، وأكثرهم دعة وحلما ٠٠ يعلو الطفل منكبيك فتتركه ٠٠ تنهى صلاتك لئلا تشق عليه من طول اعتلائه المنكبين ! تتولى خدمة الأطفال بنفسك ، وأبواهم قاعدان ! فاذا تلفت من حولك فرأيت على كثب منك : ابنتك فاطمة الزهراء ؛ ابنة (محمد) مرتدية الكساء الغليظ الخشن ؛ المنسوج من وبر الابل ٠٠ تطحن بالرحى ٠٠ لا يروعك قط منظرها ، ولا يدهشك فى شىء ! بينا أنت القادر لولا صمودك المثالى ، على أن تفىء عليها أغلى وأثمن مافى متع الدنيا من طعام وزينة ٠٠ بل انك لترد عليها فى بساطتك الآسرة وايمانك الشاهق ؛ حينما تشكو اليك أنها : **(مالها طعام تأكله !) فتقول :**

- « تجرعى يا فاطمة مرارة الدنيا ٠٠ لنعيم الاخرة » ٠

***

ما أعظم كرم نفسك ؛ اذ تتغلغل بنورها الوضاء فى دخائل نفوس صحبك وذويك ٠٠ فتسكب فى قلوبهم المؤمنة بدينك ونبوتك الاسميين : نورا لا يفتأ يضىء فى كل موقف ، وفى كل آن ٠٠

تلحظ فى مجلس زوجك (عائشة) امرأة ٠٠ ثيابها رثة ، على قسمات وجهها الجميل كآبة ٠٠ وهى - على جمالها - كسيرة الرنوات ؛ زرية الهيئة ٠٠ فتسأل وتستفسر ٠٠ لانك أنت بصلاح الامور ؛ كل الامور ، أجدر ٠٠ ويقال لك أن زوجها صوام للنهار ، قوام لليل ؛ يصرف كل وقته للعبادة ؛ ولا شىء آخر غير العبادة ٠٠ فلاتملك اذ تراه ٠٠ الا أن تلقاه بالنصح الرشيد :

- بلغنى أنك تصوم النهار ؛ وتقوم الليل ٠٠ ان لجسدك عليك حقا ٠٠ ولزوجتك عليك حقا) ٠

ولا تلبث بعدها أن تهل على مجلس (عائشة) تلك المرأة التى كانت كسيرة زرية الثياب ٠٠ فاذا هى طلقة المحيا ، متعطرة ترفل فى الجديد والنظيف ٠٠ وتزداد بالدين السمح تمسكا واعتصاما ٠

ما أشجعك ، وما أقوى بأسك ، وما أروع بدائع بطولتك الرائدة الخالدة ، وأنت - يا سيدى يارسول الله - غير المطالب بأن تحارب بيديك ؛ أو تخوض بنفسك كل ما يخوضه الصحب والأتباع فى سبيل نشر الهدى على آفاق من لجوا فى الضلالة وعمى البصيرة ٠

ونقف - نحن البشر - على مر الدهور والحقب ٠٠ مكبرين مهللين ٠٠ للنبى المحارب ، الذى يدفع بشخصه قبل غيره فى المعامع ، غير هياب ٠٠ لايتوانى عن مناجزة دعى زنيم ك (أبى بن حلف) ذاك الذى كان يعتز قديما بفرس له فى مكة ؛ يقول عنه لمحمد : (انى أعده لأقتلك عليه) ! فيجيبه محمد وقتذاك بما اعتاد أن يجيب به على أمثاله : (بل أقتلك أنا ؛ باذن الله) ! ٠ ويتلاقيان فى (أحد) ، ولا يطلب (أبى) غير (محمد) يبارزه ٠٠ يتقدم كثيرون ، لكن محمدا ؛ رمز النسجاعة رغم جراحاته ؛ يطلب اليهم أن يدعوه له ٠٠ يغالب ماكان قدناله من وصب ، فيهب منازلا ذلك المغرور ويحمل عليه فلا يتركه الا مجندلا ؛ صريع (طلاء) من خيلاء أجوف !

* * *

وعلى الرغم من شموخك فى البطولة التى لا تطال ولا تنال ٠٠ فالعفو من شيمتك ، والصبر على المعوج الى أن يستقيم ويصلح : احدى فضائلك وكم كان من اعوجاج (عبد الله بن أبى) ونكثه بالعهود والوعود؛ وخياناته المتكررة فى أشد المواقف حساسية وتعقيدا ٠٠ الشىء الذى لا يحتمله الصبر ذاته لو تمثل رجلا ٠٠ لكنك تدع له الفرصة تلو الفرصة ؛ غير مخدوع على الاطلاق بابتساماته الزائفة ، وكلماته المنمقة المعسولة ؛ وأحضانه المفرودة كلما خاب سعيه وارتد اليه سوء فعله ٠٠ حتى سقط القناع تماما عن زيفه وخبثه ٠٠٠ وأجمعت كل الجموع على وجوب قتله ٠٠٠ فهذا سيد من الخزرج يطالب برأسه ؛ وذاك سيد آخر من الأوس يحذو حذوه ؛ والكل حتى (ابنه) الذى فاض به الكيل فتطوع هو لقتل أبيه، معلنا بين يديك رأيه :

ـ (والله لقد علمت الخـزرج ماكان لهـا من رجل أبر بوالده منى ؛ وانى أخشى أن تأمر بـه غيرى فيقتله ؛ فلا تدعنى نفسى أنظر الى قاتل أبى يمشى بين الناس ، فاقتل مؤمنا بكافر ؛ وأدخـل النار) لأ

بم أجبته أنت ياسيدى ياحليم النفس ، ياذا الطوية الطهور التي لم تجبل الا على السماح وحب العفو ؛ حتى ولو لم يك أدنى محل لعفو ؟ ٠ قلت: (بل نترفق به ، ونحسن صحبته مابقى معنا) ٠

أبعد كل ماكان منه ؟ أوليست هذه هى فرصتك؛ التى تثار فيها لبعض ماسبب لك من متاعب ؟!

ولايكاد (عمر بن الخطاب) رضى الله عنه يقتنع فان للعفو حدودا ، فياله عندك شاسعا غير ذى حدود ٠ تقول لـ (عمر) فى اقنـاع يسير بسيط :

ـ اما والله لو قتلته يوم قلت لى أقتله : لغضب رجال لو أمرتهم اليوم بقتله لقتلوه) !

حقا ! ماذا يجدى القتل فى خائن ؛ قتله الاجماع الذى حكم به عليه قومه ٠ حتى أن ظل يحيا بعد، فانما هو ليس الا (الميت) الحى !؟

* * *

ثم ٠٠ ما أظرفك انسانا لطيفا انيس الرفقة ودودا يسامر رجـاله ، ويرفه عنهم فى وقدة الهجير حين هم حوله ناهضون الى غزوة فى سبيل الله والاسلام ٠٠ تتفاكه معهم ، وتغمر قلوبهم بالبهجة ؛ وتعيد الى شفاههم التى شواها لهيب القيظ : بسـمات الطلاقة والبشر ٠٠ تخفيفا عنهم من رهق المسيرة وهل أدل على ذلك من حديثك اللطيف العذب ؛ لذلك المجاهد الـذى كان يلهث على جمل أعجف هزيل ، فاذا بك وأنت النبى القائد ؛ تميل عليه ، تمازحه فى حوار مرح تقول له فيه :

ـ (أتبيعنى جملك) ؟

ـ بل أهبه لك يا رسول الله)

ـ (لا ، ولكن : بعنيه)

ـ (ثمنه يا رسول الله) ؟

ـ بدرهم) !

ـ (لا ! ٠٠ اذن تغلبنى يارسول الله) ٠

ـ (بدرهمين) !

ولكن هناك مجاهد مرهق مكدود آخر ٠٠ أجهده الحر ؛ وسال على جسده العرق ٠٠ فليأخذ منك اذن ـ هو أيضا ، جرعة روحية عذبة أخرى تقول له :

ـ (هل تزوجت بعد) !!

ـ (نعم يا رسول الله) ٠٠

ـ (أثيبا أم بكرا) ؟

ـ (امرأة تجمع رؤس اخواتى السبع اللاتى تركهن لى أبى)

ـ (أصبت) !

وغيره ؛ وغيره ، وغيره !٠٠ أية جرعات معنوية! أية دروس لاتنسى (وعبر باقيات خالدات ؟

* * *

عليك يا أفضل الخلق صلوات الله وسلامه ٠٠

ولا عجب وأنت نبى الاسلام ٠٠ أن يكون الاسلام سيد الأديان ٠٠ يستهوى كل الافئدة بغير تصنيف أو تفريق ٠٠ حتى أفئدة بعض (اليهود) الذين تنقشع عن قلوبهم غمـامات التعصب المذهبى والسياسى ٠٠ ومن ثم فلا نعجب ولاندهش حين يدخل الناس فى دين الله أفواجا ٠٠ لا عجب ولا دهش حين يطلع اليوم شاعر (يهودى) هو (أنور شاءول) ينشر باعتداد فى العراق قصيدته التى سماها (يهودى فى ظل الاسـلام) ، والتى قال فيهـا :

وسماحة الاسـلام كانت موئلى
وبلاغـة القرآن كانت موردى
مانـال من حبى لأمة أحمـد
كونى علـى دين الكليم تعبـدى

من الأشباه والنظائر في

القرآن الكريم

السراج المنير

الشمس والقمر • أسماء النبي
التحميد والتعبيد • هداية النور
ختام النبوات

الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل

الشمس والقمر :

الشمس سراج متوقد وهاج متلالىء ككل النجوم التى يسميها العرب بالدرارى . هكذا يعرفها اهل اللغة اما اهـل العلم فيقولون انها مصدر ذو طاقة تتولد من داخله وذاته ثم تتحول الى حرارة تنطلق مع الضوء الى أبعاد الفضاء .

وليست الحرارة مجرد كلمة تدل على السخونة وارتفاعها بقدر ما تتصوره تجارب الانسان ولكنها شىء يعجز عنه التخيل، فان نظرية النسبية التى ترى للحرارة وزنا تقول : ان رطلا من الحرارة هو قدر هائل يكفى لتحويل جسم من الصخر البارد الى جرم شديد التوهج يزن ثلاثين مليونا من الأطنان .

رطل واحد من الحرارة التى تنطلق من الشمس هـذا قدره ووزنه فى ميزان العلم ، فكم يكون ما ترسله الشمس كلها من اشعاع للايين لا نهاية لها من أطنان الحرارة فى كل ثانية من ثوانى الزمن ؟ وكم يكون عدد ما أرسلته الشمس وما ترسله منذ الأزل الى غاية الأبد ؟!

والقمر تسترسل أشعة نوره متساوية عل وتيرة واحدة فى كل الازمنة والى كل الامكنة والجهات من غير أن يتغير النور بزيادة ولا نقصان ـ كما يقول أهل العلم ـ فكم تكون ضفائر الاشعة التى أرسلها القمر من قبل والتى يرسلها من بعد فى ناحيتى الزمان ؟!

هذان المصدران القريبان للحرارة والنور قد تناولتهما نظائر القرآن تناولا علميا دقيقا فنسبت الى الشمس ذاتية الطاقة وانبعاث أشعتها بكامل ألوان الطيف ، فنسبت النظائر اليها أنها سراج تعنى بذلك أنها مصباح لأهل الارض ليتوصلوا الى التصرف لمعايشهم من حيث لا يقل سليطه ولا يدق فتيله ـ كما قال أهل التفسير القدماء ـ وأنها سراج وهاج تنبعث أشعته فى ألوانها الكاملة فتحدث الاحتراق والضوء ـ كما يقول أهل العلم الحديث ـ .

ونسبت النظائر الى القمر الانارة التى هى ضد الظلام لا غير ، فلا هو سراج ذاتى الضوء ولا هو وهاج ينطلق منـه احتراق ، ولكنه يعكس الضوء ويرده من غير أن تجتمع فيه خصال السراج او التوهج الذى فيه مجموع الوان الطيف .

فقال الله سبحانه عن الشمس فى سورة يونس « هو الذى جعل الشمس ضياء » وفى سورة الفرقان « وجعل فيها سراجا » وفى سورة نوح « وجعل الشمس سراجا » وفى سورة النبأ « وجعلنا سراجا وهاجا » . كما قال سبحانه عن القمر فى يونس « والقمر نورا » وفى الفرقان « وقمرا منيرا » وفى نوح « وجعل القمر فيهن نورا » .

وألفاظ هذه النظائر تفرض على العقول أن العلم هو الذى يتحدث فيها اذ نسبت الى كل واحد من الكوكبين ما له من صفات تميزه عن الثانى فلم تفترق حقائق العلم عن حقائق القرآن فى أول الزمان ولا آخره وكان الامر كما قال ابن عباس : ان فى القرآن معانى سوف يكشفها الزمان . وكما قال على بن أبى طالب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كتاب الله فيه خبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم ... » وهكذا بلفظ « ما » ليتناول كل الشئون وكل الكشوف والأفكار .

أسماء النبى :

وأخذت نظائر القرآن من الشمس ذاتية الاضاءة التى تشتمل عليها كلمة السراج وأخذت من القمر النور الذى حصل عليه ورده معكوسا من مصدر التوهج ، ونسبتهما معا الى محمد صلى الله عليه وسلم وحده من بين كل الانبياء فاطلقت عليه وصف السراج المنير .

سراج مقيد بعدم التوهج ونور مطلق بلاقيد فقال الله سبحانه له فى سورة الاحزاب « انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » ثم افردته النظائر احيانا بوصف النور فى مثل قوله تعالى بسورة المائدة « قد جاءكم من

الله نور وكتاب مبين » ووصفت نوره فى بعض الأقوال ـ بالمشكاة فيها المصباح ذاتى الضوء كما هو معروف فى آية النور .

وتضمنت آية الأحزاب ست صفات لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت صفات فصارت أسماء ، هى الشاهد والبشير والنذير والداعى الى الله باذنه والسراج المنير ، ثم كانت هذه الآية تاكيدا للنبوة والعصمة وتحريضا على الدعوة وتفصيلا لها ، ويقول ابن عباس : « وما كادت تنزل على النبى صلى الله عليه وسلم حتى دعا على بن أبى طالب ومعاذ بن جبل فبعثهما الى اليمن قائلا لهما .. اذهبا فبشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا فانه قد انزل على « انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا .. »

وترتبت الصفات الست وترابطت فلم تسبق احداهن ولم تاخر فى حلقات الترتيب فهو شاهد على القوم والخلق وعلى الرسل من قبله وهو مبشر بالرحمة والمغفرة حتى يدخل على النفوس مما تحب وتالف فاذا أخلصت القلوب وأحبت قبلت الانذار وعرفت مبلغ النقمة والعذاب ، ثم هو داع الى الله باذنه مفصل لدعوته تبشيرا وانذارا وأمرا ونهيا فاذا استقر ذلك كله لزمته صفة الافاضة الدائمة والانبعاث الى كل النواحى والآماد كما ينبعث النور عن القمر ويفيض الضوء من ذات السراج . وهكذا حمل السراج المنير فاضطلع بما حمل حافظا داعيا قائما بامر الله مستوفزا فى مرضاته ماضيا غير ناكل ولا متاخر ونافذا غير واه ولا وان ولا مقصر .

وفى غير هذا الطريق الذى سلكناه هنا وحددناه من ألفاظ النظائر ذهب المؤولون قديما ـ غير ابى اسحق الزجاج ـ وراء وصف النبى بالسراج المنير متكئين على فراهة اللغة وشجاعتها فقالوا انها استعارة للنور الذى يتضمنه شرعه وقالوا لانه يهدى من ظلمات الضلالة وقد وصف بالسراج الذى هو المصباح لان من السرج مالا يضىء اذا قل زيته ودق فتيله وقالوا ان وصفه بالسراج المنير للقرآن الذى جاء به وأولوا معنى القول بانه ذو سراج منير أى صاحب كتاب منير كما قالوا انه يجوز أن يكون بمعنى التالى لكتاب الله .

وكل ذلك اعتساف للتخلص من مواجهة حقائق المعانى وبواطنها فادى ذلك بهم الى الابتعاد عن نص القرآن فى المائدة بقوله « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين » فهما شيئان لا شىء واحد : محمد والقرآن وهما يعكسان ضوءا علويا على البشرية كلها فيحدث فيها اضاءة بلا احتراق ونورا بلا اظلام .

وهذا ما نكتفى به ـ لما نحن بسبيله من ذكر نظائر القرآن ـ دون أن نذهب وراء أسماء النبى التى راح يحصيها أصحاب السيرة وعد كثيرا منها القاضى عياض فى كتابه الشفا كطه ويس والمدثر والمزمل ورسول الرحمة والحق المبين وقال ان مائة وثمانين اسما منها منسوبة الى ابن عباس مما يصح تقسيمه الى أعلام وصفات وكنى وألقاب .

التحميد والتعبيد :

ومن غير أن نذهب أيضا الى ما رواه الثقات العدول الذين استندوا الى روايات الصحابة أمثال جبير بن مطعم وأبى موسى الأشعرى وابن عباس أو الذين اعتمدوا على الاستنباط كابى بكر ابن العربى ومحمد بن حزم والقاضى عياض وابن القيم فاننا نكتفى باسماء الاعلام الصريحة التى أطلقها القرآن على النبى وهى ثلاثة لا غير : أحمد ومحمد وعبدالله .

أما محمد فقد جاءت به النظائر فى قوله تعالى بآل عمران « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل » وفى قوله بالأحزاب « ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله » وفى قوله بسورة محمد « وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم) وفى قوله بالفتح (محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم » . واما احمد فلم يات به غير قول واحد هو قوله سبحانه فى سورة الصف « ومبشرا برسول ياتى من بعدى اسمه أحمد » .

والسبب فى تعدد النظائر فى اسم محمد انها تتعلق باحكام تتعدد ـ شان كل الاشباه والنظائر فى القرآن ـ فتكرر فيها الاسم كلما زادت ، أما اسم أحمد فلما لم يكن متعلقا بحكم سوى الاخبار عنه والتبشير به فقد جاء فى القرآن خبرا فريدا .

على ان الاسمين جميعا من اصل واحد هو الحمد الذى اشتهرت به هذه الشريعة فنسبته كاملا الى الله فى الدعاء والصلاة والخطبة والكتابة وكل بداية ونهاية لقول أو عمل حتى سميت الأمة الاسلامية بامة الحمادين .

وتفصيل ما بين الاسمين من وشائج وصلات أن محمدا هو المحمود حمدا بعد حمد من كثرة حامديه وموجبات الحمد فيه ، وأما أحمد فيدل على استحقاق لما لا يستحقه غيره من حمد ، فمن حيث كانت زيادة الحمد فى محمد من جهة الكمية كانت زيادة الحمد فى أحمد من جهة الكيفية .

ومن حيث كان محمد محمودا من غيره حمدا متكررا كان أحمد متوجها بالحمد لربه حمدا لا يساويه فيه حمد حامد ، وهذا فرق ما بين المفعول والفاعل ، وقد جرى قياس النحو فى البصرة على أن أفعل التفضيل والتعجب يبنيان من فعل الفاعل لا من المفعول لأسباب أبدوها ، ومباحث النحو أولى بها .

ويرى ابن القيم انه لا يمنع أن يكون الاسمان كلاهما واقعين على المفعول ، وهو المختار عنده ، لان ذلك أبلغ فى مدح النبى واتم معنى . كما يرى ابن القيم أن الاسمين قد اشتقا من اخلاقه صلى الله عليه وسلم ومن أجل ذلك استحق أن يسمى أحمد ومحمدا من أهل الدنيا وأهل الآخرة وأهل السماء وأهل الارض ولكثرة خصاله المحمودة والتى تفوت العد والحصر سمى باسمين من اسماء الحمد يقتضيان الزيادة فى المقادير والصفات .

وبهذا كان الاسمان يجريان مجرى الوصفية فانتقلا الى العلمية بقصد معناهما وذات المتصف بهما من الخير والمعرفة والعلم والحكمة والخلق وبلاغة القول والعمل ، وكل واحد من هذه واشباهها يستوجب ثناء عطرا وحمدا مكررا

وكذلك سمى الرسول عبد الله فى قوله تعالى « وانه لما قام عبدالله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا » ثم تتابعت فى الاشباه والنظائر صفات التعبيد ترى فى صور من الاطلاق بالتنكير والحصر بالتعريف ، وهى فى القرآن قوله سبحانه « أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى) وقوله (وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله » وقوله « وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان » وقوله « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا » وقوله « الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب » وقوله « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده » وقوله « أليس الله بكاف عبده » وقوله « هو الذى ينزل على عبده آيات بينات »

وليس من نظير فيها كلها يشبه الآخر أو يكرره بل كل واحد منها يكثر من جهة ويزيد من ناحية : فالنظير الأول ينبىء عن صدق دعوته حتى تكاثرت عليه الجن تستمع له والثانى يثنى عليه لانفراده بالخشوع والتبتل وحده من حيث لم يكن قد صلى بالناس والثالث للتحدى والرابع للنصرة والخامس للرفعة والسادس

لانزال الكتاب جملة والسابع لتنزيله جزءا جزءا والثامن لحفظه والتاسع لتفصيل ابوابه واظهار لبابه .

هداية النور :

واذا سمى النبى بالسراج المنير فذلك - كما عرفنا - لانه مقتبس من مصدر البعث الدائم للضوء والحياة ومن طبيعة النور العادلة المستقيمة التى تسترسل على وتيرة واحدة والى كل الامكنة فى كل الازمنة من غير زيادة ولا نقصان

وهداية النور دلالة بلطف وتقدم بغير عنف ويقولون عن اشتقاقها اللغوى ان أصلها من هوادى الوحش اى متقدماتها الهادية لغيرها الى مكامن الصيد وأوكاره وموارد الماء ومشارعه، وكذلك كان كل هاد من البشر متقدما قومه الى موارد العيش ومأمن الحياة .

ولقد هدى الله الناس بمحمد صلى الله عليه وسلم فقال سبحانه « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين » وقال « انما أنت منذر ولكل قوم هاد » فجاء بما عم جنسه كل مكلف ثم بما علمه من ألوان الدعاء والعبادة لتلتقى بالتوفيق وظهور الأثر وبلوغ الأجر .

اما الهداية التى عم جنسها كل مكلف فلانها أرسلت اشعتها الى نور العقل الموهوب للانسان فالتقى النوران على الحجة والبرهان . وأما الهداية بالطاعة والتوفيق فان الصوفية يرونهما معا معونة من الله وهبة من لدنه بل هم يرونهما واحدا فيرون الرجاء وطلب الغفران دليلا على الرضا والقبول . وأما الهداية الى نوال الأجر فهى أتم الهدايات وأوفى الغايات .

وكما ترتبت صفات النبى فى آية الاحزاب فان أوجه هدايته تترتب كذلك فى الوجود والظهور فاذا لم يحصل الوجه الأول بقبول الحجة لم تتهيأ الهداية للطاعة واذا لم تكن طاعة لم تحدث استجابة ولم تفتح أبواب القبول .

ومثل قطرات المطر نزلت الهداية من السماء الى الأرض فى آيات القرآن فتقبلت كل نفس ما قسم لها من زيادة او نقصان ونالت رزقها من العاجلة ومن الآجلة وحرث الآخرة مع الحسب والدين وفاز بالنصيب الأوفى من اجتمع له الحسنيان .

وسطور ألفاظ الهداية فى اساليبها المعجزة بالقرآن لا سبيل الى حصرها فى مقال أو كتاب فانها تطفى كالطوفان وقد امسكنا عنها لانه لا قدرة لعابر بين أمواجها الا لسفينة نبى مرعية فى مجراها مهدية الى مرساها .

وليس أول الناس فى الاهتداء بالسراج المنير باولى من آخرهم بل كلهم على مثل النور الذى كان ولم يزل لان اشعته تسترسل - كما قلنا - على وتيرة واحدة فى كل الأزمنة والى كل الامكنة من غير أن يتغير النور بزيادة ولا نقصان .

ولم يكن فرق ما بين الاولين والآخرين من ذات السراج والنور ولكن من الأبصار والقلوب فهى ترى حين تنفتح وتعمى حين تنغلق ولو تساوى الناس فى الرؤية لكان الآخرون كالاولين وكان المسلمون جميعا فى عداد الاصحاب اذ السراج باق والنور منتشر فى الآفاق .

ختام النبوات :

وقد ختم السراج المنير بنبوته كل النبوات واستغنى الناس بهدايته عن كل السرج والاضواء التى أرسلت للهداية من قبله، وكان من فضل هذا السراج انه متوقد من ذاته ممتلىء زيتا وسليطا وهو طويل الفتيل عريضه ثم هو يبعث النور على صفة الاستمرار فى كل الأزمنة وعلى صفة السواء .

وقد جاءت الشرائع الثلاث الاخيرة واحدة بالعدل لانها جاءت بالحكم والقصاص والثانية بالفضل حيث تشتمل على العفو والصفح فجاءت الثالثة الخاتمة بالعدل والفضل معا ، فحين تذكر العدل وتوجبه تذكر الفضل وتندب اليه كما فى قوله تعالى « وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فاجره على الله » .

ومنذ ارسل السراج المنير وقال الله فيه « ولكن رسول الله وخاتم النبيين » فقد وجب على اهل زمانه الرحلة اليه متى سمعوا به كما وجب على غير اهل زمانه ممن ياتى حتى القيامة ان ينظر فى أمره ويقرأ الكتاب الذى جاء به .

ولا افتكاك لاحد من هذا الوجوب - ولاسيما أهل الكتاب - فقد نبه الله عليه من قبل فى التوراة والانجيل ، اما فى التوراة فقد أنبأ أن نبيا ياتى من شعب اسماعيل وهو « النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة » وأما فى الانجيل فقد سماه احمد ، فحين جاء الذى بشرت به التوراة والانجيل وقال كتابه الذى جاء به « رسول الله وخاتم النبيين » فقد وجب الايمان به لمن كانوا قبله ايمان غيب ولمن جاءوا معه أو بعده ايمان شهادة وحضور .

وقد جاء هذا الخاتم فى شعب سامى حين كانت الأديان السامية حاضرة الأصول ماثلة الشهادة بينما كانت قد غابت كل أصول الاديان السابقة ولم يبق منها غير رسوم واطلال لا تهدى الى طريق ولا تدل على دار ، فكان اختيار نبى من غير الساميين مثارا لخصومة من الاديان البائدة والشاهدة على السواء اما ارساله فى الساميين فلالزامهم الحجة ومن ورائهم كل اهل الأديان والفترات .

ومما لا ريب فيه أن كل الاجيال العبرانية والسريانية التى ماتت وهى مؤمنة بالتوراة والانجيل قبل محمد كانت تؤمن على الغيب بنبى ياتى كما وصفته وأسمته عبرانية التوراة وسريانية الانجيل ، وكانت التوراة قد حصرته فى شعب اسماعيل فلم يبق بد من أن يكون هو محمد ذاته الذى لقى عنادا من الجيل العبرانى والسريانى الذى كان فى زمانه ثم امتدت أذيال عناده الى الأولاد والأحفاد .

وما من ريب أيضا فى انه لابد ان يكون هذا النبى مبعوثا فى شعب معروف بانه من اسماعيل قبل أن يختلط بالشعوب الاخرى ويذوب فيها حتى تصدق نبوءة التوراة ولا يقف امامها شك ولا ارتياب بسبب الاختلاط والذوبان فلا تعرف سمة المبعوث فى ذوبه وخليطه . وهكذا فى شعب اسماعيلى نقى لم يذب ولم يختلط بعث السراج المنير .

وبحروف من لغة سامية عاطفة على أختيها أشار القرآن الى الموجود فى كتابيهما الحاضرين آنذاك فلم يكن هنالك سبيل للانكار بل ولا للعداء فان القرآن جاء يشهد فى عدد وفير من نظائره بهدى التوراة والانجيل فى مجمل رائع من الاحكام ، ولكن العناد كان ظالما فجعل الكتاب الجديد قسمين مقبولا ومفروضا ولكن اخفاء التوراة من اهلها كان فيه كل دلائل القبول

واسترسل نور السراج راغما انف كل عداوة يهدى العالم كله من غباوة الجهل وجسارة العلم فقد ثبت أن الاندفاع فى استغلال العلم ومخبآته كان اشد فتكا من دوافع الجهل وغباواته، ومن ثم فلا محالة فى التطلع والرؤية فى مواضع الهدى والنور والى تعرف البشرى والانذار فى هداية السراج المنير .

الشريعة المحمدية

فضيلة الشيخ احمد كامل الخضرى

ارسل المولى سبحانه وتعالى الرسل مبشرين ومنذرين . ومعلمين وهادين . وأيدهم بالمعجزات . ونزل عليهم الكتب السماوية . فيها الخير والحق . والهدى والنور . وفيها أسباب السعادتين . الدنيوية والأخروية . وجعل سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء . ورسالته خاتمة الرسالات وشريعته الشريعة التامة العامة للناس جميعا . الصالحة لكل زمان ومكان . الباقية الى أن تقوم الساعة . ويرث الله الأرض ومن عليها . وهو خير الوارثين .

والمصطفى صلى الله عليه وسلم . هو النور الوضاء . والسراج المنير . والقدوة الحسنة . والأسوة الطيبة . لعباد الله المؤمنين .. قال تعالى « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين » قال المفسرون .. النور هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .. والكتاب المبين .. هو القرآن العظيم .. وقال جل ذكره « **يأيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشراونذيرا . وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا** » اى شاهدا على أمتك . وعلى الأمم جميعا . فهو صلى الله عليه وسلم يشهد للمحسن باحسانه . ويشهد على المسىء باساءته ــ ومبشرا المؤمنين بالجنة . ومنذرا العصاة بالنار ــ وداعيا الى توحيد الله والاخلاص فى عبادته . ــ وسراجا منيرا . ينير السبل للمؤمنين . ويهدى الضالين . ويخرج الناس من ظلمات الشرك والكفر والمعصية . الى نور التوحيد والايمان والطاعة .

وقال سبحانه وتعالى « **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا** » يعنى أن المؤمن الصادق فى ايمانه . الذى يرجو ثواب الله تعالى . ويخشى عقابه . ويعمل ويجد لليوم الآخر . يوم الحساب والثواب والعقاب . ويذكر الله تعالى فى كل موطن من المواطن . فلا يغفل قلبه عن ذكره ومراقبته وخشيته ــ هو الذى يقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم . ويستن بسنته . ويسير على طريقته . ويتمسك بشريعته ــ والآية فى معنى الأمر من الله تعالى لعباده .. أى اقتدوا برسول الله فى كل ما يأتى به من شرائع وأحكام . واستنوا بسنته التى سنها لكم .

ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم .. هو الانسان الكامل . الذى اصطفاه الله سبحانه وتعالى لتبليغ رسالته السامية لعباده . وخصه بخصائص لم يعطها لأحد غيره . ومنحه أصالة الرأى . وحسن التدبير وقوة الحجة . وكمال الخلق .. ولذلك قال له ربه فى محكم كتابه « **وانك لعلى خلق عظيم** » وهذه عطية كبرى . وشهادة عظمى من لدن العلى الكبير . والاله الخبير .

ولا عجب أن يبلغ الرسول صلى الله عليه وسلم . من الأخلاق الكريمة . والشمائل العطرة . أسماها وأعلاها ــ فلقد تولى المولى سبحانه وتعالى تربيته وتأديبه .. وفى ذلك يقول صلى الله عليه وسلم « **أدبنى ربى فأحسن تأديبى** » .

وهو صلى الله عليه وسلم . لا يسير فى تبليغ رسالة الله . وتنفيذ شريعته على هواه .. ولا يأتى

بشيء من عنده . فهو لا يعمل عملا . ولا يقول قولا .. الا من عند الله العليم الحكيم . قال تعالى ((**وماينطق عن الهوى . ان هو الا وحى يوحى**)) .

لذلك . كان واجب المسلمين . أن يترسموا خطاه صلى الله عليه وسلم فى كل شئونهم . وان يسيروا على هديه . وأن يتمسكوا بشريعته . ليحققوا لأنفسهم أسباب السعادة . ولمجتمعهم الذى يعيشون فيه الخير والرفاهية .

وكتب السنة حافلة بهديه صلى الله عليه وسلم فى كل أمر من أمور الدنيا والآخرة . وكتاب الله العزيز جامع لكافة الأحكام التى يحتاجها الناس فى أمر معاشهم ومعادهم . قال جل ذكره ((**ما فرطنا فى الكتاب من شىء**)) أى ما تركنا فى القرآن الكريم شيئا يحتاجه الناس الا بيناه وأوضحناه . فهو مشتمل على ما تعبدنا به سبحانه عبارة واشارة ودلالة واقتضاء .

فالعاقل هو الذى يتمسك بشريعة الله الخالدة .. ويرجع فى كل أموره الى القرآن الكريم . والى سنته صلى الله عليه وسلم . قولا وعملا وتقريرا .

وواجب العلماء ان يجلوها للناس . ويبينوها لهم . ليعرفوها ويقفوا على أسرارها . وليطبقوها فى سلوكهم ومعاملاتهم وعلاقاتهم بعضهم مع بعض .

وكلما طبق المرء حكما من أحكام شريعة الله . وسنة من سننه صلى الله عليه وسلم . كلما اقترب من ربه عز وجل . واستحق رضوانه ومثوبته . وكان من أهل السعادتين الدنيوية والأخروية .

وذروة ما جاءت به الشريعة الاسلامية . واشتمل عليه القرآن الكريم . والسنة النبوية .. الايمان بالله تعالى وتوحيده وتقديسه . والاقرار بانه سبحانه مستوجب لكل كمال . وأنه منزه عن كل نقص .

وقد تحقق المصطفى صلى الله عليه وسلم بهذه الحقيقة . وامتلأ قلبه بها . واذعن لها اذعانا لم يبلغه سواه .. ولذلك كان دائم الذكر لله . يذكره فى كل أحواله — روى مسلم وابو داود والترمذى رحمهم الله . عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها . قالت (**كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله تعالى على أحيانه**) قال العلماء .. مقصود الحديث أنه صلى الله عليه وسلم كان يذكر الله تعالى دائما .. ليلا ونهارا .. متطهرا ومحدثا . قائما وقاعدا ومضطجعا . وماشيا وراكبا .

وقد سئلت عائشة رضى الله عنها بعد انتقاله صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى عن أعجب شىء رأته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حياته .. فبكت وقالت (**كل امره كان عجبا .. أتانى فى ليلتى . حتى مس جلده جلدى . ثم قال . ذرينى اتعبد لربى عز وجل . ثم قام الى القربة فتوضأ منها . ثم قام يصلى . ويطيل السجود وهو يبكى حتى بل الأرض .. الى ان جاء بلال يؤذنه بصلاة الفجر . فقال يا رسول الله . ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر ؟ ! .. فقال صلى الله عليه وسلم . ويحك يا بلال .. وما يمنعنى من أن أبكى وقد أنزل الله على هذه الليلة .. ((ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب)) ويل لمن قرأها ولم يتدبر فيها .**

فانظر يا أخى الى هذه المنزلة السامية التى بلغها رسول الله صلى الله عليه وسلم ! وكيف يقوم الى عبادة ربه فى جوف الليل .. وكيف يطيل السجود الذى هو أقر بمنازل الحضور مع الله تعالى ؟ .. كما يقول صلوات الله وسلامه عليه (**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد . فأكثروا الدعاء**) .

رواه مسلم وأبو داود والنسائى رحمهم الله .. وكيف يبكى بين يدى الله . ويستمر على ذلك طوال الليل . من بعد صلاة العشاء الى صلاة الفجر .. وكيف يرد على بلال هذا الرد الحكيم .. ويدعو بالويل والهلاك على من يقرأ هذه الآية الكريمة ((**ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل**

والنهار لآيات لأولى الألباب » ولا يتدبر فيها . ويفكر فى معانيها . وما تشتمل عليه من آيات باهرة قاهرة ..

حقا يا رب .. ان فى خلقك السموات العظيمة . وما فيها من شمس وقمر ونجوم سيارة ، وما ينزل منها من ثلوج وأمطار – والأرض وما عليها من ماء وهواء . وزروع وأشجار . وما فيها من كنوز الذهب والفضة . والحديد وغيرها مما ينفع الناس – وفى تعاقب الليل والنهار . واختلافهما فى الطول والقصر . وما فى ذلك من حكم رائعة فالليل سكن وهدوء وطمأنينة . والنهار حركة ونشاط ومعاش .. كل ذلك يا رب .. آيات وعلامات ودلائل ناطقة بوجودك وقدرتك وعظمتك .. يهتدى بها ذوو الألباب الصافية . وأصحاب العقول الراجحة .

وفى كل شىء له آية
تدل على أنه الواحد

فما أحرى المسلم أن يتمسك بشريعة الله . ويقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك .. ويحيى قلبه بذكر الله . والضراعة اليه سبحانه ومناجاته .

والمرء متى آمن بالله تعالى ايمانا صادقا . وأذعن لشريعته اذعانا حقا . وامتلأ قلبه بذلك . فانه يعيش سعيدا فى الدنيا . ويكون فى الآخرة من الناجين المقربين لله رب العالمين . الناعمين بجنات الخلد . التى تجرى من تحتها الأنهار « دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام . وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين » .

والمجتمع الذى يسمو فيه هذا الايمان بالله . والاذعان لشريعته الخالدة . وتتحقق فيه آدابها وأهدافها .. مجتمع صالح ينعم بالسعادة . ويفيض عليه الخير . وتنتشر فى جوانبه المحبة والمودة والهناءة ..

بل ان الانسانية كلها تنعم بهذا الايمان .. وتنفض عن كواهلها آثار البغى والظلم والعدوان . وتتحرر من مآسى الوحشية والجبروت والطغيان . ويتحقق ما أراده الله لها من نور وهداية . ويعيش الناس جميعا فى يسر ورفاهية . لا فرق بين عربى ولا عجمى .. ولا بين أبيض وزنجى . يحسون بالاحساس الصادق الأصيل – أبونا آدم وأمنا حواء – ندين بالعبادة والطاعة لله رب العالمين .. ونذكر قوله تعالى فى كتابه العزيز « **يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا** » .

وبهذا يمكن ان ينتهى التطاحن بين الأمم . وتتخلص النفوس من الرغبة فى التغلب والسيطرة .. وتكف عما تتخذه فى هذا السبيل من وسائل التدمير والاهلاك . فى البر والبحر والهواء .. كالقنابل الذرية والهيدروجينية . والصواريخ والغواصات والطائرات وغيرها . مما لا يخرج عن قوانين الغاب .. وطبائع الوحوش والذئاب . ولا يتفق بحال مع الطبائع الانسانية الكريمة .

وهكذا ينجو العالم كله من تلك الحالة النفسية التعسة . التى يعيشها نتيجة لهذه المخترعات المدمرة . التى تهدد وجوده وكيانه . وتشعره بالمرارة والألم . وتملأ حياته فزعا ورعبا وكآبة وبؤسا .

« وبعد » فان الشريعة المحمدية . هى الشريعة الخالدة الباقية . وهى الشريعة الصالحة لكل زمان ومكان ، وهى الكفيلة باسعاد الانسانية كلها . وتخليص البشرية من أدرانها .. واقامة العدالة والحق بين الناس أجمعين .

وفى مناسبة ذكرى صاحب هذه الشريعة السمحة الغراء . سيدنا محمد بن عبد الله . خاتم النبيين . وامام المرسلين . صلوات الله وسلامه وتحياته وبركاته عليه .. ندعو الناس قاطبة . فى كل مكان . ومن كل جنس . أن يؤمنوا بها . ويتمسكوا بمبادئها . وينزلوا على حكمها .

ولست أشك فى أن كل انسان فى هذا الوجود لو أزال عن عينيه غشاوة العناد والتعصب . ونظر نظرة فاحصة بريئة عادلة – فى هذه الشريعة وما جاءت به من أحكام ومبادىء .. لبادر الى الايمان بها . لأنها تتفق مع الفطرة السليمة .

وصدق الله حيث يقول فى محكم كتابه العزيز .. مخاطبا حبيبه ونبيه صلى الله عليه وسلم « **فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون** » .

نسأله تعالى . أن يمنحنا التمسك بشريعته . واتباع أحكام كتابه . والانتفاع بهدى حبيبه ونبيه صلى الله عليه وسلم .. انه سبحانه وتعالى ولى التوفيق . والهادى الى أقوم طريق .

سيدى رسول الله

لقد دارت دورة الزمن ، وتغير وجه التاريخ ، فاستبدت عصبة الشر بطائفة من ابناء الوطن العربى واستباحوا ديارهم وأموالهم ، ومثلوا بهم أشنع تمثيل يذكر الناس بعهود البربرية ، وسنة الجاهلية ، وكيد العصبية ، وشتتوهم فى آفاق الأرض لايجدون المأوى الذى يقيهم شر عاديات الدهر ، ويحميهم من قاذفات اللهب الذى يلقيه عليهم العدو الغاشم المسلط .

الكفيله بهداية البشر وتحقيق السعادة لمن تمسك بها فى الحاضر القريب والمستقبل البعيد

أن أتباعك الذين آمنوا بك وصدقوك . واتبعوا النور الذى أنزل معك قد جددوا العزم على الوحدة الصادقة ، والألفة الجامعة ، والتكافل فى الخير ، والتعاون على التقوى والبر . والوقوف فى وجه قوى الشر الطاغية الباغية حتى يستردوا أرضهم المغصوبة وحريتهم المسلوبة ، ويطهروا الأماكن المقدسة التى التى اتجه اليها المسلمون فى صلاتهم ـ من دنس

لمحة من حياة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

لقد دنس الصهاينة بأقدامهم القذرة أرض الطهر والعفاف التى عاش فى رحابها الرسل والأنبياء ، ونزل فيها أمين الوحى برسائل السماء ، ووطئتها قدماك فى رحلة مسراك ، وعشت فيها لحظات من الزمن مع من سبقك من الرسل بويعت فيها بالقيادة والريادة لأن الدين الحنيف الذى بعثت به ودعوت الناس اليه هو الدين العاصم الخاتم الذى لم يجئ العصر دون عصره ولا لمصر دون مصر

سيدى رسول الله

انكا فى ذكرى ميلادك الاغر نذكر أنك طلعت على الحياة فأنرت جوانبها ، وأوضحت معالم الطريق للانسانية الحائرة المعذبة التى كانت تسير فى متاهات الجهل على غير هدى وبصيرة وأرسيت قواعد العدل التى ارتاح لها الضمير الانسانى ، ووضعت المثل العليا ، والقيم الخلقية والدينية

اليهودية ورجس الصهيونية . يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ويشعرون فى مشارق الأرض ومغاربها بالعزة التى جعلها الله لهم دون غيرهم حيث قال فى كتابه الكريم (**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون**)

مولد نبى :

لقد تم زواج عبد الله بآمنة بنت وهب بعد انتهاء حادث الذبح والفداء الذى أقض مضاجع القرشيين وحملهم على الوقوف فى وجه عبد المطلب سيدقريش ليصرفوه عن الوفاء بنذره حتى لايشيع أمره بين الناس . ويكون فيها بعد سنة متبعة بين العرب

لكن هذا الزواج الموفق السعيد الذى ظفرت فيه فيه السيدة آمنة بفتى أحلامها اذ كان عبد الله فتى مرموقا ضم الى مروءة العربى . وشرف الأسرة ـ

وطيب العنصر جمال الخلق والخلق مما جعل فتيات الأسر وكريمات البيوت يتطلعن اليه .

لم يدم طويلا اذ تهيأت القافلة للسفر فى رحلة من رحلات العرب المعروفة التى ذكرها القرآن الكريم فى قول الله سبحانه (لايلاف قريش ايلا فهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) وكان الفتى عبد الله عضوا من أعضائها فخرج مع من خرج للسفر بعد أيام من بنائه بالزوجة التى آنست وحدته ، وملأت فراغ حياته ، ورأى فيها من آيات الاخلاص وضروب الوفاء ماحمله على حبها وتقديرها

ولسنا نستطيع ان نصور الموقف المحزن ، ولا أن نقرب للاذهان ساعة الفراق ، وما صاحبها من ألم ممض ، وحزن عميق بلغ قرارة النفوس ، وعصر حبات القلوب

مضى الزمن ثقيل الخطى بطيئا وانيا تستقبل فيه الزوجة المخلصة الوفية شمس كل صباح وكلها أمل فى أوبة الغائب ، ورجاء فى عودة الحبيب ،فاذا أقبل الليل وستر الكون بغياهبه الحالكة السواد آوت الى فراشها الخشن يصاحبها الألم ، ويحالفها السهر الى مولد يوم جديد - عادت القافلة وعاد بعودتها رجال وشباب هفت اليهم قلوب وأنست بهم نفوس ، وحفلت بيوت قريش بما وفد اليها من مال ورجال اللهم الا بيت عبد المطلب فقد ساده وجوم غريب وملأه حزن قاتم قاتل اذ لم يعد الفتى المنتظر بل تخلف عن الركب عند أخوال ابيه بنى النجار لمرض اشتد به ، ولم يمهله طويلا فقد وافاه القدر المحتوم وهو لم يزل بعد فى مقتبل العمر وريعان الشباب

لقد اسدل الستار على حياة والد خير مولود اصطفاه الله من خلقه ، واصطنعه على عينه وجعله صفوة انبيائه وخاتم رسله

ماكادت السيدة آمنة تنفض يديها من شريك حياتها حتى تعلقت بخيط من الأمل يشدها نحو وليدها الذى ظهرت أعراض حمله ،وكأن الله سبحانه أراد أن يخفف عنها فداحة الخطب ويهون عليها عظم المصاب ، ويعوضها خيرا مما فقدت . فمن مثل محمد صلوات الله وسلامه عليه فى مروءته ووفائه ، وخلقه ، وشجاعته ، وابائه ، وجميع سجاياه التى لم ينلها احد من البشر ولم يبلغ أى انسان فيها مداه

انتهت أشهر الحمل وجاء الوليد المرتقب والنبى المنتظر ، وشع نور محياه الجميل فى الوجود واستقبلت به الانسانية أعظم مولود ، كما استقبلت عهدا جديدا وحياة حافلة بالخير محفوفة بالبر ، مليئة بالمفاجآت التى يتمخض عنها المستقبل القريب

استيقظ الناس فى صباح يوم الاثنين من الاسبوع الثانى من شهر ربيع الأول ، وكأن هاتفا من جانب الغيب يهتف بهم قائلا (**اليوم ينتهى تاريخ ، ويبدأ تاريخ ، لاملك بعد اليوم ولا سوقه ولا احتكار ولا**

فضيلة الشيخ محمود وفا هاشم

استعباد ، ولا استغلال فالملك لله والقيادة للرسول والسيادة للدين ، والحكم للعرب ، والدنيا للجميع)

لم يمكث محمد صلوات الله وسلامه عليه بمكة بعد مولده بل حمل الى جوف الصحراء جريا على مألوف العرب واتباعا لتقاليدهم المرعية ، وايمانهم بان مضارب الصحراء نقية الهواء بعيدة عن الأمراض الفتاكة تكسب الجسم صلابة وتمنح الطفل مناعة ، وتهبه استقامة فى اللسان ، وقوة فى البيان وتشبعا **باللغة فى صفائها الأصيل**

ولكن المراضع لايطلبن من الأطفال الرضع الا الفتى الموسر طمعا فى ماله ، ورغبة فى نوال آله لذا أعرضن جميعا عن محمد صلى الله عليه وسلم لأنه ولد فى حجر اليتم ، ونشأ فى احضان الفاقة ومثله لايرجى من ورائه سعة فى الرزق المضيق ، ولا رغدا فى العيش الخشن ، ولا ليونة فى الحياة اليابسة العابسة .

أما حليمة بنت أبى دؤيب السعدية ، فقد اقبلت عليه بعد ادبار عنه ، وكأن الله سبحانه اراد لها الخير فيما صنع ، اذ ظهرت بوادر الحياة المترفة لمثلها فى اخلاف رزقها ، فاللبن ينساب من ثديها مدرارا بعد ان كانت تبضه لطفلها قطرة قطرة ، فيشفيه ولا يرويه ، وشارفها الناضح دون خلف يفيض ضرعها بالصريف من اللبن فيشربون منه عللا بعد نهل عندئذ يقول لها زوجها : (والله لقداخذت نسمة مباركة ياحليمة) ولا يخفى ما فى هذا التعبير من جمال التصوير ، فالنسمة فى الصحراء المحرقة اسمى ما يتمناه العربى فى اليوم القائظ والبركة فى المواطن المفقرة غاية ما يطلع اليه البدوى الذى عاش حليف فقر أليف فاقه لندع الآن عهد الرضاع وما كان فيه من ذكريات لايتسع لها مقال ولنعد مع محمد صلوات الله وسلامه عليه الى مكة لنرى ان الله سبحانه رعاه برعايته وأسبل عليه ستر حمايته فلم تطف بنفسه نزوات الهوى ، ولم تستبد به نوازع الشباب حينما كان يرعى غنم بعض أهله أو يتجر فى مال زوجه ، ولنعطك أيها القارىء الكريم صورة مجملة عن نشأة نبيك الكريم ورسولك العظيم

نشأة رسول :

نشأ محمد صلوات الله وسلامه عليه ببادية العرب والبادية بسمائها الصافية وشمسها الساطعة ونجومها الضاحية وقمرها المنير تورث العربى الناشىء بها الدارج فوق رمالها صفاء فى النفس ، وارهافا فى الحس ، وسموا فى الادراك ، ورجاحة فى الرأى ، ونضوجا فى العقل ، كما تطبعه على فصاحة فى اللسان ، وقدرة على البيان ، هكذا كان رسولنا العظيم مطبوعا بطابع البيئة موصوفا بما كان لأهلها من جميل الصفات وكريم العادات . أضف الى ذلك رعاية الله وعنايته به مما جعله مثلا أعلا فى الصدق والأمانة والمروءة ، والوفاء والاخلاص والرجولة الحقة التى خضع لها العرب والبطولة النادرة التى سجلها له التاريخ ، والخلق العظيم الذى شهد له به الله فقال سبحانه فى كتابه الكريم (وانك لعلى خلق عظيم)

كما كان صلوات الله وسلامه عليه مثلا أعلا فى الترفع عما اسرف فيه القوم وأوغلوا فيه من وثنية توبق الروح ، ومادية ترهق العقل ولهو وطرب يذهبان بالمروءة ، وخمور تحجب العقل ، وتقتل الوعى ، وتقضى على الادراك .

ومازال رسولنا الكريم يتدرج فى مدارج الكمال حتى اختاره الله لرسالته ، وأمره ان ينشر بين الناس دعوته ، فنفر القوم منه ، وتفرقوا عنه ، فوقف وحده فى جانب ووقفت الدنيا كلها فى جانب آخر آله وعشيرته ، قومه وقبيلته الروم وماكان لهم من سلطان ، الفرس وما كانوا عليه من قوة . ولكنه لم يحفل بهم ، ولم يستسلم لهم بل صمد لهؤلاء وأولئك جميعا . فمالانت قناته ، ولا خارت قوته ، ولا وهنت عزيمته حينما رأى النور فى البداية يختفى والباطل يستوى لأنه يؤمن الايمان كله أن الباطل لن يستوى الا ليتدهور ، وان النور لن يختفى الا ليظهر **« يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون »**

لقد قام بين حق محمد صلى الله عليه وسلم ـ الذى يؤمن به ويخلص له ، ويدعو اليه ، وباطل القوم الذى ساندوه بالعصبية الحمقاء . والرأى الأفن ، والحجج الجوفاء ، وآزروه بسفه الجاهلية وكيد المادية ، وأيدوه بمنطق القوة وقوة السلطان نزاع قوى . وصراع عنيف استمر مدة من الزمن كانت الدعوة فيه حبيسة بين جدران بيت وبنيان مدينة ، ثم اذن الله لها بالذيوع والانتشار ففكت القيود ، وحطمت الحواجز ، وعبرت الحدود فظهرت فى الأفق تباشير الفوز مؤذنة بان دولة الباطل ساعة ودولة الحق الى قيام الساعة ومعلنة الدنيا كلها ان الله لن يتخلى عن عباده ولن يترك انصاره **(ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز)** **(ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)**

وهكذا تم نصر الله للقلة المؤمنة المستذلة المستضعفة على الكثرة الباغية المعتزة بعدتها وعددها وعاد المهاجرون الذين طردوا من ديارهم وأوطانهم الى بلدهم الأمين ترفرف فوق رءوسهم أعلام النصر يرددون فى فخر واعزاز اناشيد كلها حمد وثناء **وشكر وولاء (لا الاه الا الله وحده ، صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده**

فياشباب العرب استمدوا من دينكم القوة ، وخذوا من رسولكم الأسوة ، وثقوا عندئذ أن النصر حليفكم لأن وعد الله لايتخلف (ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)

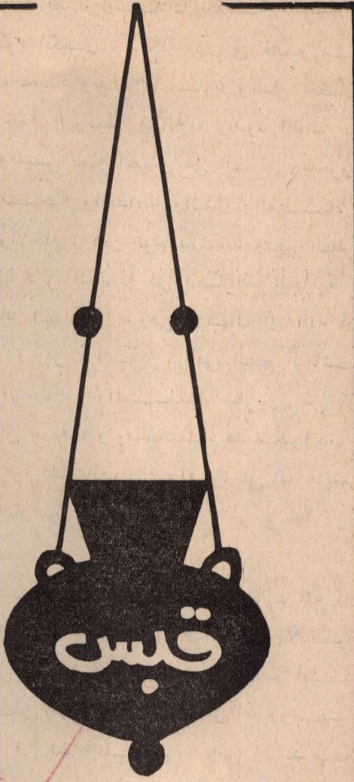

قبس من ذكرى المولد الشريف

فضيلة الشيخ محمد سيد جاد الحق

محمد رسول الله .. ذلك القبس الالهى الذى أنار الله به الوجود ، والنبع الصافى الذى تفجر من قلب الجزيرة فكان عذبا فراتا ، أحيا دارس الأمانى وميت الأمل . والنور الذى تألق فى سماء الحجاز ، والقوافل قد ضلت السبيل ، فاهتدت على بريق سناه ، والصوت الالهى الذى دوى من قلب الصحراء بأن لا اله الا الله، فكان رمزا لتوحيد الله فى السماء ، واعلانا بحقوق الانسان فى الأرض ، واقتحم ذلك الصوت أجواز الفضاء ، وطوى فى قوته القاهرة عروش القياصرة والأكاسرة وحطم بشدته القاسرة رؤوس العتاة والجبابرة .. لقد كان المجتمع البشرى فى حاجة الى عناصر الحياة ، والى قسطاس يزن الكون بميزان نواميسه، فلما أشرقت شمسك يا رسول الله ، رجحت كفة الأمل على اليأس ، والعلم على الجهل ، والعدل على الظلم والسعادة على الشقاء .

واذا كانت وسائل النجاح يا رسول الله فى ثلاثة أشياء : فى العلم والمال والرجال .. فقد كنت فاقدا لهذه الوسائل حيث كنت يتيما فقيرا أميا .. فكيف استطعت مع هذا أن تكشف أسرار الكون . وتقلب موازين الحياة ، وتحول مجرى التاريخ .. وتحدث فى البشرية انقلابا عالميا .. هو حديث الناس فى كل زمان ومكان ، فأقمت الحد الفاصل بين النور والظلام .. على صفحات القرون فى تاريخ الانسانية . حقا والله انها الظاهرة التاريخية الكبرى لاحدى معجزات نبى الاسلام ..

الا فليسجل التاريخ فى انصع صفحاته عظمة رسول الله ، وسمو شريعته ، وجمال تعاليمه التى أوجدت من رعاة الابل أبطال فتح ، وجنود حرب يزدان بهم عقد الزمان ، وتزهو بهم المحافل ، فهم ليوث الفلاة وفرسان الصحراء ، وليشهد الزمان أن الرسول الأمى أوجد من الأمية والبداوة أساتذة علم وفن وأساطين حضارة وعمران . والتاريخ خير شاهد ، يضرب الأمثال ويسوق الشواهد .

وان أنكر الأعمى على الشمس ضوءها

فما ضرها شيئا ولكن أتى نكرا

لقد خرجت يا رسول الله من مدرسة القرآن أعلاما غيروا وجه التاريخ ، وعدلوا وجهة الدنيا ، ونشروا على الناس ديموقراطية حقيقية جعلت الكل سواسية أمام تعاليم الاسلام . فلا سوقة ولا أمراء ولا أقوياء ولا ضعفاء ، وقصة جبلة من أقيال الغساسنة حين لطم الأعرابى فقال له خليفة المسلمين : لقد سوى بينكما الاسلام ، وهى أشهر من أن تذكر . وكم فى تاريخ السلف لحادثة الدرع من نظير ، اذ حكم بها القضاء لليهودى على أمير المؤمنين ، وابن عم رسول الله وصهره ، حين عجز عن البينة ، مع انها درعه ، حتى كانت سببا فى اعتناق اليهودى دين الاسلام .

فهل عرف التاريخ فى قديم أمره وحديثه ، قوة كتلك القوة ، حيث ينشأ رجل فى بادية من الأرض لا زرع فيها ولا ضرع ، ولا علم ولا حضارة ولا شريعة ولا نظام ، مخاصما من قبيلته ، فريدا فى عشيرته ، مشردا عن وطنه ، ولكنه يجمع الناس جميعا على ذلك الحوض الصافى وينتهى بهم سريعا الى تلك الغاية العليا .

ولقد كان أصحابه يعتصمون به اذا اشتد الضر وعز الصبر ، وبلغت القلوب الحناجر ، فيجدونه أصبح الناس وجها وأوضحهم نفسا وأسطعهم روحا وأمضاهم عزيمة ، وأقواهم شكيمة . وكان يفيض على من حوله فيضا من تلك القوة الرائعة ويجلو عليهم نورا من تلك النفس الساطعة فاذا هم أولو البأس الشديد والعزم الحديد ، والقلب الوطيد ، وبهذه القوة مزقوا جنود بدر ، وفرقوا جموع الأحزاب ، واقتحموا حصون خيبر ، واحتملوا البلاء الشديد يوم تبوك ، وبهذه القوة فتحوا أقطار الأرض ودانت لهم الممالك فى أقل من خمسين عاما ، ولم يكن فتح النبى وأصحابه فتح غارات واحتلال دارات ، واغتناما للملك والسلطان ، واختيالا بالسطوة والطغيان كما فعل بختنصر ، واسكندر وأضرابهم من طغاة الأرض وبغاة الانسان والا لكان ظله كظلهم امتدادا يعقبه انحسار ، وبطشا يتلوه انكسار ، ولكنه كان فى فتحه ينشر دينا ويبث عقيدة ويذيع علما ، ويسن حضارة ويفيض رحمة . ويجلو هداية ، ويذود الظالم عن المظلوم ، ويفيض نعمة العيش على السائل والمحروم هو دين التضحية والفداء ، والبذل والعطاء ، والرحمة والاخاء ، دين توحيد الله ، ودين الفطرة الانسانية ، دين الجماعة فى الصلوات الجامعة . وفى الاعياد الساطعة ، وفى الابتهال الى الله اذا جف المطر ، وعزت السقيا ، وفى الحج الحاشد على جبل الرحمة ، والمسلمون مجردون من كل حلية ، وكل سمة ، وثوب مخيط ، قد سكبوا دموع الندم وأراقوا دماء الفداء . وأقبلوا على الله قانتين ملبين ، ضارعين مستغفرين .

ومن هديه - صلى الله عليه وسلم - انه كان لا يشرع السيف قبل أن يشرع العلم ، ولا يسوق الوعيد قبل أن يسوق الوعود ، ولا يبتدر الشدة قبل أن يبتدر اللين ، فمن أناب الى الله ورسوله فقد دخل فى اخاء المسلمين ، ومن استمسك بدينه واستذم بذمة المسلمين فهم يحمونه مما يحمون منه نساءهم وابناءهم .

ومن ركن الى العنف أعنفوا به وأذاقوه الوبال والنكال ولسياسته الحكيمة ، تم له ما لم يتم لأحد من البشر قبله ، فقد جعل الأرض وطنا واحدا ، والأمم أمة واحدة ، والعقائد عقيدة واحدة .. والألسنة لسانا واحدا ، وبين للناس أن التفاضل فى الحياة ليس الا بالدين والتقوى :

« يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير » .

وقد نزلت هذه الآية حين أذن بلال يوم الفتح على ظهر الكعبة ، فقال كفار قريش : ما بال هذا

العبد يرقأ على ظهرها ، ولكنه الاسلام الذى سوى بين الحر والعبد ، والسيد والمسود ، والذكر والأنثى ، فنظم العلاقة بين البشر ، ورتب أمور حياتهم ووضع قوانين للنظر فى شئون الأفراد ولم يهمل مالية الدولة ، بل وضع نظاما محكما لبيت المال ، كان للعلم من سهمه نصيب ، وجعل الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها ، فلله در النبى من مصلح رقى بهذه الامة الى أوج معارج العلم والحضارة ، ولعمر الحق انه للدين الذى ارتضاه الله للبشرية ، دين علم وفضل ، وعدل ومروءة وانصاف • دين جد وسعى ، وعمل لا دين عجز وخرافة وكسل •

روى الحاكم فى مستدركه أن عثمان بن مظعون جاء الى المصطفى – صلى الله عليه وسلم – فقال تحدثنى نفسى أن اختصى ، فقال خصاء أمتى الصوم • فقال تحدثنى نفسى بأن أترهب فى رؤوس الجبال ، فقال ترهب أمتى الجلوس فى المساجد وانتظار الصلاة ، فقال أريد ان اسيح فى الأرض ، فقال سياحة أمتى الغزو فى سبيل الله • فقال تحدثنى نفسى بأن أطلق امرأتى ، فقال المهاجر من آمتى من هجر ما حرم الله ، فقال تحدثنى نفسى أن لا آكل اللحم ، فقال أنا أحبه وآكله • فلو أمعن المنصف النظر فى تعاليم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لايقن ان اعماله كلها مقرونة بجد وحزم ورقى وعدل ، ولطف ورحمة ••

وبعد فانا اذا احتفلنا بمولدك يا رسول الله فانما نحتفل برسالتك التى كانت نبراسا للانسانية لم تخص قطرا دون قطر ، ولا قوما دون آخرين •• وانما كانت للناس كافة : نبراسا سماويا أضاء للناس دياجير الحياة •• ووضعت لهم أصولا راسخة ، وقواعد محكمة ، تساير الغرائز وتسير مع الفطرة السليمة ، صالحة لكل زمان ومكان • لا تصادم نواميس الحياة ، يبلى الجديدان وهى هى ذات الطود الراسخ ، والشباب الغض ، والثوب القشيب • تفيض على المجتمع والعصور مايحتاجان من جلال وجمال ونار ونور ، وهذا ما جعلها خاتمة الشرائع وآخر الرسالات ، وجعل صاحبها خاتم النبيين • الله أعلم حيث يجعل رسالته •

فصلوات الله عليك يارسول الله ، يوم ولدت ويوم مت ، ويوم تبعث حيا •

خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم

سئلت السيدة عائشة عن خلق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقالت – رضوان الله عليها – كان خلقه القرآن »

قال أنس بن مالك : خدمت رسول الله – صلى الله عليه – وسلم – عشر سنين – فما قال لى أف قط ، ولا قال لشىء فعلته لم فعلته ولا لشىء تركته لم تركته •

وقال أنس : خدمت النبى – صلى الله عليه وسلم – عشر سنين ، فوالله ما صحبته الى السوق لقضاء حاجة الا وكانت خدمته لى أكثر من خدمتى له •

النبى و القرآن

الدكتور عبدالله محمود شحاتة

كلما أهل شهر ربيع الاول ذكر المسلمون ميلاد النبى الكريم ، الذى اصطفاه ربه رحمة للعالمين ، وارسله شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ،

وضم الاله اسم النبى الى اسمه
اذا قال فى الخمس المؤذن اشهد

وشق لـه من اسمه ليجله
فذو العرش محمود وهذا محمد

وقد كان ميلاد النبى الكريم ميلادا لرسالة جديدة ارست معالم الحق وقوضت آثار الظلم ، وجاءت للدنيا بهدى السماء ونور القرآن وسماحة التشريع ومكارم الاخلاق وصدق النبى القائل (انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق »

ولد صلى الله عليه وسلم عام الفيل فى الثانى عشر من شهر ربيع الاول وارسله الله رسولا على رأس الاربعين ، واستمر نزول الوحى عليه ثلاثة وعشرين عاما ، ثلاثة عشر عاما منها فى مكة وعشرة اعوام فى المدينة

كما ان عمره عليه الصلاة والسلام كان ٦٣ سنة قمرية كاملة واربعة ايام

نزول القرآن

نزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى بيت العزة فى سماء الدنيا وكان ابتداء هذا النزول فى ليلة القدر من شهر رمضان يؤيد ذلك قوله تعالى (شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن)

وقوله سبحانه (انا انزلناه فى ليلة القدر)

ثم نزل به جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم مفرقا فى ثلاث وعشرين سنة كما قال تعالى (وقرآنا فرقناه لتقراه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا) الاسراء ١٠٦

وكانت آيات الوحى تتوالى على النبى صلى الله عليه وسلم تشرح العقيدة وتدعو الى التوحيد وتستلفت انظار الناس الى الكون ومافيه وتستنهض عقولهم للتفكر والتدبر : (ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب) آل عمران ١٩٠

الحكمة فى نزوله منجما

تساءل العرب لم لا ينزل القرآن على محمد جملة واحدة بدلا من نزوله اجزاء متفرقة

(وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ، ولا ياتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا) الفرقان ٣٢ ، ٣٣

نعم تكفل القرآن ببيان هذه الحكمة فاوضح ان الوحى من عالم الغيب وهو عبء ثقيل وامر جليل (انا سنلقى عليك قولا ثقيلا) المزمل ٥

وقد شاءت حكمة الله أن يتعهد نبيه بالوحي بين الحين والحين تثبيتا لفؤاده وتقوية لقلبه وتيسيرا عليه في حفظ القرآن وفهمه ومعرفة أحكامه وحكمه، قال تعالى (وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين) هود ١٢٠

وقد روى البخاري وغيره أن الروع قد اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم حين فجاه الوحي في غار حراء فذهب الى خديجة واخبرها الخبر وقال لها : لقد خشيت على نفسي فقالت له خديجة : كلا والله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الزمان ثم انطلقت به الى ابن عمها ورقة ابن نوفل وكان شيخا قد عمى وله اطلاع على كتب الأقدمين، فاخبره النبي صلى الله عليه وسلم خبر ما راى، فقال له ورقة: قدوس، هذا هو الناموس الذي أنزله الله على موسى، ليتني أكون حيا اذ يخرجك قومك، قال او مخرجي هم ؟ قال نعم لم يات رجل قط بمثل ما جئت به الا عودى ، وان يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا ، ثم لم يلبث ورقة ان توفى ، وفتر الوحي .

وكان انقطاع الوحي من أسباب شوق النبي الى خبر السماء ، فكان يذهب الى غار حراء ، ويتطلع الى رؤية الملاك مرة أخرى ، حتى نزل عليه قوله تعالى (ياايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولاتمنن تستكثر ولربك فاصبر) المدثر ١–٧

وروى البخاري في صحيحه عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها : ان الحارث بن هشام سال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله كيف ياتيك الوحي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : احيانا ياتيني مثل صلصلة الجرس – وهو اشده علي – فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال . واحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فاعي ما يقول) قالت عائشة : ولقد رايته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا

ومن أسرار تنجيم القرآن ايضا الاجابة على أسئلة السائلين والرد على دعاوى المنكرين وتفنيد مفتريات المفترين ، وشد ازر المؤمنين في كفاحهم وتثبيت الايمان في قلوبهم

وقد حفل القرآن بالاجابة على عديد من الأسئلة والفتاوى توجهت للنبي صلى الله عليه وسلم مثل :

(يسالونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج ...) البقرة ١٨٩

(يسالونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين ..) البقرة ٢١٥

(يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير ..) البقرة ٢١٧

(يسالونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ...) البقرة ٢١٩

(ويسالونك ماذا ينفقون قل العفو ..) البقرة ٢١٩

(ويسالونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير ..) البقرة ٢٢٠

(ويسالونك عن المحيض قل هو أذى ..) البقرة ٢٢٢

(ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن ...) النساء ١٢٧

(يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ...) النساء ١٧٦

وكانت بعض الأسئلة تستورد من الخارج احراجا للنبي وسبرا لغوره فمن ذلك ان وفدا من أهل مكة ذهب الى يهود المدينة وقال لهم يامعشر يهود أنتم اصحاب الكتاب الاول فاخبرونا عن محمد ودينه فان كان حقا اتبعناه وان كان باطلا حاربناه فقالت اليهود لأهل مكة ، اسألوه ثلاثة اسئلة فان اجابكم عليها فهو نبي فاتبعوه وان لم يجبكم عليها فهو دعي فاحذروه .

اسألوه عن الروح ، واسألوه عن رجل طواف بلغ مشارق الارض ومغاربها واسألوه عن فتية ذهبوا في الزمان الأول وكان لهم امر عجب وعاد الوفد الى مكة وسأل النبي صلى الله عليه وسلم اسئلته الثلاث فقال النبي صلى الله عليه وسلم غدا أجيبكم ونسى أن يقول ان شاء الله .

وكان يأمل أن ينزل عليه الوحى فى اليوم التالى ولكن الوحى تأخر خمسة عشر يوما ، ولما نزل جبريل على النبى بعد هذه الفترة قال له : ياجبريل ماجئت حتى اشتقت اليك فقال له جبريل : لأنا أشد شوقا ، فقال له النبى وما منعك أن تنزل بالوحى فقرأ جبريل الآية **(وما نتنزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا)** مريم ٦٤

ثم أجاب القرآن عن أسئلة السائلين . فى قوله تعالى :

١ - **(ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا)** الاسراء ٨٥

٢ - **(أم حسبت ان أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ..)** الايات الكهف : ٩ - ٢٦

٣ - **(ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا ..)** الآيات الكهف : ٨٣ - ٩٩

وفى ثنايا سورة الكهف أنزل الله على نبيه الكريم دعوة جامعة له ولأمته بتفويض المشيئة والأمر اليه ، والاعتماد عليه والثقة بفضله وهداه ، قال تعالى **(ولا تقولن لشىء انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشدا)** الكهف : ٢٣ ، ٢٤

وبذلك أصبح القرآن الكريم كتاب الحياة يبعثها فى نفوس المؤمنين ويجيب على تساؤل السائلين ويهدى الحيارى والضالين ، وهو الروح الجديد الذى أحيا هذه الأمة فحول ظلامها نورا وبدل كفرها ايمانا وشكها يقينا وجهلها علما وفجورها تقى وفرقتها اتحادا ، وصدق الله العظيم

(وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم . صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض الا الى الله تصير الأمور) .

الشورى ٥٢ ، ٥٣

حول

فى مثل هذه الايام ومنذ اربعة عشر قرنا ، ظهرت معجزة الوجود ، وتمت ارادة الله بمولد أكرم مولود ، فاستنارت بمولده الاكوان ، وتفتحت أبواب العدل والاحسان

جاء محمد بن عبدالله الدنيا وهى تلف فى ظلام ، فوقه ظلام ، فكانت كلها عبوسا قمطريرا ، لا شىء فيها من نور الهدى ، ولابصيص فيها يكشف عما يستره هذا الظلام الدامس ، فكانت بعثته شاملة للناس كافة « وما أرسلناك الا كافة للناس .. »

فاذا احتفل العالم الاسلامى فى مشارق الارض ومغاربها بهذه الذكرى السعيدة ، واتخذ أيامها من غرر مواسمه واعياده فانما يحتفل بذكرى ميلاد من انقذ الله به الانسانية الضالة ، والجبلات المنطوية على الشرور والاثام ، وانار لهذه الانسانية بشريعته الخالدة سبل السلام ، وأوضح لها مناهج الخير ، وأرشدها كيف تعمل حتي تتكمل بالفضائل وتتطهر من أدران الرذائل

اقام محمد صلوات الله عليه يدعو الناس الي أمر الله ماشاء أن يقيم ، ثم أذن له الله تعالى فى جهاد أهل العناد ، من أهل العقائد الباطلة ، والافكار السقيمة ، فاتجه بادىء ذى بدء الى ما كان متغلغلا فى النفوس البشرية من نوازع الشرك بالله ، وهو راس كل شر فى الوجود ، وأساس كل رذيلة فى هذه الحياة ، فغرس فى افئدتهم عقيدة التوحيد فنطقت السنتهم بلا اله الا الله ، وحده لا شريك له

ومن فضل الله على الناس ان اختار رسوله الامين ، ومصطفاه الكريم ، من صميم العرب ، وجعل لسانه عربيا

الاحتفال بالمولد النبوى

الأستاذ حسن الشيخة

مبينا ، وأنزل كتابه الكريم ، وقرآنه العظيم بلسان عربى ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه « كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الي النور »

لم يمض علي مبعثه صلوات الله عليه نيف وعشر من السنين حتى كانت دعوته الحقة تتجاوب أصداؤها فى أمم الارض ، ويتردد ذكرها على ألسنة الخافقين ، فكان ذلك ارهاصا لنجاح تلك الفتوحات العظيمة التى تمت على علي أيدى الخلفاء من بعده ، وتمهيدا لانتشار دين الله بين الشعوب ، والامم المختلفة ، فأقبل الناس علي هذا الدين يستوضحون كنهه ، ويتبينون مراده ، ويستشفون مراميه وأغراضه ، حتي اذا علم منهم من كتب الله له الهداية انه سهل التناول ، سمح المبادىء ، مرضى الطريقة ، غير معقد الاصول ، ولا مبهم الاحكام ، اعتنقه طيب النفس ، هادىء البال ، مطمئن الضمير ، لهذا لم تعد العشرة الثامنة من القرن الاول الاسلامى الا كان هذا الدين قد عم – أو كاد – بقاع الارض ، من سهول اسيا ، وصحارى افريقية ، وجانب كبير من أوربة ، أو كما قال القائد الفرنسى العظيم « نابليون » باعجاب وامتداح : لقد فتح العرب نصف الدنيا فى نصف قرن ، واصبح اسم الله يملأ قلوب الملايين من بنى الانسان ، وامتدت حدود سلطان هذا الدين من أواسط الصين شرقا ، الى شواطىء المحيط الاطلسى غربا ، « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم »

ان الناحية التاريخية للمولد النبوى تطالعنا بان الذى ابتدع هذا المولد الكريم هي الدولة الفاطمية فى مصر ، أما ما قبلها من العصور فلم يفكر أحد ولا طرأ علي بال انسان ان يحتفل بذكرى المولد النبوى ، ويبدو ان سبب ذلك هو ان هذه الدولة كانت دولة شيعية ، وان مصر كانت سنية ، فلاجل ان يستميل الفاطميون المصريين لحكمهم قاموا باحياء المولد النبوى ، وهو واحد من الموالد التى أقاموها ، وابتدعوها .

ذكر مؤرخ مصر : تقى الدين المقريزى عن ابن الطوير « هو ابو محمد عبد السلام المرتضى ، بن محمد الطوير الفهرى العيسرانى الكاتب المصرى كان من أكابر المؤرخين ، له كتاب : نزهة المقلتين ، فى أخبار الدولتين ، الفاطمية والصلاحية » نقل المقريزى عنه ان الرسم كان فى الموالد الستة ، التى هي مولد النبي صلوات الله عليه ، ومولد أمير المؤمنين على بن ابى طالب كرم الله وجهه ، ومولد السيدة فاطمة الزهراء ومولد ولديها الحسن والحسين عليهما السلام ، ومولد الخليفة الحاضر » هذه هى الموالد التي ابتدعتها الدولة الفاطمية ، وكانت تعطيها عنايتها من التصدق والصدقات التى تسمن ، وتغني من جوع ، وما زالت كذلك الى أن جاء عهد الدولة الايوبية .

اما الدولة الايوبية التى جاءت بعد الدولة الفاطمية – فقد محت جميع ما كانت تعمله دولة الفواطم ، لانها سنية والفواطم شيعيون ، وكان مما أبطلته الاحتفال بالمولد النبوى ، وما كان فيه من مبرات وصدقات ، واحسان ولست الان فى معرض المقارنة والتفضيل بين الدول من حيث الاحتفال بالمولد النبوى وانما انا ذاكر فقط تصرف كل دولة من جهة العناية بالمولد ، ومن جهة اهماله .

قد يقال – والله اعلم – بأن انهماك الدولة الايوبية فى دفع غائلة التتار عن الشرق هو الذى حدا بها الي ابطال المولد النبوى ، واغفال شأن هذه البدعة المستحبة ، وعلى أية حال فالذى نخرج به من المقارنة بين الدولتين ان دولة الفواطم هى أول دولة اسلامية أقامت المولد النبوى ، وان الدولة الايوبية أول دولة أهملت شان هذا المولد ، اللهم الا ما كان من الشعب المصرى دون مساعدة من الدولة ، فان هذا الشعب كان قد تعود ان يرى المولد النبوى تقوم باحيائه الدولة ، ولما أبطلته قام به هو من تلقاء نفسه .

اما فى دولة المماليك البحريه فكان أمر المولد النبوى يشبه الى حد كبير ماكان من اغفال هذا المولد فى الدولة الايوبية ، ويبدو أن سبب هذا الاغفال واحد فى الدولتين ، فقد كانت هى ايضا تذب عن البلاد بلوى التتار ومن يقرأ تاريخ ابتداء هذه الدولة بالسلطان قطز ، وبعده السلطان الظاهر بيبرس يعرف ان المولد النبوى لم تكن له حياة فى هذه الدولة ، لانشغال سلاطينها بحرب التتار كما كانت الدولة الايوبية .

أما المولد فى عهد المماليك الجراكسة فقد ازدهر ازدهارا لامعا من أول سلاطينها الظاهر برقوق ، الذى أفتن فى تجميل هذا المولد بكل أنواع الافتتان ، يؤخذ هذا بصراحة من رواية المؤرخ الكبير السخاوى الذى قال « لقد حضرت ليلة المولد النبوى عند الظاهر برقوق رحمه الله بقلعة الجبل ، فرأيت ما هالنى ، وحزرني ما انفق فى تلك الليلة على القراء الحاضرين

وغيرهم نحو عشرة آلاف مثقال من الذهب العين ، ما بين خلع ، ومطعوم ، ومشروب ، ومسموع ، وغير ذلك ، بحيث لم ينزل واحد منهم الا بنحو عشرين خلعة من السلطان والامراء »

أما السلطان قايتباى الذى تولي عرش السلطنة عام ٨٧٢هـ فقد كان فارس هذا الميدان ، وحائز قصب السبق على غيره من ملوك الزمان ، اذ تفوق فى احياء المولد النبوى على من تقدمه من سلاطين المماليك عامة ، فى مصر ، وقد تبارى المؤرخون فى وصف السرادق العديم النظير الذى أمر بصنعه للمولد النبوى الذى اطلق عليه المؤرخون اسم « السرادق الاشرفى » . قال المؤرخ ابن اياس «ان الاشرف قايتباى انفق علي هذه الخيمة « يريد السرادق » أكثر من ستة وثلاثين ألف دينار ، وكان من انفس شعائر الدولة المصرية وأهمها » ولا تسل عن الصدقات والمبرات التى كان يغدقها هذا السلطان على الناس مما سماه المؤرخون معجزة المعجزات ، وهكذا تتابعت الاحتفالات بالمولد النبوى فى عهد المماليك الجراكسة

جاء بعد ذلك عصر الدولة العثمانية فقد فتح السلطان سليم مصر ، وأغار عليها عام ٩٢٢هـ ، وتاريخ هذه الدولة فى مصر طويل ، التزم انا فيه الموضوع الذى أكتب فيه ، وهو الاحتفال بالمولد النبوى .

الابتداء يدل علي الانتهاء ، وقد ابتدأت الدولة العثمانية بما قال المؤرخ ابن اياس « وأشيع ان ابن عثمان – يريد السلطان سليم – لما طلع الى القلعة ، وعرضت عليه الحواصل التى بها ، رأى خيمة المولد – السرادق الاشرفى – فباعها للمغاربة بأربعمائة دينار ، فقطعوها قطعا ، وباعوها للناس ، ستائر وسفرا .. وكانت من جملة شعائر المملكة السلطانية ، فبيعت بأبخس الأثمان ، ولم يعرف ابن عثمان قيمتها .. وكانت هذه الخيمة من جملة عجائب الدنيا . وهذا من جملة مساوىء ابن عثمان التي فعلها بمصر »

من هذه البداية تعرف كيف كان المولد النبوى فى العهد العثمانى ، يقول ابن اياس « وأين الحسام من المنجل بالنسبة لما كان يعمل فى المولد النبوى من السلاطين الماضية .. فأين ذلك النظام العظيم ، كيف ذهبت أوقاته ، فيا أسفى علي تلك الايام ، كأنى كنت فى منام »

أما المولد أيام الحملة الفرنسية فقد أراد قائد الحملة «نابليون» ان يتقرب الي قلوب المصريين باحياء هذا المولد على نفقته ، قال الجبرتى « سأل سارى عسكر نابليون عن المولد النبوى لماذا لم يعملوه كعادتهم ، فاعتذر الشيخ خليل البكرى بتعطيل الاعمال ، وتوقف الاحوال ، فلم يقبل نابليون ، وقال لابد من ذلك ، وأعطى له ٣٠٠ ريالا فرنسيا معاونة ، وأمر بتعليق تعاليق ، وحبال وقناديل ، واجتمع الفرنساوية يوم المولد ولعبوا ، وضربوا الطبول ، وأرسل نابليون « الطبلخانة » الكبيرة الى بيت البكرى ، واستمروا يضربونها النهار والليل ، بالبركة « اعني بركة الازبكية » .

ولا ننسى ان الشعب كان له الفضل الاكبر فى الاحتفال بالمولد ، كما رأينا وشهدنا .

هذه كلمتى الوجيزة فى ذكرى المولد النبوى الكريم ، وكل عام والمسلمون والعروبة بخير .

وَإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيم

الأستاذ مهدي عبد الحميد مصطفى

اذا احتفلت أى دولة من دول العالم بذكرى زعيم من زعمائها، او بذكرى قائد من قادتها ، لما له من اعمال وامجاد ، فجدير بالأمة الاسلامية أن تحتفل بذكرى ميلاد أشرف الخلق - صلوات الله وسلامه عليه - الذى كان ميلاده نورا بدد ظلام الشرك ، وقضى على طغيان الوثنية .

واذا تسابقت الأماكن فى الافضلية فمكة هي الفضلى ، لأنها اول بلد سطعت عليها الاشراقات المحمدية .

واذا تفاضلت الأمهات ، فآمنة بنت وهب أفضل الأمهات جميعا ، لانها حملت بأكرم مخلوق ، وأعظم مولود ظهر على وجه البسيطة .

واذا تفاخرت المرضعات ، فالفخر كل الفخر لحليمة السعدية، اذ أنها أول من شرف بمعاشرة سيد الوجود عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليم .

واذا تخايرت الأمم ، فأمة محمد خير الأمم جمعاء « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » .

ولقد كان ميلاد محمد انطلاقا للنور الساطع فى جنبات الظلام الدامس ، وكانت رسالته حربا على الطبقية ، وتحطيما لأساليب الاستغلال والعبودية ، وكانت بعثته انقاذا للناس من ظلمات الجهل والشرك الى نور الحق المبين ، وفتح الله به أعينا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غلفا ، وكانت حياته سلسلة رائعة من الجمال والكمال ، وكانت خلاله نموذجا حيا لكل الشمائل الكريمة ، والصفات النبيلة ، ولا عجب فى هذا ولا غرابة ، فرسالته قائمة على الاخلاق أولا وقبل كل شىء ، لذلك نراه

يفصح لنا عن الهدف من رسالته ، والغـاية من دعوته بقوله : « انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » وعلى هذا ارتقت منزلة ذوى الخلق الكريم ، وسمت مكانتهم ، وأصبحوا أقرب ما يكون الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « ان أحبكم الى ، واقربكم منى منازل يوم القيامة ، أحاسـنكم اخلاقا ، الموطاون أكنافا، الذين يألفون ويؤلفون » . كما أن أعظم وسام ربانى منحه الله لرسول من الرسل . هو هذا الوسام الخـالد الذى خص به محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال له « وانك لعلى خلـق عظيم » .

ولما كانت سيرة الصادق الأمين عامرة بالخير والهدى ، مليئة باعظم الخلال ، واجل الصفات رأيت أن أذكر مثلا موجزا من أخلاق رسولنا الكريم

فالى جانب ما اشتهر عليه السلام منذ صغره بين قريش بانه الصادق الامين،فقد عرف أيضا بالصبر وتحمل الشـدائد فى سبيل دعوته ، ومن أجل رسالته ، فقام باعباء الرسالة وحيـدا فريدا ، بين أقوام جفاة ، غلاظ شداد عتاة ، دعاهم الى التوحيد فغضبوا ، وهاجوا وماجوا ، وقالوا : لن نترك ما وجدنا عليـه آباءنا « أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » « او لو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير » وأخـذت قريش تحاول ـ جاهدة ـ القضاء على هذا الدين الجديد الذى جاء به محمد فسلكوا طريق التعذيب والتنكيل بالنسبة لصـاحب الرسالة وأتباعه ، وكم ذاق الرسول منهم الأمرين .. خنقـوه وهو فى الصلاة ، وضعوا الاشواك والقاذورات فى طريقه وامـام بيته ، وحاربوه حربا اقتصادية شعواء فحاصروه وأعلنوا مقاطعتهم له ولاتباعه ولاهله فلا يبيعونهم شيئا ولا يبتاعون منهم حتى وصلت بهم الحال الى أكل ورق الشجر ، ودبروا المؤامرات لقتـله والخلاص منه ، ولم يستجيبوا لدعوته ، رغم أنهم أهله وقرابته فاخذ الرسول يعرض نفسه على القبائل المجاورة ، عله يجد من ينصره ويؤيده ، وتوجه الى الطائف ، وهناك شاهد نوعا جديدا من التعذيب ، وذاق لونا آخر من التنكيل اذ سلطوا عليـه صبيانهم ، فوقفوا له فى الطريق يقذفونه بالحجارة من كل جانب، حتى سال الدم من قدم الرسول ووجهه وخارت قواه فرفـع بصره الى السماء ونادى بلسان الضعفاء « اللهم انى اشكو اليك ضعف قوتى، وقلة حيلتى، وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربى ، الى من تكلنى ؟ الى بعيد يتجهمنى أم الى قريب ملكته أمرى ؟ ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى » « ونزل من السماء أمين الوحى جبريل ـ عليه السلام ـ وقال : يا محمد . ان الله أمرنى أن أطيعك فى قومك ، لو أردت لأطبقت عليهم الأخشبين ـ وهما جبلان فى مكة ـ فأجابه الرسول الكريم بلسان العطف والشفقة والرحمة : لا يا أخى جبريل .. لعل الله يخرج من بين أصلابهم من يعبد الله فى الارض .

كما عرف رسولنا الكريم بالبطولة والشهامة والشجاعة ،فكان مقداما ، وبطلا مغوارا ، أوتى من قوة البدن ، وصلابة العزيمة، ما يعجز عنه أبطال الرجال ، لا يخشى فى الحق لومة لائم ، وليس ادل على ذلك من يوم احد فى موقفه البطولى ، ووقفته الخالدة يوم حنين ، حين فر أصحابه ، وثبت الرسـول على بغلته فى الميدان ، يسرع بها نحو الاعـداء ، وهو يردد : « أنا النبى لا كذب . أنا ابن عبد المطلب » ، مما جعل الابطال المغاوير من صحابته يشهدون ببطولته ، ويعترفون بشجاعته ، ويقولون عن صدق ويقين : كنا اذا حمى الوطيس ، وفغرت المنايا أفواهها ، احتمينا برسول الله ـ (صلى الله عليه وسلم) فما يكون احـد أقرب الى العدو منه .

ورغم ما عرف به الرسول من الشجاعة والبطولة والهيبة وقوة البأس ، فقد اشتهر بالحلم والأناة وسعة الصدر يحدثنا عن ذلك أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ فيقول : كنت سائرا يوما مـع رسول الله ، وعليه برد غليظ الحاشية ، فتقدم اعرابى ، وجذب الرسول بشدة ، حتى اثر البـرد فى عنقه الشريف ، ثم قال الاعرابى فى غلظة : اعطنى يا محمد من المال الذى بين يديك ، فليس المال مالك ، ولا مال أبيك !! فنظر اليه الرسول مبتسما، وقال فى حلم وسعة صدر : نعم يا اعرابى . ليس المال مالى ولا مال أبى وانما هو مال الله عز وجل ولكن قبل ان اعطيك من مال الله سأقتص منك . فقال الاعرابى : لا ورب محمد . فقال الرسول : ولم ؟ فقال لانى أعلم انك لا تقابل السيئة بالسيئة، وانما تقابلها بالحسنة ، فتبسم الرسول ، وأخذ بيد الاعرابى وأدخله بيته ، وقال له : هذا مال الله فخذ منه ما تشاء .

وورد أن رسول الله كان قد اقترض تمرا من يهودى لأجـل محدد ، وقبل أن يحين الأجل ، جاء اليهـودى الى رسول الله ـ وهو فى مجلس من صحابته ـ وقال له : يا محمد اد الى تمرى ، انكم يا آل عبد المطلب قوم مطل . فسل عمر سـيفه ، وهم بقتل اليهودى ، فقام الرسول الى عمر وقال له : اغمـد سيفك يا عمر . أنا وهو احـوج منك الى غير هذا . تأمره بحسن المطالبة ، وتأمرنى بحسن الاداء . اذهب يا عمر ورد اليه تمره ، وزده عشرين صاعا جزاء ما روعته ، فقال اليهودى اشهد الا اله الا الله ، وأن محمدا رسـول الله ، فسأله الرسول : ما حملك على الشهادتين والاسلام ؟ فقال يا رسول الله عرفت فيك خصال النبوة كلها غير خصلتين : يسبق حلمك جهلك ، ولا تزيدك شدة الجهل عليك الا حلما ، أما وقد وجدت فيك هاتين الخصلتين فأنا آمنت بالله ربا وبالاسلام دينا وبك نبيا ورسولا. وصدق الله العظيم اذ يقول « فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » .

كما عرف الرسول ـ أيضا ـ بالتسامح والصفح ، والعفـو عند المقدرة ، يثبت ذلك موقفه مع اهل مكة الذين عذبوه ونكلوا به تنكيلا ، واتفقوا على قتله ، وأذاقوه وأصحابه أفظع ألوان التعذيب . وطردوه من مسقط رأسه ووطنه الحبيب وخـرج مهاجرا من المدينة فى خفية من قريش الذين أجمعوا أمرهم على القضاء عليه ، ومكث الرسول بالمدينة ثمانى سنوات ، اعز الله فيها الاسلام ، وقويت شوكة المسلمين ، واصبحوا قوة ضاربة تخشاها قريش وعاد الرسول وأصحابه الى مكة فاتحين أعزاء ، بعد أن خرجوا منها مطرودين ، ومكن الله لمحمد من قريش وكان من حقه وفى مقدوره أن ينتقم ، ولكنه العفو والصفح الجميـل « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » جمع الرسول قريشا ، وقال لهم . ما تظنون انى فاعل بكم ؟ قالوا : خيرا .

اخ كريم وابن أخ كريم . فقال صاحب الخلق العظيم : لا اقول لكم الا كما قال اخى يوسف : « لاتثريب عليكم اليوم » اذهبوا فانتم الطلقاء » .

ومن اجل الخلال التى اتصف بها رسولنا الكريم خلة الكرم والجود ، فكان اذا أعطى لا تباريه الرياح المرسلة قدم اليه يوما وفد من الحبشة زائرا ، فقام الرسول بخدمتهم بنفسه ، فقال له اصحابه انا تكفيك ذلك يارسول الله فقال الرسول الكريم: انهم كانوا لاصحابنا مكرمين ، وأحب أن أكافئهم بنفسى.

وكان جالسا يوما ما مع أصحابه فى بيته اذ دخل عليه رجل اشتهر بالكرم ـ وكان المكان ممتلئا بالحاضرين ـ فلف الرسول عباءته والقاها لهذا الرجل ليجلس عليها ، فاخذ الرجل عباءة الرسول وقبلها وقال : ما كان لى أن أجلس على عباءة رسول الله فنظر الرسول الى الصحابة حوله وقال : اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه .

وكان سلوك الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فى بيته ومع خادمه نموذجا حيا ، ومثلا رائعا لما يجب أن يكون عليه المسلم فى بيته ، فكان يشتغل بخدمة أهله ، ويخيط ثيابه بنفسه ، ويحمل الطعام الى بيته وكان ابو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ يطلب من الرسول ان يحمل الطعام بدله فيقول له الرسول : صاحب الشىء أولى بحمله وان الملائكة تزف من يحمل الطعام لأهله ، وأما بالنسبة لخادمه فلنترك انس بن مالك خادم الرسول يحدثنا عن ذلك بنفسه . يقول انس خدمت رسول الله صل الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لى اف قط ولا لشىء فعلته لم فعلته • ولا لشىء تركته لم تركته ، وان عاتبنى أحد من أهله ، قال دعوه وما قدر الله من شى يكون . وهكذا كان بيت النبوة مثالا للبيت السعيد •

ومع ذلك كله ، فقد كان الرسول متواضعا ، لين الجانب ، لا يميز نفسه على أصحابه ، وما رؤى مادا رجله بينهم وكانوا اذا قاموا له ، قال لهم : لا تقوموا لى كما كانت الأعاجم تقوم لملوكها ، وكان يقول « ان الله يكره ان يرى الرجل متميزا على اصحابه » دخل اعرابى على رسول الله ، فلما رأى الرسول ، امتقع لونه ، واضطرب فؤاده ، وتلجلج فقال له سيدالمتواضعين: هون على نفسك يا أخا العرب فانا ابن امرأة كانت تاكل القديد بمكة ..

وكان الرسول يساوى بين صحابته ، لا فرق بين غنى وفقير، وقوى وضعيف ، بل الكل سواسية كاسنان المشط ، لا فضل لعربى على اعجمى ولا لابيض فضل على اسود الا بالتقوى « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » « ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم » قدم على مجلس رسول الله رجل فقير الحال ، مهلهل الثياب ، وجاءت جلسته بجوار رجل من الاثرياء ، فجمع ثيابه بعيدا من الفقير فنظر اليه الرسول غضبا ، وقال له ما حملك على ماصنعت ؟ اخشيت ان يلصق فقره بك أم خشيت ان يلصق غناك به ، فقال الرجل الغنى ما دمت قد قلت ذلك يا رسول الله فانى تنازلت له عن نصف مالى فقال الرسول للفقير هل تقبل فقال : لا انى اخاف أن يدخل قلبى من الكبرياء والغرور ما دخل قلبه .

وتجادل ابوذر الغفارى يوما مع صحابى اسود اللون وكان ذلك بحضرة الرسول الكريم ، فما كان من ابى ذرالا ان تطاول على صاحبه وقال له : يابن السوداء ، فظهر الغضب فى وجه رسول الله ونظر الى أبى ذر وقال طف الصاع . طف الصاع ليس لابن البيضاء فضل على ابن السوداء الا بالتقوى ، فما كان من أبى ذر الا أن قام ، واعتذر لصاحبه ووضع خده على التراب وقال للصحابى الاسود . قم فطا بقدمك ونعلك على خدى . فعفا عنه صاحبه •

ومن أجل ما تخلق به صاحب الخلق العظيم الزهد والقناعة والتقشف ، والعزوف عن متاع الدنيا الفانية ، تحدثنا عن ذلك أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ـ فتقول : انا آل محمد ماشبعنا من طعام البر قط وكان يمر علينا الشهر والشهران ، فلا توقد لنا نار ، ولا يعلق لنا قدر ، وكان الرسول اذا دخل بيتهوسأل : هل عندكم من طعام ؟ فان قيل لا . قال اللهم انى صائم . ولقد دخل عمر بن الخطاب ـ رضى الله تعالى عنه ـ على رسول الله ـ صلى الله عليم وسلم ـ يوما فوجده نائما على حصير خشن وقد أثر الحصير فى خد الرسول وجنبه . فبكى عمر بكاء شديدا أيقظ الرسول ، فسأله الرسول : ما يبكيك يا عمر . فقال : يا رسول الله . كسرى وقيصر ينامان على الخز والحرير، ومحمد بن عبد الله أشرف الخلق عند الله ينام على الحصير الخشن • فتبسم الرسول وقال ياعمر اما ترضى ان تكون لهم الدنيا ولنا الاخرة .

فقال عمر : رضيت يا رسول الله .

وبعد : فهذه بعض سجايا رسول الله صل الله عليه وسلم ـ يتلقاها الناس قرنا عن قرن ، ويهتدى بها جيل بعد جيل ، حتى يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين •

ومن هنا حق لسيد البشر ان يفتخر بما تخلق به من اعظم الصفات وأجمل الخلال، ويقول بملء فيه : « ادبنى ربىفاحسن تاديبى » ولنا فى رسول الله خير أسوة ، وأعظم قدوة « لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا » .

خلقيات المصطفى من خلال آيات التنزيل

الاستاذ عبد المنعم حسن الادفوى

يقول الله تبارك وتعالى « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتى هى أحسن ، فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ، وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم »

فالقرآن الكريم بهذه الاية المباركة يرسم للمسلمين نهجا واضحا نافعا أعظم النفع فيما يجب عليهم الالتزام به فى سلوكهم مع الناس وهو ان تكون الحسنة جوابهم عن السيئة اذ أن الاولى كلها خير والاخرى كلها شر . الحسنة تهدى الى الخير والبر وتبعث الرضا فى النفوس وتحبب الناس الى بعضهم وتجعل التماسك بينهم قويا فى حين أن السيئة تدعو الى الغلواء والمغالاة فى العداوة وتفتيت المجتمع وهز كيانه

وعلى هذا فالمطلوب من المسلم ان يبذل كامل طاقته وجهده فى أن يقابل السيئة بالحسنة وهذا من شأنه ان يحيل العداوة الى محبة وذلكم لان الاحسان الى المسىء يمتص غضبه وعداوته ، ولن يوفق الى هذا العمل الطيب الا المحظوظ الموفق

ولقد كان خلق الرسول الكريم سيدنا محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه فى مجال العفو والاغضاء عن السيئة والالتزام بالحسنة ذا أثر ايجابى فى الاستجابة الى الاسلام من جانب مبغضيه ، ولعل الحادثة التى سنقصها عليك فيما بعد تريك هذا الأثر فى صورة نابضة بالحياة والحيوية والاشراق .

فحين وفد عدى بن حاتم قبل اسلامه على رسول الله ، قال له الرسول : من الرجل .. ؟ قال عدى بن حاتم ، فاخذه الى بيته وبينما هما يمشيان اذ لقيت رسول الله امرأة عجوز ضعيفة ، فاستوقفته ، فوقف لها طويلا تكلمه فى حاجتها فقال عدى : والله ما هو بملك ، ثم مضى رسول الله حتى اذا دخل بيته تناول وسادة من جلد محشوة ليفا فقدمها الى عدى ، وقال اجلس على هذه .. فقال بل أنت تجلس فامتنع عليه السلام وأعطاها اياه وجلس هو على الأرض وكان هذا الاحسان والتواضع سببا فى اسلام عدى بن حاتم وقومه

وأعجب من هذه الحادثة أن سرية لرسول الله بقيادة محمد بن مسلمة وجهت الى بنى بكر بن كلاب فى ناحية ضرية الواقعة على سبع ليال من المدينة فى طريق البصرة ، والتقت السرية بثمامة بن اثال الحنفى من عظماء بنى حنيفة باليمامة فاسرته وهى لا تعرفه ، فلما أتوا به رسول الله عرفه ، وعامله بمنتهى مكارم الاخلاق وأطلق أساره بعد ثلاث رفض فيها الانقياد الى الاسلام ، بعد أن عرض عليه ، ولما رأى ثمامة هذه المعاملة وهذه المكارم رأى من العبث ان يتبع هواه ويترك دينا عماده المحامد ، فرجع الى رسول الله وأسلم غير مكره

هذه واحدة من أثر المعاملة الحسنة

« وثانية اعجب من اختها تتمثل فى مخاطبة ثمامة للرسول بقوله يا محمد والله ما كان على الأرض من وجه ابغض الى من وجهك ، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها الى ، والله ماكان على الأرض من دين أبغض الى من دينك ، فقد أصبح أحب الدين كله الى والله ما كان من بلد أبغض الى من بلدك فقد أصبح أحب البلاد الى » هكذا تحول البغض الشديد الى حب خالص بسبب المعاملة الحسنة

وقد سر النبى كثيرا باسلامه لان من ورائه قوما يطيعونه

وثالثة أشد عجبا ، فقد رجع ثمامة الى بلاده ومر بمكة وأظهر فيها اسلامه ، فأرادت قريش ايذاءه فذكروا احتياجهم لحبوب اليمامة التى منها ثمامة فتركوه ، ومع ذلك فقد حلف الا يرسل اليهم حبوبا حتى يؤمنوا فاصابهم بسبب ذلك الضنك والمشقة والعنت من عدم وصول الحبوب اليهم

فثمامة رفض الاسلام حين عرض عليه مخافة أن يقال : أسلم قهرا ، فلما تكشفت له محاسن الرسول بادر الى اعتناق الاسلام وأظهره بين أعداء الدعوة من مشركى مكة وبين ظهرانيهم لم يابه بغضهم ولا قوتهم ولا جبروتهم ولا تسلطهم ، بل اكثر من هذا هددهم بقطع القوت عنهم اذا لم يسلموا

بقى بعد ذلك أن كفار مكة لابد لهم من الحصول على حبوب اليمامة ، واذا كان سيدها أعلن تصميمه على منعها فبمن يستغيثون وهنا تبرز شمائل الرسول وأخلاقه التى صنعت على عين الله – انهم لم يجدوا بدا من الاستغاثة برسول الله الذى أدبه ربه فاحسن تأديبه ووصفه بانه على خلق عظيم ، فعاملهم عليه السلام بما جبل عليه من الشفقة والرحمة وارسل لثمامة ان بعيد عليهم ما كان يأتيهم من اقوات اليمامة

وترتيبا على هذا يتحتم ان يكون اسلام ثمامة صادقا عميقا نابعا من العقل والقلب والشعور ، فبعد وفاة الرسول وحينما ارتد اكثر بلاده نهى قومه من اتباع مسيلمة ، وكان يقول لهم : اياكم وامرا مظلما لا نور فيه ، وانه لشقاء كتبه الله على من اتبعه فثبت معه كثير من قومه

ويقول الله تبارك وتعالى : وشاورهم فى الأمر ويصف المؤمنين بقوله : وامرهم شورى بينهم

واستجابة لهذا الامـــر الالهى كان الرسول يشرك أصحابه ويشاركهم الرأى فى كل ما دق وجل من الامور فيمالم ينزل به وحى من السماء ، ففى موقعة بدر ، كما هو مفهوم للكافة وحينما نزل جيش المسلمين ادنى ماء من بدر قال له الحباب ابن المنذر الانصارى وكان مشهورا بجودة الرأى يارسول الله أهذا منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدم عنه او نتاخر ..؟ أم هو الرأى والحرب والمكيدة .؟ فقال: بل هو الرأى والحرب والمكيدة فقـــال يارسول الله : ليس لك هذا بمنـــزل فانهض بالناس حتى تاتى أدنى ماء من القوم يعنى المشركين فانى أعرف غزارة مائه وكثرته فننزله ونغور ما عداه من الابار ثم نبنى عليه حوضا فنملأه ماء فنشرب ولا يشربون فقال الرسول : لقد اشرت بالرأى ونفذ رأى الحباب

وفى موقعة أحد وحين وصلت الأخبار باقتراب المشركين جمع عليه الســـلام أصحابه وأخبرهم الخبر ، وقـــال ان رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا ، فان هم اقاموا اقاموا بشر مقام وان هم دخلوا علينا قاتلناهم ، فكان مع رأيه شيوخ المهاجرين والانصار . أمـــا الشبان فكان رأيهم الخروج ، وكان مـــع رايهم حمزة بن عبد المطلب ومـــا زال هؤلاء الشبان بالرسول حتى تبع رأيهم لان عددهم أكثر من الشيوخ ، وفى هذا الدرس أولا استجابة للشورى التى حض عليها القرآن وثانيا الانقيـــاد الى رأى الأغلبية

وفى موقعة الاحـــزاب التى جمعت فيها لقتال الرسول قريش وغطفـــان وبنو مرة واشجع استشار عليه السلام كدأبه دائما اصحابه فيما يصنع ايمكث بالمدينة أم يخرج للقاء جيش عـدته عشرة آلاف محارب بقيادة ابى سفيان ، فاشـــار عليه سلمان الفارسى رضى الله عنه بعمل الخندق ، وهو امر جديد على العرب ، رسول الله بحفره شمال المدينة من حرة الشرقية الى الحرة الغربية وهى الجهة التى كانت عورة تؤتى المدينة من قبلها وعمل الرسول فى الخندق ، فــكان ينقل التراب

ويقول الله تبارك وتعالى « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغـــداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عينـــاك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطـــع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هـــواه وكان أمره فرطا » ينبذ الحق وراء ظهره

واستجابة لهذا الأمر العـــلوى كان الرسول يعيش مع أهل الصفة ويؤثرهم بالعطف والحنان وأهل الصفة هؤلاء هم اناس من أصحاب الرسول لا منازل لهم فكانوا ينامون على عهده فى المسجد ويظلون فيه ما لهم مأوى غيره فكان الرســـول يدعوهم بالليل اذا تعشى فيفرقهم عـــلى اصحابه وتتعشى طائفة منهم معه ، وكان يقول دائما ادع لى اصحـــابى ، وكان يغرس فى نفوسهم الكرامة والعزة بعزوفه عن النهم وحب الاكل حيث يقول ما مـــلا ابن ادم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صـــلبه ، فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه وقالت عائشة رضى الله عنهـــا : لم يمتلىء جوف النبى صلى الله عليـــه وسلم شبعا قط

وقد حض القرآن الكريم فى العديد من آياته على نحو لا يمكن حصره على الانفاق لانه من أصدق الأدلة على ايمـــان المرء وقـــدمه على النفس فى البـــذل والفداء والتضحية لانه طريق الجنـــة ومن هذه الايات قوله تبارك وتعـــالى : « يأيها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنـــون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وانفسكم »

وتحقيقا لهذه الدعوة الاسلامية لـــم يكن للمال سلطان على قلب الرســـول ، فقد فتح الله عليه فى حياته الحجـــاز واليمن والجزيرة العربية كلها والشـــام والعراق وجلبت اليه اخماسها وجزيتها وصدقاتها وهاداه الملوك ، فما استـــأثر بشىء منه ولا امسك منه درهمـــا بل صرفه مصارفه وأغنى به غيـــره وقـــوى بـــه المسلمين ، وقال ما يسرنى ان لى احدا ذهبا يبيت عندى منه دينار الا دينـــارا ارصده لدينى

وفى رجوعه من حنين جاءته الاعـــراب يسالونه حتى اضطروه الى شجرة فتعلق رداؤه بها فوقف رسول الله وقال أعطونى ردائى لو كان عدد هذه العضـــاة أى الشجرة نعما لقسمتها بينكم ثـــم لا تجدونى بخيلا ولا كذابا ولا جبانا

وقال صفوان بن أمية لقد أعطـــانى رسول الله ما أعطانى وانه لمن ابغض الناس الى ، فما برح يعطينى حتى انه لاحب الناس الى . انى أشهد ماطابت بهذا الا نفس نبى

ويقول الله تبارك وتعالى « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم » ولذا كان الرســـول رحيمـــا بالمؤمنين بله الحيوان والطير ، وحياته من أولها الى منتهاها تفيض بالرحمـــة والعطف والشفقة ، كيف لا والله يقول فى حرصه على هداية الناس : لعلـــك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين

واذا كان الله تبارك وتعـــالى يصف الرسول وأصحابه بالشدة على الكفار فانما المقصود بهم الذين غالوا فى الاعتداء على المسلمين « ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى احسن الا الذين ظلموا منهم »

وبعد هذه اللمحة الخاطفـــة عن خلقيات الرسول المستمدة من كتـــاب الله ، فان جماع شمائله عليه الســـلام تلتقى فى آيات التنزيل ، فقد كان القرآن خلقه يرضى برضاه ويسخط بسخطه

وأخيراً انبثق النور

الأستاذ عبد الحكيم النجار

اذا نظرنا فى تاريخ الحضارات ، نرى أن مدنية واحدة فى العالم استطاعت أن تجمع بين الفضيلة والعمران ، وامكنها ان تقوم على اساس العدل والايمان .. مدنية واحدة فى العالم شيدت فى ربع قرن .. ففاقت مدنية الرومان بعد عشرة قرون ، مدنية واحدة مدنت المشرق والمغرب .. وهى خالدة خلود الزمن الباقى من الزمن ، وهى للآن خالدة .. تلك هى المدنية المحمدية ذات الروح والحياة .. لذلك .. نرى فلاسفة العالم قد تحدثوا عن عظمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .. فلقد قال ((دروى)) أحد وزراء معارف فرنسا السابقين ، بعد ظهور النبى العظيم والذى جمع قبائل العرب أمة واحدة تقصد مقصدا واحدا .. ظهرت للعيان أمة كبيرة مدت جناح ملكها فى المشرق والمغرب ، ورفعت على منار الاشادة أعلام التمدن فى اقطار الارض أيام كانت أوروبا مظلمة بجهالات أهلها فى القرون المتوسطة .. وهذا ((لامارتن)) شاعر الفرنسيين يقول ((لولا محمد لما كان للجزيرة ولجبالها الجرد وأوديتها.. أن يخلق فى سمائها فكر أو يطيف بها ذكر ..

ولدت الجزيرة محمدا بشرا وبدنا ، وولد محمد الجزيرة فضلا ومجدا ورفعة .ولد محمد والانسانية تتغلغل فى الدم وتكتمل فى الظلم فآثاره الباقيات ، ونعمه الناطقات وشرائعه الخالدات . لم تجعل محمدا الها .. ولكنه فوق البشر ..!!

ولقد قال الدكتور ((هورتين)) الالمانى ((لا نجد بالاسلام سدا يمنع نفوذ الثقافة الغربية اليه ، بل نرى ان له استعدادا غير محدود لقبول الثقافة

أن ميزة الاسلام التى انفرد بها . هى أنه يساير التطور ويطاول الزمن ، فلا يمكن ان تكون فيه مناقضة للمدنية الصحيحة ولا معارضة للتقدم الحق ..

فما أجدر المسلمين ان يتعرفوا على عظمة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم ، التى تجلت آثارها فى اطوار حياته كلها .. فلم تكن عظمته من جنس العظمات البشرية المألوفة ، فهى ليست من عظمة الملوك الجبارين وليست من عظمة الاغنياء الذين يستكبرون فى الارض بغير الحق .. انها عظمة رحمة وحنان ، وعظمة هداية وسلوك وتهذيب .. عظمة امة استطاعت ان تسوس شعوب الارض على دعائم قوية من العلم والاخلاص والوان الكفاح .. بهذه الروح العالية التى بعثها الرسول العظيم ، استطاع المسلمون فى زمن لا يعدو قرنا ونصف قرن من التغلب على كثير من الامبراطوريات والدول .. التى تفوقهم فى الحضارة ولثراء .. لا بحد السيف والقهر ولكن بمبادىء الاسلام الخالدة .. ومثله الرائعة وفضائله العالية .. واحكامه العادلة ..

المجتمع الاسلامى

ان محمدا صلى الله عليه وسلم ، استطاع فى مدة وجيزة لا تقل عن ربع قرن ان يكتسح دولتين من أعظم دول العالم ، وان يقلب التاريخ راسا على عقب وان يكبح جماح امة اتخذت الصحراء المحرقة سكناتها . واشتهرت بالشجاعة ورباطة الجأش والاخذ بالثأر واتباع آثار آبائها ، ولم تستطع الدولة الرومانية ان تغلب الامة العربية الاسلامية على أمرها ، فمن الذى يشك ان القوة الخارقة للعادة التى استطاع محمد صلى الله عليه وسلم ، أن يقهر بها خصومه من عند الله ؟ .. **ان اساس الاصلاح الذى ندعو اليه جميع المسلمين على وجه الارض** هو أن يكون القرآن الكريم قبلتهم للتخلق بأخلاقه ،

وان ياخذوا ما يصلح لهم من وسائل المدنية الغربية الحديثة فى الصناعة والتجارة والزراعة والعلوم وفنونه .. وما يرقى شأنهم ويعلى قدرهم ويحفظ مجدهم ويبقى حقهم ..

ان معانى القرآن الكريم الذى أنزل على استاذ الحياة محمد صلى الله عليه وسلم ، هو التطبيق العملى ، لسير الحياة وامتدادها ، وهو النبع الحى للمسلمين جميعا .. فى الماضى والحاضر والمستقبل .. واذا كان الدين طمانينة العاطفة ، والملجأ من العاصفة ، فبدونه فراغ وجفاف ويأس

دروس العظمة

ان مولد الرسول العظيم يذكرنا اليوم بطبيعة الرسالة التى حملها ، والوحى المبارك الذى بلغه للناس اجمعين . والأسوة الطيبة التى ضربها من نفسه للمشرق والمغرب حتى آخر الدهر ، فهو صلوات الله وسلامه عليه ، وان كان من البشر الا انه فى مسرى الحياة البشرية ، قوة من قوى الخير والحق والرحمة ، تشبه فى عالم المادة قوى الكهرباء والبخار وغيرها من الطاقات التى طورت الانسانية وكانت اساسا لتقدمها ..

ولقد كان محمد صلى الله عليه وسلم ، رسولا نبيلا ، ومصلحا جليلا ، لم يظهر عليه فى تصرف من تصرفاته ، ولا فى حركة من حركاته ، سمة من سمات الضعف والاستكانة وعلامة من علامات حب الذات ، بل تعب حيث استراح غيره ، وجاع حين شبع سواه ، وكان يرى نفسه مسئولا عن تخريج أتباعه ابطالا فى كل ميادين الحياة .. ومن هنا تخرج فى مدرسة محمد العظمى كثير من القادة والعظماء .. فمن وحى هذه الذكرى الخالدة .. ذكرى ميلاد الأمة الاسلامية .. ميلاد رسول الانسانية ، وسيد الوجود ، تذكرنا معركة « أحد » بما تمر به الدعوات من محن ، وما تجتازه الرسالات الكبرى من عقبات ، ففى سفح هذا الجبل الأشم ، سبعون شهيدا ماتوا فى سبيل الحق ، فكانوا الركائز التى قام عليها الاسلام ، واثبتت الايام ان تضحياتهم لم تذهب سدى ، بل كانت الطريق الذى مهد للنصر .. فى الماضى والحاضر والمستقبل ..

لقد كانت رسالة الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، مولد حضارة جديدة ، وضعت للناس اسسا قوية لحياة سعيدة ، وكانت وما زالت مظهرا حيا كريما لاعلاء الكرامة الانسانية ، والسمو بالانسان فى هذا الوجود . وكانت قبسا قويا من النور اضاء جوانب العالم المظلم فهزمت جيوش الظلم وقوضت عروش المستبدين

ونود والمسلمون يستقبلون ذكرى المولد النبوى . الشريف أن يقدروها حق قدرها وأن يحسنوا **الانتفاع بها ... وان يستعيدوا دروس العظمة فى الكفاح الاسلامى .. وان يعيدوا رفع علم الاسلام الخفاق على الارض السليبة .. واجلاء العدو عن ديارهم ، ويجعلوا هذه الذكريات الخوالد عبرا يستفاد بها وواجبا يؤدى نحو تحرير بيت المقدس .. وان نصر الله لقريب ..**

وهكذا تلمع هذه المناسبة العظيمة فتملأ بهجتها كل قلب .. وكل بيت وفى كل مكان . قدوة وهداية .. تنطق بها ملايين البشر والشفاه ، فتردد كلمة الحق من اجل الحق . مستلهمين من اصول دعوته ما يرشدهم الى اقرار الحق والسلام .. والنصر فى معاركهم المقدسة ...

سيدى يارسول الله ..

سلام عليك .. وسلام على العليين من جوارك .. الشهداء فى سبيل النصر .. واعزاز دينك .. وسلام حتى نلتقى فى العالم الاخر بعد ان نؤدى ضريبة تحرير الوطن كامله ..

واخيرا .. قال الشاعر العربى الحديث .. وانشد ..

من مغانيك يارسول بيانى
عبقرى الالحان فى الآذان
انت هاجرت بالحقيقة والبا
غى على الحق ثائر البركان
فتنادت عوالم الارض لبـ
ـيك وتابوا اليك بالاذعان
وتداعى اليك ايوان كسرى
وهوى عنه صاحب الايوان
فاذا فوق كل نجم من القو
ل جلال من روعة القرآن

خالص التهانى بالمولد النبوى الشريف

مصنع نسيج
عبد الله محمد شتا
شبرا الخيمه - بيجام

مصنع نسيج الجندى
سيد الجندى وشركاه
شبرا الخيمة - طريق بيجام

نظاراتى أبناء الشرقية والصعيد
٢ ش شريف عمارة اللواء - أول ش العتبة
خصم خاص للطلبة

مصنع نسيج الكمال
احمد كامل عبد الرحمن وشركاه
شبرا الخيمة - أرض نوبار

مصنع الإنتاج القومى
للحرير والقطن
شبرا الخيمة

الشركة الفنية للنسيج الحديث
محمود عبد الجليل واحمد مرسى وشركاه
شبرا الخيمة - أرض نوبار

مصنع الوفا للنسيج
السيد عبد العزيز ديوان
شبرا الخيمة - أرض نوبار

مصنع فرج الله للنسيج
أحمد السيد فرج الله
شبرا الخيمة - طريق بيجام

شركة عصفور لصناعة الكريستال
خميس وابراهيم عصفور
شبرا الخيمة

شركة وحيد
للصباغة والتجهيز
وحيد الدين محمد حجاب وشركاه

مصنع الزهراء للنسيج
عبد الفتاح حسين وشركاه
شبرا الخيمة

شركة نسيج السلام
عبد اللطيف عبد الباقى عبد السلام وشركاهم
شبرا الخيمة - طريق بيجام

المصنع الفنى للنسيج
عبد العزيز عبد الغفار
شبرا الخيمة - طريق بيجام

شركة خميس للنسيج
شبرا الخيمة - طريق بيجام

مصنع نسيج
محمد حافظ بشير

شركة الصباح للنسيج
ث. يوسف العاصى وشركاه
شبرا الخيمة - طريق بيجام

مصنع نسيج
البتكس
شبرا الخيمة

شركة مصنوعات النايلون المصرية
الحاج محمد فانوس الكسم وشركاه
شبرا الخيمة

زينو تكس
زين الدين وشركاه

مصنع نسيج
أبو شعير
شبرا الخيمة - طريق بيجام

الشركة الشرقية للتجارة والصناعة
عمارة اخوان
شبرا الخيمة - طريق بيجام

مصنع نسيج
يحيى نصر وشركاه
شبرا الخيمة - طريق بيجام

الشركة الأهلية للنسيج
سليمان سالم وشركاه
شبرا الخيمة

مصانع شركة فضيات الهلال
اخصائيون فى فنون المعادن العادية والزخرفية
تلغرافيا : فضهلال

مصنع نسيج
محمد فتوح سالم
شبرا الخيمة - طريق بيجام

مصنع فتالة الحرير
عبد المحسن بشير
شبرا الخيمة

شركة نسيج السلام
عبد السلام محمود عجلان واحمد سالم ابو على
وبدر عبد الفتاح ابو غزال

آداب محمدية

الأستاذ الرفاعي اللبان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رحم الله رجلا سمحا اذا باع واذا اشترى واذا اقتضى وفى رواية : « واذا قضى » صدق رسول الله

أخي القارىء :

حرص الاسلام أشد الحرص على توثيق العلاقات بين الناس وان تكون هذه العلاقات قائمة علي أساس من التراحم والتسامح والتعاون وان يكون التسامح فى المعاملات أظهر وأوضح من التشدد فان ما بين الناس من روابط انسانية وأخوة عامة تدعوهم الى أن يعيشوا عيشة راضية تسودها المحبة ويحوطها التسامح والتعاون وذلك مما يجعل الحياة هادئة آمنة ويجعل الناس يعيشون فى سعادة ورفاهية ، ولكن الناس فى تزاحمهم علي موارد الرزق وابتعادهم عن تعاليم الاسلام وتكالبهم على الدنيا جعلهم ينسون هذه المبادىء السامية الرحيمة التى دعاهم اليها الاسلام ورسول المحبة والسلام صلى الله عليه وسلم ، فترى الاثرة الغالبة تسيطر علي نفوسهم وتدفعهم النزعة المادية الى أن يتعاملوا فى ضراوة فيصبحوا شركاء متشاكين ، فاذا بالرجل وقد تحرك فى داخله غول الطمع يريد ان يعيش حياته كلها آخذا لا معطيا غالبا لا مغلوبا غير قانع بما قسمه الله له غير زاهد فيما هو فى أيدى الناس فلا تراه الا ممتد العين الي ما فى أيدى الناس وفى نفسه رغبة جامحة فى أن يستولى على كل ما فى أيديهم وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حسين قال « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لتمنى ان يكون لهما ثالث و لايملا عين ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب)

وقد كره الاسلام خلة الطمع والقسوة فى المعاملة وبين انها دليل على قسوة القلب وخلوه من الرحمة ومن خلا قلبه من الرحمة فهو شقي ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان أبعد الناس من الله تعالي قاسى القلب » وفى حديث اخر « لا تنزع الرحمة الا من شقى » فالرحمة دليل على كمال الايمان والتمسك بهدى القرآن وهى من أخلاق الرسل جميعا ثم هي أيضا صفة من صفات الله الحسنى اقرأ معي قول الله تعالى « بسم الله الرحمن الرحيم » وقوله « نبىء عبادى انى أنا الغفور الرحيم » فالرحمة صفة من صفات الله تعالي فاكثر الناس نصيبا منها أقربهم الى ساحة الرحمن واجدرهم برحمته واحقهم بمغفرته ورضوانه ، والرحمة التى أمر بها الاسلام ليست بين المرء وأخيه أو بين الانسان وصديقه فحسب بل الرحمة التي أمر بها الاسلام ودعا اليها هى الرحمة العامة فى أوسع ميادينها وأرحب آفاقها أى بين الاخ واخيه وبين الجار وجاره وبين الانسان والحيوان أى انها تشمل كل شىء ويظهر اثرها فى التعامل والتخاطب فى الاخذ والعطاء فى البيع والشراء فى قضائه واقتضائه وفى الوقت الذى يبلغ فيه المسلم هذه الدرجة من الرحمة يصبح اهلا لرضاء الله وان تناله دعوة الغفور الرحيم « رحم الله رجلا سمحا اذا باع واذا اشترى واذا اقتضى واذا قضى » وهذا حديث جامع لانواع المعاملة الغالب تداولها بين الناس وعليها تعتمد حياة الامة الاقتصادية وهي مثار المنازعات والخصومات بين كثير من الناس وفى أكثر الاحوال وهى التى تولد الاحقاد فى النفوس وتزرع العداوة فى القلوب وتبعد الرجل عن أخيه وتفرق بين المرء وذويه فالسماحة فى البيع تدعو البائع الى أن يكون راضيا قانعا حسن اللقاء طلق الوجه لين الجانب سهلا قريبا لا يضن بما عنده ولا يغالي بقيمة سلعته ولا يبالغ فى طلب الربح ولا يكثر من المساومة ولا يقسم بالايمان المغلظة ليبرهن على صدق حديثه وليروج لتجارته ، واذا كان الاسلام قد ندب البائع الي أن تكون هذه السماحة دستوره الدائم فى تعامله مع الناس فكيف به اذا لم يتعر خلقه عن هذه السماحة فحسب بل تراه وقد توغل فى كثير من المعاملات المحرمة فهو يغش ويدلس ويحتكر ويطفف ويبيع على بيع أخيه ، وهذا الصنف من الناس ويل له ثم

ويل له ثم ويل له .. فالاسلام يحرم الغش ويخرج الغاش من صفوف المسلمين ويتوعده بسوء المصير فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلي الله عليه وسلم مر برجل يبيع طعاما فاعجبه فادخل يده فيه فرأى بللا فقال : ما هذا ياصاحب الطعام ؟

قال : اصابته السماء . فقال : فهلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس ؟ - من غش فليش منا -

وقد مر أبو هريرة رضى الله عنه برجل يبيع لبنا قد خلطه بماء فنظر اليه وقال له كيف بك اذا قيل لك يوم القيامة خلص الماء من اللبن ؟

والتاجر المحتكر فى نظر الاسلام معتد اثيم وظالم مبين يجرم فى حق نفسه ودينه وأمته والاحتكار هو حبس السلع التي تشتد حاجة الناس اليها فى حياتهم وذلك طلبا للربح المضاعف والغبن الفاحش وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوعد من يفعل ذلك بسخط الله وبالعذاب المهين .. قال رسول الله صلواته وسلامه عليه « من دخل فى شىء من أسعار المسلمين ليغلبه عليهم · كان حقا على الله ان يقعده بعظم من النار يوم القيامة » .

والله تبارك وتعالى يتوعد ايضا من يبخس الميزان أو يطفف فى الكيل ويذكرهم بيوم البعث العظيم وما فيه من أهوال وشدائد يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه (يوما يجعل الولدان شيبا » يذكرهم بذلك فيقول سبحانه وتعالى « ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا علي الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون الا يظن أولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين » .

والبائع الذى يروج سلعته باليمين الكاذبة ليرفع بها قيمتها أو يستر عيبها مقضى عليه بالمحق والخسارة حتى ان نفقت تجارته وعظم ربحه فى نظره ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحلف منفقة للسلعة ممحقة للكسب »

وان من أخبث انواع البيع أن يبيع الرجل علي بيع أخيه فان ذلك يخلق العداوة والبغضاء فى النفوس وقد نهى عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد قال ابن عمر رضى الله عنه : نهي النبى صلى الله عليه وسلم ان يبيع الرجل علي بيع أخيه .

والسماحة فى الشراء تجعل المؤمن رحيما بالناس سهلا محبيا سهلا فى شرائه فلا يضطر البائع على ان يزيد له فى الكيل أو الميزان أو يرهقه بكثرة الاخذ والرد أو يساومه فى السعر ليقتطع منه فضلا لا يسمن ولا يغنى من جوع

ومن أروع ما وعى التاريخ عن السماحة والنبل والرحمة والتعاون تلك القصة التى ساقها لنا رسول الله صلي الله عليه وسلم وحدثنا فيها عن بائع ومشتر عرفت لهما الانسانية أجل ما عرفت فى خلق بائع من وفاء وسماحة وأسمي ما عرف فى خلق مشتر من أمانة وورع عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اشترى رجل من رجل عقارا له ، فوجد الذى اشترى العقار فى عقاره جرة فيها ذهب فقال الذى اشترى العقار : خذ ذهبك منى ، انما اشتريت منك الارض ولم ابتع منك الذهب ، وقال الذى له الارض : انما بعتك الارض وما فيها فتحاكما الى رجل فقال الذى تحاكما اليه : ألكما ولد ؟ فقال احدهما : لي غلام وقال الاخر : لي جارية قال : انكحوا الغلام الجارية وانفقوا على أنفسهما منه وتصدقا »

فأين نحن فى معاملاتنا من هذه الصورة الرائعة المشرقة والتى تدل على السماحة والرضا بما قسم الله ؟ وأين هذا مما نعانيه فى مجتمعنا من غش التاجر وكذب الصانع وجشع المحتكر واستغلال الحاجة والتلاعب بالاسعار ؟

والسماحة فى اقتضاء الدين ان يطلب دينه فى رفق ورحمة ويطالب غريمه بأدب ولباقة فلا يقسو عليه ولا يطالبه علي مشهد من الناس بل يسلك سبيل الحكمة فان ذلك أدعي لوفاء المدين بدينه وان يعمل بقول الله تعالى « وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون »

وفى الحديث أن الله تعالى يقول لعبده يوم القيامة ماذا عملت فى الدنيا فيقول يارب اتيتني مالا ، فكنت أبايع الناس ، وكان من خلقي التجاوز : فكنت ايسر على الموسر وانظر المعسر فيقول الله له : انا احق بذلك منك تجاوزوا عن عبدى »

والسماحة فى القضاء معناها ان يحترم المدين كلمته ويبر بوعده ويؤدى ما عليه فى سهولة ويسر فلا يماطل متى كان قادرا على الاداء ففي الحديث « مطل الغني ظلم » وحسن القضاء من شيم النفوس وهو دليل على الايمان القوى الصادق روى البخارى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال (كان لرجل على رسول الله دين فاتاه يتقاضاه فاغلظ له فهم به اصحابه فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم « دعوه فان لصاحب الحق مقالا ، ثم قال اشتروا له سنا « اى جملا » فاعطوه اياه فقالوا لا نجد الا أمثل من سنه فقال اشتروه فاعطوه اياه فان خيركم أحسنكم قضاء » اما غمط الحقوق والمماطلة فى أدائها والتراخي فى قضائها فهو دليل على غلظة القلب وشح النفس وهو من صفات الجاحد بالله الذى يكذب بالدين

روى البخارى عن خباب رضى الله عنه قال : كنت قينا فى الجاهلية وكان لى على العاص بن وائل دين فاتيته أتقاضاه فقال : لا أعطيك حتي تكفر بمحمد فقلت : لا اكفر بمحمد حتى يميتك الله ثم تبعث . فقال دعني حتى أموت وابعث فساوتى مالا وولدا فاقضيك ، فنزلت فيه الايات « افرايت الذى كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولدا أطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا ؟ كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا »

وبعد ..

فالمسلم يجب أن يكون سمحا سهلا محببا وسطا وان يجعل حياته وقفا على معالي الامور وان يعيش جنديا فى ميدان العمل النافع مكتفيا بالضرورات مترفعا عن شهوات الدنيا وملاهيها الصغيرة وان يعمل بقول الله تعالى « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا » فاذا استطاع المرء ان يعيش حياته طليقا من قيود الديون كان ذلك أسلم لدينه وأحفظ لكرامته وما أكثر ما كان الرسول صلي الله عليه وسلم يستعيذ من غلبة الدين وقهر الرجال » ندعو الله ان يستر عيوبنا وأن يسدد ديوننا وان يوفقنا الى عمل الخير وخير العمل .

من مواقف الرسول

صلى الله عليه وسلم

الأستاذ فتحي أحمد مصطفى

ما أحوجنا فى هذا الظرف الخطير الذى تجتازه أمتنا ونحن ازاء معركة من المعارك قد يتحدد فيها مصيرنا لأجيال طويلة قادمة : ما أحوجنا ونحن فى مثل هذا الموقف ان نسترجع سيرة رسول الله ومواقفه حين ادلهم به الخطر وتأزمت به الأمور ، فما وهن ولا استكان بل ناضل وناضل حتى كتب الله له ولدينه النصر .

بدأ نضال رسول الله حينما حاولت قريش مساومته على دعوته .

وذهبوا الى عمه أبى طالب يطرقون بابه لكى يقنع ابن أخيه بأن يتخلى عن دعوته وان كان يريد ملكا أو مالا أو زعامة مقابل ذلك لبيت رغبته .

ولكن الرسول الكريم الثابت على المبدأ المؤمن بأن ماجاء به هو الحق قال قولته الخالدة (والله ياعم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على ان أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله تعالى أو أهلك دونه)

بدأ النضال والصراع مريرا قاسيا فآذوا الرسول وحقروه وأهانوه وآذوا كل من اتبعه بصورة وحشية مستغلين كل ما فى الجاهلية من عنجهية وعصبية ووحشية الى ان أمر الله رسوله الكريم بان يهاجر الى المدينة فارا بدينه من عصبة الكفر والطغيان الى أن يستقر الاسلام لتبدأ حلقة جديدة من حلقات النضال

وكانت غزوة بدر

ففى اليوم السابع من شهر رمضان المعظم من السنة الثانية للهجرة حدث مما لابد منه أن يحدث حدث أن خرج الذين ظلموا الى الذين ظلموهم : خرج الذين منعوا من أموالهم الى الذين سلبوهم هذه الأموال . خرجوا وقاتلوا ونصروا الحق ونصرهم الله ببدر وكانت أول غزوة فى الاسلام

قال الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير)

اذن للذين سلبت أموالهم والذين أخرجوا من ديارهم . أذن لهم بأن يدفعوا عن أنفسهم هذا الظلم وينتقموا لأوطانهم وأموالهم التى سلبت .

ولم يكن امام المسلمين فى ذلك اليوم — يوم بدر — الا أن يقفوا ويثبتوا وهم قلة الى أن آتاهم نصر الله على الفئة الباغية الأكثر عددا التى جاءت مستعلية بخيلها وخيلائها مدهوشة عجبة كيف يرد هؤلاء المسلمون الظلم عن أنفسهم — كيف يحاول هذا النفر من المسلمين استرداد أموالهم التى سلبت

واستمر النضال فلم يمض عام حتى استنفرت قريش العرب وجمعت جموعها وهى تظن ان النصر الذى كان للمسلمين ببدر ما هو الا ضربة من ضربات الحظ . فكيف ينتصر هؤلاء المسلمون على عتاة قريش وسادتها .

وزحفت قريش على المدينة فى جيش ضخم ليثأروا لهزيمتهم فى بدر .

فى يوم احد

وقف لهم المسلمون يدافعون عن مدينتهم فى يوم أحد بل يدافعون عن دينهم . يدافعون عن الحق

وانتصر المسلمون فى أول الأمر الا أن الرماة تركوا أماكنهم التى حددها لهم رسول الله فوق الجبل مخالفين بذلك أمره فكانت الهزيمة بعد النصر الذى لاح ودنا ، وكان مقتل حمزة بن عبد المطلب عم الرسول وأخوه فى الرضاعة وناصره وظهيره منذ كان فى مكة وكادت تتحول هذه الهزيمة الى كارثة لولا ان ظهرت براعة الرسول الحربية وشجاعته

عادوا الى مكة ليدبروا لعدوان جديد وبقى المسلمون فى المدينة وهم يستعدون لنصرة دين الله واعلاء كلمته .. يستعدون لنصرة الحق .

وجمع الطغيان جموعه وتحزبوا وساروا بجموعهم ليضربوا المدينة الضربة القاضية وانتهى الى علم الرسول (صلوات الله عليه) ما أجمعت عليه الأحزاب فعظم عليه الأمر فتشاور مع المسلمين فأشار عليهم سلمان الفارسى ان يحفروا خندقا بمدخل المدينة وأن يحصنوا داخلها ليعوق المعتدين عن دخولها

وبدأ المسلمون فى حفر الخندق قبل مجىء الأحزاب فأخذ الرسول يعمل مع المسلمين فى دأب وهمة فى حفر الخندق ونقل الأتربة منه ترغيبا للمسلمين وتشجيعا لهم فى العمل ومضاعفة الجهد اذ كان الأمر يستدعى رفع روحهم المعنوية وتقوية نفوسهم .

وبعد ان فرغ الرسول والمسلمون من حفر الخندق أقبلت قريش فى عشرة الاف من آحابيشها ومن تبعهم من بنى كنانة وأهل تهامة وأقبلت غطفان ومن تبعها من اهل نجد .

أما الرسول الكريم فقد خرج فى ثلاثة آلاف من المسلمين وجعل ظهر جيشه الى سلع وحزب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم .

ومضى شهر وقريش تناوش المسلمين والمسلمون مرابطون صابرون مدافعين عن الحق حتى يئست الأحزاب من دخول المدينة وانقسموا على انفسهم فرجعوا بغير قتال نعمة من الله وفضلا

(يأيها الذين آمنوا أذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا . اذا جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا .هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا)

وكانت تبوك آخر موقعة لنصرة الحق فى حياة الرسول فخرج المسلمون فى عام مجدب وكان خروجهم فى رجب من العام التاسع لهجرة الرسول وكان عاما اشتعلت فيه الرمال نارا وسعيرا وأجدبت الأرض وكانت هذه الغزوة موجهة الى الروم انتقاما لما حدث من أساطين الروم وانتقاما ليوم مؤته وكان المسلمون ثلاثين ألفا والروم مائة ألف أو يزيد وصاحب هذه الغزوة ما صاحبها من المشقة والعسرة وتخلف بعض الناس

وكم كان الموقف على الرسول شاقا وهو يرى مافيه المسلمين من عسرة ومن تخلف ثلاثة من الصحابة شهد منهم اثنان بدر ما كان لهم أن يتخلفوا وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية وكلهم من الانصار .

ولكن ايمان الرسول بأن الحق لابد ان يجد من ينصره فمضى بالغزوة رغم كل المشاق فى طريقها المرسوم ووصل بجيش المسلمين الى تبوك وأقام بها بضع عشرة ليلة لم يجاوزها ولم يلق بها عدوا اذ تحصن الروم خلف حدود الشام وجاءه هناك يوحنا ابن رؤبة صاحب ايلة فصالحه على الجزية كما آتاه كثير من أصحاب النواحى يصالحونه

وهكذا سارت الحياة برسول الله وأصحابه ينصرون الحق وينصرهم الله ويمضى الرسول الى الرفيق الأعلى تاركا لأمته تاريخا طويلا فى النضال والدفاع عن الحق وفى نصرة الحق تاريخا ماأحوجنا اليوم الى أن نتدارسه ونمضى على آثاره سالكين نفس الدرب لنظفر بنصر الله (وان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)

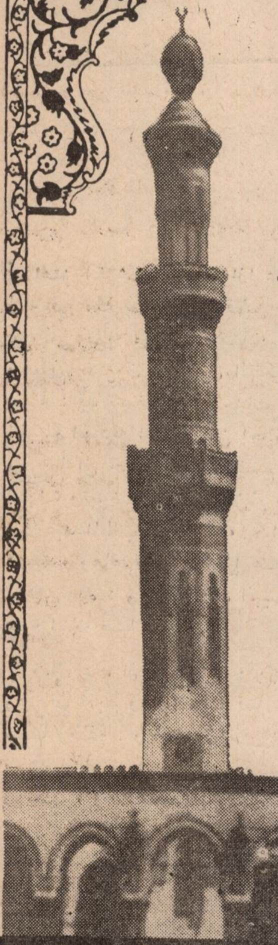

باسم

٧١ ألف عامل من العاملين فى قطاع الصناعات الغذائية يمثلون ٢٥ شركة

نتقدم إلى قائد نضالنا وأمل العروبة كلها

الرئيس جمال عبد الناصر

بأعمق مشاعر الولاء والشكر على ما أولاه لقطاع الصناعة من تكريم ويهنئونه والشعب العربى والاسلامى بذكرى

المولد النبوى الشريف

سائلين الله عز وجل ان يعيد هذه الذكرى الخالدة على الامة العربية وقد تحقق لها النصر على اعداء الحرية ويعاهدون الله على مضاعفة الجهد وزيادة الانتاج

	قيمة الانتاج	قيمة الصادرات
الانتاج عام ٦٦/٦٧	٢٤١,٦١٢,٤٥٦	٥,٤٠٥,٤٣٥
الصادرات عام ٦٧/٦٨	٢٥٠,١٢٢,٤٧٤	٨,٣٤٦,٠٥٦
هدف ٦٨/٦٩	٢٧٦,٦٧٨,٦٦٠	١٢,١٨٧,٠٠٠

المؤسسة المصرية العامة للصناعات الغذائية
وشركاتها

موقف فاطمة الخثعمية

فضيلة الشيخ محمد على الطعمى

اهتز القرشيون اهتزازا عنيفا صاخبا ؛ وباتوا ليلة فى مكة ساخطين ناقمين كما أنهم استيقظوا على أمر كريه مؤسف حقا ، أقض مضاجعهم ، وجعلهم يفكرون ويطيلون التفكير فى لحظات حرجة مقبلة ؛ قد تتمخض عن أحداث جسام؛ ربما أخرجت القبيلة الهادئة الوادعة من احلامها وترفها ونعيمها ، وجرتها الى حرب ساخنة تقسم وحدتها ، وتزعزع أمنها ، وتعرضها لتعاسة الايام وفجائع الزمان ؛ فقد نذر عبد المطلب أن يذبح واحدا من أبنائه ان تكاملوا عشرة ، وهاهم اليوم بلغوا هذا العدد ، فعليه أن يوفى نذره ؛ ويترضى رب البيت؛ وان لم يفعل صب عليه البلاء صبا .

وقال عبد المطلب لبنيه ، يابنى ان لله على نذرا، وهو أن أذبح واحدا منكم فما تقولون ؟ قال بنوه سمعا وطاعة ؛ وعليك أن تأمر ؛ وعلينا أن نستجيب وسمعت نساء عبد المطلب بهذا الخبر فتصايحن وولولن ، وأقسمت كل واحدة منهن لا يذبح ولدها كما تذبح الأنعام ، وقالت الزوجات سوف نرد عبد المطلب ردا غليظا قاسيا ، لأن الآلهة تعطى ولا تأخذ ؛ وترحم ولا تقسو وتطعم ولا تطعم . ثم انها لا ترضى بسفك الدماء ، وشقوة الأمهات ، وخراب البيوت .

ولم يجد عبد المطلب بدا من اجالة القداح ؛ لتكون الحكم بين أبنائه ، وعلى الآلهة أن تختار منهم من تشاء فقولها فصل ، وأمرها عدل ؛ لاتحابى فيه ولا تجامل ، وما سمعنا عنها زيفا فى يوم من الأيام .

وضربت القداح فخرجت على عبد الله ؛ أحب أبناء عبد المطلب الى قلبه ؛ وأدناهم من مجلسه ومساررته ، وأكثرهم جمالا ، وأحلاهم بهاء ؛ وأنضرهم وجها ، كأن الآلهة جارت فيما تريد .

واقتيد عبد الله الى الكعبة لينحر على عتباتها ؛ ولكن أخواله بنى مخزوم ثاروا ثورة ضارية ؛ وقالوا كيف يقدم ابن أختنا قربانا (لهبل) دون سائر اخوته العشرة ؟ ولماذا يذبح هذا الشيخ فتى بريئا لم يرتكب جرما ، ولم يقترف جريرة ؛ ولم يفعل نكرا ؟ ان هذا لشىء عجاب ! واقترح بنو مخزوم كما اقترح غيرهم من المكيين أن يحتكموا الى الآلهة عساها ترضى بما تحب من الفداء ؛ وانهم لمستعدون أن يبذلوا لهاالعطاء ويضاعفوا السخاء فى سبيل انقاذ عبد الله من موت محقق لم يسمع بمثله فى البلاد .

وحسما للنزاع قبل عبد المطلب التحكيم ، واستقر رأى القوم علىالذهاب الى عرافة يثرب ؛ فلما ذهبوا قالت لهم كم الدية فيكم ؟ قالوا عشر من الابل ، قالت ارجعوا الى مكة وقربوا عشرا من الابل واضربوا عليها وعلى عبد الله القداح ؛ فان خرجت على صاحبكم فزيدوا من الابل حتى يرضى ربكم فرجعوا ، ولما قربوا الابل أخذت القداح تخرج على عبد الله ؛ فجعلوا يزيدونها حتى اذا بلغت مائة خرجت القداح على الابل ، فقالت قريش لقد رضى عنك ربك يا عبد المطلب ، فقال لا والله حتى أضرب عليها ثلاث مرات ، فلما فعلوا خرجت القداح على

قبل مولد النبى
صلى الله عليه وسلم

الابل فسر عبد المطلب وأمر بنحرها ، وبأن لايصد عنها انسان ولا طير أو حيوان •

كان افتداء عبد الله حدثا مهما فى تاريخ قريش تطلع اليه رجالاتها ونساؤها على حد سواء ، وازداد حديث الفتيات عن جرأة هذا الفتى الذى أذعن لأمر أبيه راضيا ؛ وتحدى نبا الذبح صابرا ، دون أن يثور فى وجه والده الشيخ أو يسخط عليه أو يهرب منه ؛ وقالت الفتيات ان عبد الله تكمن فيه معجزة والا فلماذا يختص بالذبح من بين اخوته العشرة ؛ ولماذا تختاره الآلهة للفداء وهو واحد منهم؟ ثم لماذا تفرج عنه نظير مائة من الابل ؟ لعل فى هذا شأنا عظيما !

وتطلعت فتيات مكة الى عبد الله ، وما أكثر ماتتطلع الفتيات الى مثل هذا الفتى الفذ النادر المثال ، وتمنت كل واحدة منهن أن تكون لها زوجا لتحظى بوسامته وقسامته وصيته البعيد ؛ ولكن واحدة منهن فازت بالزواج منه، هى آمنه بنت وهب التى كانت مثلا حيا فى الجمال ومتانة الأخلاق •

بقيت فاطمة الخثعمية التى أحبت عبد الله حبا سيطر على جوانحها ، وملأ شغاف قلبها ، وجعلها تهيم به وجدا حتى أنها كانت تترصد خطاه وتترقب ذهابه وايابه ؛ لعله يطمع فى رواجها كما تطمع فى زواجه ؛ وماذا يضير آمنة بنت وهب من هذا الزواج والرجال فى مكة اعتادوا أن يتزوج الواحد منهم — مثنى وثلاث ورباع —

وفى يوم زينت فاطمة الخثعمية لعبد الله أن يدخل بيتها فدخل ، وفيه وجد مالم يجد فى بيوتات قريش من الترف والنعيم ، وجد الفراش الوثير ، والستائر الدانية والاكواب المليئة بمختلف المشروبات ؛ فلم يرقه شىء من هذا ولا ذاك ، وراح يكتئب شيئا فشيئا ، حتى بدا عليه السأم والامتعاض ؛ ولمحت فاطمة على وجه عبد الله هذا التغير ؛ فأخذت تغريه بالمتعة ، وتحثه على الاقامة وهو معرض اعراضا ، متجهم تجهما ؛ كأنه لايعنيه هذا العرض الجذاب •

وتوسلت فاطمة لدى عبد الله أن ينتهز هذه الفرصة التى لن تعود ، وأن يأخذ حظه منها فى تلك الساعة التى قد ينحنى لها الدهر اجلالا واحتراما فأبى ؛ عرضت عليه الزواج والمال وماتملك من الابل والغنم والدور والبساتين فأبى ، وعرضت عليه أن يحجم عن السفر الى بلاد الشام ويستغنى بثروتها عن ثروة أبيه التى تتسع وتضيق فأبى ؛ ولما يئست فاطمة من عبد الله دنت منه دنوا فيه تقارب وحنان وشكت له مايملأ صدرها من عنف الشوق ووهج الحب ، وهمست فى أذنه همسا رفيقا رقيقا ؛ لكى يرق ويلين ويتلطف معها كما تتلطف معه ؛ غير أن عبد الله ارتد عنها بعيدا وهم أن ينصرف عنها وهمت أن تجبذه فأعرض اعراضا ، وفصل عن الفراش والوسائد وقال :

أما الحرام فالممات دونه
والحل لا حل فأستبينه
فكيف بالامر الذى تنوينه

* * *

عندئذ التاعت فاطمة الخثعمية التياعا ؛ واكفهر وجهها وبان عليها خجل كثيف ضارب ، وقالت لعبد الله انى لأعلم أن بنى عبد المطلب يحملون من فضائل النفس ونقاء الضمير مالا يحمله غيرهم ؛فلا تثريب عليك أن تخرج الان على أن تعود قريبا ، لنقضى معا وقتا أى وقت ؛ فصدقنى لازلت أحبك وأتوق الى ملامحك الوضاءة التى لاتوجد فى فتيان قريش •

وخرج عبد الله من بيت فاطمة يعدو عدوا ، حتى وقف على مجلس أبيه واخوته ، فتلقوه مرحبين مهللين ، ودعوه أن يقيم معهم ويتودع منهم ؛ فقد أوشكت القافلة أن تتحرك الى الشام ، وهو لاشك سيسافر معها ويشرف عليها ؛ هكذا أراد عبد المطلب وعلى الأبناء طاعة الآباء .

ودخل عبد الله بيته ؛ وفيه وجد آمنة بنت وهب هاشة باشة تعلوها اشراقة هاتفة ؛ وحين تقابلت عيناها بعينيه ، وجدت فيهما لونا من الحيرة والأسى ، فأرادت أن تسأله ، ففاجأها عبد الله بسفره الى الشام ، فتململت بعض الشيء ، وقالت ان حياة قريش لا تعرف الاقامة ؛ ولا تألف الراحة وهي دائما شاقة وعسيرة ؛ وعيشها يتوقف على الاسفار .

وصبر عبد الله آمنة التي كفكفت دمعتين خفيفتين ؛ ووعدها بأنه سيعود اليها محملا بالهدايا والتحف وأجمل الثياب ؛ ووعدها بأنه سيعود اليها أكثر مالا ؛ وأوفر ربحا ؛ وبهذا يرتفع مستوى معيشتهما ، فينعمان ويرفلان ويفوزان بمطايب الحياة .

وصفا الكلام بين عبد الله وآمنة ، حتى رق وأصبح عذبا مريحا ؛ ثم مرت بهما فترةوداع نسيت فيها آمنة فراق عبد الله ؛ ونسى فيها عبد الله وجه فاطمة الخثعمية ، التى عرضت عليه العروض ووهبت نفسها له فامتنع امتناعا .

وخرج عبد الله من عند آمنة طيب النفس مستريح القلب ، ناعم البال ؛ فأراد أن يتجه الى الابل المحملة بالتجارة ؛ لكنه وجد شيئا يشده شدا قويا الى بيت فاطمة الخثعمية ، فيمم شطره ليقطع لها برأى فاصل فيماتريد ؛ قبل أن تفصل العير الى بلاد الشام .

وقرع عبد الله بيت فاطمة ففتحت له حثيثا ،ولما استقر به المقام نظرت الى وجهه نظرة دقيقة ؛ ثم فترت نظراتها ، وبدأت تسأل وتلح فى السؤال ، أين ذهبت حين خرجت من بيتى ؟ وماذا فعلت ؟ حدثنى يقينا ، فانى أعلم أن بنى عبد المطلب لا يكذبون .

وصمت عبد الله صمتا رهيبا وأطبق شفتيه عن الاجابة ؛ وفاطمة لا تكف عن الأسئلة ؛ ولما يئست منه ، قالت له ، لقد كنت قبل ذلك راغبة فيك متيمة بك ؛ متشوقة اليك ؛ أما الآن فانى غير راغبة فيك كما كنت أرغب . وغير متيمة بك كما كنت أتتيم ، وغير متشوقة اليك كما كنت أتشوق ؛ فقد ذهب النور الذى كان يتلألأ على وجهك ؛ واختفت منك علامات كانت وضاءة تلوح فى وجنتيك كخيوط الصبح المشرقة ، فدلنى بربكأين ذهب هذا النور ؟ وكيف نضبت تلك الاشراقات والعلامات ؟

وقالت فاطمة ياعبد الله ؛ اننى اليوم زاهدة فيك كما كنت زاهدا فى ثم ماذا اعنى بك وقد فات الأوان وضاعت الفرصة ، وأصبحت فتى كسائر فتيان قريش ؛ وما أكثرهم فى مكة يغدون عندى ويروحون طلبا فى زواجى ، وحبا فى ثرائى ؛ وانك لتعلم أنى معرضة عن الرجال ، قصية عنهم ، يوادوننى ولا أودهم ، ويتمنون لقائى ولا أتمنى لقاءهم ؛ ويحبون سمرى ولا أحب سمرهم ، حتى أنهم نعتونى بالكبرياء ؛ واتهمونى بالغطرسة والتعالى ومالا أرضاه ؛ وانالذى دعانى أن أتحبب اليك وأهب لك نفسى هو أمر عظيم ربما لا تعلم عنه شيئا ولا يخطر لك على بال .. ان نورا فضفاضا كان يشع على وجهك ويترنح على قسماتك ، وهذا النور لم يكن فى واحد من فتيان قريش ولا فى غير قريش؛ انه نور الرسالة ، وميلاد نبى سيظهر ،وكنت أطمع أن أحمل بهذا النبى ؛ وأكون له أما ؛ كما تكون له أبا ، لنتقاسم الشرف .. وننال من المفاخر والمحامد مانتنال .

وهذا النبى بشرت به التوراة ، وبشربه الانجيل ، وقالت عنه الكتب السماوية ؛ انه سيبعث فى بلاد العرب ويؤيد بنصر الله ، وتبلغ رسالته أطراف المعمورة ، ويكون خاتم الأنبياء والمرسلين ؛ وأغلب ظنى أن آمنة بنت وهب حملت به ؛ وستفوز بأمومته وأنت تفوز بأبوته ، فأكرم بكما من والدين مباركين سينجبان أعظم مولود ، به ينصر الله العرب على العجم ؛ ويحق الحق ؛ ويبطل الباطل ، ويشرق دين الاسلام .

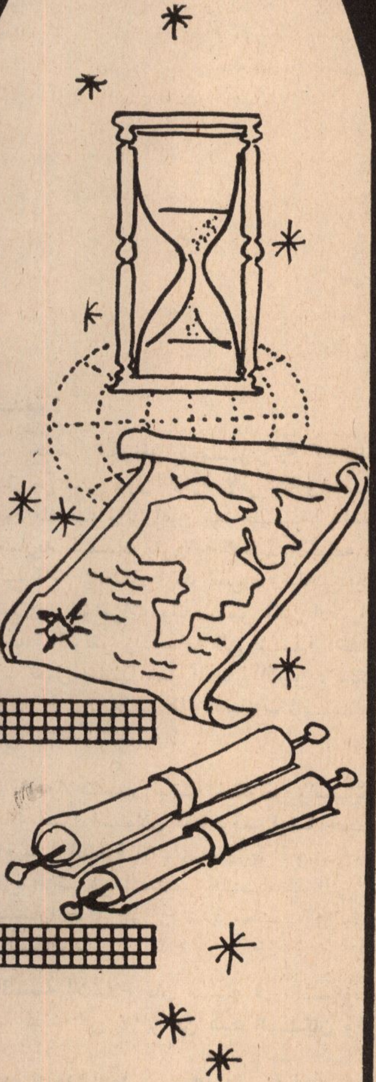

التاريخ الاسلامى

ماذا تعرف عن العالم الاسلامى

دوله وشعوبه

الدكتورة عنايات الطحاوى

مقـدمة :

يعتبر حوض الكونغو بجهـوريتيه كينشاسا وبرازافيل من أغنى دول القارة الافريقية وخاصـة فى الثروة المعدنية والزراعية مما حـدا بالدول الاستعمارية التمسك بثروات الاقليم المختلفة عن طريق الشركات الاحتكارية بعد تحرره ونيله استقلاله هذا فضلا عن المؤامرات والدسائس التى ادت الى تفتت وحدة الكونغو وانقسامه الى عـدة أحزاب واتجاهات يعمل بعضها ضد البعض الآخر . ولكنه اخيرا وحد صفوفه فقاوم هذه التيارات الهـدامة واتجه الى البناء والتعمير .

وكما قاوم الاستعمار نهضة الكونغو واستغل اقتصادياته أسوأ استغلال فقد وقف أيضا حجر عثرة أمام نشر الدعوة الاسلامية وأبقى الوثنيين على حالهم على الرغم من التبشير بالمسيحية التى لم تنتشر انتشارا يذكر فلم يزد عدد معتنقيها عن ٢٠ ٪ من عدد السكان .

اما بالنسبة للاسلام فان نسبته فى الـكونغو كينشاسا تقرب من ٢٥ ٪ من عدد السكان وفى الكونغو برازافيل تبلغ ٥٠ ٪ ولذلك وجب علينا أن **نوضح اهمية هذا الاقليم من النواحى الاقتصادية المختلفة حيث ينتظر للاسلام المزيد من الازدهار فيه بحيث يغطى معظم المجموعة الوثنية التى تبلغ حوالى ٥٠ ٪ من عدد السكان .**

اولا :

والآن نبدأ بالتعريف الجغرافى للكونغو :

تقع جمهورية الكونغو كينشاسا بين خطى عرض ١٢ درجة مئوية شمال خط الاستواء ، ١٨ درجة مئوية ، و١٣ درجة مئوية جنوب خط الاستواء وبين خطى طول ١٠ ، ١٢ شرقا و ١٠ درجة مئوية و ١٣ درجة مئوية شرقا .

وتبلغ مساحتها ٢٫٣٤٤٫٩٣٢ كيلو مترا مربعا وهى بذلك ثالث دولة افريقية من حيث المساحة بعد السودان والجزائروتطل على المحيط الأطلنطى بساحل يبلغ طوله ٣٥ كيلو مترا فقط

والكونغو عبارة عن حوض منخفض تحيط به المرتفعات واكثر جهاته ارتفاعا فى الشرق والشمال الشرقى حيث منابع نهر الكونغو بروافده العديدة وحيث يبلغ ارتفاع السطح هنا ما بين ٢٤٠٠، ٤٠٠٠ مترا فوق سطح البحر .

واعظم ظاهرة طبيعية فى الكونغو هى نهر الكونغو بروافده الكثيرة فالنهر ينبع من جبال ميتومبا ويسمى باسم لوالابا من منابعه حتى ستانلى فيل ومن ستانلى فيل حتى المصب يحمل النهر اسم الكونغو وهو نهر عريض جدا كثير الجزر والمستنقعات ويجمع فى مساره الاستوائى انهار عديدة من أهمها نهر كساى .

ويضيق مجرى الكونغو بعد مدينة كينشاسا لينحدر فوق مجموعة من الشلالات تسمى شلالات لفنجستون وبعدها يصب فى المحيط بخليج ضيق . وتوجد أيضا شلالات ستانلى جنوبى ستانلى فيل وكذلك شلالات كندو الى الشمال من كونجولو .

اما بالنسبة للكونغو برازافيل فهى تقع بين خطى عرض ٥ جنوبا ، ٤ شمالا وحدودها فى الشرق والجنوب مع الكونغو كينشاسا وفى الشمال مع جمهورية افريقية الوسطى وفى الشمال الغربى مع كاميرون وفى الغرب مع جابون . ولها ساحل يبلغ طوله حوالى ١٠٠ كيلو متر ويعتبر نهر الاوبنجى أحد فروع الكونغو هو الحد الفاصل بين الكونغو كينشاسا والكونغو برازافيل .

وسطح الكونغو برازافيل على شكل هضبة مرتفعة تجرى فيها وديان أنهار تصب فى الابنجى والكونغو كما يوجد نهر كويلو الذى يصب فى المحيط وينتهى بميناء (بوانت نوار) ومساحة الكونغو برازافيل ٣٤٢ الف كيلو متر مربع ويبلغ عدد سكانه حوالى مليون نسمة .

مناخ الكونغو :

يسود المناخ الاستوائى معظم جمهوريتى الكونغو بينما تبدأ احوال المناخ المدارى ذى المطر الفصلى فى الظهور فى جنوب كساى واقليم كاتنجا ومتوسط درجة الحرارة يتراوح بين ٢٥ درجة مئوية فى النطاق الاستوائى ، ٢٠ درجة مئوية فى اقليم المرتفعات الشرقية وكاتنجا . والمدى الحرارى الفصلى صغير فى النطاق الاستوائى فأحر الشهور مارس (٢٥٫٦ م) وأبردها أغسطس (٢٤٫٢ م)

اما متوسط سقوط المطر فيتراوح مابين ١٥٠٠ ، ٢٠٠٠ ملليمتر فى السنة .

وتقل كمية المطر كلما اتجهنا شمال وجنوب الاقليم الاستوائى .

ويمكن تقسيم الكونغو الى الاقاليم المناخية الآتية :

١ – القسم الشمالى : شمال خط الاستواء وتسقط امطاره من منتصف مارس الى آخر يونية ثم فصل جاف قصير فى يوليه ويعود فصل المطر ثانية من اغسطس الى منتصف نوفمبر يعقبه فصل جاف طويل من منتصف نوفمبر الى منتصف مارس

٢ – بقية جمهورية الكونغو ما عدا (جنوبها الشرقى) : وهنا يبدأ موسم المطر الطويل من منتصف سبتمبر الى نهاية ديسمبر يليه فصل جفاف قصير خلال شهر يناير حتى منتصف فبراير ويعقب ذلك فصل مطير من منتصف فبراير الى منتصف مايو واخيرا فصل الجفاف الطويل من منتصف مايو الى منتصف سبتمبر .

٣ – جنوب شرقى الكونغو : حيث يبدأ فصل المطر ببداية اكتوبر وينتهى فى أوائل يناير يليه فصل جاف قصير فى يناير ثم تعود الأمطار ثانية من فبراير الى نهاية ابريل واخيرا فصل جفاف طويل من مايو حتى نهاية السنة ».

ثانيا ـ النبات الطبيعى بالكونغو :

تغطى الغابات الاستوائية حوض الكونغو فى المنطقة التى تمتد فيما بين خطى عرض ٤ شمالا وجنوبا وكانت تحتل هذه الغابات ما يقرب من ٦٠٪ من المساحة الكلية للكونغو وينمو فى هذه الغابات الاستوائية ما يقرب من الف نوع من الاشجار التى تمتاز باحتوائها على اخشاب عظيمة الفائدة . ويحيط بالغابات الاستوائية نطاق السفانا الشجرية وفى الجنوب تظهر الغابات الجافة والسفانا القصيرة وعلى الهضاب والمرتفعات تظهر نباتات الجبال .

ومن المناظر الطبيعية الجميلة فى الكونغو ما يسمى بالحدائق الوطنية واكبر هذه الحدائق حديقة البرت وتمتد من بحيرة البرت الى ادوارد بما فيها نهر السمليكى وجبل روترورى وتبلغ مساحتها ٨٠٠٠ كم٢ وتضم نطاقا جميلا من الغابات الاستوائية وبراكين فيرونجا وبحيرتى ادوارد وجورج ومستنقعاتهما وجبل روترورى الذى تكسو قمته الثلوج وتوجد على سفوح روترورى أهم مواطن الغوريلا الضخمة .

ثالثا ـ اقتصاديات الكونغو :

أ ـ الانتاج الزراعى : يمكن تصنيف الغلات الزراعية فيما يلى :

١ ـ محاصيل الغذاء : وتشمل القمح والأرز والبقول وكلها محاصيل يتركز انتاجها فى مزارع الوطنيين من الأفريقيين كذلك يتركز من ٩٠ الى ٩٩٪ من انتاج الذرة والبطاطس والبطاطا واليام والكسافا وموز الدقيق والخضروات فى المزارع الافريقية والباقى ينتج فى المزارع الاوربية وحوالى ٢٠٪ أو اقل من انتاج موز الفاكهة وقصب السكر ينتج فى المزارع الافريقية .

٢ ـ محاصيل الزيت :

وهنا يتركز انتاج السمسم جميعه فى ايدى الافريقيين وحوالى ٩٨٪ من انتاج الفول السودانى ايضا وهذان المحصولان يعودان بفوائد مادية على المزارع الافريقى . وحوالى ثلث مساحة نخيل الزيت تدخل ضمن المزارع الافريقية والباقى فى المزارع الاوربية هذا علما بأن الانتاج الافريقى من الزيت يساوى ٩٪ من الانتاج الاوربى .

٣ ـ محاصيل الالياف : واهم هذه المحاصيل القطن وقد ادخلت زراعته فى الكونغو سنة ١٩١٧ ويتركز انتاجه فى المزارع الافريقية وكانت زراعة القطن تغطى كل الاحتياجات المحلية ويصدر ١٨٪ من الانتاج للمناسج البلجيكية وكان محصول القطن الكونغولى الرابع بالنسبة للقارة الافريقية حتى سنة ١٩٥٣ ثم تناقص الانتاج الى ان أصبح فى المرتبة السابعة فى موسم ١٩٦١ ـ ١٩٦٢ وظل يتناقص بعد ذلك بسبب سوء الاحوال السياسية وعدم الاستقرار فى الكونغو ولكنه بدأ يسترجع مكانته الأولى بعد القضاء على جميع المؤامرات واستتباب الامن (*)

هذا بالنسبة للقطن أما السيسال فان حوالى ١٥٪ من انتاجه يوجد فى المزارع الافريقية .

٤ ـ محاصيل تجارية : واول هذه المحاصيل البن وينقسم الى نوعين البن العربى ويزرع فى المناطق المرتفعة الشرقية ثم بن (روبستا) ويزرع فى المناطق الاستوائية المنخفضة وفى كلتا الحالتين يساهم الافريقيون بانتاج ٢٠٪ منه والباقى فى المزارع الاوربية .

أما الشاى والكاكاو فيقتصر انتاجهما على المزارع الاوربية .

والتبغ مناصفة بين الافريقيين والاوربيين .

وأخيرا المطاط وتحتكر المزارع الاوربية ٩٢٪ من انتاجه .

ب) الثروة الحيوانية :

تتوزع الثروة الحيوانية فى الكونغو على الافريقيين والأوربيين كما يلى (الارقام بالآلاف) .

بالنسبة للماشية يبلغ مجموعها ٩٦٦ منها ٥١٧ للافريقيين ، ٤٤٩ للاوربيين ، والماعز مجموعها ١ر٧٩٩ر١ منها ٧ر٧٩٣ر١ للافريقيين ، ٤ر٥ للاوربيين ، والاغنام مجموعها ٤ر٦٣٦ منها ٢ر٦١٤ للافريقيين ، ٢ر٢٢ للاوربيين ، أما الخنازير فمجموعها ٩ر٣٤٩ منها ٥ر٣٠٧ للافريقيين ، ٤٢ للاوربيين .

واهم ما نلاحظه على الثروة الحيوانية فى الكونغو ما يلى :

١ ـ ان الاقليم الشرقى واقليم كيفو هما أغنى اقاليم الدولة فى الثروة الحيوانية ففيهما ٦٠٪ من الماشية ، ٤٠٪ من الماعز والاغنام وهذا يرجع الى صلاحية الأقليمين للرعى لوجود حشائش السافانا والهضاب العالية . كما توجد ايضا ثروة حيوانية

لا بأس بها فى اقليمى كينشاسا وكاتنجا وذلك لكثرة المستوطنين فيهما أما الاقليم الاستوائى فهو أفقر الاقاليم نظرا لعدم ملاءمة مناخه ونباته لحياة الحيوان .

٢ ـ من حيث الملكية فان الثروة الحيوانية فى الكونغو تعتبر مناصفة بين الافريقيين والاوربيين هذا علما بأن ماشية الاوربيين معتنى بها وتنتج من الزبد ما يساوى قرابة خمسين مرة من انتاج ماشية الافريقيين .

اما الماعز فيحتكر تربيته الافريقيون وكذلك الاغنام والخنازير ايضا وغالبيتها للافريقيين .

حـ) الثروة السمكية :

يعتبر صيد السمك النهرى بالغ الاهمية بالنسبة للصيد البحرى فبينما بلغ انتاج السمك البحرى ٣٠٦٣ طنا بلغ السمك النهرى ٨٠٢٢٠ طنا سنة ١٩٥٥ ، ولا يقتصر الصيد النهرى على الانهار فحسب بل يضاف اليه انتاج البرك الصناعية التى انشئت فى الكونغو وتعرف باسم مزارع الاسماك .

ويسد السمك النقص فى اللحوم فالى جانب أهميته الغذائية بالنسبة للاوربيين فهناك جماعات افريقية تعتبر السمك المصدر الوحيد للتغذية كجماعات الزاندى وعشائر المونجو والكوندو .

ء) الثروة المعدنية :

للمعادن أهمية كبيرة فى الكونغو وهى تمثل ٦٠ ٪ من قيمة الصادرات جميعها وينتج الكونغو معادن عديدة منها التنجستن واليورانيوم والفضة والبلاتين والذهب والماس ومن أهم المعادن الكونغولية ايضا النحاس والرصاص والقصدير والزنك والكوبالت والمنجنيز والفحم .

وتتركز الثروة المعدنية فى اقليم كاتنجا يليها كيفو فالاقليم الشرقى وكساى وتتوزع الثروة المعدنية على اقاليم الكونغو المختلفة كما يلى :

١ ـ النحاس ويعتبر أهم المعادن فى كاتنجا وخاصة فى جنوبها الغربى [illegible] النحاس فى كاتنجا الى استغلال مناجم الفحم الفقيرة فى وسطها كما أقيمت محطات الطاقة على الانهار العديدة أيضا ، تبلغ نسبة انتاج النحاس ٨ ٪ من الانتاج العالمى

٢ ـ اليورانيوم ويمثل ٩٠٪ من الانتاج العالمى ويوجد أيضا فى اقليم كاتنجا العليا وكذلك الراديوم وانتاج اليورانيوم الكنغولى كبير الاهمية بالنسبة للعالم الغربى فهو مادة استراتيجية خطيرة .

٣ ـ الكوبالت وتصل نسبته الى ٨٥٪ من الانتاج العالمى ويعتبر ايضا ذو اهمية استراتيجية عظمى .

٤ ـ الماس : ويحتل المرتبة الاولى بالنسبة للانتاج العالمى فهو يصل الى ٦٢ ٪ من الانتاج العالمى وأهم مناطق انتاج الماس اقليم كساى .

٥ ـ الذهب : ويوجد بكثرة فى الاقليمين الشرقى وكيفو وانتاج الكونغو من الذهب وصل فى سنة ١٩٦٣ الى ٦٦٧٤ كيلو جراما بينما كان فى سنة ١٩٤٠ ـ ١٧ الف كيلو جراما .

٦ ـ المعادن الاخرى وأهمها القصدير فيوجد فى اقليم كاتنجا وكذلك فى اقليم كيفو وقد هبط انتاجه من ١٧ الف طن فى سنة ١٩٤٣ الى ٧١٦٦ طن فى سنة ١٩٦٣ كذلك اكتشف الفحم فى أقليم كيفو وكذلك فى أقليم كاتنجا وكميته تتناقص باستمرار ووصل انتاجه سنة ١٩٦٣ الى ٩٢ ألف طن .

هـ) الصناعة :

الصناعة فى الكونغو محدودة وضعيفة على الرغم من وفرة الانتاج الزراعى والمعدنى . واهم الصناعات الموجودة صناعة تحويل الخامات المعدنية الى معادن نقية وصناعة الاغذية والصابون والمنسوجات القطنية والسجائر والبلاستيك والكيمائيات والأسمنت وجميع هذه الصناعات على نطاق ضيق محدود وتتركز فى كينشاسا واليزابث فيل .

وفى الكونغو قوى مائية هائلة يمكن ان تستخدم فى توليد الكهرباء ويقدر ما يمكن استغلاله منها بحوالى ٢٠ ٪ مما فى العالم .

ز) التجارة الخارجية :

تتركز صادرات الكونغو فى النحاس والماس والكوبالت واليورانيوم والقصدير والذهب وكذلك فى البن وزيت النخيل والقطن والمطاط ونواة النخيل

أما الواردات : فهى عبارة عن الآلات والاجهزة الكهربائية والمعادن والسيارات والمنسوجات ثم الزيوت المعدنية والمنتجات الكيمائية والاغذية والسجاير .

وتتجه معظم صادرات الكونغو الى دول السوق الأوربية وعلى رأسها بلجيكا ثم الولايات المتحدة فكندا فبريطانيا ثم الهند والشرق الاقصى واخيرا الدول الافريقية .

أما الواردات فمعظمها أيضا من دول السوق الأوربية تليها كندا فالولايات المتحدة ثم بريطانيا فدول أفريقيا ثم الشرق الاقصى والهند .

وتحتل بلجيكا مركز الصدارة فى تجارة الكونغو الخارجية فيصيبها من صادراته ٤٩٫٣ ٪ ومن وارداته ٣٥ ٪ .

ح) النقل وطرق المواصلات :

١ ـ النقل النهرى : يكون النقل النهرى أطول شبكة نقل داخلية فى الكونغو وتبلغ أطوال الشبكة حوالى ٢٥ الف كيلو متر وأهم الموانى النهرية كينشاسا واستانلى فيل وبونترفيل وكندو والبرت فيل أما متادى فهى اهم موانى الكونغو الخارجية التى تصلها معظم واردات الكونغو وتصدر عن طريقها معظم صادراته .

٢ ـ السكك الحديدية : ويتكون معظمها من خطوط حديدية قصيرة ومنفصلة فيما عدا شبكة حديد كاتنجا وتبلغ طول السكك الحديدية ٥١٧٤ كيلو مترا واهمها الخط من اليزابث فيل الى بوكاما على نهر لوالابا ومنها الى بورث مرانكى وهناك خط آخر من كابالو على نهر لوالابا شرقا الى البرت فيل وشمالا الى كندو .

رابعا :

سكان الكونغو

بلغ عدد سكان الكونغو تبعا لاحصاء سنة ١٩٦٥ حوالى ١٦ مليون نسمة والزيادة الطبيعية السنوية هى ٢٫٢٪ وهذه النسبة قليلة اذا ما قورنت بالدول الافريقية الاخرى . والى جانب السكان الوطنيين توجد نسبة من الاوربيين يبلغ عددهم حوالى ٨٪ من المجموع الكلى للسكان ويمثل البلجيكيون ٨٠ ٪ من السكان الاوربيين .

أما من ناحية السلالات البشرية فينتمى سكان الكونغو الى مجموعة متباينة غالبيتها من زنوج (البانتو) والباقى موزع على مجموعات عديدة صغيرة هى زنوج السودان والنيليين والاقزام وبعض الحاميين والقليل جدا من الساميين .

ويبلغ عدد البانتو حوالى ١٠ مليون نسمة ويسكنون معظم أرجاء الدولة ما عدا الاطراف الشمالية وبعض المناطق الوسطى والشرقية . وينقسم البانتو الى عدة قبائل اهمها الباكونجو والباكوبا والبالوبا والبالوندا وغيرها .

أما زنوج السودان فيسكنون شمال الكونغو ويبلغ عددهم حوالى اربعة ملايين نسمة وأهم قبائلهم المانجبتو والزاندى .

والاقزام يتركزون فى مجموعتين داخل الكونغو وهما اقزام الشرق أو البامبوتى ثم مجموعة الباتوا .

والنيليون يوجدون أساسا فى أوغنده وتمتد منهم مجموعات داخل الكونغو وأهم قبائلهم الألور والحاميون يتمثلون فى الطبقة الحاكمة لشعب يتكون من البانتو المزارعين .

واخيرا نجد الساميين وهم بقايا الأسر العربية التى استقرت فى شرق الكونغو وهى أسر التجار العرب القادمين من زنجبار والساحل الشرقى ويتركزون الآن فى ستانلى فيل وكاسونجو ويبلغ عددهم قرابة ١٠٠ الف شخص .

ويتكلم سكان الكونغو لهجات متعددة تتلخص فى لغات البانتو ومجموعة اللغات السودانية كما تنتشر اللغة السواحلية فى الشرق حيث التأثير العربى .

كذلك تنتشر اللغة الفرنسية بتأثير الاستعمار البلجيكى .

هذا بالنسبة لسكان الكونغو كنيشاسا أما السكان فى الكونغو برازافيل فيبلغ عددهم تبعا لاحصاء سنة ١٩٦٥ حوالى ٨٥٥ الف نسمة وينتمى معظمهم الى البانتو الغربيين وأهم قبائلهم الباكونجو

خامسا : التقسيم الادارى بالكونغو (كينشاسا)

١ ـ أقليم كاتنجا :

وهو أغنى اقاليم الكونغو على الاطلاق ويستغل اقتصادياته اتحاد كاتنجا العليا للتعدين الذى ينتج حوالى ٧٪ من نحاس العالم ، ٦٧٪ من كوبالت العالم ونسب كبيرة مختلفة من المعادن الأخرى كالزنك والراديوم والفضة واليورانيوم الذى صنع منه أول قنبلة ذرية . وعاصمة كاتنجا اليزابيث فيل

٢ ـ اقليم كاساى

وهو من الأقاليم التعدينية الهامة فى الكونغو فهو يحتوى على اكبر وأغنى مناجم الماس فى العالم كما يستخرج منه كميات كبيرة من الذهب أيضا وعاصمة كاساى الشمالية مدينة لولوابورج أما كاساى الجنوبية فعاصمتها باكوانجا .

٣ ـ اقليم كيفو

كان يطلق عليه اسم الاراضى المرتفعة البيضاء نظرا لأن غالبية المستوطنين البيض كانوا يقطنون

فى هذا الأقليم • ويعتبر هذا الاقليم أجمل اقاليم الكونغو بما يحتوى عليه من جبال وبحيرات ومزارع واسعة وهذا الأقليم زراعى بوجه عام وينتج البن والشاى • وعاصمة الأقليم بوكافو •

٤ ـ الاقليم الشرقى :

ويعتبر اقليما زراعيا غنيا يحتوى على مزارع كبيرة لنخيل الزيت والبن وجميعها تملكها شركات أوربية كما يزرع ايضا القطن فى هذا الاقليم وعاصمة الأقليم ستانلى فيل

٥ ـ الاقليم الاستوائى :

وهو اقل الأقاليم الكنغولية تطورا ويعتبر النهر هو وسيلة المواصلات الوحيدة فى الأقليم فضلا عن النقل الجوى وعاصمة الاقليم كوكويهاتفيل وهى مدينة حديثة •

٦ ـ أقليم ليوبولدفيل :

وتوجد به عاصمة جمهورية الكونغو وهى ليوبولدفيل (كينشاسا حاليا) ويقيم بهـا التنظيم الحكومى ورئيس الدولة ورجال الأعمال ، وهذا الاقليم يعتمد

على تصدير البضائع القادمة من داخل اقاليم الكونغو المختلفة والتى تصل عن طريق النهر أو السكك الحديدية والتى تنقل من كينشاسا الى ميناء متادى على المحيط الأطلسى •

سادسا : التاريخ السياسى للكونغو •

يتلخص التاريخ السياسى للكونغو فى النقاط التالية •

١ ـ اكتشف الكونغو الرحالة البرتغالى (ديجو) سنة ١٤٨٢ م ولكن البرتغاليين لم يتمكنوا من الصعود فى النهر بسبب الجنادل والشلالات ولذا فضلوا اقامة محطات على السواحل وفى انجولا •

٢ ـ بدأ النفوذ الغربى يتسلل الى الكونغو منذ عام ١٨٢٠ قادما من زنزبار وتنجانيقا •

٣ ـ بدأ الاستعمار البلجيكى فى الكونغو منذعام ١٨٧٩ حين وصلت أول بعثة كشفية فى منتصف اغسطس من ذلك العام تحت قيادة هنرى ستانلى واقيم أول مركز بلجيكى فى ميناء فيفى على الشاطىء الشمالى للنهر فى مواجهة ميناء متادى

وكان استعمار بلجيكا للكونغو قضية شخصية للملك ليوبولد الثانى الذى استطاع ستانلى ان يجذب اهتمامه لهذه البقعة الزاخرة بالثروات .

٤ ـ طالب ليوبولد فى مؤتمر برلين (١٨٨٤ ـ ١٨٨٥) أن يكون الكونغو من نصيبه وبنى حجته على المعاهدات التى استطاع ستانلى ان يوقعها مع رؤساء القبائل فى الكونغو • ومن الغريب ان مؤتمر برلين الذى كان يضم اعظم ساسة أوربا فى ذلك الوقت مثل بسمارك وجلادستون قبل ان يعطيه الكونغو •

وسارع ليوبولد فاعلن تكوين ولاية الكونغو الحرة كاملاك شخصية له واستمر الملك حاكما ذو سلطات لاحد لها على الكونغوشعبه فيما بين عامى ١٨٨٥ ، ١٩٠٨

وبعدها وضعت الحكومة البلجيكية يدها على المستعمرة بدلا من الملك • ولقد كانت سنوات حكم الملك الشخصى للكونغو مليئة بأقسى واحط أنواع الاستغلال وأصبحت جميع موارد البلاد ملكا شخصيا للملك • ولما ثار الرأى العالمى وتوالت الاحتجاجات من كافة انحاء العالم اضطر ليوبولد الى تسليم المستعمرة الى الحكومة البلجيكية •

٥ ـ لما صار الكونغو تحت اشراف الحكومة البلجيكية أصبحت تسيطر عليه ثلاث قوى هى :

ا ـ القوة الأولى وهى الحكومة البلجيكية ممثلة فى الحاكم العام وكانت سلطاته فى المستعمرة مطلقة تقريبا •

ب ـ القوة الثانية وهى الكنيسة الكاثوليكية ويبدو أثرها واضحا فى التعليم الذى يكاد يكون وقفا على الأرساليات وحدها •

جـ ـ القوة الثالثة وهى المؤسسات الاقتصادية الكبرى وتعتبر السلطة الموجهة للسياسة البلجيكية فى البلاد • ويوجد بالكونغو خمس شركات أو مجموعات اقتصادية كبرى تتحكم فى نحو ٧٠٪ من اقتصاديات الكونغو . وكانت الحكومة البلجيكية تمتلك ٥٠٪ من أسهمها وهذه الشركات الخمس الكبرى هى شركة بروكسل للتمويل والصناعة ـ وشركة الكونغو للتعدين والتجارة وكان لها أملاك زراعية واسعة وشركة يونيليفر الصناعية وبنك امبان ويسيطر على الكثير من وسائل النقل واخيرا الشركة البلجيكية العامة وهى اعظم المؤسسات جميعا وتسيطر على عدد كبير من الشركات الاخرى •

٦ ـ نمو الحركة الكونغولية وتطورها

تكونت الحركة الوطنية الكونغولية بزعامة (باتريس لومومبا) وانحاز اليه المواطنون فى شتى الأقاليم وكانت أهم مطالبهم التى أعلنت فى مايو سنة ١٩٥٩ هى اقامة نظام اقتصادى يهدف الى التوزيع العادل للدخول وقد كان هذا الاتجاه مزعجا للسلطات الاستعمارية وحدث فى اواخر سنة ١٩٥٩ اضطرابات عنيفة وخاصة فى ستانلى فيل موطن لومومبا فالقى القبض عليه

ثم دعت الحكومة البلجيكية الزعماء وممثلى الزعامات القبلية الى مؤتمر مائدة مستديرة فى بروكسل وأفرج عن لومومبا ليشترك فى المباحثات وخلال المؤتمر رفض الكونغوليون تخويل ملك بلجيكا السلطة العليا وعارضوا تقسيم الكونغو الى عدد من الدول المستقلة داخل نظام كونفيدرالى وقاوموا فكرة انفصال كاتنجا واخيرا اتفق الطرفان وكانت أهم بنود الاتفاق

١ ـ **اعلان استقلال الكونغو** فى ٣٠ يونيو سنة ١٩٦٠ واجراء انتخابات لجمعية تأسيسية دون أن يكون للاوربيين حق الاشتراك فيها الا اذا اتخذوا الجنسية الكونغولية

ب ـ عقد معاهدة صداقة بين البلدين واحتفظت بلجيكا بقواعد عسكرية

٧ ـ بعد استقلال الكونغو :

دارت المعركة الانتخابية واشترك فيها عدد كبير من المنظمات السياسية أهمها ـ ضرب أباكو وهو تنظيم يتزعمه جوزيف كازافوبو ومن رأيه اقامة دولة ذات استقلال ذاتي ٠

ثم ضرب كوناكات ويتزعمه (تشومبى) ومركزة كاتنجا ومن رأيه أقامة دولة فيدراليه وتهدف اساسا الى اقامة دولة ذات استقلال كامل عن الكونغو فى كاتنجا

ثم ضرب الحركة القومية ويتزعمه (باتريس لومومبا) ويعتبر أهم المنظمات السياسية ويقوم على أساس الوحدة القومية وقيام حكومة مركزيةقوية وضرورة احلال ابناء البلاد تدريجيا فى مناصب الادارة والجيش والبوليس والمؤسسات الاقتصادية

ويحبذ سياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز وانشاء افريقية حرة مستقلة والغاء الحدود المصطنعة التى خلفها الاستعمار والسعى نحو تحقيق الوحدة الافريقية ٠

٨ ـ المشاكل التى واجهها الكونغو عقب الاستقلال مباشرة

ا ـ نقص الخبرات الفنية نظرا لاغفال التعليم الفنى والعالى

ب ـ المؤامرات والتدخل البلجيكى فى الكونغو بعد اعلان الاستقلال فلم يكد يعلن مولد الدولة الجديدة رسميا حتى بدأت الأيدى تلعب من وراء الستار وتدفع بالنزعات الانفصالية قدما ٠ وقد اخذت المؤامرات تبدو سافرة حين صدر بلاغ رسمى من حكومة كاتنجا الاقليمية عن نشوب ثورة مسلحة ضد الحكومة المركزية وفى ١١ يوليو سنة ١٩٦٠ اعلن الاقليم استقلاله واعلن تشومبى رئيس وزراء الاقليم أنه يعتزم اقامة اتحاد اقتصادى مع بلجيكا بعدالاستقلال وكان نتيجة لهذه المؤامرات ان تدفقت القوات البلجيكية بحجة اقرار الأمن والنظام

جـ) تدخل الأمم المتحدة : كان لتلك الأحداث جميعا رد فعل داخل الكونغو وخارجه وطلب لومومبا من الولايات المتحدة الأمريكية مساعدته ضد الغزو البلجيكى ولكن الرئيس الأمريكى وقتئذ نصحه بطلب المساعدة من الأمم المتحدة واجتمع

مجلس الأمن فى ١٤ يوليو سنة ١٩٦٠ وقرر ارسال قوات دولية للكونغو ودعا بلجيكا الى سحب قواتها المسلحة منه ولكن بلجيكا لم تستجب للقرار

د ـ فى ١٤ سبتمبر سنة ١٩٦٠ استولى الجيش على السلطة فى البلاد وكان رئيس الانقلاب جوزيف موبوتو وصار فى الكونغو ثلاث حكومات هى حكومة لومومبا وهو الرئيس الشرعى للبلاد وكانت حكومته فى المنفى ثم حكومة موبوتو رئيس انقلاب الجيش وأخيرا حكومة كازافوبو وكانت فى الواقع لاتمارس أى سلطات فعلية واستمر الاضطراب يسود الموقف فى الكونغو وانتهى الأمر بقتل لومومبا فى فبراير سنة ١٩٦١ وحل محله جيزنجا الذى أقام حكومته فى ستانلى فيل

٩ ـ امريكا ودورها فى احداث الكونغو بعد الاستقلال

لقد كانت أمريكا وراء كل الأحداث التى تلت الاستقلال سنة ١٩٦٠ وكانت وراء تشومبى الذى أصبح فجأة رئيسا للوزراء فى يونيو سنة ١٩٦٤ . ولكن كانت هناك منافسة حامية بين تشومبى وكازافوبو ووصل الخلاف بينهما حدا اقلق الولايات المتحدة الأمريكية وهنا جمع جوزيف موبوتو فى ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٦٥ كبار الضباط وقام بانقلابه الثانى فى ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٦٥ الذى اعلن فيه نبأ استيلائه على السلطة وعين نفسه رئيسا جديدا للكونغو واشترك ضباط الجيش اشتراكا فعليا فى الحكم .

١٠ ـ عهد موبوتو أو الكونغو حاليا

اتخذ موبوتو منذ توليه السلطة قرارات تتسم بالوطنية فقد غير اسماء المدن وجعلها اسماء وطنية مثل كينشاسا بدلا من ليوبولدفيل وكيسانجانى بدلا من ستانلى فيل وهكذا

كما عمل على تحويل شركة المناجم المتحدة الى شركة وطنية تخدم الاقتصاد الكونغولى كما طالب بان تمتلك الحكومة ٦٠٪ من أسهم الشركة بدلا من ١٧٪ وفى ٣٠ ابريل سنة ١٩٦٧ احتفل فى كينشاسا بتنصيب جوزيف موبوتو رئيس الجمهورية زعيما لحزب جديد سمى (حزب الحركة الشعبية للثورة)

١١ ـ أما بالنسبة للتاريخ السياسى للكونغو برازافيل

فقد كان ضمن اربع مجموعات تكون مايسمى (بافريقيا الاستوائية الفرنسية) وكان يسمى الكونغو الاوسط ووضع تحت الحماية الفرنسية من سنة ١٨٧٩ الى سنة ١٨٨٢، بمجهودات الكونت براز الذى انشأ برازافيل

وفى اثناء الحرب العالمية الثانية كان مركز القوات الفرنسية الحرة بقيادة ديجول ضد حكومة فيشى ودخل ضمن الجماعة الفرنسية

وفى سنة ١٩٥٩ كون اتحادا جمركيا واقتصاديا مع بقية وحدات أفريقية الاستوائية الفرنسية

وفى ١٥ اغسطس سنة ١٩٦٠ استقل الكونغو برازافيل ودخل الامم المتحدة فى سبتمبر سنة ١٩٦٠.

سابعا : الاسلام فى الكونغو

دخل الاسلام الكونغو عن طريقين . الطريق الأول هو الساحل الشرقى لأفريقيا بصحبة التجار العرب وقد أتى هؤلاء من زنجبار ومنها الى طابورا واوجيجى

والطريق الثانى هو الطريق الشمالى بواسطة الحملات المصرية فى بحر الغزال

كما جاء أيضا الكثير من المسلمين وعاشوا فى كينشاسا من الطريق الغربى حيث كان السودان الفرنسى وحيث تبلغ نسبة الاسلام فيه حوالى ٥٠٪ من عدد السكان .

وقد شاهد القرن التاسع عشر نضالا عنيفا بين القبائل الاسلامية والاستعمار وكان فى طليعة المجاهدين حميد بن محمد بن جمعة المعروف بتيبوثب والذى تولى امارة منطقة كبيرة فى الكونغو فيما بين سنتى سنة ١٨٨٦ ، سنة ١٨٨٩ واصبحت له كلمة مسموعة بين اهالى البلاد .

ويبلغ عدد المسلمين اليوم فى الكونغو حوالى ٢٥٪ من عدد السكان يعيش معظمهم فى منطقة الاقليم الشرقى ـ منطقة استانلى فيل وكذلك فى منطقة رواندا أورندى وايضا مديرية بودوان فيل

كما يوجد أيضا مركزان للطوائف الاسلامية بالقرب من شلالات باسكو وفى لوالابة ـ هذا بالنسبة للكونغو كينشاسا

أما الكونغو برازافيل فان نسبة الاسلام فيه تصل الى ٥٠٪ من عدد السكان

وفيما عدا الدين الاسلامى يبلغ عدد المسيحيين قرابة اربعة ملايين ونصف نسمة أما الغالبية الساحقة من أهالى الكونغو مازالوا على عقائدهم الوثنية القديمة ولكن بعد تحرير الكونغو (كينشاسا وبرازافيل) ستزداد نسبة الاسلام ويقبل عليه الأهالى بمحض ارادتهم واختيارهم المطلق وترتفع راية الاسلام وتسود غالبية اهل الكونغو باذن الله .

وثيقة تأمين : "لأن تدع ورثتك أغنيا وخير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس"
حديث شريف

معاشات إضافية

للعاملين فى القطاع العام
وأصحاب المهن الحرة
والراغبين فى زيادة معاشاتهم
والتأمين على حياتهم

- يصرف المعاش ابتداء من سن التقاعد.
- تمتد مزاياه إلى أسرة المتعاقد.
- يجوز استبدال المعاش بمبلغ نقدى
- يصرف مبلغ تأمين إذا حدثت الوفاة قبل الانتفاع بالمعاش.

شركة الشرق للتأمين

احدى شركات المؤسسة المصرية العامة للتأمين

المركز الرئيسى ١٥ شارع قصر النيل القاهرة

أضواء على التاريخ الإسلامي

مكانة فلسطين في العالم الإسلامي

الأستاذ محيي الدين الألواني

القدس مصرع اليهود

تعانى مدينة القدس الان ازمة حادة فى تاريخها المديد ، اذ يحاول اليهود الصهاينة اغتصابها من العرب ظلما وغدرا لتكون عاصمة لدولتهم العنصرية الباطلة ، وليست هذه هى المرة الاولى فى التاريخ تقاسى فيها هذه المدينة المتاعب من نار تعصب اليهود وعدوانهم، فانها كانت فى كل الفترات الزمنية التى حاول فيها اليهود المتعصبون الاستيلاء على هذه المدينة واللعب بها والتصرف فيها حسب هواهم ، مصرعا عاما لهم منذ أن نزلت فيهم لعنة الله وانبيائه ، وكان تنبؤ عيسى ابن مريم يتحقق فيهم فى كل مرة ، اذ قال فى شان اورشليم « القدس » وأهلها اليهود المتعنتين « ستلقى هذه الأرض بؤسا وعنتا وسيحل الغضب على أهلها وسيسقطون صرعى على حد السيف ويسيرون عبيدا الى كل مصر وستطأ اورشليم الاقدام) وهذه هى الارض الدامية التى شهدت لاجل اليهود أروع الحوادث وأكثرها قسوة ودما ، وفى كل مرة اثبتت انها هى مصرعهم ولاقوا فيها نتائج تعصبهم وقسوة قلوبهم . وفيما يلى صورة مدهشة لما حدث لليهود فى مدينة القدس مرة ولابد ان يعيد التاريخ نفسه

ففى النصف الاخير للقرن الاول الميلادى كان الرومان يحكمون بلاد الشام وكانت منها فلسطين فثار اذ ذاك اليهود المتعصبون من سكان فلسطين ضد الرومان وأخرجوا من أورشليم الحامية الرومانية المكونة من الفيلق العاشر للرومان غدرا ومكرا فرأى الامبراطور الرومانى ان يلقن هؤلاء المتعصبين الذين لايقبلون نظاما ولاعدلا ، درسا يرد اليهم صوابهم ويكون عبرة للاخرين فجهز جيشا تحت امرة القائد (فسباشيان) ومعه ابنه « طيطس » فانحدر على فلسطين كالسيل العرم يقود جيشا من أقوى الجيوش التى اعدها الرومان . وجدير بالذكر

ان اول معركة خاضها مع اليهود كانت عند « الجليل » التى تطل على بحيرة ساحرة المنظر ، فاحال الجيش الرومانى مياهها الصافية حمراء من كثرة ما سكب فيها من ماء اليهود الذين سقطوا صرعى وقتلى السيوف ، واسر الرومان الالاف من شباب اليهود وارسلوهم عبيدا الى قصر قيصر

وبعد سنين من هذا المصرع الاليم عاد اليهود المتعصبون الى فيهم مرة أخرى، اذ نشبت حرب اهلية فى المدينة فاحتل المتطرفون ورجال العصابات منهم بعض احياء مدينة القدس واخذوا يشنون هجمات وحشية على احيائها الاخرى حتى جرت الدماء فى الطرقات ، وكان « طيطس » يرابط حينذاك أمام أسوار اورشليم على رأس جيش ضخم وانتشرت المجاعة فيهم وأخذوا يقذفون بالمئات ممن ماتوا جوعا من فوق أسوار المدينة ، فكدسوا الجثث فى داخل المنازل وتسلل كثيرون منهم خلال الاسوار فى ظلام الليل ، فكان الرومان يصلبونهم حتى وصل معدل اليهود الذين صلبوا يوميا خمسمائة شخص ، فبدت الاخشاب والتلال موحشة من منظر جثث اليهود المصلوبة

وقد بلغ عناد اليهود الى حد انهم كانوا يخرجون متسللين على أيديهم وارجلهم كالاشباح الذابلة وانهم ابتلعوا ذهبهم فى بطونهم لئلا ينتفع بها الاخرون فى حالة فشلهم فى الحصار ، فكان المشهد مروعا اذ بدأ الجنود الرومان يتصيدون اليهود فى الظلام ويشقون بطونهم ابتغاء الذهب الذى ابتلعوه وهكذا بلغت اللعنة ذروتها حيث لم تسلم احشاؤهم ايضا من ايدى الجنود الرومان . وجاء فى كتاب للمؤرخ اليهودى « جوزيفوس » ان الجوع بلغ بالسكان ذروته فصار الاب يختطف طعام اطفاله وسارت امرأة تملك مليونا من الدينارات تلتقط حبات القمح المتناثرة فى الطرق وتخاصم الاصدقاء متقاتلين على فتات العيش ، وأخذ الناس يجمعون أى شىء يجدونه فيمضغونه اسكاتا لصراخ أمعائهم وأضاف المؤرخ اليهودى جوزيفوس قائلا : ان الحرب قد أزالت كل معالم الجمال فى المدينة وأحالتها صعيدا مشوها

ولما استفحل الامر ونفدت جميع الحيل لم ير الرومان بدا من ان يستأنف الهجوم العنيف المركز على اليهود المتمردين فشق الجيش بخيلهم ومشاتهم الطرق فاحتلوا الاماكن التى كان اليهود يتحصنون فيها . واتخذ اليهود قلعة (انطونيا) الواقعة بجانب القاعة التى سلم فيها « بيلاطس » المسيح الى قضاته ليحاكم .ودار القتال حولها وتساقط اليهود قتلى ، ولكنهم لم يتعظوا ايمانا منهم بان « يهوا » أى الههم سيأتى لنجدتهم زعما بانهم « شعب الله المختار » وانقاذا لمعبده من الدمار ، ولكن تقدم الرومان فى أرجاء المدينة المقدسة فوق جثث اليهود حتى دخلوا قدس الأقداس فى المعبد اليهودى الرئيسى وقذف احد جنود الرومان غضبا وسخطا ، مشعلا من مشاعل المعبد وقذف به احدى النوافذ المذهبة فى ذلك المعبد فسرت النيران تندلع بقوة . وهكذا دفعت كراهيتهم لليهود الى نهب وسلب الاموال والكنوز التى خبأها اليهود فى بيوتهم ومعابدهم

وبعد الواقعة المفجعة فى المدينة المقدسة وانتشار الدمار والنار فى الاحياء اليهودية كلها حاول القائد الرومانى لارجاع المتعصبين من اليهود واعدا بمنحهم الحياة ولكن اليهود هم اليهود وراوا هذه المحاولة فرصة سانحة للمساومة فساوموا حتى ضاق الصدر ونفد الصبر فاصدر القائد الرومانى امره للجنود بالقتل الجماعى لليهود وحرق بيوتهم ونهب اموالهم واحلال دمائهم وأعراضهم ، فقذفوا المنجنيق باحجاره ولهبه وتطايرت السهام تصيب الصدور وسددت الرماح الى النحور وامعن الجنود فى القتل حتى ضاقت به نفوسهم ، وجمعوا من الغنائم حتى شبعت بها اطماعهم وامتلات ارض القدس بجثث القتل من اليهود المتعصبين ، وهذا نتيجة ما ركب فى رؤوسهم من عناد وكبر وظلم وعدوان . وان فى التاريخ لعظات وعبرا !!

« يتبع »

أو ليس ما قد جعل لكم ما تصدقون به ؟

(ذهب ناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يارسول الله .. ذهب أهل الدثور بالاجور، يصلون كما نصلى يصومون كما نصوم ، ويتصدقون بفضل أموالهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ليس ما قد جعل لكم ما تصدقون به ؟ ان لكم بكل تسبيحة صدقة ، وبكل تحميدة صدقة ، وبكل تهليلة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهى عن منكر صدقة ، وفى بضع أحدكم صدقة ، قالوا يا رسول الله : أو يأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال : أرأيتم لو وضعها فى حرام اكان عليه وزر فكذلك اذا وضعها فى حلال كان له فيها أجر .)

من كتاب البخارى

- ١٧ -

* ومضة ضوء على لقاء « أصدقاء الحقيقة » ..

* المجتمع الدولى يعترف بشرعية المقاومة الفلسطينية

* جذور « المأساة الكبرى » كما وصفها جون ديفيز

* التاريخ الحزين للصراع العربي ـ الصهيوني ، فى كتاب « السلام المراوغ »

* أرقام دقيقة من واقع الوثائق والتقارير التى نشرها « ديفيز »

* فلسطين عام ١٩٤٨ كانت احدى البقاع المتقدمة اقتصاديا فى العالم العربى .

الانسان الفلسطينى هو صاحب القضية : فهو صاحب الارض التي عاش عليها وزرعها وحصد ثمارها .. وبني عليها بيته وأنجب عليها ذريته ، وتوارثها ابنا وحفيدا ، جيلا بعد جيل منذ فجر التاريخ حتى عام ١٩٤٨

ولقد أشرنا فى لقائنا السابق الى أن « جون ديفيز » الكاتب والمفكر الامريكى المنصف ـ والذى كان مفوضا عاما لوكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين لمدة خمس سنوات ـ قد أشار الى أن ثمة عوامل غاية فى الاهمية قد ظهرت علي مسرح الاحداث فى الشرق الاوسط بعد العدوان الاسرائيلي فى الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ .. وقد احدثت هذه العوامل اثارا هائلة سيكون من شانها تغيير اتجاه الاحداث ، وانتصار الحق ..

قال « جون ديفيز » ان فى مقدمة هذه العوامل (قيام حركة المقاومة الفلسطينية كعامل سياسى جدى وتجاوب الشعوب العربية الاصيلة مع تطلعات ونضال هذه المقاومة »

قال ديفيز هذا الكلام حينما جاء الى القاهرة ليحضر المؤتمر الثانى الدولى لنصرة الشعوب العربية والذى عقد فى الفترة من ٢٥ الي ٢٨ من شهر يناير الماضى

ومع « السيد ديفيز » جاء الي المؤتمر قادة الفكر والسياسة والمؤرخون وزعماء المنظمات السياسية من خمس وسبعين دولة و ١٥ منظمة تحرير .. كانوا بمثابة حشد جليل من «أصدقاء الحقيقة » ، كما وصفهم السيد الرئيس جمال عبد الناصر ، جاءوا ليناصروا قضية الحق ضد عدوان غادر تعرضت له الامة العربية ، وهو العدوان الاسرائيلى .

والواقع ان المناسبة نفسها ، مناسبة المؤتمر اظهرت تحولا هاما وخطيرا فى الموقف العالمى ازاء قضية فلسطين ، وهذا يتضح بصفة خاصة فى النقاط التالية :

اولا : كان تنوع القيادات الفكرية وتباين اتجاهاتها من الشخصيات التى حضرت المؤتمر من امثال جون ديفيز والسيدة بندرانيكه وجاك بيرك ومايكل ادمز وغيرهم ، دليلا أكيدا على تحول فى الرأى العام العالمي لصالح العرب .. بعد عدوان الخامس من يونيو ١٩٦٧ ، وانهيار الدعاية الاسرائيلية ، ودعاوى أبواقها التي حاولت أن تطمس القضية الفلسطينية .. وتطمس معها معالم شعب شتتته القوة الغاشمة فى سلسلة من المذابح على أيدى العصابات الصهيونية

ثانيا : اشتركت شخصيات يهودية معروفة ــ مثل جاك بيرك الصحفى الفرنسى فى مؤتمر مناصرة الشعوب العربية مما اكد من جديد ان الحركة الصهيونية العنصرية لم تستطع ان تجند يهود العالم باسرهم ، وان أمرها قد انكشف ، بعد أن استخدمت أبشع أساليب النازى فى المناطق التى تحتلها قبل عدوان الخامس من يونيو وبعده

ثالثا : كان أهم نتائج المؤتمر على الاطلاق هو ذلك الاعتراف العالمي الهائل بحركة المقاومة الفلسطينية وحق فلسطين وشعبها فى تقرير المصير .. وبالكيان الفلسطيني الممثل فى جبهة التحرير والمجلس الوطنى وقيادات العمل الفدائى ..

وهكذا ، ولاول مرة منذ عام ١٩٤٨ ، ظهر شعب فلسطين مرة أخرى على الصعيد العالمى ، بعد أن ظل فى متاهة الضياع والتمزق ، متناثرة أشلاؤه فى قفار الاردن والبحر الميت وقطاع غزة أو فى الدول العربية : العراق ومصر وسورية والكويت ولبنان

ومن خلال « رحلة العذاب » لشعب فلسطين تبدو معالم القصة المؤلمة ، قصة الانسان الذى هو صاحب الحق ، صاحب الارض ، من خلف الاسوار ، ومن وراء الاسلاك الشائكة كان يتطلع بالحسرة وبالذهول الي أرضه المسلوبة تقوم عليها دولة من الغرباء القادمين من بعيد ، من وراء البحار ، والذين لم تكن تربطهم بالارض صلة ، وان كانوا يدعون حقا تاريخيا موهوما !؟

ولقد مر شعب فلسطين بعد عام ١٩٤٨ بعدة مراحل :

ا ــ مرحلة الذهول من أثر الصدمة بعد أن سلبت الارض وهام مئات الوفه علي وجوههم أمام الارهاب الدامى

ب ــ مرحلة البحث عن لقمة العيش حيث ظهرت عناصر قيادية من خلال العمل فى مواقعه المختلفة ، عملت على حشد طاقة الشعب الفلسطينى اقتصاديا وسياسيا

جـ ــ ظهور الكيان الفلسطينى فى منظمة التحرير الفلسطينية وبالتالي ارساء الامكانيات الذاتية لشعب فلسطين وتدعيمها .

د ــ بدأ العمل الفدائى الفلسطيني المسلح ، ساعدت عليه حماقة القوة الاسرائيلية نفسها والتى احتلت أراضى عربية يسكنها أكثر من مليون من الفلسطينيين ، مما خلق مناخا صالحا لنشاط الفدائيين وازدياد ضرباتهم انتشارا وعنفا .

كذلك فان مخيمات اللاجئين الفلسطينيين تحولت الى معسكرات للتدريب والاستعداد للقتال بهدف محدد واضح ، هو التحرير ، تحرير الوطن والارض .. فكيف استطاع هذا الشعب أن يتخطى الامه الهائلة ، بل تحمل جروحه الدامية ؟

لقد عاش شعب فلسطين « مأساة كبرى » وهذا هو بالضبط الوصف الذى وضعه « جون ديفيز » الذى أشرنا اليه أكثر من مرة فى هذا المقال ، وهو يتحدث عن مشكلة اللاجئين الفلسطينيين فى كتاب بعنوان « السلام المراوغ » نشرته فى انجلترا دار « فوكس اند وايمان » ــ لندن ــ ١٩٦٨

يتتبع المؤلف فى كتابه التاريخ الحزين والدامي للصراع العربي الاسرائيلى فى فلسطين ونتائجه التي ادت ضمن ما أدت الى تشريد مايقرب من مليون فلسطينى أصبحوا «لاجئين»

ولقد عاصر المؤلف المشكلة عن قرب حينما كان مفوضا عاما لوكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين لمدة خمس

سنوات .. ويضمن كتابه معلومات دقيقة وتقارير خبراء الامم المتحدة والمراقبين الدوليين

ويقول ان ظهور مشكلة اللاجئين الفلسطينيين بشكل ملح كان من المآسى الفرعية التي نجمت عن خلق دولة اسرائيل ، فقد جاء فى تقرير الامم المتحدة « ديسمبر ١٩٤٩ » عن المسح الاقتصادى ان ٧٢٦ ألف فلسطيني طردوا من وطنهم خلال حرب عام ١٩٤٨ واصبحوا لاجئين لان طريق العودة الى وطنهم قد اغلقته اسرائيل ويوجد من بينهم ٦٥٢ الف يعيشون فى حالة من العوز .

وفى ٣١ مايو ١٩٦٧ ، بلغ عدد اللاجئين المسجلين بواسطة الوكالة مليون و ٣٤٥ الف ، من بينهم ٨٤٦ ألف لهم بطاقات اعاشة كاملة ، من بينهم ٧٢٣ الف يعيشون فى الاردن ، ٣١٦ ألف يعيشون فى قطاع غزة و ١٦١ ألف فى لبنان و ١٤٤ الف فى سورية

ولقد كانت فلسطين عام ١٩٤٨ واحدة من أكثر المناطق تقدما فى العالم العربى من ناحية النمو الاقتصادى العام ، وظهور طبقة وسطى . وفى عام ١٩٥٤ اعلن (دون بيرنيز) انه انشئت ٣٥٠ مستعمرة يهودية من بين ٤٠٠ مستعمرة يهودية بعد عام ١٩٤٨ فى أملاك اللاجئين ، وان ثلثى الارض الزراعية المستغلة بواسطة اسرائيل كانت من أملاك اللاجئين ، ومع أن الامم المتحدة كانت كل عام تؤكد قرارها الاجماعي بالاجماع تقريبا بتعويض اللاجئين العرب عن خسائرهم او ارجاعهم الي أوطانهم فان اجراءا عمليا لم يتخذ فى هذا الشان ، وكان من نتيجة ذلك أن تزايد عدد اللاجئين تزايدا طبيعيا عاما بعد عام .

ويقول ديفيز ان موضوع هروب العرب من فلسطين منذ انشاء اسرائيل قد نوقش كثيرا ، ولكن معظم هذه المناقشات كانت تتسم بالانفعال دون الموضوعية

فى الكتاب الذى نشره «جون ديفيز» «السلام المراوغ» تفاصيل حية ودقيقة لهذه الاحداث .. نتناولها فى لقائنا المقبل ان شاء الله .

للبحث بقية ..

التقوى فى بيان الامام على كرم الله وجهه

ان الجهاد باب من أبواب الجنة .. فتحه الله لخاصة أوليائه وهو لباس التقوى ، ودرع الله الحصينة .

يا بنى : أوصيك بتقوى الله عز وجل فى الغيب والشهادة وكلمة الحق فى الرضا والغضب والقصد فى الغنى والفقر ، والعدل فى الصديق والعدو ، والعمل فى النشاط والكسل ، والرضا عن الله فى الشدة والرخاء .

التقوى هى : الخوف من الجليل ، والرضا بالقليل ، والعمل بما فى التنزيل ، والاستعداد ليوم الرحيل .

مواقيت الصلاة

الأيام	ربيع أول ١٣٨٩	مايو ١٩٦٩	مغرب ق	مغرب ت	عشاء ق	عشاء ت	فجر ق	فجر ت	شروق ق	شروق ت	ظهر ق	ظهر ت	عصر ق	عصر ت
السبت	١	١٧	٤١	٧	١٠	٩	٢١	٤	٠٠	٦	٥١	١٢	٢٨	٤
الأحد	٢	١٨	٤٢		١١		٢٠		٠٠		٥١		٢٨	
الاثنين	٣	١٩	٤٣		١٢		١٩		٥٩	٥	٥١		٢٨	
الثلاثاء	٤	٢٠	٤٣		١٢		١٨		٥٨		٥١		٢٨	
الأربعاء	٥	٢١	٤٤		١٣		١٧		٥٨		٥١		٢٨	
الخميس	٦	٢٢	٤٥		١٤		١٧		٥٨		٥١		٢٨	
الجمعة	٧	٢٣	٤٥		١٥		١٦		٥٧		٥١		٢٨	
السبت	٨	٢٤	٤٦		١٦		١٥		٥٧		٥٢		٢٨	
الأحد	٩	٢٥	٤٧		١٧		١٥		٥٧		٥٢		٢٩	
الاثنين	١٠	٢٦	٤٧		١٧		١٤		٥٦		٥٢		٢٩	
الثلاثاء	١١	٢٧	٤٨		١٨		١٣		٥٦		٥٢		٢٩	
الأربعاء	١٢	٢٨	٤٨		١٩		١٢		٥٥		٥٢		٢٩	
الخميس	١٣	٢٩	٤٩		٢٠		١٢		٥٥		٥٢		٢٩	
الجمعة	١٤	٣٠	٥٠		٢١		١٢		٥٥		٥٢		٢٩	
السبت	١٥	٣١	٥٠		٢١		١١		٥٤		٥٢		٢٩	
الأحد	١٦	١ يونية	٥١		٢٢		١١		٥٤		٥٣		٢٩	
الاثنين	١٧	٢	٥١		٢٢		١٠		٥٤		٥٣		٢٩	
الثلاثاء	١٨	٣	٥٢		٢٣		١٠		٥٤		٥٣		٢٩	
الأربعاء	١٩	٤	٥٢		٢٤		٩		٥٣		٥٣		٢٩	
الخميس	٢٠	٥	٥٣		٢٥		٩		٥٣		٥٣		٣٠	
الجمعة	٢١	٦	٥٣		٢٥		٨		٥٣		٥٣		٣٠	
السبت	٢٢	٧	٥٤		٢٦		٨		٥٣		٥٤		٣٠	
الأحد	٢٣	٨	٥٤		٢٧		٧		٥٣		٥٤		٣٠	
الاثنين	٢٤	٩	٥٥		٢٨		٧		٥٣		٥٤		٣٠	
الثلاثاء	٢٥	١٠	٥٥		٢٨		٧		٥٣		٥٤		٣٠	
الأربعاء	٢٦	١١	٥٦		٢٩		٧		٥٣		٥٥		٣١	
الخميس	٢٧	١٢	٥٦		٢٩		٧		٥٣		٥٥		٣١	
الجمعة	٢٨	١٣	٥٦		٢٩		٧		٥٣		٥٥		٣١	
السبت	٢٩	١٤	٥٧		٣٠		٧		٥٣		٥٥		٣١	
الأحد	٣٠	١٥	٥٧		٣٠		٧		٥٣		٥٥		٣١	

فكر وفن..

أدب • شعر • قصة
مسرحية • فن إسلامي

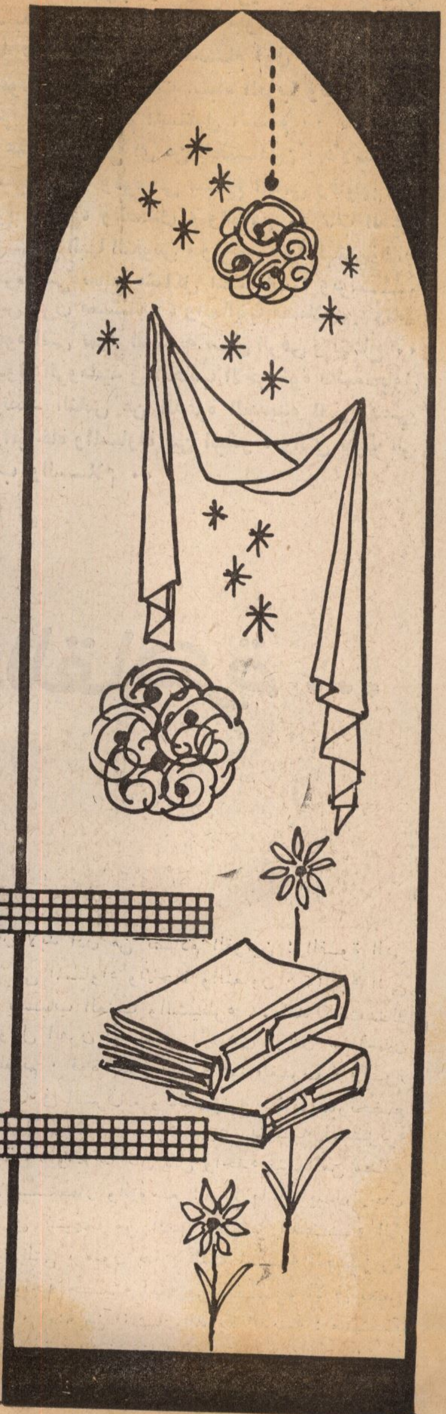

كان لقاء العرب والدولة الرومانية قضاء مقدرا منذ بدأت الدعوة الاسلامية ، وكان لابد من هذا اللقاء على سلام أو على خصام فوق الارض المصرية الموعودة ، والتى شدت انتباه العرب وتفكيرهم ، والتى أصبحت حلم المستقبل البسام .. كان لابد من هذا اللقاء على أى من الحالتين ، فالاسلام يزحف بسرعة وقوة الى أسماع الناس وقلوبهم لانه دعوة الحق ، والصدق ، والواقع .. تلك الدعوة التى ترتاح اليها النفوس ، وترضى عنها البشرية لانها الدعوة التي تعالج مشاكل المجتمعات ؛ وترسم للناس طرق معيشتهم ، وأساليب معاملاتهم ، ولانها الدعوة التى تمهد للبشرية سبل الرقي والنجاح .. والدولة الرومانية فى الجانب الاخر قوة قائمة تحاول ان تصد الناس عن الدعوة الجديدة التى تدعو الى المؤاخاة والمساواة بين البشر ، والتى تدعو الى الحب والسلام ..

فى العيد الألفى للقاهرة ...

الاستاذ عبد المنعم حمادة

كان لابد اذن من تصادم القوتين ؛ القوة التى تدعو الى المساواة والاخاء والتعاون ، والقوة التى تأخذ بأسباب العنف والسيطرة .. لقد كانت هناك فى أوائل القرن السادس الميلادى قوتان تتنافسان على المغانم ، قوة المسيحية فى الغرب ، وقوة المجوسية فى الشرق ، وكانت تتبع كلا منهما وتخضع لنفوذهما دويلات صغيرة تحيط بشبه الجزيرة العربية ، « ومع ما كان لكل واحدة منهما من مطامع فى الاستعمار والتوسع ؛ ومع ماكان يبذل رجال الدين فى كلتيهما من الجهود لنشر الدعوة الى العقيدة التى يؤمنون بها ، ظلت شبه الجزيرة وكأنها واحة حصينة آمنة من الغزو الا فى بعض أطرافها ، آمنة من انتشار الدعوة الدينية ؛ مسيحية أو مجوسية ، الا فى قليل من قبائلها ، وهذه ظاهرة

قد تبدو فى التاريخ عجيبة ، لولا ما يفسرها من موقع بلاد العـرب ومن طبيعتهـا ، وما للموقـع والطبيعة من أثر فى حياة أهلها ، وفى أخـلاقهم وميولهم ونزعاتهم . » (١)

وعلى الرغم مما اعطاه الموقع لشبه الجـزيرة العربية من حصانة ضد الغزو الخارجى ، وما أعطته الطبيعية للعرب من شجاعة وقوة ؛ فان العرب بعد الاسلام ، او الدولة الاسـلامية الجـديدة كانت تفكر فى أمور كثيرة لابد ان نشير الى امرين هامين من هذه الأمور : ـ

الأول : اهتمام الدولة الاسلامية الجـديدة التى أخذ الرسول الكريم ـ صلوات لله وسلامه عليه ـ يقيم دعائمهـا على أسس قوية ثابتة بالعمل على نشر الدعوة الاسلامية فى جميع الارجاء ، لانها لم تـكن دعوة محليـة بل دعوة عالمية لجميع الناس ، واذن لابد من الاتصال بالغـرب والشرق لشرح هـذه الرسالة السماوية الجديدة ، ودعوة الناس اليها ؛ وهو الأمر الذى لا تخلو عواقبه من تصادم يجب أن يحسب حسابه .

والثانى : عدم اطمئنان العـرب الى القـوتين الكبيرتين ، قوة الروم وقوة الفـرس ، وضرورة الحذر والحيطة من تفكير احداهما فى ركوب الصعاب والمخاطرة بالهجوم على شبه الجزيرة العربية أمـلا فى الحصول على مكاسب الحرب والاسـتعمار من ناحية ، والقضاء على الدعوة الاسلامية التى تهدد معتقداتهم أو الحد ـ على الاقل ـ من انتشـارها خارج شبه الجزيرة العربية من ناحية ثانية .

***

كان لابد اذن من لقاء العرب والدولة الرومانية لقاء سلام أو لقـاء خصام فوق الأرض المصرية التى كانت تداعب احلام العـرب ، وفى ذلك يقـول الاسـتاذ العقـاد :

« كان الصدام بين العـرب والدولة الرومانية قضـاء موعودا منذ اللحظة التى نشأت فيها الدعوة الاسلامية وكتب لها البقـاء : لان الاسلام رسالة تتجه الى أسماع الناس وقلـوبهم ، ولان الدولة الرومانية سلطان قائم يحول بين رسـالته وبين الاسـماع والقلوب ..

« فلا مناص من لقائهما فى يوم من الايام عـلى سلام أو على خصام ..

« وهما اذا التقيا على خصام أو على سلام دخل الاسلام مصر مدافعا أو غير مدافع ..

« وبفتح الاسلام مصر على كلتا الحالتين ، فتح رضوان أو فتح تسليم .. « وانما هو كتاب مؤجل أو أنه المقدور » . (٢)

وقد اشار النبى المصطفى الى هذا اللقاء ، أو هذا الصدام قبل سنوات من انتقاله الى الرفيق الأعلى ، فقد كتب محمد ـ صلوات الله وسـلامه

مقدمات الفتح الإسلامى

عليه ـ الى المقوقس عظيم القبط فى مصر يدعـوه الى قبول رسالة السماء التى بعث بها وأراد الله لها ان تكون خاتمـة الرسالات .. كتب يقول له : **« بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله الى المقوقس عظيم القبط ، سلام عـلى من اتبـع الهدى ، اما بعد .. فانى أدعوك بدعاية الاسـلام فاسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فان تـوليت فعليك اثم القبـط (٣) « يا أهل الكتاب تعالوا الى**

(١) حياة محمد : للدكتور محمد حسين هيكل ص ٧٠ .

(٢) عمرو بن العاص : للاستاذ عباس محمود العقاد ص ٩١

(٣) هم أولاد مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام .

كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون . »

واجاب المقوقس على رسالة النبى المصطفى برسالة يستشف منها عدم الضيق بما يدعى اليه ، او السخط على ما يقرأه ، ان لم يكن فيها مايبعث على الامل ، وربما قرب الاستجابة ، فقد جاء فيها كما تقص كتب التاريخ :

« لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام ، اما بعد ، فقد قرات كتابك ، وفهمت ماذكرت وما تدعو اليه ، وقد علمت أن نبيا بقى ، وقد كنت اظن انه يخرج بالشام .. وقد أكرمت رسولك ، وبعثت اليك بجاريتين لهما مقام فى القبط عظيم ، وبكسوة ؛ وأهديت اليك بغلة لتركبها والسلام » .

وتقص كتب التاريخ أن النبى عليه الصلاة والسلام - قال لصحابته قولة فيها الايمان، والامل، والحزم ، لانها هى الوحى .. فانه لاينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى : **(ستفتحون مصر وهى أرض يسمى فيها القيراط ، فاستوصوا بأهلها خيرا ، فان لهم ذمة ورحما .))** ، ثم قال : **((فاذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا بها جندا كثيفا ، فذلك الجند خير أجناد الارض .))**

والواقع ان رسالة النبى - عليه الصلاة والسلام - الى المقوقس عظيم القبط فى مصر ، لم تكن هى الوحيدة التى بعث بها الى الملوك والامراء ، فقد بعث بمثلها الى هرقل ، والى كسرى ، والى النجاشى وغيرهم من الذين تحيط بلادهم ببلاد العرب كاليمن ، وعمان ، والبحرين ، واليمامة وغيرها ، وكانت فى اكثر الردود رقة وملاينة ، وفى بعضها غلظة وشدة ، وهنا يرى الكاتب نفسه مضطرا الى أن يتأمل هذا الموقف من الملوك والامراء .. سواء الذين اجابوا اجابات حسنة رقيقة ، والذين ردوا ردودا فيها شىء من العنف والغلظة .. يرى الكاتب - أى كاتب - أن هؤلاء الملوك والامراء لم يثوروا ثورات عارمة تذهب بالأخضر واليابس ، ثورات ترفع فيها السيوف ، وتشعل النيران ، وانما هى ثورات نفسية لم تعد تمزيق الكتب المرسلة ، أو حجز الرسل بعض الايام ، او خطابات عنيفة اللهجة .. ويعقب الدكتور محمد حسين هيكل على هذا الموقف ويحلله فيقول :

« يستوقف القارىء ما فى اجابات اكثر هؤلاء الملوك والامراء من رفق ومن حسن رأى ، وانه لم يقتل أحد من رسل محمد ولم يسجن ، بل عادوا اليه كلهم بما حملوا من رسالات فى أكثرها رقة وعطف ، وفى بعضها غلظة وشدة ، فكيف تلقى أولئك الملوك رسالة الدين الجديد من غير أن يتألبوا على صاحب الدعوة له من غير أن يتضافروا على سحقه ؟ ذلك ان عالم يومئذ كان كعالمنا الحاضر ، قد طغت فيه المادة على الروح ، واصبح فيه الترف غاية الحياة ، واصبحت الأمم تقتل حبا فى الظفر وارضاء لمطامع ملوكها وسادتها وشفاء لغرور أنفسهم ، أو طمعا فى مزيد من الترف تبلغه وتستمتع به ، ومثل هذا العالم تهوى فيه العقيدة الى شعائر تقدم فى العلن لا تؤمن النفوس التى تؤديها بشىء مما وراءها ، ولا تعنى الا بأن تكون فى حكم صاحب السلطان الذى يطعمها ، ويكسوها ، ويكفل لها رخاء العيش ؛ وعرض الجاه ، وكثرة المال ، ولا تستمسك بهذه الشعائر الا بمقدار ما تدر عليها من خير مادى ، فاذا فاتها هذا الخير ، خارت عزيمتها وتضعضعت همتها ، ووهنت فيها قوة المقاومة .. لذلك لم يلبث الناس حين سمعوا دعوة جديدة للايمان فيها بساطة ، وفيها قوة ، وفيها مساواة أمام رب واحد اياه نعبد واياه نستعين ، هو وحده الذى يملك خير النفوس ونفعها ، شعاع من رضاه يبدد غضب ملوك الأرض جميعا ، ومخافة غضبه تزعزع النفس وان أغرقها الملوك كلهم فى النعمة والرضا ، والرجاء فى مغفرته متصل لمن تاب وآمن وعمل صالحا - لم يلبث الناس حين سمعوا هذه الدعوة ، ورأوا صاحبها يقوى بها على الاضطهاد ، وعلى الظلم ، وعلى التعذيب ، وعلى كل مافى الحياة المادية من قوى ، ويمتد بها سلطانه ، وهو اليتيم الفقير المحروم ؛ الى مالم يحلم به أحد من قبله فى بلده ولا فى بلاد العرب كلها ، أن اشرأبت الاعناق وأرهفت الاذان ، وشعرت النفوس بظمئها ، وتطلعت الارواح لمورد ربها ، لولا بقية من الخوف والشك تقوم بينها وبين الحقيقة حجابا .. لذلك رد من رد

من الملوك فى رفق ورقة وبذلك ازداد المسلمون ايمانا على ايمانهم وقوة فى يقينهم » . (١)

**

وليس من شك فى ان البشرى التى بشر بها النبى الكريم ، قد علقت بأذهان المسلمين فى حياة نبيهم وبعد وفاته ؛ وكان كل منهم ينتظر اليوم ، بل الساعة التى تتحقق فيها هذه البشرى وتتم نبوءة النبى ، وكان كل واحد منهم يترقب اليوم الموعود فقد كان لقاء العرب والروم على أى من الحالتين ، حالة السلم او حالة الحرب ، امرا مفروغا منه ، آت لا محالة ؛ غير أن موعده لم يكن معروفا ، وأن كان عمرو بن العاص قد حدده تحديد العبقرى الذى يرى ما وراء الحجب ، وتحديد المحاسب الدقيق الذى يعمل فكره وعقله ، لقد كان هذا اللقاء أمرا واقعا لا جدال فيه ، ولكنه لم يكن معروف التاريخ ، وفى ذلك يقول الاستاذ العقاد :

« فما كان من مسلم فى حياة النبى عليه السلام ، او بعد وفاته ، الا وهو يعلم ان مصر مفتوحة للمسلمين على يقين ..

« وانما هو الأوان المحتوم ، فى يوم غير معلوم .

« وآية ذلك الأوان أن يجىء الخطر من قبل مصر ، او يقوم الروم فيها عائقا كؤودا فى سبيل الدعوة ..

« وعمرو بن العاص هو الذى قال انه رأى الآية بعينيه وقال : ان العائق كؤود اذا أجل ، ميسور التذليل اذا عوجل قبل استقراره ..

« وقالها وهو صادق فى مقاله ..

« غاية ما هنالك أنه رآها بعين العبقرى التى تلمح ما وراء الحجب من بعيد ، وانه فسر الحلم المحقق بوحى الالهام فأحسن التفسير ..

« لم يكن هو الذى اخترع عزيمة الاقدام على فتح مصر ، فقد كان فتحها فى حكم الواقع المفروغ منه منذ سنين ..

« ولكنه كان هو الذى أعلن الوقت المقدور ، واصاب الاختيار ، واهتدى الى الأوان ..

« لم يخدع نفسه ، ولا خدع الخليفة ، ولا جازف بالفتح الخطير مجازفة الطيش والجهل بالعقبى ، ولكنه عند من يجهل الحقائق مجازف هجام ، وعند من عرف الحقائق كما عرفناها اليوم حاسب دقيق الحساب ، وحالم مطمئن اصدق فى حلمه من الخائف اليقظان » . (٢)

***

لقد كانت هناك اذن أسباب كثيرة لتفكير عمرو ابن العاص فى فتح مصر ؛ أولها من غير جدل أو مناقشة ايمانه بالبشرى التى زفها للمسلمين امام الخلق ورسول الله المصطفى - صلوات الله وسلامه عليه - ثم تلك الاسباب التى تتعلق بالاتصال المستمر الذى كان بين العرب والمصريين من قديم فى كل فرع من فروع الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، ثم الانباء التى كانت تصل عن هذا القلق الذى استحوذ على الرعية فى كل من دولتى الفرس والروم وهذا الضعف الذى منيت به الرعية فى كل منهما ، ثم استفحال الشقاق بين طوائف النصارى ؛ وغضب المصريين من الروم .

ولا يعنينا فى هذا البحث السريع الذى نقدمه بمناسبة العيد الالفى للقاهرة ؛ أن نسهب فى تاريخ الفرس والروم ، وفى وصف الحالة التى كانت عليها البلاد فى ذلك الوقت الذى سار فيه العرب لفتح مصر ، لا يعنينا هذا التاريخ بقدر ما يعنينا

---

(١) حياة محمد : للدكتور محمد حسين هيكل ص ٣٨٢

(٢) عمرو بن العاص : للاستاذ عباس محمود العقاد ص ٩٢ - ٩٣ .

الفتح نفسه ، وبقدر ما تعنينا أخبار هذا الفتح الذى كان بداية عهد جديد ..

**

كان عمر بن الخطاب فى طريقه الى بيت المقدس ليتولى بنفسه اتمام الصلح مع اهل ايلياء بناء على رغبتهم والحاحهم كى يضمنوا سلامتهم وسلامة بلدهم ، وحينما وصل عمر الى الجابية من أعمال دمشق فى العام الثامن عشر من الهجرة النبوية الشريفة ، وهو العام الموافق سنة ٦٣٩ من ميلاد السيد المسيح ، قام اليه عمرو بن العاص وطلب اليه ان يأذن له بالسير الى مصر ، واخذ يحرضه على فتحها ويقول له فيما يقول : انه ان فتحها كانت قوة للمسلمين وعونا لهم ، فهى اكثر الأرض اموالا ، واعجزها على القتال والحرب ، ذلك للاسباب السياسية الداخلية والاستعمار المتحكم فى شئون المصريين ، وتخوف عمر بن الخطاب على المسلمين وكره ذلك .. وما زال عمرو بن العاص بأمير المؤمنين يحاوره ويجادله ؛ ويلح عليه ؛ وكانت المحاورة ، وكان الجدل ، كما كان الالحاح مليئا بالحجج التى يحاول الصحابى الجليل ان يؤكد بها للخليفة قدرة المسلمين على الفوز والغلبة ، والتى تبشر بالنصر الذى تنبأ به رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه - فعلاقات المصريين بحكامهم من الروم لم تكن خيرا من علاقات أهل العراق بحكام من الفرس ، كما أن النزاع المذهبى على ضفاف النيل قد اشتد أواره وساعد على اتساع الهوة بين المصريين الروم لم تكن خيرا من علاقات أهل العراق بحكامهم الحجج وقلبها فى نفسه فمالت به الى مشاركة ابن العاص فى رايه ، وزاده ميلا الى هذه المشاركة ما رآه من ايمان عمرو بالقدرة على فتح مصر ايمانا مستندا الى منطق متعذر معارضته .. هذا الى ان الاغراء بفتح مصر كان شديدا ، فكان عمر وكان كثيرون من العرب فى عهده يعرفون لشىء الكثير عن مصر وثروتها ، وعن تبرم أهلها بسلطان الروم وأساليب حكمهم ، ولذلك لم يرفض طلب عمرو » . (١) ، وعقد له على اربعة آلاف مقاتل ، ويقال ثلاثة آلاف وخمسمائة وقال له : سر وانا مستخير الله فى سيرك ، وسيأتيك كتابى سريعا ان شاء الله تعالى ، فان ادركك كتابى آمرك فيه بالانصراف عن مصر قبل ان تدخلها او شيئا من ارضها فانصرف ، وان انت دخلتها قبل أن ياتيك كتابى فامض لوجهك واستعن بالله واستنصره ..

« وسار ابن العاص ميمما وجهه شطر البلد الموعود وما يزال الليل ينشر أرديته على الأرض ؛ وعاد عمر ابن الخطاب ومن معه الى المدينة ؛ وراح يشحذ فكره فيما راى وما سمع فى تلك البلاد التى افاءالله بها عليهم ، ويحمد الله على ما كتبه لهم من نصر واتم عليهم من فتح ، وانعم به من نعم .. ثم راح يفكر فيما طلبه ابن العاص وهو بين أمرين ، **الاول** الأمل فى تحقيق البشرى التى اشار اليها الرسول الكريم ، حينما ذكر فتح مصر واتخاذ الجند الكثيف من اهلها لانهم خير اجناد الارض ، وقد يكونون للمسلمين عونا على نشر دعوة الحق الى بلاد اخرى يزداد بها الاسلام منعة وعزة .. **والثانى:** الخوف والاشفاق على المسلمين الذين اجهدتهم الحروب ، وبعدت بهم الشقة .. أن هؤلاء الجنود البواسل الذين فتح الله على ايديهم بقاعا كثيرة من الأرض أعلوا فيها راية الاسلام ، ونشروا تعاليم القرآن ، وعلموا سنة النبى المصطفى ، هؤلاء الجنود

(١) الفاروق عمر : للدكتور محمد حسين هيكل ص ٢ ، ٤ ص ٦٥ .

اغلى عنده من كل شىء الا ان تعلو كلمة الله ، وهم عدته لكل عمل جليل ، وليس من السهل أن يجارف بهم فى معارك لا تؤمن عواقبها مع دولة من أعظم دول الارض فى ذلك الوقت .

كان هذان الأمران هما شغل عمر الشاغل ،ولكنه لم يرد أن يصدر فيهما رأيا قاطعا قبل أن يستشير صحابة رسول الله والسابقين الاولين فى الاسلام، فجمع اولى الراى من هؤلاء وهؤلاء وطرح أمامهم حجج عمرو بن العاص ، وشاورهم فى الامر .. وانقسم راى الصحابة والتابعين . فكان عثمان بن عفان ، رضى الله عنه ، فى جانب يقول للخليفة :ياامير امير المؤمنين ، ان عمرا لمجرأ وفيه اقدام وحب للامارة ، فاخشى أن يخرج فى غير ثقة ولا جماعة فيعرض المسلمين للهلكة رجاء فرصة لا ندرى تكون أم لا تكون ، بينما كان غيره فى جانب آخر يرون استمرار ابن العاص فى الزحف على مصر ليستقر الاسلام فى وادى النيل ومنه الى انحاء القارة .. غير أن الذين كانوا يرون رأيا غير الذى كان يراه عمر ما زالوا به حتى حملوه على العدول عما ارتآه. وتصادف ان جاء الى الخليفة رسول موفد من عمرو ابن العاص يطلب مددا من الجند يستعين به على قتال الروم الذين يعدون له العدة ،ويتخذون الاهبة لملاقاته ، وحماية الأرض الطيبة من الوقوع فى أيدى اولئك الهابطين من شبه الجزيرة ، والذين باعوا انفسهم وأموالهم فى سبيل الله ، فكتب الخليفة الى عمرو كتابا يقول فيه : « ان ادركك كتابى هذا قبل أن تدخل مصر فارجع الى موضعك ، وان كنت دخلت فامض الى وجهك . »

ويقال ان رسول امير المؤمنين ادرك عمرو بن العاص وهو برفح ، وتخوف عمرو ان هو اخذ الكتاب وفتحه أن يجد فيه الانصراف كما عهد اليه الخليفة ، فلم ياخذ الكتاب من الرسول ، بل راوغه وسار كما هو لا يلتفت اليه ، ويشغل نفسه بأمور الحرب والمسلمين معه حتى نزل قرية فيما بين رفح والعريش .. هنالك راح يسال عنها ، فلما قيل له : انها من أرض مصر دعا بالكتاب فقرأه على المسلمين وقال لمن معه : « ألستم تعلمون ان هذه القرية من ارض مصر ، قالوا : بلى ، قال : فان امير المؤمنين عهد الى وامرنى أن لحقنى كتابه ولم أدخل أرض مصر أن ارجع ، ولم يلحقنى كتابه حتى دخلنا ارض مصر ، فسيروا وامضوا على بركة الله . »

وسار عمرو بن العاص على رأس جيش المسلمين مخترقا سيناء ، يملأ الايمان بالنصر قلبه وقلوب رجاله ، ويزيدهم هذا الايمان ثقة بالنصر ، ويعطيهم مزيدا من القوة والحمية ، ومزيدا من القدرة على تحمل المشاق ، والتغلب على شدة الطريق ،وسار عمرو ورجاله وقد داعب خيالهم قرب اكتحال أعينهم بتلك الارض الطيبة التى قيل عنها « مصر كنانة الله فى أرضه ؛ من أرادها بسوء قصمه الله » .

يقول عبد الله بن عباس : دعا نوح عليه السلام لابنه بيصر بن حام — وهو أبو مصر الذى سميت على اسمه — فقال: اللهم انه قد اجاب دعوتى! فبارك فيه وفى ذريته، واسكنه الارض الطيبة المباركة التى هى أم البلاد)) .

وهكذا كان التفكير فى الفتح الاسلامى لمصر . وهكذا كانت مقدمات هذا الفتح للبلاد التى بارك الله فيها منذ الأزل ، والذى ندعوه سبحانه ان يبارك فيها الى يوم القيامة ، وهكذا كان الفتح بداية لعهد جديد أشرق فيه نور الحق ، وازدهر العلم ، وتحقق الخير ، وهكذا كانت مصر الاسلامية السد المنيع ضد المطامع والاهواء الاستعمارية التى حاولت أن تقضى على الدعوة المحمدية من ناحية ، وتبسط نفوذها على بلاد الشرق العربى من ناحية ثانية ، وتستحوذ على خيرات هذا الشرق وكنوزه من ناحية ثالثة ..

شركة اسطوانات صوت القاهرة

تقدم بخصم كبير

وفي مجموعات

المصحف المجوّد

وبصوت الشيخ عبد الباسط عبد الصمد

المجموعة	العدد	المحتوى	السعر قبل الخصم (مليم جنيه)	السعر بعد الخصم (مليم جنيه)
المجموعة الأولى	١٠	اسطوانات من فاتحة الكتاب إلى سورة آل عمران	١١,٠٠٠	٩,٠٠٠
المجموعة الثانية	١٠	اسطوانات من سورة آل عمران إلى سورة المائدة	١١,٠٠٠	٩,٠٠٠
المجموعة الثالثة	١٠	اسطوانات من سورة المائدة إلى سورة الأنفال	١١,٠٠٠	٩,٠٠٠
المجموعة الرابعة	١٢	اسطوانة من سورة الأنفال إلى سورة الرعد	١٣,٢٠٠	١٠,٨٠٠
المجموعة الخامسة	٨	اسطوانات من سورة الرعد إلى سورة الإسراء	٨,٨٠٠	٧,٢٠٠
المجموعة السادسة	١٠	اسطوانات من سورة الكهف إلى سورة المؤمنون	١١,٠٠٠	٩,٠٠٠

تباع بمعارض شاهر/ سنتريك وجميع محلات بيع الاسطوانات بمصر والخارج ، وقطان اخوان شارع بشارة الخوري بناية طرازي ص.ب ٥٩٤٢ بيروت / لبنان ، وسعد وخالد نصار الشريعان ص.ب ١٥٦ الكويت ، ومحمد عارف جقماقجي شارع الرشيد بغداد / العراق ص.ب ١١٠٠١٦

في ذكرى المولد النبوي الشريف

الأستاذ الشاعر قاسم غالب أحمد

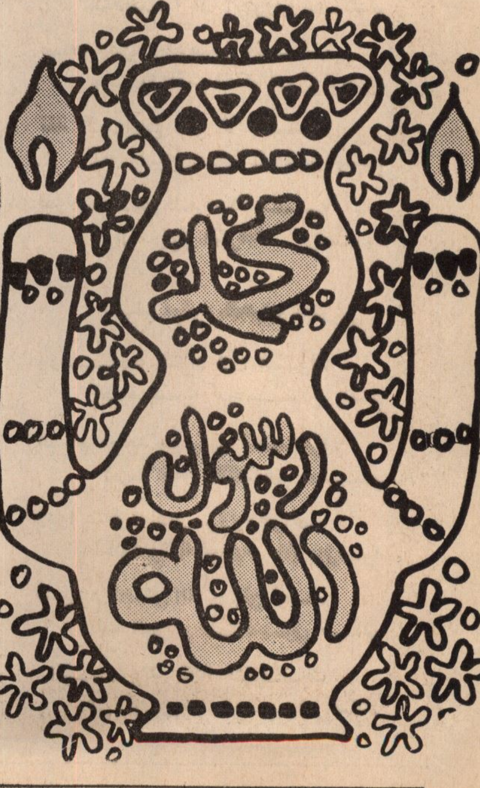

صلوا على روح النبى وسلموا
في مولد يعتز فيه المسلم
ميلاده ميلاد امة يعرب
وبهديه العرب الاباة تقدموا
امحمد ياقوة العرب الذى
لولاه من عمر وخالد من هموا
يامن احبك للعدالة كافر
وأطاع امرك فى المعارك مسلم
يامن اذا جاء اليتيم يؤمه
فى بيته او معسر او معدم
قدمت ميسور الطعام سماحة
وعصبت بطنك جائعا تتألم
لا القصر يمنع من أتاك لحاجة
كلا ولا حرس هناك منظم
يامن اذا جاء العدو مهددا
يلقى الجيوش بارضه قد خيموا
يا يوم خيبر والنضير مددنا
عزما بقايا التائهين تعظموا
دين النبى عقيدة ومحبة
ومهند و مخطط وتقدم
ياقارىء التاريخ من أبطالنا
الحرب تجار الحروب تعلموا
واليوم يقتسم اليهود بلادنا
أفهل يظن غرورهم نستسلم
ارض البطولات القرود تسوسها
غرض اللئام بأرضنا ان يحكموا
انعيش فى الدنيا ضياعا تائها
ليعيش فى ارض النبوة مجرم
انعيش والداء العضال بجسمنا
والداء من جسم المريض يقاوم
لا ذنب الا اننا من يعرب
وندين بالدين الحنيف ونسلم
لا ذنب الا اننا شعب له
أرض وفى خيراتها يتحكم
لا ذنب الا اننا قلنا لهم
ان الحياد سبيلنا فتجهموا
غرسوا اليهود عداوة فى ارضنا
نبت يسقى ارض منبتها الدم
الغرب قدم للعروبة واقعا
فى طعمه للطاعمين الحصرم
ما عاش مصاصو الدما وحقدهم
الا كقصر فى الفلاة ملغم

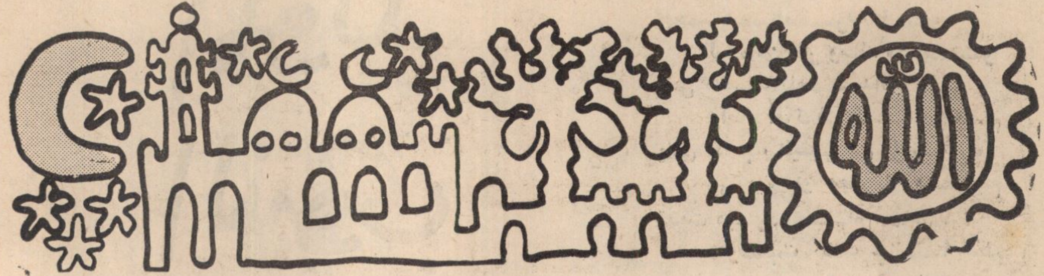

مهر البغاة من الشعوب قنابل
أو مدفع أو نقمة أو علقم

واذا الشعوب تحطمت آمالها
قامت على رأس الغزاة تحطم

واذا تنبهت الشعوب وقدمت
جلادها للعدل يوما تحكم

وكأنها عزيريله ان اقدمت
من ذاك من غضب المنية يعصم

ابنا حيفا والقدس

حيفاء أنت على الغزاة قوية
حتام يحكم فى القضية متهم

والقدس انجبت الصفوف طويلة
فى كل صف (ياسر) يتكلم

فى (فتح) احرف ثورة يخشونها
حتى ولو نطق الصغير بها فم

وبيان كل منظمات فدائنا
فيها لكل اللاجئين البلسم

فرضوا على الدنيا التحدث باسمهم
كالليث يسمعهم ولا يتكلم

يابدء تاريخ المعارك فسرت
اغلاطنا ان الحروب تعلم

مسحوا من الايام ستا مثلما
مسحوا الغبى اشكو لهم لن يرحموا

لغة الصواريخ التى لا مثلها
لغة يصيح ٠ لها العدو فيفهم

لغة القنابل للتفاهم قالها
ثوارنا يوم الكرامة كرموا

السلم مولود الحرب الشرعى

ورصاصة الثوار اول مولد
لحياة شعب خاضع يتندم

السلم مولود الحروب فقدموا
درسا وما كالقاذفات معلم

ردوا عباقرة الحروب هزائما
شاءوا وشاء غرورهم ان يهزموا

قد يهزم الجيش القوى ولن تعد
تلك الهزائم للمناضل مأتم

الثأر ولد طاقة فتفجرت
فى كل بيت قصة تتكلم

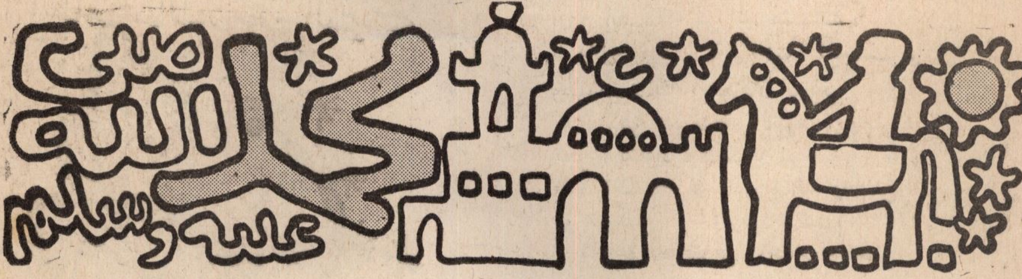

درس الكفاح بهمة اشبالنا
من فى المدارس للكتائب توأم
وبنات يعرب بدلت من حرصها
زر القنابل كل بنت ضيغم

الشهيد رياض والثوار

وعمالق الثوار فى ثكناتهم
لرياض عند وداعه قد اقسموا
ان يصنعوا النصر المبين بعزمهم
لا فرق اما ينصروا او يعدموا

قسم الوحدة العربية

بالوحدة الشماء والعرب الذى
اباؤهم نبذوا المذلة نقسم
أنا على عهد العروبة لم نزل
نحمى البلاد من الدخيل كما حموا
سنثور حتى لايقال بارضنا
عبرى يؤارزه الخيانة اعجم
سنثور حتى لا يؤمر قاتل
ايعيش بين بنى العدالة ارقم

بقنابل قومية لو فجرت
لبدت لهم والظالمين جهنم

الجيش والشعب

الجيش اقسم والفداء بارضنا
والشعب من خلف الجميع مصمم
فى الماء أو فى الرمل موت كامن
والطائرات من السماء تترجم
والكل معركة القنال نشيده
واذا دعا داعى القتال تيمموا
زرعوا بضفات القنال قنابلا
ومجازرا فى كل أرض مأتم
قال العدو وقد رأى قواتنا
ان القتال مقدر ومحتم

فى كل شبر ناصر وياسر

ثابوا وفى كل البلاد كتائب
ومدافع صكوا الخدود ولطموا
فى كل شبر ناصر او ياسر
أو طارق أو خالد ومقاوم

في رحاب الخلد

الشاعر عبد الله شمس الدين

حديثه لم يزل بالفيض يملؤنى
وصوته لم يزل ينساب فى أذنى
كأننى لم أزل القاه فى شغف
ووجهه لصفاء النور يغمرنى
أروح أسأله فى كل مشكلة
وكل معضلة باتت تحيرنى
وهوالفيوضات ٠ بالعرفان يبهرنى
وهو السماحة بالاشراق يبهجنى
تجرى فتاواه أبحاثا لمجتهد
أحاط فهما بشرع الله والسنن
هو التواضع فى ود وفى شمم
وهو المجالد فى الأحداث والمحن
تراه يغضب ان مست كرامته
كغضبة الليث لايغضى على وهن
يمر بالعاصف المجنون مبتسما
على وقار من الايمان متزن
قد كرم العلم اجلالا ومعرفة
وانه الطهر فى سر وفى علن
وهو الأديب على نور وفلسفة
للفكر فيه فؤاد العالم الفطن
زاملت احساسه حينا وزاملنى
وكنت أشكو اليه وهو يسمعنى
فكان نعم الحمى للحس يؤنسه
وكان واحة تحنان تظللنى
وكم شكوت له منى فيعذرنى
فان طول جفائى كان يحزننى
ويعلم الله انى ما جفوت قلى
لكنه العيش يعيينى ويرهقنى
القرب بالروح لا بالجسم متصل
بذلك الفهم أوصانى وعلمنى
لله در امام راح مغتربا
فى الله والعلم والاسلام والوطن
أمانة العلم أداها وبلغها
ما ضن يوما بمجهود ٠٠ ولم يهن
أدى رسالته للناس كاملة
وكان حقا عليها جد مؤتمن
له من الله أجر العاملين بها
وسوف تبقى اياديه على الزمن
ولا يفى حقه شعرى ٠٠ فمعذرة
وحسبى العفو من أستاذى (المدنى)(١)

«١» فقيد الاسلام فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى

فداء بلادي

الشاعرة روحية القليني

اذا عدت أمي بنصري الكبير
فهيا اعدى فراشي الوثير
فكم من ليال مضت لم أنمها
أعانق فيها اللظى والهجير
أعانق فيها القنابل تترى
وكم من ليال مضت كالسعير
شهيد يروح وراء شهيد
دماهم تحدث سمع العصور
شهيد يروح وراء شهيد
دماهم لكل فتى تستثير
شهيد يروح وراء شهيد
يؤكد طول الكفاح المرير
شباب كعمر الزهور تهاوى
وما زال منه يضوع العبير
مضى للكفاح مضى للدفاع
مضى كي يحقق نصرى الكبير
فان رحت امى فداء بلادى
وجاءك يوما نذير النذير
فبالله لا تذرفى دمعة
فان مصيرى أسمى مصير
مصير الذين أرادوا الخلود
واسماؤهم فى الكتاب الطهور
مصير الذين أحالوا الصخور
ينابيع صفو بقلب الصخور
ومن ودعوا فى الحياة الحياة
وصورتهم فى حنايا الصدور
ونور محياهمو فى العيون
وعطرهمو كعبير الزهور
شباب الحمى لم يمت انما
سيخلد فى قصة للدهور
شباب الحمى لم يمت انما
سيذكى اللهيب بعمق الشعور

الى أخى فى المعركة

الشاعر أحمد عثمان المراغى

اشهر سلاحك وامحق كل من ظلما
وازحف الى الذئب واستنزعه ما غنما

واجعل لنفسك فوق الشهب موضعها
ان كنت تهوى العلا حكما ومحتكما

ادر رحاها ضروسا غير منتظر
واسق الهوان لمن قد ضيعوا الشيما

ياصانع المجد من عهد الجدود هنا
فى ساحة النصر تلقى النصر مغتنما

أعمل سلاحك لاتشفق على فئة
تذكى الفساد وقضب من به اتسما

واستنصر الحق ان الحق منبرنا
اذن عليه وكبر باسم من عظما

ولا تقولن ان القوم قد رفعوا
لاسم الحضارة فيما بينهم لما

اين الحضارة ما دامت حضارتهم
تفجر الارض جمرا والبحار دما

اين المبادىء ان ظنوا مبادئهم
ترعى الحقوق وتحمى كل من ظلما

اين الفضائل ان الفضل ما اعترفت
به العقائد فاستغفر له القيما

كفرت بالغرب بالقوم الالى عبثوا
بكل حق بدا فى ارضنا ونما

كفرت بالغرب مذ والى ابالسة
وأسكن القدس زنديقا ومتهما

ارض الرسالات تشكو من قراصنة
لا يعرفون الذى كم اجرموا ولما

قل لليهود اطل الصبح فانتظروا
سهما به الحق فى نحر الطغاة رمى

اعدت العرب جيشا من شبيبتها
واطعمته الفدى فاستعذب الحمم

وقلدته المنى واستصرخت لجبا
ابلى الكفاح ولم يعرف سواه حمى

جيش الى النصر ماض فى طلائعه
نور اهل على الاوطان وارتسما

فاعقد بعزمك جيش العرب الوية
للنصر وانسج لنا من زحفنا علما

فليس للنصر الا صوت وحدتنا
يزلزل الغدر جبارا بما اعتصما

وان للحق نصر الله ما بقيت
عقيدة الحق فاجعل هديها قسما

فازحف اخا العرب للهيجاء معتصما
بقوة الحق (وامحق كل من ظلما)

وارفع بعزمك رايات الهدى ابدا
واشهد على نصرة حقت لك الأمما

في عيد المولد النبوي الشريف

الشاعر
علي الجمبلاطي

مالي ذكرتك فاستفاض بيـــانى
نورا وشع الطهر من الحانى

وتألق السحــر المبين بمهجتى
حتى ظننت السحر بعض كيانى

لم لا .. وأنت منابع قدسيــة
لله قد فاضت على الأكــوان

جئت الوجود وكان كونا مظلما
متخبطا فى لجة الأشجـــان

فطلعت شمسا ، يانبى مضيئـه
فاضت أشعتهــا بكل مكان

ونفحت فى الصحراء فانتفض الحصى
فيهـا وثار كثـورة البـركان

وصنعت فجر الحق من عالى الدجى
متحديا ليلا من البهتـــان

كم قال فيك الشرك : هذا شاعر
أو كاهن من أبــرع الكهـان

واتوا لعمك فى رجـاء علهـم
ان يطفئوا نـورا من الايمـان

عرضوا عليك الملك أو ما تشتهى
من كل شىء فى الورى وأمـان

فاذا بقلبك ـ يانبى ـ يقولهـــا
فى صيحة من عــزمة الديـان

لن اترك الدين الحنيف وان تكن
نفسى الفـداء بشرعـة الرحمن

من ذا يوفيك الثناء من الــورى
وعليـك أثنى الله فى القـرآن

جئت الوجود فلم تزل بطغـاته
حتى تهاووا فيــه كالأوثـان

وسموت بالانسان حتى أصبحت
قمم الحياة مواطن الانسان

وأقمت من وحى الاله شريعــة
تجتث كل شرائع الطغيــان

كون جديد قد دعمت بنـاءه
وتلوح كف الله فى البنيـان

لاظلم ، لا استعباد فيه وانمـا
عدل يسود النـاس كل زمـان

حطمت أغلال العبيـد وليلهم
فاذا العبيد كلابسى التيجـان

هذا (بلال) وهو عبد اسود
ينهى ويـأمر فى ذوى السلطان

و(صهيب) الرومى أم صلاتهم
وعنوا لحر الرأى من (سلمان)

دين عرفنا الحـق من آياته
ولسوف يبقى منبـع العرفـان

واليوم عيدك ـ يانبى ـ رجاؤنا
فهــو البشير بنصرة الأوطان

فى ظله عرف الوجود (عروبة)
من قبل كانت فى دجى النسيان

أنت الذى وحدت أمة (يعرب)
ودعمت وحدتهم عـلى الأزمان

وصنعت منهم ـ يامحمد ـ أمة
سيظل يرمق مجدها الثقـلان

دان العتى لها وأقبل صاغـرا
وأذاقت الحســاد شر هوان

شعت (بأندلس) ففاض بها السنا
وأتى عنيد الغرب فى اذعـان

بنت الحضارة للوجود ولم تكن
الا السلام لسائر الأديـان

بشرى لخير المرسلين نزفهـا
فى (عيد مولده) الجليل الشان

العرب وحد ـ يامحمد ـ صفهم
وتجمعوا حول الجهاد البــانى

ومضوا الى قدس النضال نظلهم
فى كل ســاح راية الفـرقان

فاسأل لنا (الرحمن) ياخير الورى
نصرا يزيل مآثم العـدوان

فى العصـــــر الأموى

أضيف الى رقعة المسجد الذى أنشأه عمرو بن العاص بالفسطاط أو مصر القديمة زيادات فى عصور مختلفة حتى وصلت مساحته الحالية ستة عشر ضعفا لمساحته التى كان عليها فى عهد عمرو • وصحب هذه الزيادات اجراء عمائر بقصد التجديد أو الترميم أو التجميل كان من نتيجتها أن تغيرت تماما معالمه المعمارية والزخرفية القديمة .

وعلى الرغم من أن العمائر التى تمت فى العصر الأموى لم يصلنا من آثارها شىء فان هذه العمائر كان لها أثرها فى تطور عمارة الجامع بصفة خاصة وتطور العمارة الاسلامية بصفة عامة .

وقد حدثت أولى هذه العمائر فى سنة ٥٣ هـ (٦٧٣ م) فى عهد مسلمة بن مخلد الأنصارى والى مصر من قبل الخليفة معاوية بن أبى سفيان . وكان سبب هذه العمارة أن المسجد ضاق بالمصلين فشكوا الى مسلمة فكتب هذا الى معاوية بذلك فبعث معاوية اليه يأمره بالزيادة فى المسجد . وهدم مسلمة المسجد وزاد من مقدمته أى عند الجانب المواجه للقبلة وأضاف رحبة أمام هذا الجانب صار الناس يصيفون فيها ، كما زاد فى الجمع من شرقيه مما يلى دار عمرو بن العاص حتى ضاق الطريق بينه وبين الدار .

وتم فى عمارة مسلمة بن مخلد تجميل المسجد وذلك عن طريق كسوته بالطلاء وزخرفة جدرانه وسقوفه وفرش ارضه بالحصر بدلا من الحصباء .

كما زود المسجد فى هذه العمارة لأول مرة بوحدة معمارية صارت أساسا لظهور احد المعالم المهمة فى تصميم المساجد ونعنى بذلك المئذنة : ذلك أن مسلمة بن مخلد بنى فى أركان الجامع اربع صوامع ليلقى منها الاذان ، ونقش اسمه عليها ، ـ وأمر مسلمة بان يؤذن المؤذنون منها فى وقت واحد

وقد ورد ذكر هذه الصوامع فى شعر قاله عابد بن هشام الأزدى يمتدح فيه مسلمة ويشير فيه الى عمارته لجامع عمرو وتجميله وزخرفته ويشير بالصوامع وتجاوب أصوات المؤذرين فوقها وقد جاء فيه :

لقد مدت لمسلمة الليـــالى
على رغم العداة مع الأمـــان

جزء من صحن جامع عمرو تحف به الاروقة وتشاهد مئذنة الجامع والقبه فى وسط الصحن

وساعده الزمان بكل سعد
وبلغه البعيد من الأماني
أمسلم فارتقى لا زلت تعلو
على الأيام مسلم والزمان
لقد احكمت مسجدنا فأضحى
كأحسن ما يكون من المباني
فتاه به البلاد وساكنوها
كما تاهت بزينتها الغواني
وكم لك من مناقب صالحات
وأجدر بالصوامع للاذان

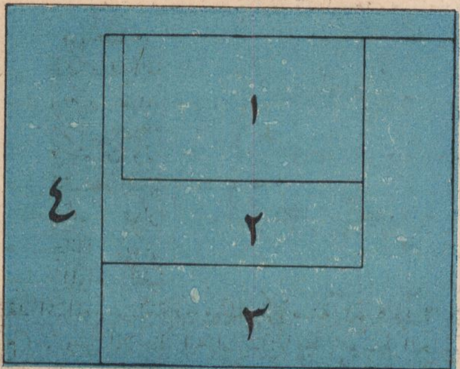

رسم تخطيطي يوضح الزيادات التى أضيفت الى جامع عمرو فى العصر الاموى ، ويتضمن ١ – الجامع فى عهد عمرو ٢ – زيادة مسلمة بن مخلد ، ٣ – زيادة عبد العزيز بن مروان ، ٤ – زيادة قرة بن شريك ه

كان تجاوب الأصوات فيها
اذا ما الليل ألقى بالجران
كصوت الرعد خالطه دوى
وأرعب كل مختطف الجنان

ولم يصلنا وصف واضح لعمارة هذه الصوامع الأولى غير انه من المرجح انها كانت أشبه بغرف مربعة التخطيط مقامة فوق سطح المسجد وتعلو فوقه على هيئة أبراج تشبه ابراج معبد دمشق وانها كانت مبنية بالآجر مثلها فى ذلك مثل المسجد . وكان المؤذنون يصعدون الى هذه الصوامع بواسطة سلم فى الطريق ويقال ان خالد بن سعيد حول السلم فيما بعد الى داخل المسجد .

ويزعم بعض العلماء أن هذه الصوامع كانت النموذج لبناء مآذن جامع دمشق غير انه من المرجح ان هذه الصوامع بنيت - على العكس - تقليدا للمنارات الأربعة التى كانت فى أركان جامع دمشق والتى كانت فى أصلها أبراجا للمعبد الوثنى القديم الذى اقيم جامع دمشق داخله .

وأياما كان الأمر فان بناء هذه الصوامع سبق بناء المآذن الأربعة ذات التخطيط المربع التى أقيمت سنة ٩١ هـ (٧٠٩ م) فى عهد الوليد بن عبد الملك بالحرم النبوى الشريف بالمدينة المنورة ، كما يمكن اعتبارها مقدمة وتمهيدا للمئذنة المصرية الأولى التى اقامها بعد ذلك فى جامع عمرو نفسه قرة بن شريك فى سنة ٩٢ هـ (٧١٠ م) وذلك حين هدم الجامع وأعاد بناءه من جديد .

غير انه تم فى جامع عمرو قبل هدمه واعادة بنائه فى عهد قرة بن شريك عمارتان كانت احداهما فى عهد عبد العزيز بن مروان والثانية فى عهد عبد الله بن عبد الملك بن مروان .

فبعد أن ولى عبد العزيز بن مروان مصر من قبل أخيه الخليفة عبد الملك بن مروان أجرى بجامع عمرو عمارة تضمنت توسعة المسجد وبخاصة عند جانبه الأيمن أو الجنوبى الغربى ، وكذلك عند جانبه المواجه للقبلة بأن أدخل فيه الرحبة التى كان قد اضافها مسلمة بن مخلد فى سنة ٥٣ هـ (٦٧٣ م) . ومن الملاحظ انه لم يستطع أن يوسع الجامع من جانبه الأيسر أو الشمال الشرقى وذلك لوجود دار عمرو بن العاص عند هذا الجانب .

وعمل عبد العزيز بن مروان على أن يوفر للمسجد وسائل الهدوء والوقار والعمار اللائق به فرتب به قراءة المصحف وكان هو أول من فعل ذلك . ويقال انه دخل المسجد يوما عند طلوع الفجر فرأى فى أهله خفة فأمر بغلق أبواب المسجد عليهم ثم أخذ يستطلع حالهم رجلا رجلا فكان « يقول للرجل : ألك زوجة ؟ فيقول : لا ، فيقول زوجوه ؛ ألكخادم؟ فيقول : لا ، فيقول : اخدموه ، أحججت ؟ فيقول : لا ، فيقول : أحجوه ، أعليك دين ؟ فيقول : نعم ، فيقول : اقضوا دينه ، فأقام المسجد بعد ذلك دهرا عامرا » .

أما عبد الله بن عبد الملك بن مروان فقد أمر فى سنة ٨٩ هـ ٠٠ بأن يرفع سقف المسجد وكان منخفضا . هذا ومن المعروف أن عبد الله بن عبد الملك بن مروان كان واليا على مصر من قبل أخيه الخليفة الوليد بن عبد الملك .

ولقد تمت عمارة قرة بن شريك العبسى التى سبقت الاشارة اليها فى عهد الوليد أيضا وباشارته .

وقد هدم قرة بن شريك الجامع فى مستهل سنة ٩٢ هـ (٧١١ م) وابتدأ فى بنائه فى شهر شعبان من السنة نفسها ، وفرغ من بنائه فى شهر رمضان سنة ٩٣ هـ (٧١٢ م) وكان يشرف على بنائه يحيى بن حنظلة مولى بنى عامر بن لؤى .

وفى هذه العمارة زادت مساحة الجامع اذ أدخل فيه بعض دار عمرو بن العاص ودار ابنه فى الجانب الأيسر أى الشمال الشرقى كما وسع قليلا من ناحية القبلة وقد انتهز قرة بن شريك هذه الفرصة فصوب اتجاه القبلة وكانت منحرفة قليلا عن الاتجاه الصحيح . وأصبح جدار القبلة يمتد حوالى ٥٧ مترا والجدار الأيسر أو الشمال الشرقى ٩٨ مترا ، وصار الجامع يشتمل على صحن أوسط يحف به أربعة أروقة اعمقها رواق القبلة ، وصار للجامع أربعة أبواب فى كل من جانبيه الأيسر والأيمن وثلاثة فى الجدار المواجه للقبلة . وأحدث قرة فى الجامع مقصورة على مثال المقصورة التى كان قد أقامها معاوية بن أبى سفيان فى جامع دمشق بعد محاولة الاعتداء على حياته .

وتم فى هذه العمارة تزويد الجامع بوحدات ومعالم معمارية على جانب كبير من الأهمية الدينية والفنية .

جزء من رواق القبلة بجامع عمرو الحالى ويشتمل على رقعة الجامع

من ذلك أن ألحق بالجامع أول نموذج للمآذن المصرية كما سبق أن ذكرنا ، وكذلك أدخل بالجامع لأول مرة محرابا مجوفا وكان محراب الجامع قبل ذلك مجرد مساحة مسطحة ربما كان يحف بها عمودان ملتصقان بحائط القبلة .

ومن الملاحظ أن هذا المحراب الجديد بنى فى الحائط الجديد الذى شيد بعد توسعة الجامع من ناحية القبلة . وقد روعى أن يكون هذا المحراب الجديد فى سمت المحراب الاصلى الذى وضعه عمرو بن العاص ولذلك صارهذا المحراب الجديد يسمى « محراب عمرو » . ورغبة فى توجيه الأنظار الى هذا المحراب روعى تذهيب تيجان أربعة أعمدة امامه : اثنان بالصف المقابل له ، واثنان بالصف الذى يليه .

ومن الواضح ان هذه العمارة التى أجريت بجامع عمرو فى ذلك الوقت كانت جزءا من خطة معمارية كبيرة حققها الخليفة الوليد بن عبد الملك فى أقطار الخلافة الاسلامية . وكان من هذه الخطة اعادة تشييد الحرم النبوى الشريف وعمارة الحرم المكى المبارك وتشييد الجامع الأموى بدمشق .

كما يلاحظ أن عمارة جامع عمرو قد تبعت فى كثير من مظاهرها عمارة الحرم النبوى الشريف بالمدينة فى عهد الوليد سنة ٩١ هـ :

فكما أدخلت فى عمارة الحرم النبوى الشريف مساكن زوجات النبى صلى الله عليه وسلم فى رقعة المسجد النبوى كذلك أدخلت فى جامع عمرو دار عمرو ودار ابنه ، وكما زود الحرم النبوى فى عهد الوليد بمحراب مجوف زود جامع عمرو أيضا بمحراب مجوف . وبالاضافة الى ذلك قلد جامع عمرو المسجد النبوى فى التصميم العام من حيث اشتماله على صحن يحف به أربعة أروقة أعمقها رواق القبلة وفى ادخال أول نموذج للمآذن وفى العناية بتجميل الجامع وتزويقه على عادة الوليد فى بناء المساجد . ولقد كان لهذه المظاهر كلها أثرها فى عمارة المساجد فى مصر منذ ذلك الوقت .

هذا ومن المعروف انه فى سنة ٩٤ هـ (٧١٣هـ) نصب قرة بن شريك فى جامع عمرو منبرا من الخشب وقد تبع ذلك ادخال المنابر فى قرى مصر ، وقد حدث ذلك فى عهد عبد الملك بن موسى بن نصير اللخمى حين ولى مصر من قبل مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين اذ أمر فى سنة ١٣٢ هـ (٧٤٩ م) باتخاذ المنابر فى القرى ولم يكن يخطب فيها الا على العصا .

مسرحية

إيثار ...

الأستاذ علي أحمد باكثير

المنظر :

فى بيت عبيدالله بن عمر بن الخطاب حيث نزل به عبد الرحمن أخوه وأولاده ليخلى بيته للاجئين من المسلمين بامر عمر .

فناء البيت حيث يقع المطبخ والتنور

ترى بحرية واقفة بقرب التنور وهى تحمل طفلا صغيرا يبكى فتعلله بثديها ليسكت .

وعلى مقربة منها يرى عبيدالله وهو يسلخ شاة قد ذبحها

عبيد الله : ألا يسكت هذا الطفل ؟

بحرية : هانذا أرضعه لعله يسكت

عبيدالله : كان ينبغى أن يكون قد شبع فسكت فنام

بحرية : ذاك يا عبيدالله لو وجد اللبن . ويحه انما أعلله بثديى تعليلا .

عبيدالله : كيف ترين التنور الساعة ؟

بحرية : انتظر قليلا يا عبيدالله حتى يحمى .

عبيدالله : الا تحركينه وتلقين فيه مزيدا من الحطب؟

بحرية : والطفل على ثديى ؟

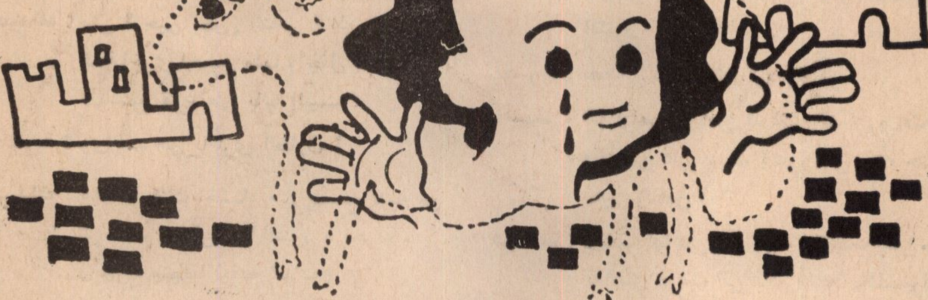

عبيدالله : تبا لهذا الطفل !

بحرية : ويلك أتذبح شاته وتسبه .

عبيدالله : أريد أن أفرغ من شي اللحم قبل أن يحضر الاخرون

بحرية : لا تخف . أما عبد الرحمن أخوك فقد أرسله أمير المؤمنين الى الربذة فلن يعود اليوم . وأما امراته فاليوم نوبتها فى مطبخ دار الضيافة

عبيدالله : اخاف من الأولاد يا بحرية أولادنا وأولاد عبد الرحمن .

بحرية : هؤلاء ذهبوا الى بيت عمتهم ولن يعودوا الا بعد الغداء .

عبيدالله : صدقت .. لكنى أخشى بعد أن يطرق الباب علينا طارق .

بحرية : ويحك شد ما صرت بخيلا يا عبيدالله وقد كنت قبل اليوم كريما .

عبيدالله : شهد الله يا بحرية ما بى من بخل ولكنى أخشى ان يبلغ أبى انى ذبحت شاة فشويتها وأكلتها والمسلمون فى هذه المجاعة .

بحرية : أتخشى ان اطعمتهم من شاتك أن يخبروا أمير المؤمنين بذلك ؟

عبيدالله : نعم انى لا آمن أن يفشى أحدهم السر .

بحرية : فأنت أحرى أن تخشاهم على سرك ان لم تطعمهم من شاتك .

عبيدالله : ويلك انا لن ندع أحدا يدرى بشىء .

بحرية : وان سألونا عن الشاة ؟

عبيدالله : نقول لهم ضاعت أو بعناها أو تصدقنا بها .. هذا الطفل أراه قد نام يا بحرية .

بحرية : أجل نام المسكين (تتوجه نحو الداخل) .

عبيدالله : الى أين ؟

بحرية : سأضعه فى فراشه وأعود (تخرج ثم تعود فى الحال)

عبيدالله : انظرى الآن كيف ترين الرضف فى التنور ؟

بحرية : (تحرك النار فى التنور) الآن يا عبيدالله حين حمى الرضف فهات لحمك

عبيدالله : (يناولها قطع اللحم فتلقيها هى داخل التنور) لله ما اشهى رائحة الشواء وما أشد قرمى اليه !

بحرية : لو تركت الشاة لطفلك الرضيع لكان خيرا لك .

عبيدالله : ماذا يصنع بها وقد جف منها الدر ؟ اياكلها ؟

بحرية : لعل درها يوما أن يعود .

عبيدالله : متى ؟ حين يحيى الناس ؟ اذن نبتاع له شاة أخرى أحسن منها وأحفل بالدر .

(يسمع قرع على باب البيت)

بحرية : وى ا .. من يا ترى الطارق ؟

عبيدالله : هذا ما كنت أخشاه . (يمسح يديه من أثر اللحم) غطى هذا التنور يا بحرية .

(يخرج منطلقا ليفتح الباب)

(تغطى بحرية التنور ثم تنصت لتعرف من القادم)

عبيدالله : (يعود ممتقع الوجه) لا حول ولا قوة الا بالله .

بحرية : من ؟

عبيدالله : أمير المؤمنين وناس معه .

بحرية : يريد أن يتشاور معهم فى أمر ؟

عبيدالله : لا ادرى . لم يجد الا بيت ابنه عبيدالله لشقوته .. غطيت التنور يا بحرية ؟

بحرية : نعم غطيته وأحكمت الغطاء .

عبيدالله : أترين قتار اللحم يصل الى أنوفهم هناك ؟

(يتناول ثوبا فيلقيه فوق التنور)

بحرية : ما يدرينى يا عبيدالله ؟ أنت كنت هناك .

عبيدالله : والله ما عدت أميز شيئا يا بحرية .. ما عدت أسمع ولا أبصر ولا اشم .

بحرية : قلت لك اترك الشاة للرضيع .

عبيدالله : (نافذ الصبر) الرضيع .. الرضيع .. الخطب ليس خطب الرضيع .. الخطب خطب جد الرضيع !

(يدخل أسلم فيحاولان أن يخفيا ما أصابهما من الروع)

اسلم : ما خطب جد الرضيع يا عبيدالله ؟

عبيدالله : لا شأن لك أنت يا أسلم .

أسلم : يا عبيدالله بن عمر .. يا ويلك من أبيك !

بحرية : هل علم أمير المؤمنين يا اسلم ؟

أسلم : شم رائحة الشواء .. ماذا وضعتما فى التنور ؟

بحرية : نعجة كانت لابننا الرضيع ؟

اسلم : الم تعلمى ان أمير المؤمنين قد حرم اللحم والسمن على نفسه وعلى أهل بيته حتى يحيى الناس ؟

عبيدالله : لا ذنب لها هى يا أسلم .. الذنب ذنبى .. أنا الذى قرمت الى اللحم فذبحتها فاسترنى يا أسلم سترك الله .

أسلم : أتريد منى أن أكذب أمير المؤمنين ..؟ لقد عرف حين أرسلنى أنى لن أكذبه .

عبيدالله : ماذا يصنع هؤلاء الناس عنده ؟

أسلم : هؤلاء أهل الشورى .. ألم ترهم ؟

عبيدالله : رأيت شخوصهم ولكنى لم أتحقق منهم .

أسلم : هؤلاء على وطلحة والزبير وابن عوف والعباس بن عبد المطلب ومعهم رسول من البصرة من عند المغيرة بن شعبة يحدثهم عن طاعون انتشر فيها وذهب بمئات المسلمين .

بحرية : لا حول ولا قوة الا بالله . مجاعة هنا فى جزيرة العرب وطاعون هناك فى العراق !

عبيدالله : ومحنة كبيرة فى بيت عبيدالله بن عمر . يا ويلتا قد هلكت !

أسلم : أنا أعرف يا عبيدالله كيف أفثأ غضب أمير المؤمنين .

عبيدالله : كيف يا أسلم ؟

بحرية : افعل يا أسلم سترك الله .

اسلم : أليست هذه النعجة قد استوت ؟

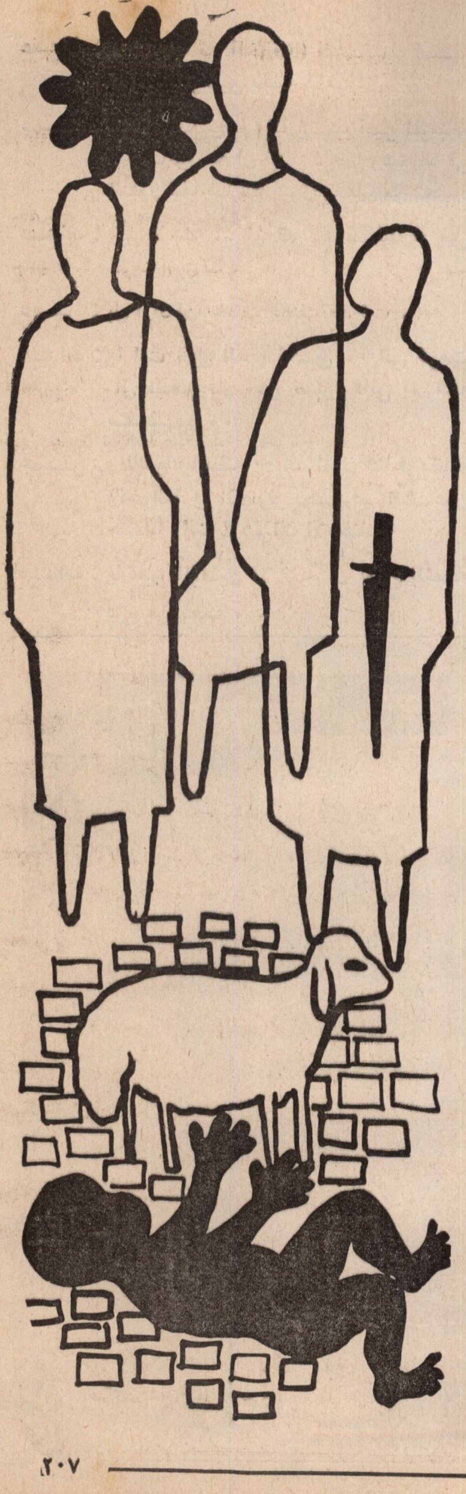

بحرية : بلى قد استوت قبل أن أطفىء النار فى التنور .

أسلم : فسأحملها الى امير المؤمنين واضعها بين يديه وأقول له : ان آل عبيدالله بن عمر كانت عندهم هذه النعجة لطفلهم الرضيع فجف درها فذبحوها وشووها فى التنور ليقدموها لأمير المؤمنين فيضعها حيث احب .

عبيدالله : ولا نذوق منها شيئا يا أسلم ؟

أسلم : ويحك أتظن امير المؤمنين لايدرك ان كانت النعجة كاملة أو ناقصة ؟

عبيدالله : لكن بى قرما شديدا يا أسلم فانى لم أذق اللحم منذ شهور .

أسلم : ان كنت لاترضى بما اقترحت فافعل مابدا لك (يهم بالانصراف)

عبيدالله : (يستوقفه) رويدك يا أسلم .. احملها اليه .. احملها كلها اليه فقل له يتصدق بها على من يشاء .. على من قرم ومن لم يقرم !

(يرفع عبيدالله الثوب والغطاء عن التنور ثم تخرج بحرية قطع اللحم وتضعها فى قفة ويحملها أسلم فيخرج بها)

بحرية : واحسرتاه .. ماذا صنعت ياعبيدالله الا أن حرمت ابنك الرضيع .

عبيدالله : (يقلد صوت أبيه) دعيه يكن مثل غيره من أطفال المسلمين . أكل أطفال المسلمين عندهم نعاج تدر اللبن ؟

بحرية : ويلك لو سمعك أبوك تقول هذا !

يدخل عمر فجأة .

عمر : قد سمعت يا بنت هانىء

بحرية : يا أمير المؤمنين اعذرنى من عبيدالله .

عمر : لا تراعى .. قد علمت انه هو الذى فعلها على غير رغبتك . تكلم يا عبيدالله أدل بحجتك .

عبيدالله : (يرتجف من الخوف) الم يخبرك أسلم يا أمير المؤمنين بجلية الأمر ؟

عمـر : انى أعرف كيف أفثأ غضب أمير المؤمنين .. سأقول له ان ابنك ذبحها وشواها فى التنور ليقدمها لك فتوزعها على من تحب !

عبيدالله : ويل لأسلم .. أو قد اعترف لك يا أمير المؤمنين بذلك ؟

عمـر : بل أراد أن يخدعنى عنك فعرفت .

عبيدالله : يا ابت قول الحق أحق .. انى قرمت الى اللحم فلم أطق صبرا فانى لم اذقه منذ شهور ..

عمـر : ويلك يا أبا بطنه .. المسلمون هنا فى مجاعة واخواننا فى البصرة يحصدهم الطاعون حصدا وأنت لا هم لك الا بطنك .

عبيدالله : يا أمير المؤمنين الا تريد أن توزع النعجة على من تحب .

عمـر : بلى قد أرسلتها مع أسلم الى عيالات فى بنى سلمة .

عبيدالله : فهل بقى على ابنك عبيدالله من جناح ؟

عمـر : (ينظر اليه كأنه رضى عنه) لا لاجناح عليك يا بنى .. غدا يرفع الله المحل فتأكل ما تشتهيه نفسك .

بحرية : ان الذى ظلم يا أمير المؤمنين هو طفلنا الرضيع .

عمـر : ويحك يا بنت هانىء ارضعيه من لبنك أنت .. أكل أطفال المسلمين لديهم نعاج تدر عليهم ؟ شغلتمونى عن أصحابى !

(يخرج مسرعا) .

(يسمع صياح الطفل من الداخل)

بحرية : صاح الطفل !

عبيدالله : (يضحك) الحقيه .. سمع ما قاله جده فبكى !

« ستار »

الاسرة السعيدة فى بنك بورسعيد .. تدفع بتوقيعها

فأينما وجدت يمكنك أن تدفع بشيكات بنك بورسعيد . هذه احدى مزايا الحساب الجارى فى بنك بورسعيد الى جانب مزايا أخرى عديدة منها :-

- يمكن تحويل المرتب الى الحساب الجارى والسحب منه بشيكات فلا يتعرض للنشل فى زحام المواصلات
- يمكن اعطاء الأمر الى البنك فيقوم بتنفيذ جميع الالتزامات الدورية خصما من الحساب
- يمكن اعطاء توكيل الى الزوجة باجراء بسيط فتستطيع أن تدفع مشترياتها بشيكات على ذات الحساب .

خدماتنا تصل الى كافة فئات الشعب

بنك بورسعيد

صفحات مشرقة من بطولات الفلسطينيات

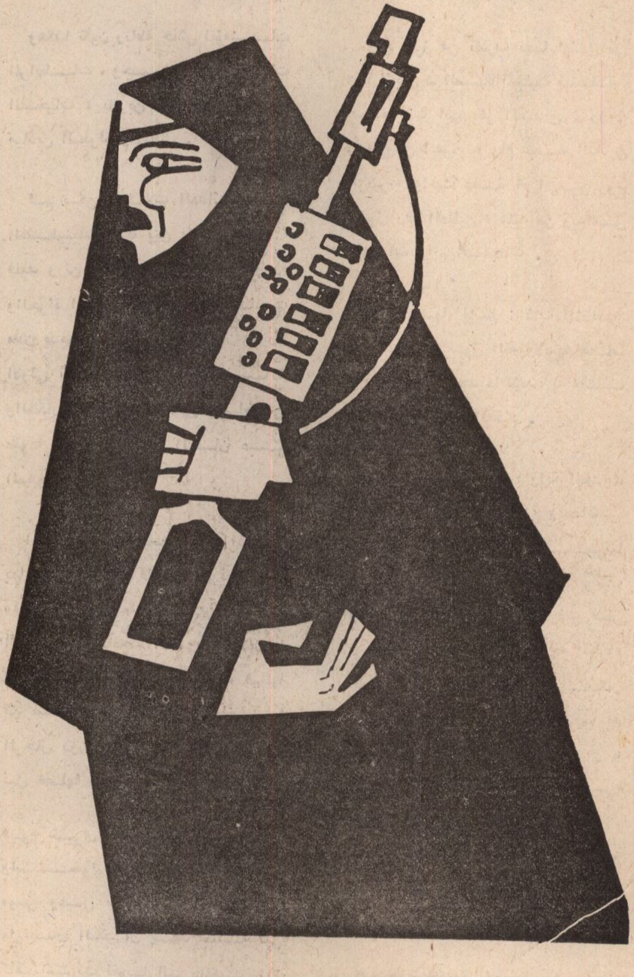

الأستاذ عبد المغنى المنشاوى

يحتدم اليوم وقبل اليوم شواظ المعركة الضارية ، على أديم الارض الحبيبة المحتلة ، من جنة فلسطين المغتصبة ، ويكاد هذا الجزء العربى المحتل من ارض العروبة أن يهوى صريعا تحت لطمات الظلم والعسف التى يكيلها له هؤلاء الظلمة الفجرة المتسفون من ابناء صهيون ، لولا ان قيض الله لنصرة فلسطين ، أبطالا واشبالا من ابنائها الفدائيين المجاهدين، أحياهم بعد موت ، وقواهم بعد ضعف، فكانوا مثلا يضرب للناس ، فى قهر القنوط والاستيئاس ، كما ضرب الله للناس من قبل مثل هذا المثل فى تضاعيف كتابه الكريم بقوله سبحانه :

« ألم تر الي الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ، فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم ، ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون . »

انه فى الحق لقصص عجب ، يوقظ العيون النائمة ، وينبه العقول الحالمة ، ويوجه ويسدد حتى يتعالم الناس فيما بينهم ان الفداء طريق النجاء ، وأن من طلب الموت توهب له الحياة ، قوم خرجوا من ديارهم فرارا من الجهاد خشية الموت فيه ، وهم الالوف الكثيرة ، فكان قضاء الله فيهم من أجل فرارهم ، أن يلقوا الهوان والموت على أيدى أعدائهم ، حتى اذا استبسلت بقيتهم ، واستمسكت بناصية الفرصة قبل الفوات طائفة منهم ، أحيا الله جماعتهم ورد اليهم كرامة الحياة فيهم ، فانقضوا انقضاض النسور يفرسون فرائس الاعداء ، ويحيلونها أشلاء فوق اشلاء — سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا .

انتظمت روح الجهاد المقدس بطولات الفدائيات والفدائيين ، من فتيات فلسطين وفتيان فلسطين ، واستبقت الفتاة والفتى ميدان الجهاد والجلاد ، والتضحية والفداء ، يحمل كلاهما على كتفه وفى يده المدفع والغدارة ، كما يحمل فى صدره قلبا فتيا وعزما أبيا

هما أقوى من كل مدفع ، وأمضى من كل غدارة ، ولم تعد فتاة فلسطين الفتاة المنطوية على نفسها ، الحبيسة بين جدران بيتها ، لا تتجاوز رسالتها حدود ادارة البيت وترفيه الزوج وانجاب الولد ، بل نفضت عن نفسها ذل هذا السجن البغيض ، وحملت كما يحمل الفتى السلاح ، تشاطره حمل أعباء الكفاح ، وتصيح فى عزة بالله ، وتغدية للوطن السليب الحبيب ، صيحة تنخلع لها قلوب الظلمة الغاصبين ، وتتهاوى دونها صروح الجبابرة المعتدين ، هادرة فى صيحتها بقولتها : انا العربية ، انا الفدائية ، انا الثورة ، ولا ازيد ـ وبحسب الاعداء منى ساعد الوعيد .

فهذه فاطمة برمادى ، وهذه عايدة عيسى سعد ، ومن لف لفهما وسلك نهجهما فى ميدان بطولات النساء ، يضربن أروع الامثال بما لا تتمزى عليه بطولات الرجال ان هؤلاء الفدائيات الفلسطينيات ، المجاهدات المجالدات ، قد وضعن أرواحهن على أكفهن ، ليبعنها بيع السماح رخيصة وهى الغالية ، فى سبيل نصرة الوطن الحبيب السليب .

نشرت صحيفة الاهرام فى صباح اليوم السابع والعشرين من شهر المحرم الحرام ـ الموافق لشهر ابريل من سنة ١٩٦٩ ـ صورة تتجلى فيها محاكمة للفدائية البطلة ـ عايدة عيسى سعد ـ امام محكمة اسرائيلية متحيفة باغية ظالمة ـ اذتنكر على هذه الفدائية البطلة حقها المشروع فى الذود عن وطنها ، واسترداده من ايدي مغتصبيه ، وهو حق مشروع تقره الشرائع السماوية ، ولا تتاباه الشرائع الوضعية .

قذفت هذه البطلة الفدائية بين الجراة والشجاعة قذيفة يدوية اصابت بها هدفها فى سيارة حربية اسرائيلية ، فكانت القاضية على جميع من كانوا يستقلونها من جنود الاعداء ، وما اصدرت المحكمة الظالمة حكمها بالسجن عشرين عاما حتى هتفت ـ عايدة ـ فى صيحة من كبريائها الوطنية ، وعزتها القومية مصحوبة منها بابتسامات ساخرة :

انى أضرب جنود العدو المغتصب من أجل وطنى ، وحاشا ان يعز عليه مهما عز الفداء .

وهكذا تكون رباطة جاش المؤمنات المرابطات ، وجراءة الفدائيات المضحيات ، يضربن اروع الامثال فى ميادين البطولة والابطال .

لم تكن البطلات الفدائيات الفلسطينيات بدعا بين بنات العروبة ، فلقد ورثن عناصر هذه البطولة النادرة والجراة الجريئة عن امهات لهن سابقات ملأن صفحات تاريخ الاسلام ابان عصوره الاولي ألوانا من المجادة والبسالة والفخار ، ونظمن من لآلىء مفاخرهن عقودا يتحلى بها جيد الزمان عبر الدهور .

استقطبت لهن جميع عناصر الخير ، بما قذف الله فى قلوبهن من نور الهدى والايمان ، وبما تعاقد معهن من صفقة اشترى فيها بالجنة انفسهن يبذلنها فى سبيل الله وحب الاوطان ، فيالها من صفقة رابحة لم يختص بفضلها الرجال دون النساء ، بل تساوى فى نيل فضلها الرجال والنساء .

قوم شرى الله بالجنات انفسهم
واستنسخوا عقدهم فى محكم الكتب
موسى وعيسى مع الهادى شهودهم
ما أصدق العقد ان يشهد عليه نبى
كيف اشتريت نفوسا انت مالكها !
يا عبد فضلى سل فضلى عن السبب
فيالها صفقة للقوم رابحة
تفرى المبايع بالتسليم والطلب

قد يقول بعض ذوى الرأى ، انه ليس ضروريا لتصبح المرأة بطلة ان تشاطر الرجل كفاحه فى ميدان القتال ، وبحسبها لتنال شرف هذه البطولة ، ان تأخذ ابناءها منذ نعومة اظفارهم بسمات الرجولة ، فتوجه وتشجع وترشد وتحمس ، حتى تهدى الى الوطن من ابنائها اشبالا تتسامى بها درجات الابطال .

ومن أبرز من يضرب بها المثل فى هذا المجال ـ السيدة الجليلة النبيلة : اسماء بنت ابى بكر الصديق : وزوج الزبير بن العوام ، وام عبد الله بن الزبير ، واخت عائشة ام المؤمنين زوج رسول رب العالمين ، عليه من ربه افضل الصلوات وأتم التسليمات .

عرفت أسماء باسم : ذات النطاقين: لانها صنعت لرسول الله ولابيها طعاما يوم هاجرا فلم تجد ما تشده به ، فشقت نطاقها وشدت به الطعام .

اشتهرت اسماء برواية الحديث والشجاعة والبسالة والحزم وبعد النظر ، تتجلى شجاعتها النادرة وبصيرتها النافذة ، حين سار الحجاج بن يوسف الثقفى الى مكة وحاصرها ، غير مبال ان يضرب الكعبة وهى بيت الله الحرام بالمنجنيق ، ليرغم اهلها وهم سكان البلد الامن على طلب الامان والعجب ان ينضم الى الحجاج اتباع ابن الزبير » وغيرهم من ذوى قرباه : ليصبحوا جميعهم البا واحدا على ابن الزبير ، وليبقى ابن الزبير فى عدد قليل من انصاره ، لا يغنون عنه من أعدائه شيئا .

فى هذه الفترة الحرجة من حياة ابن الزبير التى كاد فيها الضيق يشق قلبه ، واليأس يقتل امله ، مثلت له امه فى خطواتها الوئيدة السديدة ،

تتزيا بثوبين كريمين من جلالها وجلدها، وانشأت تستحثه على مداومة القتال ، دون ان يحفل بما يصيبه من هول هذا القتال ، ما دام يؤمن فى قرارة نفسه أنه على الحق ، وانه عن جانب الحق يذود ، كان ابن الزبير قد اوى الى مكة واعتصم بها ، مطمئنا الى أنها حرم مقدس لا يحرم فيه لمؤمن اى مؤمن ان يقاتل ، لكن جيش اعدائه لم يرع لمكة هذه الحرمة ، ولم يحفل لها هذه القداسة ـ بل ظل ينفذ أوامر قائد لا يعنيه دون تنفيذ اوامر الخليفة شيء ذلكم هو الحجاج الذى يقول عن نفسه :

ان الخليفة أطال الله بقاءه ، قد نثر كنانته ، وعجم عيدانها ، فلم يجد أصلب منه عودا واقوى مكسرا فرمى به عدوه .

استانف ابن الزبير استخدام اساليب الدفاع صابرا مصابرا نزولا على رغبة أمه أسماء ، ولكن اساليب الهجوم والحصار كانت من اعدائه أشد وانكى ، فلما أيقن المجاهد الكبير أنه مقتول لا مجالة ، دخل على أمه اسماء بنت أبى بكر وقال لها :

يا أماه ، قد خذلنى الناس ، حتى ولدى وأهلى ، ولم يبق معى الا اليسير ، ومن ليس عنده اكثر من صبر ساعة ، والقوم يعطوننى ما اردت من الدنيا ، ان انا سالمت فسلمت ، فاخبرينى يا أماه : اين يقع رأيك ؟

فكان ردها الحازم الصارم : يا بنى ، انت اعلم بنفسك منى ـ ان كنت تعلم انك على حق واليه تدعو ، فامض له ، فقد قتل عليه اصحابك ، ولا تمكن من رقبتك ، غلمان بنى أمية يلعبون بها ، وان كنت اردت الدنيا فبئس العبد أنت ، أهلكت نفسك ومن قتل معك ، وان قلت : كنت على حق فلما وهن أصحابى ضعفت ، فهذا ليس فعل الاحرار ولا اهل الدين ، كم خلودك فى الدنيا ؟ القتل أحسن ، فقال لها : يا أماه ، اخاف ان قتلنى أهل الشام ان يمثلوا بي ويصلبونى ، فقالت : يا بنى : ان الشاة لا تألم من السلخ اذا ذبحت ، فامض على بصيرتك واستعن بالله ، فقبل رأيها وقال موافقا لها ـ هذا رأيى فطفقت امه تدعو له وتشجعه نعم ، ان خاتمة المطاف كانت قتل ابن الزبير ، لكن أمه وهى السيدة المؤمنة الحازمة الراضية ، قد نفثت فيه من روح العزم والجلادة ، والتسامى والانفة ، ما هيأه ان يلقى الموت وهو فى صورته الرهيبة ، مرحبا به ، متحاميا أن يسجل التاريخ اسمه فى سجل الجبناء المترددين المتخاذلين ، الفارين بجلودهم من جميع الميادين .

ولقد صار اسم ابن الزبير بفضل شجاعته المستمدة من شجاعة امه اسماء ، أشرف عنوان للتضحية والفداء ، ونال بذلك عند الله كرامة الشهداء . هذا ولم تقف البطولات النسوية العربية موقف اسماء فحسب ، بل تجاوزتها الى مشاركة الرجال فى ميادين القتال ، فهناك بطولات عربية نسوية تقحمن ساحات الوغي ليقمن بمؤاساة الجرحى ومداواة المرضى ، بل ان من بينهن من حملن السلاح ومارسن الكفاح الى جانب الرجال فى ميادين القتال .

كادت الدائرة تدور على المسلمين فى غزوة أحد ، وكاد الكفار ينالون من رسول الله عليه صلوات الله ، هنالك استلت الصحابية الجليلة نسيبة بنت كعب سيفها ، وهى من هى ، المجاهدة فى سبيل الله ، المنافحة عن حوزة دين الله ، وسرعان ما اشتركت مع الصحابة فى حماية رسول الله ، قاذفة بنفسها فى صفوف الاعداء ، حتى اصيبت بجروح كثيرة اثخنتها ، فصيرتها منزوفة لكثرة ما سال من دماء ، لكن نار حماستها لم تخب ، وثورتها جرأتها لم تفتر ، بل تحاملت على نفسها جاهدة ان تتم شرف رسالتها فى سبيل الدفاع عن رسول الله عليه صلوات الله ، وبحسبها شرفا وفخرا فى هذا المجال العظيم ان قال فيها الرسول الكريم

ما التفت يمينا او شمالا الا رأيتها تقاتل دونى ، فطوبى ثم طوبى لهذه السيدة العربية الصحابية الجليلة ، الجديرة بأن تكون لدى فتيات العروبة القدوة المثلى بها يقتدين ، والاسوة الحسنة بها يأتسين . واكبر الظن اننا نلمس التطبيق العملى لهذه القدوة الصالحة الناجحة اليوم ، وفى هجمات فتيات فلسطين ، التى اوشكت ان تقوض صروح المعتدين ، وتقض مضاجع الغاصبين الظالمين .

هذا وسجل التاريخ زاخرا بأسماء الاعلام من البطلات العربيات ـ امثال غزالة ، والزرقاء بنت عدى ، وخولة بنت الازور ، نرجو بتوفيق الله ان يكشف عن بطولتهن حديث تال ان شاء الله ، يتوفر عليهن ، رعيا لحرماتهن ، وكشفا لبطولتهن ، حتى يتوافر لفتيات العروبة من نماذج القدوة الصالحة ما توافر لفتيانها فى ميادين الجهاد والجلاد ، وبهذا وحده بعد مشيئة الله ، يتم لنا النصر باذن الله .

مؤامرات اليهود ..

ضد الإسلام والمسلمين

٩

- ٢ -

الظاهرة الملازمة لحياة بنى اسرائيل فى سائر اطوار التاريخ ومراحله ، أنهم حيث يكونون ، يكون الشر والفساد ، والفتن والمؤامرات .

هكذا ، كانوا ، قبل الاسلام وبعده ، وكذلك هم الى يومنا هذا .

شقوة أزلية ضربت عليهم ، فتطرحوا فى بواتقها وعاشوا لظاها ومساخطها ، اجيالا ، اثر اجيال .

واشقى ما يشقيهم ، ويشقى العالم بهم ، توهمهم انهم أصحاب الحق الاول فى كل ما فى الكون الانسانى الكبير ، من خير ومتاع ، وامتداد سلطان

وذاك مطمع بعيد ، استحال عليهم تحقيقه ، لمجافاته لطبيعة الوجود البشرى السوى ، فضلا عن مجافاته لشريعة عدل الله سبحانه وتعالى .

ومن هذه الاستحالة نشأ احساسهم الشاذ ، بأن الناس قد حرموهم حقهم ، وصدوهم عن مواضع الصدارة فيهم ، فكرهوهم ، وحقدوا عليهم ، وناصبوهم العداء ، وتربصوا بهم الدوائر المهلكات.

وضاعف من اعراض هذا الوهم المتهوس فيهم ، انتماؤهم ، نسبا الى الانبياء الاولين : ابراهيم ، واسحق ، ويعقوب .

فهذه النسبة (العصبية) قد خلبت البابهم ، فازدهوا بها ، وتصلوا ، وتمثلوا أنفسهم رؤوسا ومن عداهم اذنابا ، ومن هنا كان انفصالهم عن المجتمع العام ، وترخصهم فى مفارقة الجرائر والآثام .. ذهابا مع تصورهم المعتل ، بأن مجرد انحدارهم من هاتيك الاصلاب النبوية ، مضف عليهم شرفا يتفردون فيه بالسبق والتقديم ، وحسبهم به معاذا من قصاص ، ، وعصاما من حساب .

وقد تتابعت عليهم من لدن الله تعالى ، الرسل، والنذر ، لهدايتهم وتبصيرهم ، فعموا وصموا وانكروا وجحدوا .. وجهلوا فى ظلمة الشقوة التى رانت عليهم،أن شرف الانتساب الى آبائهم الانبياء لا يتحقق الا بشىء واحد ، ولا سواه ، هو انتهاج مناهجهم وامتثال مثلهم ، وعمل الخير الذى دعوا اليه ، واجتناب الشر الذى نهوا عنه ، يستوى فى ذلك الاقربون والابعدون ، اذ الناس جميعا سواسية

الاستاذ أحمد وانى

كأسنان المشط ، خلقهم الله من نفس واحـدة ، وخيرهم اتقاهم وأحسنهم فى الحياة عملا .

وذلك حديث طويل ليس هنا موضع تفصيله ، نمر به الآن معجلين ، لاستظهار دعواهم فى أجمال ولنرى كيف كانوا فيها أحمق الحمقى ، وأكـذب الكاذبين . ولا أدل على هذا من انهم ، على طـول الدهور والعصور ، كانوا من اشد الناس مخالفة لآبائهم على طريق العمل الصالح . كانوا أبدا، شرا كل الشر ، حتى على أقرب الناس اليهم ، وأوثقهم بهم ، صلة ورحما .

ففى حياة أبيهم يعقوب (وهو نفسه اسرائيل) وتحت سـمعه وبصره ، كادوا لأخيهم يوسـف ، فتآمروا به ليقتلوه ، وكان لا يخفى على أبيهم ماقد ركب فيهم من خبث وحقد وجنوح الى الجريمة ، فلما قص عليه يوسف رؤياه المبشرة ، خاف عليـه شرهم ، فنصحه الا يقصها عليهم (**قال يا بنى لا تقصص رؤياك على أخوتك فيكيدوا لك كيـدا)** ولكنهم مع تقية أبيهم وحذره ، مضوا فى مؤامراتهم وقال بعضهم لبعض (**ليوسف وأخوه ، أحب الى أبينا منا ونحن عصبة اقتلـوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم)** ثم زينـوا لابيهم أن يرسله معهم فى الغداة (يرتع ويلعب) ، فأرسله على موثق منهم أن يكونوا له حافظين ، فخـانوا موثقهم وألقوه فى غيابة الجب .. (**وجاءوا أباهم عشاء يبكون .. قالوا : يا أبانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب)« وجاءوا على قميصه بدم كذب » . (قال : بل سولت لكم أنفسكم أمرا ، فصبر جميل)**

الآيات ٥و٨و١٢و١٦ ـ ١٨ من سورة يوسف .

فكانت تلك أول (مؤامرة قتـل وغدر) فى التاريخ ، وتحت ظلال النبوة الصالحة ، حمـل أصرها ابناء يعقوب (الكبار) للتخلص من اخيهم (الغلام) انسياقا مع أحقر الشهوات ، وأخس الغرائز والرغبات .

وواضح أن هؤلاء الأثمة المتآمرين ، هم الاسباط العشرة أجداد اليهود الذين ذهب بهم الخيـال المريض الى أنهم ورثة الانبياء (وشعب الله المختار) وأصحاب الدنيا من سائر أقطارها .

فهم ـ كما قد رأينا ـ أعداء الخير والاخيـار ، وعبيد المطامع والاوزار ، قد باعوا أنفسهم رخيصة للشيطان ، منذ وجدوا على هذه الارض ، فراحـوا يعملون عمله ، ويؤدون وظيفته ، افسادا فى الناس وتدميرا لمعالم الاخاء والسلام .

ومؤامراتهم الخبيثة المتتابعة ، ضد الاسـلام والمسلمين ، ليست سوى حلقة من هذه السـلسلة الممتدة على مدى الازمان ، وخطوة على طـريقهم الطويل فى الكيد لمختلف الشعوب والاديان .

فعلى طريقهم هذا لا يعرفون دينا ، ولا يحفلون بعقيدة ، ولا يؤمنون بحق ، وقـد كانوا فى أكثر أحوالهم يتنقلون بين الأديان والمذاهب ، فى غير ما اعتقاد صحيح ، ليعيثوا فسادا فى النـاس من قريب .

فهذا « كعب الاحبار » الذى حـدثناك عنه فى مقالنا السابق ، كان يهوديا فاسلم حين لم ير غير الاسلام منفذا لتسديد سهامه ، ودس سمومه ، فلم يزل بالمسلمين يصانعهم ، ويداهيهم ، ويتعالم فيهم (وكان من علماء يهود) حتى علا موضعه فى مجلس أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وقد بلغ من موضعه هذا حـدا طوع له أن

يجاهر امير المؤمنين فى غير خوف ولا رهبة ، بأنه ميت بعد ثلاث . والخبر مزعج ومثير ، والمجاهرة به جريئة أشد الجراة، ولكن كعبا يكرره غير متهيب على سمع عمر العظيم الجليل المرهوب ، فيستمع اليه غير مبال ولا مصدق ، ولا يجوز عليه ادعاء الرجل أنه يجد ذلك فى التوراة ، فما كان لهذا اليهودى الذى أسلم مغلوبا من قريب ، أن يؤتيه الله علم الغيب ، وما كانت التوراة التى يعلم عمر انهم غيروا فيها وبدلوا ، وحذفوا منها وأضافوا ، ما كانت لتنبىء بموت عمر أو غير عمر ، فذلك أمر قد استأثر الله بعلمه وحده ، وجاء القرآن الكريم مؤكدا هذه الحقيقة ، وفيه للمسلمين غناء . وأشاح امير المؤمنين عن الرجل ومقالته ، منصرفا الى ما يراه أجل منهما شأنا وأعظم خطرا من مصالح الامة ، وقضايا المسلمين .

ولكن عمر رضى الله عنه ، يموت فى الموعد الذى أنبأ به كعب الاحبار . يموت مقتولا بيد فارسى موتور ، اقتحم عليه المسجد ، وطعنه بخنجر ذى حدين وهو قائم يصلى بالناس صلاة الفجر ، ويلقى القاتل مصرعه لساعته فيمضى ومعه سر الجريمة .. ثم يظهر بعد قليل ما يدل على أنها مؤامرة شارك فيها رجلان آخران من سبايا الفرس فيلقيان مصرعهما كذلك ، ولم تتحرك أصبع واحدة لتشير بالشك والاتهام الى كعب الاحبار ، وكان خليقا أن يساق الى حيث ينبغى مساءلته عن مصدر علمه المسبق بالجريمة ، فلا بد أن النبوءة كانت قد تطايرت وتسامع بها الناس — وهنا كان مؤكدا أن يسقط الرداء الزائف عن هذا الماكر المخادع ، فيؤخذ بجريمته — حقا وعدلا — مأخذ شركائه المتآمرين ، ولعل هذا التصرف كان قمينا أن يكشف عن آخرين وجدوا فرصة النجاة فى غمرة الحادث المروع الذى فجأ المسلمين فأذهلهم وأطار البابهم .

ومن المحقق ان هذه الجريمة النكراء غير المتوقعة قد أصابت الدولة الجديدة المتفتحة فى قلبها ورأسها معا .

فلقد كان عمر رضى الله عنه فذا نادر المثال ، فى دنيا الرجال ، شاء الله أن يكون هو حامل الاعباء الثقال لهذه الدولة العذراء ، التى امتدت واتسعت واستفاضت ورفرفت راياتها على كثير من الشعوب والامصار ، فنهض بها فتى العزم ، قوى الشكيمة ، مسدد الخطو ، مستنير الراى واضح النهج ، مقيما صروح الحق والعدل للناس ، قاطبة ، مسلميهم وغير مسلميهم ، فقرائهم وأغنيائهم ، على سواء ، مهتديا بهدى القرآن ، وسنة الرسول ، لا يرى فى سواهما سبيلا لسياسة الدولة ورعاية الامة ، ولهذا كان يختار ولاته ونوابه وقواد جنده متأنيا متفحصا ، ويوصيهم متشددا بالعدل والاحسان ، والتعوذ من أهواء الدنيا ومضلاتها ، ومن زهو المناصب ومغرياتها ويتابعهم بالعيون الراصدة ، ويعاسرهم فى الحساب ويتفسح للناس ويصغى الى شكاتهم ، ويشجعهم عليها ، وينصف المظلومين من الظالمين ، والضعفاء من الاقوياء ، وعند ما رأى الدنيا مقبلة على المسلمين اقبالا يزخر بالخير ويموج بالثراء ، أجراها فى مجارى الخير العام ، وحاجز بينهم وبين شهواتها ومفاتنها ، وضرب لهم بنفسه مثلا سافرا فى التزهد والقناعة ، والرضى بالقليل ، وامسك قريشا وأصحاب رسول الله بمكة والمدينة خوفا عليهم من مغريات الدنيا المقبلة ، وخوفا على الناس أن يفتنوا بسابقتهم ومكانهم من رسول الله ، الى آخر ما الاعداد له من مأثورات عدله وحزمه وسداد رأيه وصرامة حسابه ، وقد استقامت به أمور الدولة على الجادة فأخذ البناء الجديد يتوثق ويعلو ، والحياة تزدهر وتنمو ، والحكم الاسلامى ينتظم الشعوب المختلفة فى مثالياته الرائعة ، ومساواته المسعدة ، فكل ما فى عهد عمر وامامته ، كان دليل قوة ، ومفيض عدل ورحمة ، وبشير رخاء ورفاهية .

ولم يغب هذا عن العيون اليهودية المتلصصة ، كما لم يغب عنها أن عمر نسيج وحده يقبض بيديه القويتين على شهوات تفهق بها نفوس طامحة متطلعة فلو أنه قد زال عن موضعه ، لاهتز حتما هذا البناء المكين ، ولانطلقت هذه الشهوات الحبيسة المتوثبة ، ومن وراء ذلك — كما لابد أن يكون — اختلال الموازين ، وتفرق الجماعة ، وشيوع الفوضى والفتنة .

واذن ، فلتكن المؤامرة ، ولتقع الجريمة ، وكان ما أراد اليهود .

وتبوأ ذو النورين مكان الفاروق ، بعد حوار طويل وشى باختلاف الرأى ، ونم على الفرقة ودل على ما بعده .

وفى ظل عثمان — رضوان الله عليه — وفى مناذح أخلاقه السمحة ، وروحه العطوف ، وجانبه اللين ، تفتحت الأبواب المغلقة ، فخرجت الأهواء والمطامع من أقفاصها العمرية ، وانطلقت هنا وهناك ، لتعب من المناهل الثرة عبا ، ولا ممسك لها ، فكان الفرق كبيرا ورهيبا بين العهدين .

وما يزال « كعب الاحبار » بموضعه القريب المكين من أمير المؤمنين ، بل لعله كان الى عثمان أقرب وأمكن موضعا منه الى عمر ، يرجع اليه مستشيرا ، فيشير بالرأى يبدو كأنه يضع به زيتا بالمصباح لينير ، بينما يضع به حطبا فى التنور ليحرق .

كان أبو ذر الغفارى الصحابى الجليل ، قد رأى الامة توشك أن تتردى فى مهاوى الفتنة لتهافت الاغنياء على الدنيا وملذاتها ، بما قد توافر لهم من أموال تفيض عن حاجتهم المشروعة ، فراحوا يكتنزونها ولا ينفقون منها الا على حياتهم الخاصة متوسعين فى الرفاهية والتملك ، دون ما رعاية ولا مبالاة بما فى أعناقهم من حقوق الفقراء ، وهم يومئذ كثرة كاثرة ، فيهوله الامر ويخشى سوء عقباه ، فيصيح صيحته المدوية (يا معشر الاغنياء : واسوا الفقراء) ويحذرهم غضب الله وعذابه ، لقوله تعالى : (والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم) ويضيق صدر معاوية به فى دمشق ، فيرسله الى عثمان بالمدينة ، ويكون بين الخليفة وأبى ذر جدال وخلاف ، فالخليفة يرى ، كما قد رأى معاوية ، أنه ليس على المسلم الا ان يؤدى فريضة الزكاة ، ولا عليه بعد ذلك من شىء . ويلتفت الى كعب الاحبار يسأله الرأى فيقول موافقا رأى الخليفة ، فيثور أبو ذر صارخا فى وجهه (يا ابن اليهودية ، ما أنت وهذا .. أتعلمنا ديننا) ويضربه فى ثورة الغضب على رأسه بعصاه فيغضب عثمان لكعب الاحبار ، وينفى ابا ذر الى مكان بعيد موحش ، فما يزال فى منفاه حتى يموت هناك وحيدا .

فكعب الاحبار فى مكانة القريب من السلطة العليا للدولة ، وبمداخلاته الماكرة المداجية ، ما برح يكيد للمسلمين ، ونستطيع أن نفهم من هذه الحادثة وحدها أنه كان ذا رأى خالب ومؤثر فى السياسة اللينة المطاءة التى سار عليها عثمان ، وهى السياسة التى أنشأت طبقة الاغنياء المترفين والمرفهين وكان أكثرهم من أهل الخليفة وذوى قرباه ، وممن يساله ويدانيه ، فظهرت بسبب ذلك طبقة الغاضبين والساخطين من الفقراء ، وهم سواد الناس ، ومعهم الصالحون وأهل الورع الذين يخشون على الدولة والدين عاقبة هذا السرف الأخرق فى ناحية ، والحرمان الموبق فى ناحية أخرى .

وما كانت أبدا ، محض مصادفة ، أن يظهر فى ذاك الوقت بذاته ، اليهودى اليمنى الآخر : عبد الله ابن سبأ (ابن السوداء) لقد كان كذلك يهوديا معرقا ، دخل فى الاسلام وسط هذا الجو الذى يمور بالقلق والمتناقضات ، يبغى الفساد والمكيدة ، وقد رأى المسرح معدا ، والريح مواتية ، فتقدم ناشطا غير متردد ، ليؤدى دور الخبيث ، ساعيا بين الناس بقالة السوء فى عثمان وأصحاب عثمان ، مشهرا بما قد صوره فسادا فى الحكم ، واستغلالا للنفوذ ، وانتهابا لمال المسلمين ، وانحرافا عن جادة الدين ، محركا غيظ الفقراء على الأغنياء ، ومؤلبا الناس على امامهم وخليفتهم الخ .

فأمر الدولة فى هذه الظروف الدقيقة ذات الحساسية الشديدة ، كان بين يهوديين خطيرين ، لاشك فى أنهما كانا على اتفاق مرسوم ، وخطة مدبرة ، أحدهما بالمدينة يشجع الخليفة ويؤيد سياسته ويحضه على المضى فيها ، وثانيهما فى صنعاء تارة ، وفى دمشق أخرى ، وفى مصر ثالثة ، يهيج الخواطر ويبذر بذور الثورة .

وقتل عثمان ، كما قتل عمر من قبل فانغمرت الدولة الشابة ذات الخمسة والثلاثين عاما ، فى انقسامات وعداوات ، وقاتل المسلمون بعضهم بعضا ، وتفرقوا شيعا وأحزابا ، ونبضت فيهم من جديد عروق العصبية الجاهلية .

وواصل اليهود كيدهم متنكرين فى مظاهر اسلامية زائفة .

ومخابث اليهود ومفاسدهم لا تحصى كثرة .. منها - فوق ما تقدم - محنة « خلق القرآن » ، وهى من أشد المحن التى أصابت المسلمين بعد مقتل عثمان .. وفيها استشهد كثيرون ، وعذب كثيرون ، من بينهم أئمة أعلام ، وفقهاء أجلاء كالامام أحمد بن حنبل الذى سيم أشد وأقسى العذاب ، واجتمعت عليه وعلى أمثاله قوى الخلافة والوزارة ومشيخة المعتزلة ، وكلها حينذاك قوى باغية وعنيدة مؤزرة بالسطوة القاهرة والسلطان الباطش ، وحاولوا جهد ما يستطيعون أن ينتزعوا من هذا الامام الكبير رأيا يوافق مقالتهم ، ولكنه لا يرى فيما يقولون سندا من كتاب الله ، ولا من سنة الرسول ، فيمتنع ، فيؤمر به فيجلد جلدا يمزق جسده وهو الشيخ الناحل الضعيف ، ويقذف به الى السجن امعانا فى التعذيب ، ويتوعدونه بالموت مصلوبا كما فعلوا بغيره . وهموا بذلك ، ولكنه يظل ثابتا على رأيه مؤمنا به ، لا يزحزحه عنه عذاب واقع ، ولا قتل متوقع ، الى آخر ما هو معروف من قصة هذه المحنة المروعة .

ومقالة خلق القرآن هذه ، واحدة مما أقحم اليهود على الاسلام والمسلمين .

فهذه المحنة التى فشت فشو الوباء فى المسلمين وفتكت بالاتقياء الصالحين من علمائهم ، يهودية اصلا ، وفرعا ، أو كما يقولون : لحما ودما .

وكم لهم مثلها فى الاسلام من مناكر وسيئات .. ومؤامرات . فلعلنا نستطيع أن نعرض منها صورا أخرى فى مقال آخر .

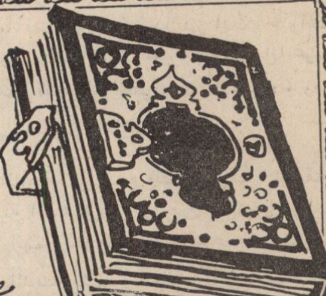

المطبعة المصرية ومكتبتها

سوق الأوقاف بأرض شريف سه عبد العزيز ت ٩٠٠٥٣٨

مختصة بطبع أفخر المصاحف فى العالم

مصاحف فخمة للقراءة والهدايا ذات علب فاخرة

ومصاحف للمتاحف بها نقوشات بالذهب الحر

أوضح التفاسير لابن الخطيب بهامش المصحف الثمن من ١٢٥ الى ٥٠٠

صحيح مسلم بشرح النووى ١٨ جزءا فى ٦ مجلدات الثمن ٦٣٠

زاد المعاد فى هدى خير العباد لابن قيم الجوزية أربعة اجزاء فى مجلد ضخم ١٥٠

عبد الناصر صانع السلام

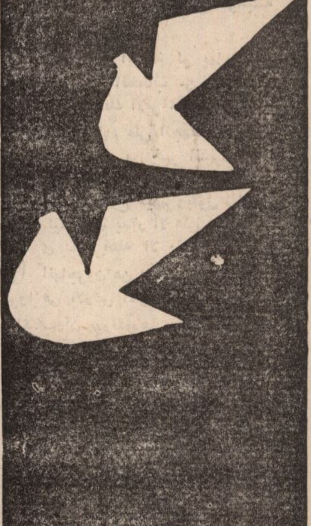

الأستاذ كامل عبد المجيد

« ان طريق النصر اشق الطرق وأصعبها ، ولكن النصر ممكن ، وهو الممكن الوحيد بعون الله واذنه » .

(من خطاب عبد الناصر فى انتهاء الدورة الثانية للمؤتمر القومى)

فى ٣٠ مارس ١٩٦٩ عقد المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى العربى دورته الثانية ، التى واصل فيهـا بحث ومناقشة مراحل النضال ، تنفيذاللجانب الاول من جوانب برنامج ٣٠ مارس ، الذى وافقت على بنوده كلها بالاجماع قوى الشعب العامل كلها ، والـذى نص على « ان المعركة لها الاولوية على كل ما عداها ، وفى سبيلها ، وعلى طريق تحقيق النصر فيها يهون كل شىء» .

وقد افتتح صانع السلام الجلسة الختامية لدور الانعقاد الثانى للمؤتمر اوضح فيها جوانب الموقف وتطورمراحل النضال والسبيل الامثل للوصول الى النصر الذى تسعى كل الجبهات لتحقيقه وأعلن بصراحة أن « المعركة » و«الردع» و « القوة » هى وسائلنا لتحقيق مانسعى اليه جميعا ، لان عـدونا ليس لديه « الوازع الاخلاقى » الذى يجعله يترك ما سلب ببساطة او « الوازع المعنوى » الذى يدفعه الى الانسحاب احساسا منه بانه قد اغتصب ما ليس له .

وهكذا يضع جما عبد الناصر النقط فوق الحروف ويحدد بحسم ان وسيلتنا الوحيدة هى الردع « لانها هى التى تحمى المطامع وتحقق ارادة المبادىءومعها ارادة الاخلاق والقانون » . وانطلاقا من هذه النقطة يوضح صانع السلام ـ بامانة ـ ان الطريق الوحيد الذىيجب علينا ان نسلكه فى المرحلة القادمة هو النصر ، لانه الوسيلة الوحيدة التى نستطيع بموجبهاان نستعيد مافقدنا وان نسترد ما اغتصب منا . ومع ذلك ، فان هذا الطريق ليس سهلا ، وليس بالهين اليسير ، فالنصر « صعب وطريقه اشد الطرق واصعبها ، واحفلها بالمكاره والمخاطر .. لكنه الطريق الذى لا بديل له » .

فالعدو الصهيونى قد رفض كل المحاولات والجهود التى بذلت من اجل اعادة الحق الى اصحابه دون قتال ، بل انه لا يزال ـ وحتى هذه اللحظة ـ يعلن « بغرور القوة الحمقاء » انه لن ينسحب من اراضينا ولن ينصاع لاية قرارات أو توصيات تصدر اليه من اى جهة او منظمة دولية « مصمما على تجاهل المبدأ والحق وأحكام الطبيعة ذاتها » .

وعلى هذا فلابد ان نرد عليه«بالقوة» لنستعيد « ما استطاع خطفه فى ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ .

القوة التى يوجهها افراد مخلصون .. ويحارب باسلحتها اكفاء مدربون يستندون الى قيادة قوية مفكرة مدربة مخلصة .. وعلى مدى العامين الماضيين استطعنا خلق هذا النوع من القيادات والافراد .. واصبحت القدرة والكفاءة والاخلاص والتدريب هى الاطار الجديد الذى يغلف هذه القوة ويحدد نوعيتها .. « القوة العاقلة » التى تنسجم مع الطبيعة لانها « قوة الحق » .

وحديث القوة يدفعنا الى حديث آخر هو قوة العدو وقدرته ، لاننا لابد لنا ان نضع ذلك فى الاعتبار ونحن على وشك بدء مرحلة جديدة من مراحل النضال « فمع تغير الصورة ومع نمو قوتنا وتعاظمها » يقول صانع السلام : « ان العدو ما زال يملك وسائله » « ولكن الوسائل التى اصبحت الان فى ايدينا قادرة على الرد » .

وبهذه النظرة الموضوعية للامور نستطيع القول ان احتمال الخطر قد ازداد فى المنطقة « لان اوضاعنا الان

تختلف عما كانت عليه » بعد النكسة مباشرة . فاذا كان العدو « ما زال قادرا على أن يضرب وان يضرب بعنف » فاننا نحن الاخرون « نستطيع القول ان احتمال الخطر قد ازداد فى المنطقة « لان اوضاعنا الان تختلف عما كانت عليه » بعد النكسة مباشرة . فاذا كان العدو « ما زال قادرا على ان يضرب وان يضرب بعنف » فاننا نحن الاخرون « نستطيع ان نضرب وان نضرب بعنف ايضا » . وهذا هو التحول الكبير الذى احدثته ارادتنا وحققته عزيمتنا فى مجرى الصراع الكبير بيننا وبينه ، فنحن الان لا تخيفنا قوة العدو أو ضرباته ، ولا يذهلنا نجاح بعض هذه الضربات لاننا نتوقعها ونعمل لها حسابا فى مسار عملنا العسكرى والقومى فى هذه المرحلة .. وعلى ذلك نستطيع القول أن هذه الضربات تمنحنا فرصة ذهبية كبرى للرد على العدو وضربه « بقوة » و « بعنف » و « بنجاح » ، حتى يعرف حدوده ولكى نذيقه من الكاس الذى يحاول ان يسقينا منها .

ولعل سلسلة الاشتباكات والمعارك اليومية الاخيرة على خط المواجهة تعكس هذا التحول الكبير الذى احدثناه والذى طرأ على ميزان القوى فى المنطقة والذى « يجعل من هذه المرحلة مرحلة كبيرة الاهمية كبيرة الخطر » . كما تكشف المعارك اليومية على امتداد خط القناة عن حقيقة هامة يجب ذكرها هى «تخلخل توازن العدو » على الجبهة المصرية بالذات مما يهدد بتفجر الموقف فى المنطقة كلها طالما ان اسرائيل ترفض قبول قرار مجلس الامن وترفض الانسحاب من الاراضى المحتلة . يضع صانع السلام ملامح الصورة الجديدة فيقول « لقد مررنا بوقت كنا فيه نحاسب الجندى من جنودنا على الجبهة اذا راى العدو واطلق نارا عليه ، ذلك لاننا لم نكن مستعدين للمضاعفات . والان ، فان الصورة اختلفت ، فنحن نحاسب اى جندى من جنودنا على الجبهة يرى أثرا للعدو ولا يطلق عليه النار » .

وهذا التحول الذى طرأ على الجبهة المصرية يؤكد حقيقة هامة هى ان الجبهة العربية قد اصبحت تختزن من القدرات ما لم تكن تملكه من قبل ، وانها تستطيع ان تفعل الكثير مما لم تعلن عنه او تبح به ولكنها تدخره لاطلاقه فى الوقت المناسب .

ومع ذلك «فلسنا طلاب حرب للحرب» وانما نحن «طلاب سلام قائم على العدل»، سلام لا يمس كرامتنا أو ينتقص من كياننا أو أرضنا ، فان لم يحقق لنا السلم أو الطرق السلمية استعادة ما سلب ، فلا مفر من القتال واستعمال القوة « كتب عليكم القتال وهو كره لكم»

ونحن وان كنا نعلق بعض الامل على الاجتماع الرباعى وعلى المنظمات الدولية والرأى العام العالمى ، الا اننا فى نفس الوقت لا نعتمد الا على أنفسنا و « على قوتنا الذاتية » .. وعلى عزم وتصميم رجالنا البواسل .. وعلى جهود ابناء الشعب الفلسطينى الباسل الذين « يقاومون المعتدى ويتحدونه بنظرة الغضب ، بوقفة الكبرياء ، بالرصاصة وباللغم وبالقنبلة»

رجال

مكث ثلاثة أيام لم يأل فيها جهدا ، ولم يدخر فيها وسعا ، وهو يحاول أن يندب الناس لينهضوا مع المثنى بن حارثه لقتال الفرس ، وكان كلما استنفر الهمم ، واستثار العزائم رأى كيف يستبد الخوف بالمسلمين من فارس ، فتتراءى لهم من ثنايا التاريخ مهولة مخيفة ، كما كانت مهولة مخيفة فى ايام جاهليتهم !! وكان كلما حرك نخوتهم ، أو أشعل حميتهم ، لم ير على وجوههم الا أثر الجبن والذل ، وملامح الرهبة والحذر ! !

فى هذه الايام الثلاثة لم يمل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من التحدث الى الناس فى ذلك الامر ، وتحبيبهم فى الشهادة ، وحملهم علي الجهاد ، مبينا لهم ما فى الجهاد من خير الدنيا والاخرة ، مرغبا مرة ، ومتوعدا مرة اخرى ، وكان يصرخ فيهم ويقول : « ان الحجاز ليس لكم بدار الا على النجعة ، ولا يقوى عليه أهله الا بذلك .. أين الطراء المهاجرون عن موعود الله ؟؟ سيروا فى الارض التى وعدكم الله فى الكتاب أن يورثكموها ، فانه قال : ـ ليظهره على الدين كله ـ والله مظهر دينه. ومعز ناصره ، ومول أهله مواريث الامم ، اين عباد الله الصالحون ؟؟

واخيرا تقدم اليه رجل ثقفى ، ليس من المهاجرين ولا من الانصار .. رجل مسلم عمر قلبه الايمان ، وتاقت روحه الى الشهادة فى سبيل الله .. تقدم اليه أبو عبيد بن مسعود الثقفى ليمزق هذا السكون ، ويقطع هذا التردد تقدم اليه صائحا : « انا لفارس يا أمير المؤمنين !! انا لها !! انتدبنى لقتال اعدائك ، وليتبعني من يحرص على الشهادة !

هنالك اغرورقت عينا عمر بالدموع ، واحتضن ابا عبيد وقبله ، ثم توالى الناس من بعده يعرضون انفسهم على أمير المؤمنين لينتدبهم مع أبى عبيد .

صنعوا التاريخ !

الاستاذ محمود الجرسي

كانت سابقة ابى عبيد سببا فى توليته امارة الجيش الذى انتدبه عمر لامداد المثنى بن حارثة بالعراق ، وكان موقف المثنى قد ساء بالعراق بعد ان انفصل خالد بن الوليد بجيشه منه الى الشام ، فتنكرت له الارض ، وثار عليه الدهاقين والمرازبة ، وأعلنوا عصيانهم ، وخلعوا طاعة المسلمين ، فارتد المثنى ببقية جنده الى الحيرة ليتحصن بها ، حتى تمده المدينة بعون يستطيع أن يسترجع به ما ضاع من يده وسافر الى المدينة يستعجل المدد من أبى بكر ، فاذا به قد لحق بالرفيق الاعلى ، واذا بهذه التبعة الجديدة تلقى على اكتاف عمر بن الخطاب ، وكان من أمر ذلك ما كان .

اخذ امير المؤمنين فى تجهيز جيش أبى عبيد ، وسبقه المثنى الى العراق ، وكتب عمر للمثنى : أن يسمع له ويطيع ، فابو عبيد أمير الجيش وقائده . وكان ممن سارعوا الى نداء أمير المؤمنين بعد أبى عبيد « سليط بن قيس » ، وهو فارس لا يشق له غبار ، ولو انه تقدم أبا عبيد فى التطوع للجهاد لولاه عمر امارة الجيش .

ثم أخذ الخليفة يوصى قائده أبا عبيد فيقول : « أنصحك يا أبا عبيد ان تسمع من أصحاب النبى ، وأن تشركهم فى الامر ، ولا تجتهد مسرعا حتى تتبين ، فانها الحرب لا يصلحها الا الرجل الذى يعرف الفرصة والكف ، وعليك ان تشاور سليط بن قيس لجراته وتجربته ، وأعلم انه لم يمنعنى ان أؤمر سليطا الا سرعته فى الحرب ، وفى التسرع فى الحرب ضياع الا عن بيان ، والحرب لا يصلحها الا الرجل المكيث » .

ومشى ناس من أصحاب رسول الله الى عمر رضى الله عنه فى أمر ابى عبيد وامارته جيش المسلمين قائلين له : « كيف تولى رجلا ليس من السابقين الاولين من المهاجرين والانصار ؟ ؟ »

وكان ترددهم ثلاثة أيام فى الاستجابة لعمر قد حز فى نفسه ، فقال لهم صارخا : « والله لا افعل ، انما رفعكم الله بسبقكم وسرعتكم الى العدو ، فاذا جبنتم وكرهتم اللقاء فاولى بالرياسة منكم من سبق الى الدفع ، واجاب الى الدعاء ، والله لا أؤمر عليهم الا أولهم انتدابا » ، واسمعهم بعد ذلك كلاما وجيعا ، ثم دعا بعد ذلك سليط بن قيس وسعد بن عبيد وقال لهما : « اما انكما لو سبقتماه لوليتكما ، ولادركتما بها الى مالكما من القدمة .

فصل أبو عبيد من المدينة ومعه اربعة الاف مجاهد ، ممن امنوا بنصر الله ، وباعوا أنفسهم للموت ، ثم انضم اليه فى الطريق خلق كثير حتى بلغ جيشه عشرة آلاف مقاتل ، وكان المثنى بن حارثة فى هذه الاثناء قد انسحب من الحيرة التى كانت مهددة بانتقاض المرازبة والعرب الموالين للفرس ، وتحصن بجهة خفان حتى يدركه جيش أبى عبيد .

وكان الفرس فى هذه الاثناء قد التام شملهم بعد طول شقاق وتصدع ، واتفقوا على ان يولوا امرهم «بوران» وكانت مشهورة بالفطانة والحكمة ، فملكوها عرش فارس ليضعوا حدا للفتنة ، فاستوزرت داهية الفرس رستم ، الذى أقسم ليخرجن العرب من العراق ، وليطهرن منهم أرض فارس ، وبدأ يعمل لذلك فى ظل عرش بوران .

أخذ جيش أبى عبيد يطوى الفيافى والقفار ، حتى أدرك جند المثنى بن حارثة فى خفان ، فنزل بها ليستريح ويريح عسكره .

وصلت انباء الامداد الى رستم فجهز جيشين كبيرين سيرهما لملاقاة المسلمين احدهما بقيادة « جابان » وامره بتخطى الفرات الى الحيرة حتى يبث الرعب فى البلاد التى جلا عنها المسلمون ، وليطمئن الشعب والحكام بان سلطان فارس لا يمكن ان يزول عن هذه البلاد . وجعل قيادة الجيش الثانى « لنرسى » وأمره بان يعسكر بكسكر بين الفرات ودجلة ، ليكون مددا لجيش جابان عند الاقتضاء .

وبعد ان استجم أبو عبيد بخفان خرج ليلقى جابان ، فكان لقاؤهما فى مكان يقال له « النمارق » بين الحيرة والقادسية ، ورغم كثرة عدد جيش جابان ، ووفرة استعدادهم ، فقد استطاعت سيوف المسلمين ان تركب أقفيتهم ، وان تنزل بهم هزيمة ساحقة ، مزقت جيش جابان ، وانتهت باسره وأسر وكيله فى القيادة « مردانشاه » .

وكان لامر جابان قصة لطيفة تكشف لنا عن صورة من صور المروءة والوفاء عند العرب ، لا بأس من سردها .

لما أسر جابان لم يعرفه الجندى الذى أسره ، وظنه من صغار القادة أو من جنود الفرس ، فقال جابان للجندى : « أنتم معشر العرب أهل وفاء ، فهل لك ان تؤمننى وأعطيك غلامين أمردين خفيفين فى عملك ، وأعطيك كذا ! وكذا .. وأجزل له الوعد » فقال الجندى : نعم ! فقال جابان : « فادخلنى على أميركم حتى يكون ذلك بمشهد منه » ، فادخله على أبى عبيد فشهد على ما تم ، ولكن نفرا من جند المسلمين عرفوا جابان ، وقالوا لابى عبيد : اقتله فانه الامير ! ! فأجابهم أبو عبيد : « وان كان الامير فانى لا أقتله ، وقد أمنه رجل من المسلمين ، فالمسلمون فى التواد والتناصر كالجسد ما لزم بعضهم فقد لزم كلهم » .

بلغت أنباء هذه الهزيمة بوران ورستم ، فرأى رستم أن يشد أزر جيش « نرسى » المرابط بكسكر ، لكى يضرب العرب ضربة قاضية قبل ان يفيقوا من معركة النمارق مع جابان ، فأمده بجيش كبير كان على رأسه

الجالينوس ، وامره بالقضاء على ابى عبيد والمثنى بن حارثة

لم تكن عين القائد العربى غافلة عن هذا التدبير الذى يقوم به رستم ،وعلم ابو عبيد بمسيرة جيش الجالينوس لينضم الى الجيش المرابط بكسكر ليستطيع الجيشان معا القضاء على العرب .. والحرب تتطلب اليقظة والمبادرة،ومعاجلة الخصم بضربة مفاجئة تذهله قبل ان ياخذ أهبته للمعركة .. وهذا عين ما فعله أبو عبيد ، اذ أسرع الى ملاقاة « نرسى » قبل أن ينضم اليه المدد ويصله الجالينوس ، فاستطاع ان يفتك بجيش نرسى منفردا ، وان ينزل بههزيمة ساحقة ، ثم شخص لملاقاة الجالينوس بعد ان فرغ من امر نرسى ، فالتقى به فى قرية بارسما ، وكانت معركة عقد النصر فيها لواءه لابى عبيد ، وفر فيها الجالينوس تاركا شراذم جيشه الممزق ، ولم يوقف فراره الا دخوله المدائن واحتماؤه بالعاصمة .

غنم جيش ابى عبيد غنائم كثيرة بعد هزيمة نرسى والجالينوس ، وكان من الغنائم التى تركتها جيوش فارس نوع من التمر كانت الاكاسرة تخص نفسها به ، فبعثوا بخمسه الى عمر ، وكتبوا اليه : ان الله اطعمنا مطاعم كانت الاكاسرة يحبونها ، واحببنا ان تروها ، لتذكروا أنعام الله وأفضاله ! ! » .

قضى أبو عبيد بذلك على الجيشين اللذين وجههما الفرس لمنازلته ،وانفسح امامه طريق العراق ، وانفتحت ابوابه ، فوجه المثنى وبعض القواد فاحتلواسواد العراق من اعلاه الي أسفله « وأشاعوا الرعب فى قلوب السكان واعادوا الى ذاكرتهم ايام خالد بن الوليد وافعاله فى العراق » ورجع الدهاقين الذين حرضهم رستم واثارهم ضد المسلمين الى أبى عبيد يقدمون له الطاعةوالولاء، ويعتذرون عما كان منهم ، وما كان لقائد منتصر كابى عبيد الا ان يعفو عن هؤلاء الدهاقين ، وان يصفح عنزلاتهم، وان يتقبل عذرهم ، لذلك رأوا ان يقيموا وليمة كبيرة احتفاء بانتصار ابى عبيد ،وصفحه عنهم ، وأخذوا يعدون معدات الوليمة ، وجاءوا بآنية مذهبة فيها ألوان من طعام فارس المشتهى ، وقالوا لابى عبد : هذا قرى لك وكرامة اكرمناك بها ..

ولكن ابا عبيد المسئول عن الجند لم يمد يده الى الطعام حتى سأل هؤلاء الدهاقين هل اكرمتم الجند بمثله ، وقريتموهم مثل هذا القرى ؟ ؟ قالوا : لا .

هنا تتجلى سماحة الخلق الاسلامى وروعة تعاليم المساواة التى ارساها الاسلام فى نفوس المؤمنين . وهنا تظهر روح الاسلام التى فجرت طاقات القوة والعظمة امام المسلمين فى تلك الايام فما ان سمع من الدهاقين هذا القول حتى رد الطعام وقال لاحاجة لنا فيه ، بئس المرء ابو عبيد ان صحب قوما من بلادهم ، وأهراقوا دماءهم دونه أو لم يهرقوها فاستأثر عليهم بشىء يصيبه لا والله ! ! لا ياكل أبو عبيد مما افاء الله عليه الا مثلما ياكل اوساطهم .

فما وسعهم الا ان قدموا الى جنوده مثله ! !

اذهلت رستم هذه الهزائم المتتالية ، فجمع خاصته يوما وسالهم : أى العجم أشد على العرب فيما ترون ؟؟فاجابوه : انه ذو الحاجب « بهمن جاذويه » فجهز رستم جيشا عظيما وجعل قيادته لبهمن، وسارت فى مقدمته الفيلة تحيط بأعناقها الجلاجل ، وامامها راية كسرى وكانت من جلود النمر ، عرضها ثمانى اذرع وطولها اثنا عشر ذراعا .

بلغ أبا عبيد اخبار مسيرة هذا الجيش الكبير فرأى ان يتراجع الى الى مكان يأمن فيه على قواته ، فعبر النهر بجنوده الى قرية « بخشى الناحف » وتحصنوا بها ينتظرون عدوهم ، وأقبل بهمن بجنوده فنزل فى العدوة الثانية من النهر ، وعسكر بجيشه قبالة جيش المسلمين ، ثم ارسل الى ابى عبيديقول « أما ان تعبروا الينا وندعكم والعبور ، واما ان تدعونا نعبر اليكم » .

تلك مسالة خطيرة يترتب عليها مصير المعركة ، وتقتضى ان يشاور فيها ابو عبيد اصحاب رسول الله وقادة جنده كما امره عمر بن الخطاب ، فاجتمع رأى اصحابه على ألا يعبروا النهر ، وان يدع الفرس يعبرون اليهم، وناشده وجوه الناس وعلى راسهم سليط بن قيس وقالوا : ان العرب لم تلق مثل جنود فارس مذ كانوا ، وانهم قد حفلوا لنا واستقبلونا من الزهاء والعدة بما لم يلقنا به احد ، وقد نزلت منزلا لنا فيه مجال وملجأ ، ومرجع من فرة الى كرة !!

فماذا كان جواب ابى عبيد ؟ ...ماذا كان جواب هذا الرجل الذى لازالت تدوى فى سمعه كلمة امير المؤمنين « ان الحرب لا يصلحها الا المكيث ؟ » .

لقد استرجع فى ذاكرته ما دار فى خواطر الناس حين ندبهم عمر لقتال فارس فاحجموا خوفا وفزعا من قتالها حتى تقدم هوالصفوف ، وادرك بسليقته العربية أن رواسب هذه الانفعالات التى دارت فى خواطرهم لا تزال تلح على عقولهم حتى وهم منتصرون من قبل فى معركتين على فارس .. وعلم فوق ذلك ان الباعث على هذا الراى الذى أبدوه هو التردد والخوف ، وهو يدرك - بوصفه قائد المعركة - ان العرب لم ينتصروا على فارس والروم فى كل ما خاضوه من المعارك الا بهذا الدين الجديد الذى وعدهم بالنصر ،وأيدهم بالفتح ، ومنحهم اكتاف اعدائهم ، وان خير ما يتسلح به الجندى المسلم انما هو الاقدام والحرص على الشهادة ، فلماذا يتردد فى عبور النهر بعد ان اختلجت احاسيسه بكل هذه الخواطر ؟ ولماذا لا يكتب فى تاريخ الجهاد صفحة لم يكتبها سواه ، ولا يجرؤ غيره عليها ؟ ؟

ولذلك سرت فى عروقه العزة العربية يؤيدها ايمان وثيق ، وقال لاصحابه : والله لن يكونوا اجرا على الموت منا ، بل نعبر اليهم ، وصرخ فى وجهه سليط بن قيس : ماذا تريد بنا يا رجل ، فرماه ابو عبيد بالجبن والخوف ، حتى اضطر سليط ان يرد عليه قائلا : انا والله اجرأ منك نفسا وقد اشرنا عليك بالرأى فستعلم .

عبر جند المسلمين النهر كما أراد أبو عبيد ، وكانوا دون العشرة آلاف ، وقد ضاق بهم المكان الذى تركه لهم الفرس وراء الجسر فلم يكن لهم مرجع من فرة الى كرة ، ولم يمهلهم بهمن حتى يتم عبورهم ، بل امر جنوده فحملوا عليهم ، وفى مقدمتهم الفيلة ترن جلاجلها ، فارتاعت منها خيل المسلمين واجفلت ، واخذ الفرس يرشقون المسلمين بالنبال حتى قتلوا منهم خلقا كثيرا ، واضطربت صفوف المسلمين واشتد البلاء ، فرأى أبو عبيد ان يترجل عن فرسه ، وترجل معه جنوده ، وسعوا الى الفرس فصافحوهم بالسيوف حتى قتلوا منهم ستة آلاف ، وسرت الحماسة فى نفوس المسلمين ، واشتد بذلك ساعدهم ، ولكن الفيلة تقدمت اليهم فجعلت لا تحمل على جماعة منهم الا داستهم باقدامها ، ونادى ابو عبيد رجاله : ان يقطعوا بطن هوادج الفيلة ، وان يقلبوا عنها اهلها ، وأن يقتلوهم ، ففعلوا ذلك ، فلم يتركوا

فيلا الا قلبوا رحله وقتلوا صاحبه ، وبذلك تداول الفريقان المعركة ،وتأرجحت كفة النصر بين الفرس والعرب .

ان الناظر الى ابى عبيد فى اثناء المعركة يروعه ولا شك هذا الجلاد المرير الذى اقدم عليه الرجل فىغير خشية أو وجل .. انه صاحب فكرة العبورالى الفرس ، وقد صنعت منه هذه الفكرة ماردا جبارا يضرب بسيفه ذات اليمين وذات الشمال ، حتى لا يقال « فعلها ابو عبيد » ويذهب بعارها طول الابد ، ثم من قبل ذلك مسئوليته الكبرى عن جند المسلمين ، وكيف دفع بهم الى هذا الموقف الحرج ، فلا أقل من أن يبذل جهد المستميت فى الوصول بالمعركة الى نهاية غير محزنة .. ولذلك رأيناه يترجل عن فرسه ليكون أكثر تمكنا من الطعن فى رقاب أعدائه ، وقد فعل أبو عبيد فى معركة الجسر أكثر مما يطلب من مثله فى اى معركة من المعارك .

وقد هاله أثناء احتدام المعركة أن راى فيلا ابيض عظيما يضرب بخرطومه يمنة ويسرة ، فيشتت المسلمين من حوله . فتسلل ابو عبيد الى هذا الفيل الهائج فضرب خرطومه بسيفه ، وأهاج حر الضربة هائج الفيل فتقدم الى ابى عبيد فضربه برجله فألقاه على الارض ، ثم وقف فوقه بكل جسمه حتى راح شهيدا .

مات القائد ميتة كريمة فاضطربت الصفوف ، واختل نظام المسلمين ، فتراموا الى النهر ، يطلبون النجاة لولا ان صوتا عريضا ملا فضاء هذه الساحة الواسعة ناداهم واللواءفىيده :أيهاالناس، أنا دونكم فاعبروا النهر على هيئاتكم ولا تدهشوا ، فانا لن نزايل حتى نراكم من ذلك الجانب .

كان صاحب هذا الصوت هو المثنىبن حارثة الذى ثبت فى مكانه وبيده راية الجيش حتى عبر النهر من بقى من جند المسلمين سالما ، ثم عبر هو اخرهم بعد ان ترك فى ساحة المعركة جثة شهيدين عزيزين : هما ابو عبيد بن مسعود ، وسليط بن قيس .

بالتضحيات تحيا الشعوب

الأستاذ عبد العال السيد شعيب

الصراع بين الحق والباطل ، قديم قدم التاريخ ، وكثيرا ماشهدت البشرية صورا متعددة من صور تصدى الباطل وأهله ، للحق والمستمسكين به ، بهدف اظهار هذا الباطل ، ورفع كلمته ، وطمس معالم الحق والخير والنور ، والأمة التى لها أصالة تاريخية ،وتراث مجيد ، ترفض هذا العدوان ، وتتصدى لكل قوى الشر ، مهما كان ثقلها ، وتنازله فى ميدانه ، وتعد لمواجهته ما تستطيع من قوة ، وتثق بحتمية انتصار المبادىء والمثل العليا ،وتخوض المعارك الطويلة ، حتى تدحر قوىالبغى والعدوان، وترتفع راية الحقوالفضيلة ويضرب القرآن الكريم مثلا لهذا الصراع ، ويبين العاقبة فى النهاية ، وهى انتصار القيم والمثل ، قال تعالى: « أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها ، فاحتمل السيل زبدا رابيا ، ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله ، كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض ، كذلك يضرب الله الامثال » .

وأمتنا العربيةلها مجادتها التاريخية التى لاتنكر . ولها خيريتها التىسجلها القرآن الكريم فى قوله تعالى : « كنتم خير امة أخرجت للناس ، تامرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » فخيريتها تقوم على ثلاث دعائم: الامر بالمعروف ، وذلك يقتضى النهوض بمسئولية نشر الفضائل ، والدعوة الى المحامد ، والسعى الى نشر كل مايجعل المجتمع سعيدا ترفرف عليه الوية الفضائل ومكارم الاخلاق ، والنهى عن المنكر ، وذلك يقتضيها ان ترفض كل ما يعوق سير المجتمع وتقدمه ، وان تتصدى لقوى البغى والعدوان ، وان تعد لمواجهته كل ما تستطيع من قوة وأن تخطط لدفعه ودحره ، وأن تنفر

خفافا وثقالا ، شيبا وشبانا ، رجالا ونساء فى تعبئة عامة شاملة ، تحقيقا لقوله تعالى : « أنفروا خفافا وثقالا ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » والايمان بالله وهو الدعامة الرئيسية للانتصار ، وتحقيق الامال ، فبالايمان المتين تتغلب على المصاعب ونثبت على الشدائد . وما نجحت الدعوة الاسلامية الا بفضل الرعيل الأول من المؤمنين المخلصين « رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا » ، ان المقاتل اذا أعد نفسه اعدادا ماديا قويا للمعركة، ودخلها وهو مؤمن بربه، واثق بنصره ، فسيجد ربه يحوطه برعايته ، ويلحظه بعنايته ، ويضمه الى كنفه ويكون معه ، فى كل حركاته وسكناته ، ومن كان معه الله فهو القوى الغالب ..

هذه الدعائم الثلاث ، تميزت بها أمتنا العربية والاسلامية ، وسجل التاريخ الصادق لها مواقف بطولية جعلتها تحيا عزيزة فى دنيا الناس .. فحينما تجمعت قوى الشر يوم بدر ، وكان عددهم يقارب الالف وكلهم من المقاتلين الأشداء ، وكانت القوة المؤمنة لاتزيد عن الثلاثمائة وخمسة عشر مقاتلا، كان النصر لاهل الحق ، وجند الله الذين يقاتلون له وفى سبيل الله ،وكل واحد منهم يحمل روحه على كفه ويسارع الى ميدان القتال وهو يقول : وعجلت اليك رب لترضى .. لقد علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يداوموا الاتصال بربهم حينما يتهيئون لخوض معركة من المعارك الحاسمة ، استنجازا لوعده ، بالنصر ، وفى يوم بدر وقف أبو بكر بجوار الرسول صلى الله عليه وسلم وسمعه وهو يكثر الابتهال والتضرع لله ويقول فيما يدعو به : « اللهم ان تهلك هذه العصابة لاتعبد بعدها فى الارض » ويهتف بربه قائلا : « اللهم أنجز لى ما وعدتنى ، اللهم نصرك » ويرفع يديه الى السماء حتى سقط رداؤه عن منكبيه ، وجعل أبو بكر يلتزمه من ورائه ويسوى عليه هذا الرداء ويقول له مشفقا : يارسول الله ، بعض مناشدتك ربك ، فانه سينجز لك ما وعدك .

ان هذا الابتهال المتواصل لله ، والمعركة توشك أن تبتدىء توجيه للمؤمنين فى كل زمان ومكان الى أن يوثقوا صلتهم بالله ، وأن يؤمنوا تمام الايمان بأنه وحده واهب النصر،ومؤيد المؤمنين ، ونصير المجاهدين ، فهو القائل ، وقوله حق : « انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد » وهو القائل : «ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لايحب كل خوان كفور ، اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ، لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوى عزيز ، الذين ان مكناهم فى الارض ، أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور » .. واذا كان القتال فى سبيل الله هو طريق تحقيق العزة والكرامة ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحث عليه ، ويدعو أمته الى أن تتخذ الجهاد منهجا لها وسبيلا تسلكه اذا ما بغى على أرضها باغ ، أو اعتدى عليها معتد ، فعن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها ، والروحة يروحها العبد فى سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها » ويروى عن أبى هريرة رضى الله عنه ان الرسول قال: «تضمن الله لمن خرج فى سبيله لايخرجه الا جهادا فى سبيله وايمان به وتصديق برسله ، فهو ضامن أن يدخله الجنة، أو أن يرجعه الى منزله الذى خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة ، والذى نفس محمد بيده ما كلم يكلم فى سبيل الله الا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كلم ، لونه لون دم ، وريحه ريح مسك ، والذى نفس محمد بيده لولا أن أشق على المسلمين ماقعدت خلاف سرية تغزو فى سبيل الله أبدا ، ولكن لا أجد سعة فأحملهم ، ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عنى ،والذى نفس محمد بيده ، لوددت أن أغزو فى سبيل الله فاقتل ثم أغزو فاقتل ، ثم أغزو فاقتل » رواه مسلم ..

وقد أفاد الصحابة الكرام من هذا التوجيه النبوى ، ووجدوا القائد يصدر التعليمات وهو يسارع الى تنفيذها بنفسه ، فهو صلى الله عليه وسلم يشترك فى سبع وعشرين غزوة فى أقل من عشر سنوات ، وكانت العمليات العسكرية الاخرى وهى المعروفة بالسرايا كانت ستا وثمانين وقاتل معه أصحابه ومعهم سلاح محدود أحيانا ، ووافر أحيانا ، حاربوا وهم فى صحة وعافية وحاربوا كذلك وهم مرضى وجرحى ، ولكنهم كانوا كما وصفهم ربهم فى قوله تعالى :

« ماكان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ، ذلك بأنهم لايصيبهم ظمأ ولانصب ولامخمصة فى سبيل الله ، ولايطؤون موطئا يغيظ الكفار ولاينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لايضيع أجر المحسنين ، ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون »

« البقية ص ٢٣٣ »

الاستعمار الفكرى الغربى وكيف سهل للتسلل الاسرائيلى

الاستاذ اسماعيل السوسى

ترسم اسرائيل لنفسها صورة النموذج ، وهى تريد ان تصل الى الدول الآسيوية الافريقية وبالذات الى قيادتها السياسية والفكرية والتوجيهية وتعرض نفسها عليهم فى صورة النموذج الجديد للدولة الصغيرة التى تنمى نفسها وتستخدم العلم والتكنولوجيا وتضرب المثل على امكانية التقدم الصناعى والسياسى والاجتماعى وتستغل اسرائيل فى هذا وضعا فكريا نبت منذ صدور وعد بلفور عام ١٩١٧ فى الفكر الاوروبى والامريكى حين عرضت الحركة الصهيونية قضيتها فى هذه المجتمعات .
وعلى هذا فقد امتص الكثيرون منهم هذا المفهوم الصهيونى الاسرائيلى للقضية من الكتب والدراسات والصحف والمطبوعات المتعددة فى هذا الشأن .

ولقد تعرض بعض الدارسين والمثقفين العرب لهذه النقطة حين راجعوا ماكتب عن اليهود وقضيتهم فى العالم المعاصر فوجدوا ان المثقفين الاوروبيين خاصة اليساريين منهم يؤثرون فى كثير من ميادين الفكر فى مختلف دول ومجتمعات العالم وبجوارهم طائفة من مفكرى الاحزاب المختلفة فى أوروبا يكتبون فى جرائدهم ومجلاتهم ويتمتعون بتأثير هام على عقول الشباب واذا راجعنا ما كتبه هؤلاء الناس وجدنا اكثره – ان لم نقل كله – يعرض قضية اليهود والصهيونية واسرائيل وقضية فلسطين من وجهة نظر غير صديقة للموقف العربى الحالى .

وأفردت مجلة انترناشونال أفيرز السوفيتية دراسات حول سياسة اسرائيل تجاه أفريقيا نشير منها الى عدد اكتوبر ١٩٦١ وعدد اغسطس عام ١٩٦٥ والاول بقلم نيكولاييف والثانى بقلم فلاديميروف . وتثير هذه الدراسات نقاطا عديدة منها ان اقساما هامة من شعوب وقيادات افريقيا اصبحت تشعر اليوم بشكوك عميقة تجاه سياسات اسرائيل التى تصفها الدراسة الاولى بانها تمثل حصان تروجان الذى يختبىء فيه الاستعمار ، وان اعتماد اسرائيل على دعم الاستعمار الغربى يتزايد وخاصة فى النشاط الاسرائيلى الاقتصادى والدعاية الغربية التى تقدم اسرائيل الى شعوب أفريقيا فى صورة دولة ذات وضع خاص وتشير الدراسة الثانية الى تصريح بن جوريون عام ١٩٦٠ بان اسرائيل هى السند الرئيسى للغرب فى أفريقيا كما ان السياسيين الاسرائيليين يؤكدون أهمية اسرائيل فى التأثير على شباب أفريقيا لصالح المفاهيم الفكرية الغربية .

وقد نددت هذه الدراسات بصورة اسرائيل المزعومة بانها دولة صغيرة ومحايدة واستند هذا التنديد الى دراسة عن الاموال الامريكية المقدمة لميزانية المعهد الاسيوى الافريقى والتى تصل الى حوالى ١٨٠ الف دولار سنويا وعن المساعدات المالية المقدمة من الولايات المتحدة الامريكية فى السنوات من ١٩٤٨ الى ١٩٦٣ والاموال المقدمة من المانيا الغربية ابتداء من عام ١٩٥٢ واموال اتفاقية التعويضات الالمانية الاسرائيلية وقد قامت هذه الدراسات بتحليل لنشاط الهستدروث فى أفريقيا وما يتبعها من شركات سوليل بونيه وميكوروث وتاهال .. الخ . وما قامت به اسرائيل من تدريب وتسليح بعض القوات العسكرية فى دول أفريقية والمساعدة فى انشاء منظمات شبه عسكرية على نمط ناحال والجدناع المنظمتين الاسرائيليتين كما

تشير هذه الدراسات الى دور الشركات الدانمركية والسويدية والبريطانية المتعاونة مع اسرائيل وكذلك المجموعة الفرنسية الامريكية الاسرائيلية لشركات آمكور . وهذا الخط السياسى يبدو واضحا فى دراسة ماركسية صدرت فى بريطانيا بقلم جاك وديز عن أفريقيا .

ويظهر انزعاج الغرب من التغير الفكرى فى الخط السياسى الاشتراكى بوجه عام فى الكتب والدراسات المؤلفة عن سياسة الاتحاد السوفييتى والصين الشعبية فى أفريقيا ونختار منها كتاب دافيد موريسون ، كمثل نشير اليه فيما يتعلق بهذه الدراسة الخاصة باسرائيل وافريقيا . نجد أن الكتاب يذكر تحت عنوان الاتجاهات السوفيتية (ص ٢٤) أن السياسة السوفيتية تشن هجوما عنيفا متتابعا ضد الاستعمار الجديد وان هذه السياسة ترى أن المانيا الغربية واسرائيل واليابان هى دول تعمل فى خدمة الاستعمار الجديد وتمهد الطريق أمامه بسبل شتى وخبيثة وبجانب هذا فى اجزاء متفرقة من الكتاب نجد تصورات خيالية عن سياسة مشتركة ضد اسرائيل ودول غرب أوروبا وامريكا وهذا فى نظرنا كلام سبق ترديده من جانب المعسكر الغربى ولا يستأهل ردا عليه اكثر من اهماله

واذا كنا نسجل هذه التغيرات كمؤشرات لتحولات جديدة فى ميدان الفكر الدولى المعاصر فى الاعوام الستينات فيجب أن نقدر كل التقدير الجهد العربى والمثابرة الفكرية والنمو السياسى الثورى العربى فى ميدان العلاقات الدولية والذى طرح نفيه على الموقف الذى عرفناه منذ عام ١٩٤٧ وعام ١٩٤٨ ، فأحدث فيه هذه التحولات أو اذا شئنا الدقة العلمية اتاح الفرصة الهادفة لاحداث هذه التحولات وغيرها من تحولات قادمة فى الفكر وفى الموقف السياسى وفى الموقف الاقتصادى ومن ثم فى موازين القوى العالمية الأقليمية

ولكن من جانب آخر مازلنا نتابع الجو الفكرى الموائم للدعاوى الاسرائيلية والمتحالف معها فى افساح الطريق امامها لانجاح خططها نحو افريقيا وهذه المتابعة هى بقصد الدراسة والتقويم ثم العمل على شن هجوم معاكس لقطع الطريق على هذه الخطط والسياسة المتجهة نحو أفريقيا ويجب أن نشير الى أن عديدا من الدراسات الخاصة بأفريقيا وما أكثرها وما أشد تنوعها ، تحتوى بمناسبة أو غير مناسبة ، على اشارات أو كتابات تتوائم مع هذا التسلل الاسرائيلى وترسم صورته كما تهوى اسرائيل وحلفاء اسرائيل ونعرض فيما يلى عينات من هذه الدراسات:

لقد كتب ندف صفران كتابا عن الولايات المتحدة واسرائيل ولكنه ادخل فى كتابه فصلا عن اسرائيل والدول الأفرو اسيوية غير ان موضوع الكتاب لاصلة له بالدول الافرو أسيوية الا اذا كان المؤلف يحس بأن اسرائيل جزء من السياسة الامريكية تجاه هذه الدول أو أن اسرائيل تستفيد من السياسة الامريكية تجاه هذه الدول أو كلا القولين .

والهدف من كل هذا — فى نظر المؤلف — هو رغبة اسرائيل فى تحييد هذه الدول تجاه النزاع العربى الاسرائيلى فى الزمن القصير بينما تهدف فى الزمن الطويل الى أن تعمق من علاقاتها بالدول الافريقية بقصد أن تضغط هذه الدول الافريقية على الدول العربية لقبول اسرائيل على أساس الامر الواقع . ومع هذا فالمؤلف يتأسف على أن اسرائيل حتى الآن لم تنجح فى الانضمام الى المجموعة الاسيوية الافريقية فى الامم المتحدة وفروعها المتعددة بسبب التأييد الذى تلقاه الدول العربية فى العالم الاسيوى الافريقى .

وبدون مناسبة نجد ان فريد بيرك فى كتابه عن أفريقيا يفرد جزءا عن الاسلام وصهيون يبدأ فيه الحديث عن جذور الاسلام العمقة فى القارة الافريقية ومناطق انتشاره لينتقل بعد هذا للحديث عن مصر وما لها من مكانة اسلامية قادرة على مجابهة الغزوات الاسرائيلية .

ويكثر المؤلف من الحديث عن اذاعات القاهرة والبعوث المصرية الزائرة والوفود الافريقية القادمة لطلب العلم فى القاهرة معتمدا فى هذا على كتاب جاك بولين واسمه دور العرب فى افريقيا .

وينتقل المؤلف بعد هذا الى أن اسرائيل تحاول أن تقفز على الحصار العربى المعادى لها لتقيم علاقات اقتصادية مع هذه الدول الافريقية وقد ركزت اسرائيل على مشروعات لا تتكلف ثمنا غاليا وتعطى نتيجة سريعة ، وهنا يضغط المؤلف على أن العرب يكافحون اسرائيل تحت شعارات وقيم متنوعة ويذكر شركة النصر للتجارة الخارجية والمؤتمر الاسلامى ومؤتمرات التضامن الاسيوى الافريقى .

وارنولد ريفكن من انشط المؤلفين الامريكيين فى الدفاع عن السياسة الاسرائيلية وانتهز كل فرصة فى الكتابة عن افريقيا للدفاع عنها ومهاجمة العرب واثارة الاتهامات وتدور دراسات بشأن اسرائيل حول النقط السلفة التى سبقت الاشارة اليها فى عرض كتابات مشايعة لاسرائيل ، الا انه يضيف اشارات حول مصر ودورها فى القارة وعلاقاتها بالاسلام ويتمادى فى القول أن العرب ليسوا أفريقيين . الخ .

والجديد الذى تجدر الاشارة اليه هو أن توم مبويا الزعيم النقابى فى كينيا قد ألف كتابا نشرته احدى دور النشر الامريكية باسم الحرية وما بعدها. وقد تناول الكتاب عديدا من الموضوعات التزم المؤلف فى اكثرها موقفا افريقيا واضحا وخطا سياسيا سليما ولكن ما أن وصل للحديث عن الوحدة الافريقية حتى بدأ يثير موضوع أفريقيا السوداء وأفريقيا العربية ورد المؤلف على نفسه بان من واقع تجربته فى المؤتمرات الافريقية يشعر بان العرب يعتبرون انفسهم افريقيين وعرض مقتطفات من كلمات للرئيس عبد الناصر ، ومع ذلك فقد تساءل عن الولاء للوحدة الافريقية والولاء للوحدة العربية ويرى المؤلف ان هذه مشكلة تعدد الولاءات وان كانت فى رأيه لاتؤدى الى تصارع أو تناقض .

ان اسرائيل تعتمد اعتمادا اساسيا على الاستثمارات الراسمالية الواردة اليها من المعسكر الغربى . ويرى المؤلف ان هذا لا يعنى عنده شيئا فبلاده تقبل معونات مباشرة من الولايات المتحدة الامريكية وغيرها من الدول الاوروبية .

وعلى الجانب الآخر لهذا الاتجاه نجد زعيما أفريقيا يصل بعد بحث فكرى نظرى الى لمس الموقف العربى وتبين معالمه والاقرار بعمق الايمان العربى بقضية فلسطين ، نقصد به الزعيم كوامى نكروما الذى ادلى بتصريح فى القاهرة عقب انتهاء جلسات مؤتمر القمة الافريقى بالقاهره فى يوليو سنة ١٩٦٤ قال فيه :

« اننى لا استطيع أن أغادر القاهره قبل أن أقول كلمة عن موقف افريقيا بالنسبة لمشكلة فلسطين واننى أعلم أن هذه القضية عزيزة على قلوب اخواننا ابناء الشعب المصرى ونعتقد دائما انه لا يمكن أن يكون هناك سلام فى الشرق الاوسط الا بعد حل مشكلة فلسطين واننا نعتقد ايضا ان مثل هذا الحل لابد أن يقوم على أساس من العدالة والحق وتمشيا مع جميع قرارات الامم المتحدة بشأن هذه القضية ان السلام فى الشرق الاوسط يعنى السلام فى افريقيا وان النضال من اجل الوحدة العربية لايتناقض مع نضالنا المشترك من اجل الوحدة الافريقية .

خاتمة :

بهذا العرض السريع لاراء واتجاهات فكرية من مختلف المصادر ولعدد متنوع من الكتاب والدول نصل الى تسجيل هذه العلامات الهامة فى تيارات الفكر العالمى .

١ ـ تتضح اختلافات فى تيارات الفكر العالمى بشأن نشاط اسرائيل فى افريقيا فى الأعوام الستينات من هذا القرن عما كانت عليه تيارات الفكر العالمى فى الاعوام الاربعينات والاعوام الخمسينات من هذا القرن وتبدو هذه الاختلافات ـ فى النظرة المقارنة ـ واضحة فى تيار ما خفيفة فى تيار آخر عميقة فى تيار ثالث وفى بعض الحالات نجدها نضجة وفى حالات أخرى نجدها فى طور الظهور وبداية النمو .

٢ ـ معنى هذا أن الهجوم الفكرى الصهيونى الأسرائيلى الشامل (حركة ودولة) قد بدأ يتوقف على طول بعض الـ[illegible]ات ويتلكأ على طول بعضها الآخر ويحس بالقلق الداخلى على طول بعضها الثالث ، وتوضيح هذا يبدو من مراجعة دلالات هذه العينات الفكرية اذا قسمناها تقسيما عريضا الى جبهة العالم الثالث وجبهة المعسكر الشرقى وجبهة المعسكر الغربى . هذا مع اقرارنا بان التقسيم فيه سمات كبيرة من العمومية فى الاطار والتعميم فى النتائج مما يجعلنا باستمرار نتحفظ بنسبة للصواب والخطأ عند استخراج النتائج النهائية القاطعة .

ا ـ على مستوى جبهة العالم الثالث نجد النشاط الاسرائيلى يتلكأ لدرجة تشجع الموقف العربى بالتحرك .

وهذا واضح فى أنه على الرغم من أن بعضا من الدول الاسيوية الافريقية قد اعترف دبلوماسيا باسرائيل

وتبادل معها التمثيل الدبلوماسي وتعامل معها اقتصاديا وتجاريا الا ان أهداف هذا الاعتراف والتبادل من وجهة النظر الاسرائيلية لم تتحقق كاملة فاسرائيل حتى الآن مازالت خارج أى تكتل أو تجمع تقوم به دول العالم الثالث وهذا ما حدث فى مؤتمر التجارة والتنمية الدولى الذى انعقد فى جنيف عام ١٩٦٤ وما تلاه من انشاء منظمة مجلس التجارة والتنمية وقد حاول مندوب اسرائيل عبثا فى نطاق الامم المتحدة ان يحصل لبلاده على عضوية هذه المنظمة وان يشترك فى اجتماعاتها وحتى الآن مازالت اسرائيل خارج المنظمة وايضا لم تحضر اسرائيل حتى عام ١٩٦٦ أى مؤتمر انعقد باسم دول عدم الانحياز أو انعقد باسم مؤتمر القمة الاسيوى الافريقى أو باسم الشعوب الاسيوية الافريقية وايضا لم تفلح اسرائيل فى الانضمام الى مجموعة الدول الاسيوية الافريقية فى الامم المتحدة ولم تفلح ايضا فى الانضمام بصفة مراقب أو عضو الى اللجنة الاقتصادية لافريقيا واللجنة الاقتصادية لآسيا والشرق الاقصى التابعتين للامم المتحدة وكذلك مؤتمر هافانا لتضامن القارات الثلاث .

أضف الى هذا تزايد نشاط الدول العربية الافريقية فى نطاق منظمة الوحدة الافريقية وتزايد ارتباطاتها وعلاقاتها مع باقى دول أفريقيا والتغيير الفكرى بدأ يظهر فى أفكار واتجاهات عدد من القيادات السياسية الافريقية والانطباعات الحقيقية التى أخذت هذه القيادات السياسية فى الايمان بها عن امكانيات التقدم والتعاون التى تمثلها الدول العربية الافريقية وصورتها الثورية والتقدمية المعاصرة .

ب – على مستوى جبهة المعسكر الشرقى نجد ان التغير الفكرى وما يليه من خطط واتجاهات سياسية داخلية دولية انما تعبر عن حقيقة تقويم جديد لمعنى اسرائيل وعلاقاتها بالاستعمار الجديد وهذا الموقف يبدو فى مؤلفات وبيانات ومواقف سياسية منفردة من جانب دول هذا المعسكر وفى بيانات مشتركة تصدر باسم زعماء هذه الدول وزعماء بعض الدول العربية فى مناسبات دولية عديدة وهذا ما يجعلنا نقول ان النشاط الاسرائيلى وتأثيره الفكرى قد توقف عن الفعالية والعمل على طول هذه الجبهة فى دول المعسكر الشرقى الاوروبية والاسيوية وفى كتابات عدد متزايد من المفكرين فى غرب أوروبا .

جـ – على مستوى جبهة المعسكر الغربى مازالت الموجة السائدة هى المساندة والتأييد الفكرى للنشاط الاسرائيلى وعلى الرغم من ذلك فمن وجهة نظرنا بدات اسرائيل تحس بالقلق نحو هذه الجبهة ومبعث هذا أن المثقفين العرب والقيادات السياسية الثورية قد أخذوا المبادأة فى أن يعرضوا وجهة نظرهم وحقيقة موقفهم فى حوار فكرى علمى هادف وهذه المبادأة قد أتت ثمارها الاولى فيما أشرنا اليه من قبل بشأن مفكرين أوروبيين مثل سارتر وراسل وجماعات أخرى تقف على طول ما يسمى باليسار الاوروبى .

٣ – وقيمة هذا التغيير الذى أصبح على مستوى جبهة المعسكر الشرقى والذى بدأ يظهر وينمو على مستوى جبهة المعسكر الغربى خاصة فى اليسار الاوروبى ، ان الفكر العالمى وتطوراته يتركان آثارهما على الفكر والاتجاهات الفكرية فى العالم الثالث فنحن قد قررنا من قبل ان الجو الفكرى الاوروبى والامريكى قبل أعوام النكبة ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ وما بعدها قد طرح نفسه آثارا وخطوطا فكرية فى دوائر المثقفين والمتعلمين فى افريقيا وآسيا .

هناك تغير فكرى يتم الآن على مستوى الفكر العالمى لصالح الموقف العربى ، ويحدث تغييرات فى المناخ الفكرى فى دول آسيا وافريقيا ، هذا بجانب ما يقوم به المثقفون والسياسيون العرب من جهود مباشرة خاصة فى دوائر المثقفين الافريقيين والآسيويين .

خلاصة القول أن رياح التغيير بدأت تهب منذ فترة زمنية سابقة وان على المثقفين والسياسيين العرب ان يستفيدوا من اتجاهات التغير وان يعمقوها لكى يخلقوا موقفين اثنين مترابطين متشابكين استعدادا ليوم الحسم الاعظم على أرض فلسطين أما أولهما فهو ان يتزايد ظهور الشلل والتراجع فى موجة النشاط الفكرى المشايع لاسرائيل والصهيونية واما ثانيهما فهو أن يتزايد ظهور النمو والنضوج فى موجة النشاط الفكرى المشايع للموقف العربى والقضية الفلسطينية وذلك على نطاق عالمى .

الإخاء في الإسلام

للأستاذ محمد حسن عبد العزيز

مهما اختلف النـاس فى دياناتهم ومعتقداتهم واجناسهم وألوانهم ولغاتهم ، لكنهم يلتقون فى الاخوة البشرية من حيث الاصل وهو آدم وحواء . وان تعددوا شعوبا وقبائل فيها الابيض والاسود ، والبـدوى والحضرى ، والشريف والوضيع ، والقوى والضعيف .

يقول الله تعالى :

((يا أيها الناس انا خلقنـاكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . ان أكرمكم عند الله أتقاكم)) .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((أيها الناس ان ربكم واحد وان أباكم واحـد كلكم لآدم وآدم من تراب))

وقد اقتضت حكمة الخالق عز وجل ان يختلف الناس شعوبا وقبائل ليتعارفوا عن طريق اللقاء ، والمصالح المتبادلة فى اطار من الاخوة والمودة لتحقيق خير الانسان ولتبادل الانتفـاع بخيرات الارض واستغلال العلم لارتقائه وسعادته . ومن ثمـرات هذا اللقاء ان تفتح الانسانية صدرها لمن يبتغـون السعى فى الارض وراء الرزق . اذا ضـاقت بهم أرض بلادهم والانتفـاع بفائض الخيرات والايدى العاملة الزائدة عن حاجة بلد لبلد فى حاجة اليهـا

ان الشعور بالتساوى فى الخصائص الانسانية . والقيمة والاعتبار تبعث فى النفوس شعورا قـويا بالاخوة . فيتم التفاهم وتسـود المساواة وتزول العقبات بين بعضهم بعضا .

ولو لم يكن هذا اللقاء بين شعوب الارض جميعا يتم فى اطار من الاخوة والمودة ما كان ما نراه اليوم بين الأمم من تعاون وتبادل للخيرات والمنافع .

وجاء الاسلام يؤاخى بين الاديان جميعا ، ويدعو الى احترام الرسل اجمعين ويعلم أتباعه أن الاسلام قد جاء متمما للاديان السابقة عليه . وانها جميعـا تنطوى على جوهر الحقيقة التى تتلخص فى وحدانية

الله ووجوب التقرب اليه بصالح الاعمال .. وهذه الحقيقة التى دعا اليها جميع الانبياء والرسل .

ولا يخفى على القارىء ان من أول الاسباب فيما ينشأ من تفرقة بين الناس انما يكون بسبب اختلاف العقائد وتنكرها لبعضها . فيختلف بناء الامة الواحدة . ولطالما حدث نفس الشىء لابناء الدين الواحد .. والوطن الواحد .. لمجرد وجود فريق منهم يدين بمذهب يخالف مذهب الفريق الآخر .

وقد آخى الاسلام بين الاديان كلها .. وجعل مردها جميعا ينبوعا واحدا ..

يقول تعالى :

« قولوا آمنا بالله . وما انزل الينا . وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم . لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون » .

وقد عددت هذه الآية بعض الرسل . ثم تحدثت عن النبيين بصيغة التعميم ..

يقول تعالى :

« ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك » .

ومن عظمة الاخوة بين المسلمين واصحاب الديانات الاخرى . ان تتم المجادلة فيما بينهم بالتى هى أحسن .. لتنمية شعور المتدين بانه أخو المتدين . وان اختلفا فى بعض الآراء والافكار .

والمسلمون اخوة فى الدين . فلا يكمل اسلام المسلم . ولا يتم ايمانه الا اذا تمكنت تلك الاخوة من قلبه وحتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه . مهما بعدت الديار واختلفت الاجناس والالوان . وحتى يؤثر مصالح الاخوة الاسلامية المقدسة اذا تعارضت مع مصلحته الشخصية .

يقول الله تعالى :

« انما المؤمنون اخوة » .

ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام :

« مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الاعضاء بالحمى والسهر » .

لا فرق بين رجل وامرأة .. ولا سيد ولا مسود فالكل راع والكل مسئول عن رعيته .

ويعلمنا الله عز وجل كيف يكون الاخاء بين المسلمين . وكيف يكون توادهم وتراحمهم فى حديث قدسى . يقول تعالى « يا ابن آدم مرضت فلم تعدنى . فيقول ابن آدم يارب كيف اعودك وانت رب العالمين . فيقول الله اما علمت ان عبدى فلانا مرض فلم تعده . اما انك لو عدته لوجدتنى عنده .. يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى .. فيقول يارب كيف أطعمك وانت رب العالمين . فيقول الله أما علمت ان عبدى فلانا استطعمك فلم تطعمه . اما انك لو اطعمته لوجدت ذلك عندى . يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقنى . فيقول كيف اسقيك وانت رب العالمين . فيقول استسقاك عبدى فلان فلم تسقه . اما انك لو سقيته لوجدت ذلك عندى » .

هكذا رغبنا الله سبحانه وتعالى فى الاخاء . فدعا الى عيادة المريض . واطعام المسكين . واكرام اليتيم . ورهب من الاثرة والانانية والشح والبخل وجمع المال واكتنازه . يقول تعالى :

« كلا بل لا تكرمون اليتيم و لاتحاضون على طعام المسكين . وتاكلون التراث اكلا لما وتحبون المال حبا جما . كلا اذا دكت الارض دكا دكا . وجاء ربك والملك صفا صفا وجىء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى . يقول يا ليتنى قدمت لحياتى . فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد » .

كما تتمثل أخوة الاسلام فى قول الله تعالى :

« ان هذه أمتكم امة واحدة » لانها تهتدى بامام واحد . وتستقبل قبلة الخير والتقوى يتساوى فيها الصالحون العاملون . ولا يستأثر بها صاحب الثروة والسطوة . أو تستأثر بها من حوله عصبة الاسرة أو العشيرة . وزعامة البادية أو الحاضرة .

وفكرة الامة التى جاء بها الاسلام هى التى دفعت الاخوة فى الدين الى الوحدة فى أمة واحدة . تختفى فيها حواجز الاجناس واللغات . وعصبيات النسب والسلالة .

لذلك نجد أن الامة الاسلامية قد اشتملت على اقوام من العرب والفرس والهنود والصينيين

والمغول . والبربر والسود والبيض على تباعد الاقطار . وتفاوت المصالح والفضل فى ذلك يرجع الى عقيدة الاسلام التى أعطت للحياة مقياسا ارفع واسلم من مقياس العصبية والمتعة . وهو مقياس الضمير المستقل عن اصحاب السيادة . ولكنها لم تترك الجماعة بغير وجهة تصمد عليها . فابدعت لها فكرة الامة وحررتها من ربقة العصبية القبلية .

وان كان الاسلام قد قرر مسئولية الفرد عن عمله امام الله سبحانه وتعالى . الا أنه أمر بتعاون المجتمع كله على البر والتقوى . والامر بالمعروف والنهى عن المنكر .

يقول تعالى :

« وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان »

ويقول :

« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض . يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر » .

ويقول عليه الصلاة والسلام

« من رأى منكم منكرا فليغيره بيده . فان لم يستطع فبلسانه . فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » .

فالمنكر منكرا مهما ذاع وانتشر .

ويقول عليه الصلاة والسلام :

« مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها . كمثل قوم استهموا على سفينة . فصار بعضهم أعلاها . وبعضهم أسفلها . وكان الذين فى أسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو انا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وان اخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا » .

ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « انصر اخاك ظالما كان أو مظلوما » ظالما بأن ترده عن ظلمه، ومظلوما بأن تقف الى جانبه حتى يرد اليه حقه . تلك هى الاخوة الاسلامية التى تقوم على التراحم والتعاطف والتواد . يضحى الانسان براحته فى سبيل راحة المجتمع وتخليصه من كل سوء يعترضه .

والاسلام يقوم على تقوية الاواصر بين امة المسلمين . فيركز على الخلق الفاضل والاحساس بالغير . والاقرار بحقه فى الحياة . والسعى فى مؤازرته ومعاونته .

لقد الف النبى صلى الله عليه وسلم بين المسلمين بعقد شرعى سمى فى التاريخ الاسلامى بالاخاء (*) فجعل كل رجل أخا لرجل يشاطره ماله وعيشه من غير أن تزول الملكية بنفس راضية فآخى بين المهاجرين والانصار الذين قال الله فيهم :

« ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا » .
وقوله سبحانه وتعالى : **« ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » .**

وآخى بين الانصار بعضهم مع بعض حتى وصل التآخى الى حد التوارث الى ان نزل قول الله تعالى :

« وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ان الله بكل شىء عليم » .

وتعدى ذلك الى اليهود وهم أشد الناس عداوة للمسلمين . فعقد معهم حلفا للتعاون على الخير وحماية الفضيلة . ورفع الاذى وحماية المدينة من كل أذى خارجى عليها ومنع الظلم وردع المخربين والعابثين .

لقد نادى الرسول صلى الله عليه وسلم بالاشتراكية الحقيقية . نادى بان يراعى الفرد مصلحة الجماعة ويؤثرها على مصلحته الشخصية اذا تعارضت معها . فينقل المجتمع بذلك من انا الى نحن . وانهى العصبيات القبلية واسقط الاحساب والانساب وجعل قيمة الفرد امام الله بالتقوى والعمل الصالح .

لقد تآخى المسلمون . فى رحاب سماحة وسمو اهداف الاسلام . وعظمة القدوة الحسنة المتمثلة فى الرسول صلى الله عليه وسلم . الذى نادى بالدعوة الى الاسلام فى بيئة مريضة بادواء العصبيات وضروب الضلال . وفى اخلاط من العبادات والخرافات . داعيا الى عبادة اله واحد . يتساوى لديه جميع الناس . والى الحق الذى يتساوى فيه أبناء آدم وحواء .

ولنأخذ من هذه الاخوة الاسلامية . فى هذه الايام العصيبة فى تاريخ امتنا العربية الاسلامية عبرة . لتجميع قوى المسلمين للذود عن ديننا ووطننا وقد توافرت اسباب وجوب القتال والجهاد التى حددها القرآن الكريم . فى العدوان الاسرائيلى وان الجهاد بالاموال والانفس صار فرضا عينيا فى عنق كل مسلم يقوم به على قدر وسعه وطاقته مهما بعدت الديار .

كتاب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري وما حواه من قواعد أصولية

المستشار عبد الستار آدم

٥

نشرت فى مقالاتى السابقة بهذه المجلة الغراء كتاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الى أبى موسى الاشعرى ، قاضى البصرة، وقمت بشرح معظم فقراته واوضحت ما تضمنته هذه الفقرات من قواعد أصولية فى القوانين المدنيــة وقوانين المرافعات لا تزال معمولا بها حتى يومنا هذا .

واليوم اختتم هذه المقالات بنشر آخر فقرات ذلك الكتاب ثم اقوم بشرحها والتعليق عليها .

وهذه الفقرات هى قوله : رضى الله عنه :

ثم الفهم الفهم فيما أدلى اليك مما ورد عليك مما ليس فى قرآن أو سنة ثم قايس الأمور عند ذلك (وفى رواية أخرى : قس الأمور بنظائرها) واعرف الامثال ، ثم أعمد فيما ترى الى احبها الى الله وأشبهها بالحق ، واياك والغضب والقلق والضجر والتاذى بالناس والتنكر عند الخصومة (وفى رواية أخرى : عند الخصوم) فان القضاء فى مواطن الحق مما يوجب الله به الأجر ويحسن به الذكر ، فمن خلصت نيته فى الحق ولو على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تزين بما ليس فى نفسه شانه الله ، فان الله تعالى لا يقبل من العباد الا ما كان خالصا ، فما ظنك بثواب عند الله فى عاجل رزقه وخزائن رحمته ، والسلام عليك ورحمة الله »

وابدأ بالفقرة التالية وهى قوله :

«ثم الفهم الفهم فيما أدلي اليك مما ورد عليك مما ليس فى قرآن أو سنة ثم قايس الأمور عند ذلك (وفى رواية أخرى: قس الامور بنظائرها) واعرف الأمثال .. الى قوله وأشبهها بالحق .

ويقصد عمر رضى الله عنه بصدد هذه العبارة ان يرشد القاضى الى انه اذا عرضت عليه قضية ولم يجد لها حكما فى كتاب الله او سنة رسوله فعليه الحكم بالقياس .

والقياس مجمع عليه وهو اصل من أصول الشريعة لان حكم الشيء حكم مثله وحكم النظير حكم نظيــره وقد أجمع فقهاء المسلمين على أن نظير الحق حق ونظير الباطل باطل .. وقد قسم هؤلاء الفقهاء القياس الى ثلاثة أنواع : قياس علة، وقياس دلالة ، وقياس شبه .

وقالوا ان قياس العلة فهى كقوله تعالى « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » وان قياس الدلالة هو الجمع بين الاصل والفرع بدليل العلة وملزومها ومنه قوله سبحانه وتعالى : « ومن آياته انك ترى الأرض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ، ان الذى أحياها لمحيى الموتى ، انه على كل شيء قدير » .. وان قياس الشبه هو الحاق شيء بآخر من غير دليل جامع سوى مجرد الشبه الجامع بينهم .. ثم قالوا ان قياس الشبه قياس فاسد لانه قياس بالصورة المجردة عن العلة المقتضية للتساوى .

هذا وسبق ان ذكرت – فى مقال لى سابق بهذه المجلة الغراء تحت عنوان « أمثلة من الأقضية فى الاسلام » – ان القاضى فى الاسلام كان يحكم بكتاب الله سبحانه وتعالى وبسنة رسوله، صلى الله عليه وسلم ، وذلك اذا كان الحكم واضحا فى الكتاب أو السنة والا فان القاضى كان يحكم بما أجمع عليه الصحابة فاذا لم يجد اجتهد ويدخل فى الاجتهاد الحكم بالقيــاس

والقرائن والامارات والفراسة .. ثم ضربت عدة أمثلة من القضاء بالقياس « يراجع السنة ٢٥ من هذه المجلة العدد الحادى عشر ص ١٢٥ » .

* * *

اما قوله ، رضوان الله عليه :

« اياك والغضب والقلق والضجر والتاذى بالناس والتنكر عند الخصومة (وفى رواية أخرى : عند الخصوم) ان القضاء فى مواطن الحق مما يوجب الله به الاجر ويحسن به الذكر (وفى رواية أخرى الذخر «

ويقصد عمر بصدر هذه العبارة ذم الغضب والقلق والضجر .. وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن يقضى القاضى بين اثنين وهو غضبان .

وعن ابى هريرة ، رضى الله ، أن رجلا قال للنبى ، صلى الله عليه وسلم : أوصنى . قال « لا تغضب » ورددها مرارا

كما نهى عمر ، رضى الله عنه ، قاضيه عن التاذى بالناس (أى لا يحتقر الناس) والتنكر عند الخصومة أو عند الخصوم .. والتنكر هو التغير من حال تسرك الى حال تكرهها .. وقد نهى عمر عن التنكر للخصوم لما فيه من اضعاف لنفوسهم وكسر قلوبهم واخراس السنتهم عن التكلم بحججهم *.

اما قوله ، رضوان الله عليه :

« فان القضاء فى مواطن الحق مما يوجب الله به الأجر »

فهى عبارة واضحة فان الله سبحانه وتعالى يجزل الاجر للقاضى اذا قضى بالحق .. وقد قيل ان للمجتهد أجران اذا أصاب وأجر واحد اذا اخطأ .

وكذلك قوله : «فمن خلصت نيته فى الحق ولو على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ومن تزين بما ليس فيه شانه الله »

فانه يقصد بالعبارة الأولى انه اذا خلصت نية الانسان لله سبحانه وتعالى وكان قصده وهمه وعمله لوجهه سبحانه كان الله معه .. فان الله جل وعلا مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ورأس التقوى والاحسان خلوص النية لله فى اقامة الحق .. ومن كان معه الله فمن ذا الذى يغلبه أو يناله بسوء ؟.. وقول عمر « فمن خلصت نيته فى الحق ولو على نفسه » اشارة الى انه لا يكفى قيامه فى الحق لله اذا كان على غيره بل يجب أن يكون أول قائم به على نفسه فحينئذ يقبل قيامه به على غيره .. والا فكيف يقبل الحق ممن أهمل القيام به على نفسه .

اما قوله « ومن تزين بما ليس فيه شانه الله » فمراده أن من يظهر للناس أمرا وهو فى الباطن بخلافه عامله الله بنقيض قصده ومن تزين للناس بما ليس فيه من الخشوع والدين والنسك والعلم وغير ذلك فان ذلك يشينه من حيث ظن انه يزينه .. وكان بعض الصحابة يقول : « أعوذ بالله من خشوع النفاق..

قالوا : وما خشوع النفاق ؟.. قال : ان ترى الجسد خاشعا والقلب غير خاشع » . وأساس النفاق وأصله هو التزين للناس بما ليس فى الباطن من الايمان (*)

أما قول عمر رضى الله عنه :

فان الله لا يقبل من العباد الا ما كان خالصا

فالمراد من هذه العبارة أن المقبول هو ما كان خالصا لله وموافقا للسنة فان الله سبحانه وتعالى يحب ما أمر به وماعمل لوجهه وما عدا ذلك من الاعمال فانه لا يحبها .. قال تعالى، وهو أصدق القائلين :

« الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم احسن عملا »

وقال سبحانه وتعالى :

« فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا »

أما قوله ، رضوان الله عليه :

« فما ظنك بثواب عند الله فى عاجل رزقه وخزائن رحمته »

فانه يريد بذلك تعظيم جزاء المخلص وانه رزق عاجل وأن رحمته مدخرة فى خزائنه .. فان الله سبحانه وتعالى يجزى العبد على ما عمل من خير فى الدنيا ثم فى الآخرة يوفيه أجره كما قال تعالى :

« وانما توفون أجوركم يوم القيامة »

وقال جل وعلا

« للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة ، ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين »

وقال سبحانه وتعالى :

« من عمل صالحا من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم باحسن ما كانوا يعملون »

وبعد ...

فهذا بعض ما تعلق بكتاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، من حكم وفوائد وقواعد أصولية نفعنا الله بها والحمد لله رب العالمين أولا وآخرا .

يراجع فى كل ما تقدم :

١ ـ كتاب « أعلام الموقعين عن رب العالمين » تاليف العلامة ابن قيم الجوزية تحقيق السيد الاستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد

٢ ـ كتاب « القضاء فى الاسلام بوجه عام » تاليف الدكتور عطية مصطفى مشرفة .

٣ ـ مقالنا بمجلة منبر الاسلام السنة ٢٥ العدد الحادى عشر تحت عنوان « أمثلة من الاقضية فى الاسلام » .

والله ولى التوفيق

التصوف في الإسلام

من أدب وأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم

إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق

"حديث شريف"

الأستاذ طه رياض سيف النصر

ان الله عز وجل قد اختص حبيبه وصفيه وفضله على سائر الانبياء والمرسلين بمكارم الاخلاق لقوله تعالى (وانك لعلى خلق عظيم) كما ارسله هدى ورحمة للعالمين

ومن اجل هذه الرسالة الكريمة قد تحمل كثيرا من الاذى ولكنه صلى الله عليه وسلم لم يدع نصيحة جميلة الا حث عليها ودعا اليها ولا فضيلة حسنة الا امر بها .. كما كلف الناس بالتحلى بالايمان والتقوى والتخلق بحسن الخلق وحسن المعاشرة .

وقد ادب الله سبحانه وتعالى نبيه واحسن تاديبه ثم بعثه ليكون قدوة حسنة واستاذا ومعلما ورحمة للعالمين والانسانية جمعاء .. وجعل امته خير امة اخرجت للناس تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله

واول شيء ينظر المرء اليه ويلفت نظره .. ادب الله سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ثم ادبه صلى الله عليه وسلم لامته ثم الحكماء والعلماء والاولياء .. الخ ويتادب به من ذلك ما امكنه

وقد ادب الله نبيه باحسن الاداب لقوله صلوات الله وسلامه عليه « أدبنى ربى فاحسن تاديبى) ومن ادبه تعالى لنبيه قوله « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا » فنهاه عن التقتير كما نهاه عن التبذير وامره بتوسط الحالتين كما قال تعالى «والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » وقد جمع الله سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم فى كتابه المحكم ونظم له مكارم الاخلاق كلها فى ثلاث كلمات فقال (خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين)

فى أخذه بالعفو صلة من قطعه والصفح عمن ظلمه وفى الامر بالمعروف تقوى الله وغض الطرف عن المحارم وصون اللسان عن الكذب وفى الاعراض عن الجاهلين تنزيه النفس عن ممارات السفيه ومنازعة اللجوج اى كثير الخصومة

ثم امر تبارك وتعالى فيما آدبه باللين فى عريقته اى نفسه والرفق بامته فقال « واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين »

وقال « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » وقال سبحانه وتعالى « ولا تستوى الحسنة ولا السئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم » ، فلما وعى عن الله عز وجل وكملت فيه هذه الاخلاق قال الله تبارك وتعالى (لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم فان تولوا فقل حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم

ومن اداب الرسول صلى الله عليه وسلم لأمته فيما آدبها به وحضها عليه من مكارم الاخلاق ، وجميل المعاشرة واصلاح ذات البين وصلة الارحام فقال « أوصاني ربى بتسع أوصيكم بها - أوصانى بالاخلاص فى السر والعلانية والعدل فى الرضى والغضب ، والقصد فى الغنى والفقر وان اعفوا عمن ظلمنى واعطى من حرمنى واصل من قطعنى ، وان يكون صمتى فكرا ونطقى ذكرا ونظرى عبرا) وقد قال صلى الله عليه وسلم « نهيتكم عن القيل والقال واضاعة المال وكثرة السؤال » وقد قال صلى الله عليه وسلم « لا تقعدوا على ظهور الطرق فان ابيتم فغضوا الابصار وأفشوا السلام ، واهدوا الضال واعينوا الضعيف » وقال صلى الله عليه وسلم « الا أنبئكم بشر الناس قالوا بلى يارسول الله قال من أكل وحده ومنع رفده وجلد عبده ثم قال ألا أنبئكم بشر من ذلك قالوا بلى يارسول الله قال من يبغض الناس ويبغضونه » وقال « حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة واستقبلوا البلاء بالدعاء » وقال صلوات الله وسلامه عليه « ما قل وكفى خير مما كثر والهى »

وقال « اليد العليا خير من اليد السفلى وأبدا بمن تعول »

وقال « لا تجنى يمينك على شمالك ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » وقال « المرء قليل بنفسه كثير باخوانه » وقال (افصلوا بين حديثكم بالاستغفار واستعينوا على حوائجكم بالكتمان » وقال افضل « الاصحاب من اذا ذكرت اعانك واذا نسيت ذكرك »

وقال صلى الله عليه وسلم « يقول ابن ادم مالى مالى وليس له من ماله الا ما أكل فافنى او لبس فابلى او تصدق فابقى » ثم قال « لو تكاشفتم ما تراقبتم وما هلك امرؤ عرف قدره) وقال الناس كلهم سواء كاسنان المشط وقال صلى الله عليه وسلم « رحم الله عبدا قال خيرا ففنم او سكت فسلم »

ومن اداب الحكماء والعلماء ما قيل فى فضيلة الادب اوصى بعض الحكماء بنيه فقال الادب اكرم الجواهر طبيعة وانفسها قيمة يرفع الاحساب الوضيعة ويفيد الرغائب الجليلة وهو عز بلا عشيرة ويكثر الانصار فالبسوه حلة وتزينوه خلة ، يؤنسكم فى الوحشة ويجمع لكم القلوب المختلفة

ومن كلام الامام على كرم الله وجهه من حلم ساد ومن ساد استفاد ومن استحيا حرم ومن هاب خاب ومن طلب الرياسة صبر على السياسة ، ومن أبصر عيب نفسه عمى عن عيب غيره ، ومن سل سيف البغى قتل به ، ومن احتفر لأخيه المؤمن بئرا وقع فيها ومن نسى زلته استعظم زلة غيره ومن هتك حجاب غيره انتهكت عورات بيته ، ومن كابر فى الامور عطب ، ومن اقتحم اللجج غرق ، ومن اعجب برأيه ضل ، ومن استغنى بعقله زل ، ومن تجبر على الناس ذل ، ومن تعمق فى العمل مل ، ومن صاحب الانذال حقر ، ومن جالس العلماء وقر ومن دخل مداخل السوء اتهم ومن حسن خلقه سهلت له طرقه ، ومن حسن كلامه كانت الهيبة أمامه ومن خشى الله فاز ومن استفاد الجهل ترك طريق العدل ومن عرف أجله قصر عمله ثم انشد يقول

البس أخاك على عيوبه
واستر وغط على ذنوبه
واصبر على بهت السفيه
وللزمان على خطوبه
ودع الجواب تفاضلا
وكل الظلوم الى حسيبه

وقال شهيب بن شبه أطلبوا الادب فانه مادة للعقل ودليل على المروءة وصاحب فى الغربة ومؤنس فى الوحشة وصلة فى المجلس

وقال عبدالملك بن مروان عليكم بطلب الادب فانكم ان احتجتم اليه كان لكم مالا وجمالا .. وقال بعض الحكماء اعلم ان جاها بالملل انما يصحبك ما صحبك المال وجاها بالادب غير زائل وقال الاحنف بن قيس رأس الادب المنطق ولا خير فى قول الا بفعل ولا فى مال الا بجود ولا فى صديق الا بوفاء ولا فى فقه الا بورع ولا فى صدق الا بنيه

وبهذه الاخلاق الكريمة المأخوذة عن الرسول قد ساد الاسلام وارتفعت كلمته وعمت رسالته بقاع العالم ، وانتشر لواؤه ، وانتصر علي أعدائه .. وما احوجنا فى هذه الايام العصيبة الذى بلغ فيها الالحاد المادى ذروته وتغلبت فيه النواحى المادية على النواحي الروحية الى التمسك والاقتداء باخلاق واداب الرسول صلوات الله وسلامه عليه الذى أرسله الله تعالى قدوة للعالمين لاسعاد الانسانية حتى يتحقق لنا النصر والخير وتعود الامة الاسلامية الى ماضيها المجيد ، مرفوعة الراس ، موفورة الكرامة - وان ينصركم الله فلا غالب لكم .

بقية مقال
بالتضحيات تحيا الشعوب

وكان للشباب المؤمن فى المعارك نصيب كبير ، بل ان منهم من تولى مهام من أخطر المهام التى يكلف بها الفدائيون ، تطوعوا لذلك عن ايمان ويقين وتقدير سليم لطبيعة الخطر الذى يتهدد المسلمين اذا ما تغلبت قوى الشر ، ونالت من قوى الايمان والحق ، حدث فى غزوة بدر أن كان من كبار قادتها المشركين أبو جهل وهو معروف بانه من أشد الناس عداوة للاسلام وأهله ، ويروى عبد الرحمن بن عوف مشهدا بطوليا لشابين من شباب الاسلام ، وقد شاهد هذا المشهد بنفسه ، ورأى فيه روعة الفدائية ، وعزة الايمان ، وبسالة المؤمن الشجاع ، يقول : « انى لفي الصف يوم بدر اذ التفت فاذا عن يمينى وعن يسارى فتيان حديثا السن ، اذ قال لى أحدهما سرا من صاحبه : ياعم أرنى أبا جهل ، فقلت : يا ابن أخى ، وما تصنع به ؟ قال : عاهدت الله ان رأيته أن أقتله أو أموت دونه » .

وقال لى الاخر سرا من صاحبه مثله ، فاشرت لهما اليه ، فانطلقا اليه وشدا عليه مثل الصقرين ، فضرباه حتى صرعاه ، وقد استشهد هذان البطلان فى بدر وهما عوف ومعوذ ابنا الحارث الخزرجى الانصارى » لقد كانت نتيجة المعركة انتصارا حاسما للمؤمنين ، ودارت الدائرة على المشركين فقتل منهم سبعون من صناديدهم وسقط فى الاسر سبعون كذلك ، وفر بقية الجيش يروى لمن خلفه عاقبة البغى ، ومصير العدوان ، والبغى مرتعه وخيم » وذكر القرآن الكريم نبأ هذا الانتصار فى قوله تعالى : « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ، فاتقوا الله لعلكم تشكرون ، اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ، بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين ، وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به ، وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم » ..

هذا هو طريق النصر ، تضحيات بالنفس والنفيس ، وثقة كاملة بنصر الله ، فهو وعده الحق ، وهو لايخلف الميعاد .

معالم الطريق

بقية خطاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر في عيد العمال

أول مايو ١٩٦٩

١٤٪ من النمو الصناعي

ان الثورة أيها الاخوة ليست كلاما يقال وانما الثورة هى بناء حياة اكثر تقدما واكثر تقدمية .. أكثر تقدما من ناحية انتمائها للعلم الحديث واخذها باسباب العلم الحديث .. واكثر تقدمية من ناحية ملكيتها لاوسع الجماهير ووجودها فى خدمتها وخدمة أمالهم المشروعة ومطالبهم المتزايدة عن رغبة فى مستوى من المعيشة أفضل .

ولو مددنا البصر ايها الاخوة ونحن هنا فى هذا الموقف بالقرب من مصنع الدرفلة الذى بدأ عمله أول أمس فوجهنا نظرة أشمل الى جهدنا فى المجال الصناعي لوجدنا اننا تجاوزنا كل ما كنا نأمل فيه.. ذلك اننا لو اخذنا الاشهر التسعة التى تمت حساباتها من السنة المالية الحالية واقصد من اول يوليو ٦٨ الى آخر مارس ٦٩ فقارناها بنفس الفترة المماثلة لها من العام الماضى لوجدنا علامات مشجعة .

كنا نستهدف نموا عاما فى الانتاج الصناعى قدرناه بحساب كل طاقاتنا بما فيها طموحنا الذى نتمناه على مستوى التحدى الذى نواجهه بنسبة ١٢ فى المائة وقد تحقق ذلك فعلا بل وتم تجاوزه ووصلنا الى زيادة عن العام الماضى محسوبة على وجه الدقة بـ ١٤ فى المائة .

كانت الزيادة فى قطاع الغزل والنسيج ٧ر٣ فى المائة . فى الصناعات الغذائية ١١ فى المائة وفى الصناعات الكيماوية ١٩ فى المائة وفى الصناعات الهندسية ٢ر٢٣ فى المائة .. وفى الصناعات المعدنية ٧ فى المائة . وفى البناء والحراريات ٥ر١٩ فى المائة .. وفى التعدين عدا البترول ٥ر٣ فى المائة وفى الصناعات المملوكة للقطاع الخاص ٥ر١٢ فى المائة

٥٧٪ زيادة فى البترول

ولكن البترول سجل زيادة بمقدار ٥٧ فى المائة ومع تفاوت حجم الانتاج فى كل قطاع من هذه القطاعات فان النسبة العامة فى الزيادة فى النهاية بلغت ١٤ فى المائة . وكان تقديرنا وتخطيطنا ان

سنناضل فى سبيل القدس حتى آخر قطرة من دمائنا .. وهذا عهدنا لشعب فلسطين

نتمكن من الوصول الى نسبة نمو قدرها ١٢ فى المائة أى اننا حققنا ما كنا نتمناه وزدنا عليه ٠

أقول هذه الارقام رغم ادراكى أنكم تريدون الانتهاء منها بسرعة للوصول الى الجوانب العسكرية والسياسية فى نضالنا ولكن هذه الارقام ٠٠ هذه الارقام ضرورية وهى فى الحقيقة السند الكبير لنضالنا فى الجوانب العسكرية والسياسية وفى الجوانب المختلفة ٠٠ فى ٦٧ فيه ناس قالوا ان احنا لن نستطيع أن نصمد سياسيا ولا عسكريا ولا اقتصاديا ٠٠ فيه ناس من دعاه الهزيمة قالوا ان مفيش أمل لا سياسيا ولا عسكريا ولا اقتصاديا أما بقول هذه الارقام لى بيقولوا هذا الكلام أو اللى قالوا هذا الكلام فى بلدنا أو اللى بيقولوه أو يكتبوه بره رغم الازمة اللى احنا فيها ورغم المحنة اللى احنا فيها لم يقصر الشعب ولا ابناء الشعب ٠ولم يقصر المناضل المصرى ولا العامل المصرى ٠٠ لم يقصر أى فرد من أبناء هذه الامة فى كل الميادين

فى ميدان الانتاج ٠ الانتاج فى ميدان التصنيع زاد التصنيع ٠٠ واستطعنا ان نرد على هؤلاء الذين كانوا يقولون اننا لو كنا قد تجاوزنا النكسة العسكرية حينما خرج الشعب فى ٩و١٠ يونيو يرفض الهزيمة العسكرية فأننا لن نستطيع أن نواجه الضغط الاقتصادى ولن نستطيع أن نصمد اقتصاديا ولن نستطيع ان نتمكن من ادارة المصانع ٠

النهارده بقول هذه ارقام حتى يعلم الجميع أننا حينما رفضنا الهزيمة العسكرية صمم هذا الشعب على ان يعمل فى جميع الميادين فى الناحية العسكرية لتلافى الهزيمة ولازالة أثار العدوان ٠٠ وفى الناحية الاقتصادية بكل مجالاتها حتى نستطيع من الصمود اقتصاديا ٠٠ لان كل فرد من ابناء هذه الامة يعلم اننا بدون أن نصمد اقتصاديا لن نستطيع بأى حال من الاحوال أن نصمد عسكريا فكان هذا الصمود الاقتصادى وكانت هذه الزيادة فى الانتاج هى السند الاكيد والسند الحقيقى لصمودنا العسكرى ٠

فائض فى انتاج الذرة

وفى الجوانب الاخرى غير الصناعة وابرزها الزراعة فان الانسان المصرى العامل على الارض الخصبة ٠ ساهم بدوره فى المعركة ٠٠ كنا نستورد الذرة للريف المصرى والان ايها الاخوة فان انتاج الذرة فى الريف المصرى يحقق فائضا نسعى الى تصديره ٠٠ وكان هناك محصول ارز قياسى سد كل حاجات استهلاكنا وصدرنا منه هذا العام ٠٠ صدرنا ٨٠٠ الف طن ٠٠ وكانت هناك لأول مرة قفزة فى تصدير الموالح من مصر قاربت الـ ١٠٠ الف طن فى هذه السنة ٠ وكنا دائما نواجه ازمة فى انتاج الفول وهناك الآن وفر وزيادة بالمعروض عن الطلب ٠٠ ولقد كانت أيها الاخوة تلك كلها عوامل لها دورها بالنسبة لاحتياجات الجماهير ولا اظن ان بلدا واجه ظروف الحرب بأقل قدر من الضغوط على حياته العادية كما حدث عندنا ٠٠ وان كنت اعتقد ان الشعب مستعد ان يتحمل كل شىء ويعطى كل شىء لكى يحقق هدفه الأكبر الذى لايسبقه هدف وأقصد به هدف التحرير وهدف النصر ٠

أيها الأخوة المواطنون

سوف انتقل بكم الى شاغلنا الشاغل وهدفنا الرئيسى لهذه المرحلة وهو ما اعلم انكم وجماهير شعبنا وامتنا العربية تريدون منى ان ادخل اليه

قلت لكم أيها الاخوة ان وقائع اليومين الاخرين هى أكثر ما يرمز الى التغيير بين ما كنا فيه وبين ما وصلنا اليه ٠ وتحدثت عن يوم أول أمس الذى افتتحنا فيه مصنع درفلة الحديد والصورة المباشرة وراءه والشاملة بعده ٠٠ واتحدث الآن عما حدث فى الساعات الاولى من صباح أمس ٠ ٠ وهى محاولة اسرائيل الفاشلة بالاغارة على بعض مواقع الانتاج فى نجع حمادى وادفو ٠٠ هنا ايضا ونحن ننظر الى هذا العمل ٠ هنا ايضا كما فعلنا بالنسبة لمصنع الدرفلة يجب ان ننظر الى الحدث ذاته والى ما وراءه مباشرة على الجبهة المصرية ثم الى الصورة الشاملة كلها فيما يتعلق بازمة الشرق الاوسط ٠٠ سمعنا ايها الاخوة فى الايام الماضية الكثير من التهديدات من قادة اسرائيل والتهديد بالانتقام والمطالبة بان يكون خط وقف القتال خط ساكن تستطيع اسرائيل

على مضى الزمن ان تقول عنه انه خط حدود ٠ سمعنا ايضا من اسرائيل وقادة اسرائيل انهم لن ينسحبوا أبدا من الاراضى المحتلة ، سمعنا هذه التهديدات وكنا ننتظر كما قلت لكم من قبل أى عمل اسرائيلى انتقامى

سياسة اسرائيل الارهابية

قامت فلسفة اسرائيل وقامت سياسة اسرائيل من سنة ٤٨ وقبل سنة ٤٨ على سياسة الارهاب ٠٠ أن تقوم بعمل يؤثر فى معنويات النـاس وييئسهم وتتبعت هذه الغارة الفاشلة من أول دقيقة من ساعة ما حست قواتنا بيها وقالوا ان فيه طيارتين متجهتين الى نجع حمادى والى أدفو وعرفت نتائج العملية ٠ وأنا بدى أقول لكم حاجة ان قيادتنا قيادة قواتنا المسلحة قبل هذه العملية من يوم الحد كانت متنبئه بالعمل اللى حتعمله اسرائيل بل أيضا كانت حددت ان اسرائيل حتتجه الى ضرب مصادر المياه ٠ وعلى هذا الاساس وصلت الطيارات ولكن لم تستطع ان تحقق اهدافها ورمت القنابل اللى كانت شايلاها بعيد عن الاهداف اللى كانت متجهة اليها وعرفت انا بالليـل يمكن حوالى الساعة واحدة أن العملية الاسرائيليـة فشلت فشل كامل بعد ان تصدت لها قواتنا المضادة للطائرات ٠٠ وان قوات الجيش الشعبى فى كل مكان مستعدة ونمت يوميها بالليل وبعدين صبحت الصبح سمعت اذاعة اجنبية أول ما صحيت وسمعت ان اسرائيل دمرت قناطر نجع حمادى ودمرت كوبرى ادفو ودمرت محطات تحويل الكهرباء بتاعة السد

وانا بعد ما سمع هذا الكلام طلبت الفريق فوزى وتخيلت ان انا بعد ما نمت اسرائيل قامت بغارة ثانية وحققت أهداف وان الفريق فوزى مارضيش يصحينى ٠٠ ويقول لى بالليل فسألته بالتليفون هو فيه حصل حاجة بعد ما كلمتنى أخر مكالمة بالليل ٠٠ قال لى محصلش قلت له أمال دول بيقولوا انهم غرقوا الصعيد وان محافظة قنا غرقت فقال ان العملية ٠٠ اسرائيل يظهر كانوا محضرين البيانات ديه قبل الغارة ٠

واعتبروا ان الغارة نجحت ٠

اسرائيل كذبت كذبة كبيرة

الحقيقة كانت النتيجة لهذا ان احنا فعلا زى ما قريتوا النهارده فى الجرايد ٠ الحقيقة كانت النتيجة لهذا ايه ٠٠ احنا فعلا زى ما قريتم النهارده فى الجرايد الصحفيين الاجانب كلهم خدوهم بطيـارة

من القوات المسلحة ، وودوهم الى نجع حمادى والى أدفو والى المنطقة ووجدوا القناطر سليمة ٠٠العربيات بتمر على القناطر ٠٠ الكوبرى سليم والنهارده كل الاذاعات بتقول الحقيقة وبيقولوا ان الاسرائيليين كذبوا كذبة كبيرة امبارح وانكشفت هذه الكذبة النهارده

النهارده اسرائيل فى تراجعها عن هذا الكلام اللى قالته امبارح بيقولوا انهم هم ماكانش قصدهم انهم يوقعوا بينا خسائر اقتصادية ٠ ولكن هم كان هدفهم انهم يؤثروا على الشعب المصرى تأثير نفسى وتأثير معنوى الحقيقة يوم ٩ يونيو سنة ٦٧ لما فقدنا كل شىء الشعب المصرى لم يتأثر نفسيا طبعا تضايق بالهزيمة ولكن رفض الهزيمة ٠٠ لم يتأثر نفسيا ولم يتأثر معنويا وخرج يوم ٩ وكلنا وكل العالم كان يعتقد ان خروج الشعب هنا فى مصر بل ايضا فى العالم العربى وفى العواصم العربية المختلفة كان عبارة عن التصميم على مواصلة النضال والتصميم على مواصلة الكفاح رغم ما حصل

وبهذا فانا بقول أن الاعتقاد ان أى عملية تؤثر علينا نفسيا أومعنويا اعتقاد يمكن يكون مهم من ناحية اسرائيل ٠٠ الحقيقة بعد الكلام اللى احنا قلناه فى المؤتمر القومى الاخير للاتحاد الاشتراكى العربى كان من الواضح ان اسرائيل تشعر بالضجر وتشعر بالضيق لان الروح المعنوية التى كانت تظن انها لن ترتفع مرة أخرى ولن تقوى ولن تصمد بعد ٢٠ أو ٢١ أو ٢٢ شهر من الهزيمة تريد بكل اساليبها وبكل الطرق الممكنة انها تجعل الشعب العربى فى كل بلد عربى ييأس ويستسلم ٠

نصر اسرائيل يتحول لهزيمة

اسرائيل تريد منا ان نستسلم ونحن قد رفضنا الاستسلام ورفضنا الهزيمة وصممنا على الكفاح لتحرير أرضنا شبرا شبرا ٠٠ اسرائيل النهارده بعد ٢٢ شهر من حصولها على نصر عسكرى كبير ٠٠ اسرائيل النهارده اللى بتقول فى كل مكان ان جيشها هو الجيش الذى لايقهر ٠٠ فانا بأقول ان اسرائيل النهارده تشعر فى قراره نفسها وقادة اسرائيل بيشعروا فى قرارة انفسهم ان النصر الكبير اللى حققوه فى يونيو ٦٧ يتحول الان من نصر الى هزيمة ٠٠ لان الشعب العربى الذى صمم على الصمود والذى صمم على الكفاح والذى رفض الهزيمة ٠٠

هذا الشعب العربى لابد له من ان يستعيد ارضه التى فقدها فى يونيو ٦٧

كانت استراتيجية اسرائيل مبنية دائما على فرض الصلح بالقوة ٠

وفرض الصلح بالقوة هو تعبير معناه فرض الصلح على العرب بالقوة العسكرية ٠٠ أى أن يهزم العرب عسكريا ثم يستسلموا ويوافقوا على ماتريده اسرائيل ولكن اسرائيل استطاعت بما خططته وبما حصلت عليه من اسلحة ان تهزم العرب وان تحصل على نصر ٠٠ لكنها برغم هذا وبفضل صمود الامة العربية كلها لن تستطيع أن تفرض شروطها على الامة العربية

والامة العربية الآن تستعد والأمة العربية اخذت الدرس ٠٠ وعلى هذا الاساس فحينما نقارن ايها الاخوة هذه الغارة التى حصلت اول أمس علينا ان نقارنها بالغارة اللى حصلت فى اكتوبر اللى فات على نجع حمادى ، فى اكتوبر اللى فات فى نجع حمادى وخلف منطقة القتال كلها ٠٠ الحقيقة ماكانش عندنا قوات مسلحة وفوجئنا بالغارات الموجودة على نجع حمادى وبتدمير محطة الكهرباء وباصابة كوبرى ادفو واصابة جزء من قناطر نجع حمادى وبعد اكتوبر قررنا اقامة الجيش الشعبى وكتائب الدفاع فى كل مكان ، وان يكون عندنا فى كل بقعة من أرض الوطن جيش داخلى ضد تسلل اسرائيل وضد أى عمل معاد ٠ وتم تكوين هذا الجيش

فشلت الغارة الاسرائيلية

الفرق الحقيقة بين النهارده وبين اللى حصل فى اكتوبر ان اسرائيل لما جت فى اكتوبر قدرت تضرب محطة الكهربا وقدرت تضرب القناطر وماكانش فيه قوات من الجيش الشعبى ٠ماكانش فيه وحدات من الوحدات المضادة للطائرات اما هذه المرة فلم نمكن اسرائيل ان تحقق أى هدف من أهدافها ٠

ودلائل الفشل فى هذه الغارة ان الطائرات المغيرة رمت قنابلها فى أماكن بعيدة عن الاهداف ولاذت بالفرار ٠٠ كان هدف اسرائيل من الغارة اللى حصلت فى اكتوبر الماضى ٠٠ ان نسحب قواتنا من القنال وان نفتتها للدفاع عن الاهداف الحيوية ولكننا صممنا فى هذا الوقت الا نحقق هدف اسرائيل

ولم تنسحب أى قوة من قوات القنال ولا أى وحدة من وحدات الجيش العامل الذي يستعد ويتدرب كل يوم من أجل المعركة التى ينتظرها كل فرد من ابناء هذه الامة ولكننا انشأنا الجيش الشعبى ليدافع هنا فى الداخل ٠٠ يحمل كل فرد من ابنائه السلاح فى كل موقع حيوى ٠ فى كل محافظة ٠٠ وفى كل مدينة ونحن اليوم نقول لاسرائيل ان جيش الداخل هنا فى الجمهورية العربية المتحدة يتكون من جميع ابناء مصر جميع رجال مصر ٠٠ جميع شباب مصر كل واحد يدافع عن قريته ٠ وكل واحد يدافع عن الاهداف الحيوية ونحن لن نمكن اسرائيل بأى حال من الاحوال من تحقيق اهدافها فى ان نسحب قواتنا التى نجهزها للمعركة ونفتتها فى المحافظات المختلفة ٠ وفى الاماكن المختلفة من اجل الدفاع عن الاهداف الحيوية ٠

ايها الاخوة المواطنون ٠ هناك فرق كبير بين ما هو موجود الآن وبين ماكان فى شهر اكتوبر من العام الماضى ٠ ولقد ارادت اسرائيل بهذه الغارة التى دبرتها أول أمس ان يكون هذا الاجتماع اجتماع يخيم عليه اليأس ويخيم عليه الحزن فاذا كانت اسرائيل قد حققت أهدافها بتدمير قناطر نجع

تتأثر روحنا المعنوية ولم تؤثر فينا الحرب النفسية ولكنى اشعر النهارده من الكلام اللى باقرأه طول النهار فى الاذاعات ان يمكن الروح المعنوية فى اسرائيل هى اللى بتتأثر ٠٠ قالوا ان جيش اسرائيل هو الجيش الذى لايقهر ٠ نفتكر ايام الحرب العالمية الثانية كنا ضباط فى القوات المسلحة وقالوا ان جيش المانيا جيش هتلر هو الجيش الذى لايقهر ٠٠ الحقيقة احنا فى سنة ١٩٦٧ كنا بنبنى قواتنا المسلحة ولكنا لم نكن نخطط التخطيط السليم لمواجهة اسرائيل ٠ وقوات اسرائيل ٠٠

نحن نخطط للهجوم

النهارده أرضنا محتلة ٠ ارض من بلدنا محتلة٠ النهارده نعمل العمل الصحيح نخطط للهجوم نخطط لطرد القوات المعتدية ٠ هذا الشىء ايها الاخوة لم يكن موجود فى سنة ١٩٦٧ أو قبل سنة ٦٧ أنا بدى وانا باتكلم فى موضوع أول امبارح ٠ قد يتساءل البعض وقد نسمع بعض الاسئلة ٠ ازاى دخلت الطائرتين الاسرائيليتين فى الجنوب ووصلوا الى نجع حمادى وقنا كلنا نعرف ان وادى النيل وبلدنا بلد كبيرة ٠ واحنا نعيش فى ٤٪ فقط من

إننا نواجه عدواً لن يترك أرضنا إلا إذا خلعناه .. وهذا ماسوف نفعله ..

حمادى واغراق حوالى ربع أو ٣/٤ أو نصف مليون فدان فى الصعيد ماكانش فى هذا الاجتماع يبقى عندنا ابدا الصوت العالى اللى احنا بنتكلم بيه النهارده ولكن الحمد لله عندنا الصوت العالى اللى احنا بنتكلم بيه النهارده طبعا بنقول ان احنا يمكن من سنتين بعد النكسة صوتنا ماكانش عالى ولكن رغم النكسة وبفضل صمود ابناء هذه الامة ٠ وبفضل صمود قواتنا العسكرية ٠ صوتنا يعلو يوما بعد يوم وقوتنا تزيد يوما بعد يوم ٠

يقظة قواتنا المسلحة

أيها الاخوة ٠٠ ان يقظة قواتنا المسلحة ويقظة جيش الدفاع الشعبى كل هذا هو السبب الاساسى فى الفشل الذى منيت به اسرائيل ٠

واسرائيل عندما اذاعت بياناتها خلافا للنتائج الحقيقية وحينما انكشفت الحقيقة ٠ نحن هنا لا

البلد و ٩٦٪ من البلد صحارى مش ممكن حنحط فى كل هذه المناطق سواء فى الصحارى الشرقية أو الصحارى الغربية قوات مضادة للطائرات ٠ ثانيا ان أى طيارة بتطير واطى لايمكن ان احنا نكتشفها على اجهزة اكتشاف طيارات ٠ فاذن ممكن الطيارات الاسرائيلى انها توصل لنا ولكن اللى احنا يجب نفكر فيه ٠ ممكن أيضا طياراتنا تصل الى اسرائيل وانا قلت فى الخطبة الاخيرة اثناء المؤتمر القومى ان احنا لنا الحق وان اعتداء اسرائيل على المدنيين ان يجب احنا نشعر ويجب أن العالم كله يعرف ان احنا فى هذا لينا الحق ايضا فى ان نرد بضرب المدنيين

وبعدين يقول النهارده ان اعتداء اسرائيل على اهدافنا المدنية ايضا انه يعرف ان احنا ايضا لينا الحق فى ضرب الاهداف المدنية داخل اسرائيل٠٠ واللى انا بدى اقوله ان احنا فى الحقيقة ما بندخلش مغامرات ولكن حساباتنا النهاردة اكثر قوى من

حساباتنا سنه ١٩٦٧ قد يكون فيكم أو فى الامة العربية بعض المتعجلين ويمكن يكون فيه ناس متعجلين عن نية سيئة • عايزنا ندخل قبل الوقت المناسب • ونضرب علشان يفرحوا فينا يقول ان احنا بنحسب مرة ومرتين وثلاثة واربعة واظن انكم تدونا الحق فى أن احنا نحسب حسابات مضبوطة جدا علشان منديش اسرائيل أى فرصة علشان تأخذ فيه أى انتصار • حصلت تغييرات فى الموقف العدو قبل كده سنة ٦٧ وسنة ٦٨ كان بيجى وكان سنة ٦٧ طياراته كانت بتيجى القاهرة • دلوقت العدو مايستجرش طياراته ما بتعديش قنال السويس والمرة اللى عدى فيها قنال السويس ودخل فوق السويس وانضرب له ٣ طائرات بعد كده ماجاش .. المرة دى فى شهر اكتوبر العدو استطاع انه يجيلنا السنة اللى فاتت وانه يضرب .. ضرب نجع حمادى • المرة دى العدو قدر يوصل وماستطعش انه يضرب طيب حيسألونى بعض الناس ويقولوا بعد ماجه خرج ازاى •

نحن قادرون على الرد

وانا بأقول ان يعنى أرجو المرة الجاية اما ييجى مش حيطلع احنا بنقول وبنتقدم بالتدريج ، كل اللى انا بقوله ان احنا ممكن نتلقى ضربات لما نمسك الحرب العالمية الثانية • طول ده .. يعنى بنبص لانجلترا وبنبص لالمانيا غارات كانت على انجلترا وغارات على المانيا لازم نحسب ولازم نشعر ولازم نعرف أن احنا فى حالة حرب والحرب معناها ان احنا نموت اعدائنا وان احنا أولادنا ايضا يبكون فيهم خسائر .. بنضحى بنموت • ماحدش بيحارب من غير ما يموت • والحرب معناها ان احنا بنضرب العدو العدو ايضا ممكن انه يضربنا ولكن لازم نفرق بين حالتين اذا كان العدو يقدر يضربنا وما نقدرش نرد • وده كان موجود فى سنة ٦٧ والى حد .. فى جزء كبير فى سنة ٦٨

الحالة الثانية اذا كان بيضربنا ونستطيع ان نتلقى الضربات وواجبنا ان نتلقى الضربات على شرط أن تكون قادرين على رد هذه الضربات وانا بقول لكم ان احنا النهارده قادرين على رد هذه الضربات

الحرب النفسية والاقتصادية

ايها الاخوة لما بنتكلم على اللى حصل اول امبارح بنقول ان اسرائيل كانت تستهدف من هذا التأثير فى معنوياتكم التأثير فى الناحية النفسية ايام الحرب كانت حرب نفسيه وكان طبعا هدفها تعكس ماقالته النهارده التأثير على قدرتنا الاقتصادية •

ايها الاخوة كلنا نعرف ان فى الشهرين الاخيرين حصل تصاعد فى الموقف على الجبهة ـ قادة اسرائيل اتكلمو كثير فى المرحلة الماضية على انهم يرفضوا تنفيذ قرار مجلس الامن الذى ينص على انسحاب القوات المعتدية من الاراضى التى احتلتها بعد ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ ـ وقال قادة اسرائيل انهم لايعترفون بأى حدود لدولتهم وانهم عايزين العرب يقعدوا معاهم علشان يقرروا هذه الحدود ـ وقال قادة اسرائيل انهم ضموا القدس وقالوا انهم ضموا الضفة الغربية وقالوا انهم ضموا اجزاء من سينا وقالوا انهم ضموا هضبة الجولان فى سوريا اى انهم قالوا ان العرب ييجوا يتفاوضوا معانا رئيس وزراء اسرائيل قال هذا الكلام ، ييجوا العرب يقعدوا يتفاوضوا معانا واحنا مستعدين نتكلم معاهم ولكن القدس ماحناش مستعدين نتفاوض معاهم عليها

الضفة الغربية ووجود قوات اسرائيلية على نهر الاردن ماحناش مستعدين ان احنا نتفاوض عليها ـ هضبة الجولان ماحناش مستعدين نتفاوض عليها ـ ده كلام الاسرائيليين ـ كلام رئيس وزارة اسرائيل ـ شرم الشيخ ماهماش مستعدين يتكلموا فيها معنى هذا ايه ؟ معنى هذا ان اسرائيل تريد التوسع فى الارض العربية التى احتلتها بعد ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ وقالوا اذا ماجاش العرب وقعدوا معانا على مائدة المفاوضات فان احنا تعجبنا الخطوط الموجودة دلوقتى فى قناة السويس وعلى نهر الاردن وفى هضبة الجولان •

وكان من الواضح ان اسرائيل تريد ان تجعل من خط ايقاف القتال خطوط دائمة ليها وان تستغل قرار مجلس الامن الخاص بايقاف القتال من قبل ان تتمتع بالهدوء والسكينة فى الاراضى المحتلة وبهذا

تضحياتنا ودماؤنا ستكون ثمناً عزيزاً للنصر عزيز !

كانت اسرائيل ايضا ترفض قرار مجلس الامن الاخر الذى يقضى بالحق – اسرائيل تصمم على قرار مجلس الأمن الذى ينص على ايقاف القتال وبهذا تبقى فى الارض المحتلة الى ابد الأبدين – اسرائيل ترفض قرار مجلس الامن الذى ينص على انسحابها من الاراضى المحتلة .

تدمير التحصينات الاسرائيلية

وطبعا بعد مضى عشرين شهرا بعد الصمود الكبير وبعد الفترة العصيبة التى مرت علينا كان لابد لنا ان نتجه لتأدية الواجب وكان لابد لقواتنا المسلحة ان تقوم بالدور المطلوب منها .

بعد نجع حمادى حصل ان اسرائيل بدأت فى بناء تحصينات على قنال السويس وفى نفس الوقت بدأنا نحن فى تكوين جيش الدفاع الشعبى حتى نحمى الداخل ونحمى الاهداف الحيوية – ثم بعد هذا تكلمت اسرائيل واعلنوا انهم بنوا خط حصين فى الضفة الشرقية لقنال السويس وسموه خط بارليف وان الدشم اللى بنوها لايمكن لأى انواع الأسلحة انها تؤثر فيها ولا يمكن للمصريين انهم يهدموها وعلى هذا لن تتمكن مصر من ان تعبر قناة السويس وتعود مرة أخرى الى سيناء وكان لابد لقواتنا المسلحة ان تواجه هذا الموقف عندما تكون على اهبة الاستعداد سواء بالنسبة للجبهة أو بالنسبة للداخل وفى أوائل الشهر الماضى قالت قواتنا المسلحة انها على اهبة الاستعداد وكنا نعلم ونعرف من تصريحات قادة اسرائيل انهم يريدون الهدوء الكامل على جبهات القتال حتى يزيدوا من بناء التحصينات وحتى يحولوا خط ايقاف القتال الى حدود مستديمة

وعلى هذا بدأت قواتنا المسلحة فى تنفيذ خطتها التى كانت قد رسمتها ، بدأت فى التنفيذ فى أوائل الشهر الماضى – فى أوائل شهر مارس لان احنا النهارده اول مايو وكان هدف القوات المسلحة ان تدمر خط بارليف الذى قالت عنه اسرائيل انه خط لايمكن تدميره وخط حصين – وبعد هذه الفترة من المعارك على القنال بلغتنى – بلغنى الفريق فوزى وزير الحربية وبلغ مجلس الوزراء فى الاسبوع الماضى ان قواتنا المسلحة استطاعت ان تدمر حتى الآن ٦٠٪ من خط بارليف من هذه الحصون التى اقامتها اسرائيل على قنال السويس – وبلغنا الفريق فوزى فى مجلس الوزراء ان القوات المسلحة ستسير فى تنفيذ خطتها حتى تكمل تدمير ال ٤٠٪ الباقية من خط بارليف الذى اقامته القوات الاسرائيلية شرق القنال .

مفاجأة للاسرائيليين

قالت اسرائيل ان هذه الاعمال كانت مفاجأة وان لها الحق ان تقيم تحصينات شرق القنال – معنى اقامة تحصينات شرق القنال ان اسرائيل تريد ان تبقى فى هذه المناطق المحتلة الى اجل غير مسمى وفى الحقيقة لايمكن لنا ان نقبل هذا ثم قالت قواتنا المسلحة ان دورياتها على استعداد من كل الوحدات ان تتجه الى صحراء سيناء وتقوم بالواجب المقدس الذى يلقيه عليها الوطن – وبهذا أيضا بدأت اعمالنا على الضفة الشرقية للقنال – كلنا – كلكم سمعتوا عن الدوريات وكلكم سمعتوا على المدفعية واللى انا باقدر اقوله ان الاهداف من معارك المدفعية وهى تدمير التحصينات الاسرائيلية تحققت الى حد كبير وان الاهداف من الدوريات المقاتلة تحققت الى حد كبير

تريد اسرائيل أيها الاخوة تجميد خط وقف اطلاق النار – وانا اقول الآن باسم هذا الشعب المناضل الذى رفض الهزيمة فى يونيو سنة ١٩٦٧

رد الضربات

أننا لن نقبل هذا ولن نسمح لاسرائيل بتجميد خط وقف اطلاق النار ولو تعرضنا للانتقام وممكن ان احنا نتعرض ممكن يبعتوا طيارات ويضربونا –

ولكن اللى باقوله الفرق بين النهارده والفرق بين سنة ١٩٦٧ ان هوه اذا بعت طيارات نحن نستطيع

الرئيس جمال عبد الناصر يؤكد فى خطابه بأن صوتنا الآن أعلى وقوتنا متزايدة

ان نرد هذه الضربات ـ الوضع الذى لم نكن نستطيعه فى سنة ١٩٦٧ ولا فى الجزء الأول من سنة ١٩٦٨

هل يمكن ايها الاخوة ان يلومنا احد اذا تحركنا دفاعا عن أراض يعلنون كل يوم انهم لن يتخلوا عنها ـ اننا ننظر الى خط وقف اطلاق النار وارتباط قرار مجلس الامن الخاص بوقف اطلاق النار بقرار مجلس الأمن الذى ينص أول ماينص على الانسحاب قرار مجلس الامن بتاع نوفمبر سنة ١٩٦٧ ويجب ان تعلم الدنيا كلها انهم اذا لم ينسحبوا فاننا سوف نقاتلهم الى آخر رجل من عندهم أو الى آخر رجل من عندنا .

أيها الاخوة ـ لن نقبل بهذا الامر الواقع ولن نسكت ولن نلين فاما انسحاب اسرائيل من الاراضى المحتلة واما القتال المستمر ـ ليس فى هذا الموضوع سياسة ولا يمكن أن نتكلم فى هذا الموضوع كلام سياسى فيه مداورة ـ انه موضوع ارض موضوع وطن موضوع شرف ـ موضوع حياة ـ ليست ارضنا وحدها ولكنها الارض العربية وليس وطننا وحده ولكنه الوطن العربى الكبير ، وشرفنا وحياتنا جزء لايتجزأ من حياة أمتنا العربية

أيها الاخوة المواطنون ـ نحن نناضل هنا فى مصر والامة العربية تناضل ايضا فى كل مكان ولكنى اقول

ان اسرائيل ـ اسرائيل بتقول ان ١٠٠ مليون عربى لم يستطيعوا ان يتصدوا ل ٣ أو ٢ر٥ مليون اسرائيلى ـ ٢ر٥ مليون اسرائيلى هزموا ١٠٠ مليون عربى ـ هذا الكلام ايها الاخوة فيه مغالطة ٢ر٥ مليون اسرائيلى عبأوا نفسهم بالكامل ١٠٠٪ ـ كل راجل فى اسرائيل يخدم خدمة عسكرية وكل امرأة فى اسرائيل تخدم خدمة عسكرية ـ كل راجل وكل امرأة فى اسرائيل جنود فى جيش الدفاع فى المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ـ أما نحن العرب فلم نحشد قوانا وبكل أسف أقول نحن العرب ـ الامة العربية كلها الـ ١٠٠ مليون لم تحشد قواها حتى الآن نحن هنا فى مصروفى البلاد العربية التى تحيط باسرائيل نعمل ـ نعمل كل جهدنا ولكن ال ١٠٠ مليون عربى الامة العربية كلها لم تحشد قواها حتى الآن وبهذا يمكن لاسرائيل انها تتفوق ب ٢ر٥ مليون اسرائيلى يتفوقوا على ١٠٠ مليون عربى

حشد القوى العربية

وانا اقول اليوم من هذا المكان ـ آن الاوان للامة العربية كلها ان تحشد قواها ـ الكلام ما فهش فايدة

الخطب مش حاتحارب ـ هناك الكلام الكثير والخطب الكثيرة ولكن الحشد ـ الحشد شىء اكثر من هذا ـ نريد ان نحشد الامة العربية كلها ـ ستكون هناك جبهة شرقية من جميع الدول العربية فى الشرق وجبهة غربية من جميع الدول العربية الموجودة هنا فى الغرب ولكنى اقول لكم بكل أسف حتى الآن هذا يحتاج الى جهد كبير ـ نتكلم عن المعركة المقدسة واعنى الحرب المقدسة واعنى الكفاح المسلح ولكن الامة العربية لم تحشد كل قواها ولا نص قواها ولاربع قواها حتى الآن ـ علينا نحن الذين نواجه خط النار ان نحشد قوانا ـ نحن نحشد قوانا وقام اخوة لنا بالواجب والامة العربية ساعدتنا فى معركة الصمود ولكنا نستطيع اكثر من هذا ـ ان اسرائيل تعلم ان هذه المعركة هى معركة حياة أو موت وعلى هذا الاساس تتبجح اسرائيل ويتبجح قادة اسرائيل فى الاسبوع الماضى تكلم احد قادة اسرائيل وقال فليعلم العرب فى جميع انحاء الامة العربية انهم لن يتفوقوا بأى حال من الاحوال على القوة العسكرية الاسرائيلية ـ ان اسرائيل ستبقى متفوقة الى حد غير محدود .

آل قال القائد الاسرائيلى هذا الكلام وهو يوجه هذا التحدى لنا ـ ليس هذا التحدى لنا نحن فقط فى مصر ولكن هذا التحدى لكل الأمة العربية فى جميع ارجاء الأمه العربية وقطعا قال القائد الاسرائيلى هذا الكلام وهو يعلم ما هى القوات العربية التى تحشد الآن للمعركة وما هى القوات العربية التى تكون الآن للمعركة ـ فى الحقيقه أيها الاخوه أقول هذا الكلام لأنفى ماتروج له الدعاية الاستعمارية والدعاية الصهيونية الاسرائيلية فى كل مكان أن ٢ ½ مليون اسرائيلى استطاعوا أنهم يهزموا ١٠٠ مليون عربى ـ أقول لا ـ ان ١٠٠ مليون عربى لم يحشدوا كل قواهم ولم يكونوا فى وضع يمكنهم من ان يحشدوا كل قواهم ـ بل أقول أننا هنا فى مصر لم نكن قد حشدنا كل قوانا فى سنة ٦٧ ولكننا كنا نريد ان نبنى فى جميع الميادين واما اليوم نحن نواجه معركه معركة فاصلة ـ ليست فى حياتنا فى حياة مصر وحدها ولكنها فى حياة الأمة العربية كلها فاذا استطاعت اسرائيل ـ لا قدر الله ان تنتصر علينا فى المعركة القادمة وهناك فى اسرائيل يقولون أنهم يستعدون للحرب الرابعة بينهم وبين العرب ولن يمكنوا العرب من أن ينتصروا عليهم أبدا اذا لاقدر الله هزمنا فى هذه الحرب الرابعه فلن تقوم للعرب قائمه بعد الآن ولكن علينا ايها الاخوه حتى نتلافى هذا ان نعبىء قوانا او نصف قوانا ـ وحينما أقول قوانا أقصد قوى الامه العربيه بهذا ايها الاخوة يكون نضال الامة العربية فعلا هو النضال المعبا النضال الكامل ـ النضال الحقيقى

نضال شعب فلسطين

وحينما نتكلم عن هذا لا ننسى فعلا ـ لاننسى

النضال القائم الآن ـ نضال الامة العربية فى حركات المقاومة ـ حركات المقاومة والتى بدأهـــا شعب فلسطين شعب فلسطين المناضل شعب فلسطين الذى تعرض لاكبر اضطهاد فى التاريخ ـ شعب فلسطين الذى طرد من أرضه فى سنة ١٩٤٨ شعب فلسطين الذى صدرت من اجل حقوقه قرارات الامم الامم المتحدة سنة ١٩٤٨ وكانت الأمم المتحدة كل سنة كل عام تؤكد هذه القرارات وكانت اسرائيل تضرب بهذه القرارات عرض الحائط ولا تنفذهـــا شعب فلسطين الذى يناضل ويستشهد ويمـوت وهو يعتبر ان العمل الفدائى هو الأمل الاساسى الامل الرئيسى له فى الحياة ـ شعب فلسطين المناضل ـ المناضل فى غزة المناضل فى الضفة الغربيـــة ـ المناضل فى القدس ـ المناضل فى كل مكان من أرض فلسطين المقدسة ـ شعب فلسطين الذى يتعرض للاحتلال الذى يتعرض للقتل ـ الذى يتعـرض للاضطهاد ـ الذى يتعرض للضغط الاقتصـادى ـ الذى يتعرض فى سوق ابنائه وبناته الى السجون ومع هذا لم يستسلم لاسرائيل ولم يقبل ان يخضع لحكم اسرائيل ولم يقبل ان يخضع للعســكرية الاسرائيلية التى تحتل كل قرية وكل مدينة الان من فلسطين ولكنه قام وناضل وقاتل حتى يحرمهـم من النوم فى الليل والنهار ـ شعب فلسطين الذى يسبب لاسرائيل اليوم الازعاج الاكبر والذى يؤثر على اسرائيل والذى يوقع بين ابناء اسرائيـــل كل يوم العدد الذى لاتقول عنه اسرائيل من القتلى والجرحى وكانت حياة شعب فلسطين بل كان بعث شعب فلسطين بعد نكسة ١٩٦٧ كان هذا البعث بعثا للامة العربية كلها فى كل مكان وفى كل قطر من اقطارها وفى كل مدينة لاننا بعد الهزيمة وبعد ان كنا نشعر بجراحنا العميقة قام هذا الشعب المناضل ليحمل راية الكفاح ويقاتل فى سبيل ارضه وفى سبيل شرفه وفى سبيل كرامته وفى سبيل حقوقه وقتل منهم من قتل واستشهد من استشهد وسيق من ابنائه الرجال والنساء الى السجون .

ايها الاخوة ـ هذا هو نضال الامة العربية التى لم تكن فى هذه الايام عندها الطائرات ولا الدبابات ولا المدافع كان عندها البندقية وكان عندهــا القنبلة اليدوية واعطانا شعب فلسطين فى هـذه الايام اعطانا المثل الكبير فى المقاومة وروح المقاومه والتصميم على المقاومة والتصميم على الكفاح .

عهد منا لشعب فلسطين

أيها الاخوة ـ ان الواجب .. يقضى علينا ان نقول اليوم لهذا الشعب المكافح المقاتل ـ اننا نحن شعب مصر ـ هنا من هذا المكان ـ هنا ونحن نحتفـل بعيد العمال الذين يناضلون من اجل بناء أمتهم ومن اجل بناء وطنهم الذين يعملون فى اشرف مهنة من أجل يومهم ومن أجل غدهم ومن اجل أوطانهم اننا نقول لهم اننا شعب مصر لن نتخلى عنكم بأى حال من الاحوال لن نتخلى عن اى جزء من ارضكم التى احتلتها اسرائيل اننا نقول لشعب القـدس المناضل ـ ان اسرائيل تقول انها قد ضمت القدس اليها ولكنا نحن الامة العربية ونحن جزء من الامة العربية لن نقبل هذا بل سنناضل فى سبيل القدس لآخر قطرة فى دمائنا ـ هذا ايها الاخوة عهد منـا لشعب فلسطين المكافح المناضل فى كل مكان

كفاح شعب الاردن

أيها الاخوة المواطنون اننا حين نتكلم عن نضـال الأمة العربية يجب ان نذكر شعب الأردن الباسل الذى يتعرض كل يوم لغارات الطائرات والمدفعية الاسرائيلية الذى يتعرض للطائرات الاسرائيلية وكلنا نعلم أن الأردن لاتوجد بها طائرات لتتصـــدى للطائرات الاسرائيلية ولكن الشعب الأردنى الباسل المكافح المناضل يتصدى للطائرات لم تؤثر فيـه غارات الطائرات ولم تؤثر فيه القنابل ولم تؤثر فيه قنابل النابالم ولكنه طوال هذين العامين صمـم على الكفاح وعلى القتال صمم على استعادة ارضـه المحتلة هذا هو نضال الأمة العربية هذا هو نضـال

الأمة العربية التى ناضلت دائما والتى ردت الغزاة وهزمت الغزاة اننا أيها الأخوة لن تتأثر معنوياتنا بغارة من اسرائيل على نجع حمادى أو على كوبرى ادفو ولن تؤثر فينا الحرب النفسية التى تريد اسرائيل ان تبث بها الرعب فى نفوسنا ولكننا يوما بعد يوم نشعر بقدرتنا على تعبئة جهودنا من أجل استرداد الحقوق المغتصبة ومن أجل استردادالأرض المحتلة ليس هنا فقط فى مصر وانما فى كل بقعة من الارض العربية ولقد أرادوا لنا ان نخرج وحدنا من المعركة أراد العدو وأراد أصدقاء العدو ان نخرج وحدنا من المعركة وقالوا لنا اننا اذا حصرنا المشكلة فى مشكلة بين مصر واسرائيل فان اسرائيل على استعداد للانسحاب من سيناءوبهذا نخرج من المشكلة وليس لنا دخل بما يحدث فى الأردن أو ما يحدث فى سوريا . أيها الأخوة لقد عرض علينا هذا الكلام فى العام الماضى وتكلمت معنا أمريكا فى هذا الموضوع أن تكون المشكلة مشكلة مصرية اسرائيلية مشكلة أردنية — اسرائيلية ولكن كنا نفهم ان معنى هذا الكلام أننا اذا خرجنا من المعركة واذا وصلنا الى حل من أجل أرضنا المحتلة فى سيناء .

فان معنى هذا أيها الأخوة اننا نضحى ، نضحى بالضفة الغربية نضحى بالقدس ونحن قد عاهدنا أنفسنا وعاهدنا الله أننا لن نضحى بالضفة الغربية ولن نضحى بالقدس ولكنا نريد ان ننهى آثارالعدوان عن كل الأرض العربية المحتلة سواء كانت فى مصر فى سيناء أو فى الأردن فى الضفة الغربية أو فى القدس أو فى سوريا فى جولان

صمود الجبهات الداخلية العربية

أيها الأخوة المواطنون اننا نتعرض لمحاولات عدة ولكن صمود هذه الامة .. صمود هذا الشعب مكننا من أن نتغلب على كل هذه المحاولات سواء كانت هذه المحاولات من اسرائيل أو من الاستعمار أو من أعوان الاستعمار لقد استطعنا ان نعيد بناء قواتنا المسلحة وفعلا قد استطعنا أيضا ان نقيم الجبهة الشرقية وأن يكون هناك تنسيق فى الجبهةالشرقية حقيقة مطلوب المزيد من التنسيق ومن الحشد ومن التعبئة ونحن نعمل بكل مافى وسعنا

من اجل هذا أيها الأخوة تعرضنا وتعرضت الامة العربية أيضا فى هذه المرحلة الماضية لمحاولات كثيرة طبعا اسرائيل وهى تحتل الأرض العربية سواء فى سيناء أو فى الضفة الغربية أو فى الجولان انها ومعها القوى الاستعماريةومعها اعوان الاستعمار سواء كانوا فى الأرض العربية أو كانوا فى أى مكان آخر كل هؤلاء يحاولون تقويض الجبهات الداخلية اذا قوضت الجبهات الداخلية تستطيع اسرائيل ان تحقق أهدافها وتستطيع اسرائيل التى انتصرت فى سنة ١٩٦٧ فى معركة عسكرية ولم تستطع أن تدعم انتصاراتها بعد سنة ١٩٦٧ بأن تجلب الأمة العربية لتجلس معها على مائدةالمفاوضات لتملى شروطها

طبعا اسرائيل اذا انهارت الجبهات الداخلية تستطيع ان تفرض شروطها على الأمة العربية وبهذا فمحاولات الدس لم تستطع أن تؤتى ثمارهاوالجبهات الداخلية ،الجبهة الداخلية عندما تعرضت للحملات النفسية والمعنوية ثم تعرضت للقوى المعادية ولكنها كانت دائما الجبهة الصامدة وتحاول الآن هذه القوى قوى اسرائيل وقوى الاستعمار والطابور الخامس فى العالم العربى من اعوان الاستعمار ان يؤثروا فى الجبهات الداخلية فى كل أرجاء الأمة العربية المحيطة باسرائيل ولكنى على ثقة من أن الشعب العربى فى كل بلد عربى يعلم كل العلم ان ثبات الجبهات الداخلية والوحدة الوطنية فى هذه المرحلةالتاريخية من تاريخ الأمة العربية هو عامل أساسى من أجل كفاحنا ومن أجل استرداد الأرض التى احتلتها اسرائيل

أيها الأخوة تحاول اسرائيل والأعداء ايضا اصدقاء اسرائيل أن يوقعوا ويدسوا بين المقاومة وبين الدول العربية وبين الدول العربية وبعضها البعض وبين

الجماهير وحكوماتها وبين الجماهير والمقاومة ولكن هذا لم ينجح حتى الآن سنتين تقريبا ٢٢ شهر مروا حتى الآن منذ النكسة والصمود كل يوم أقوى من اليوم اللى قبله كل يوم الصمود أقوى والثبات أمكن بل الأمل فى المستقبل أقوى

ايها الأخوة المواطنون هناك محاولات كثيرة تحت أسماء كثيرة لايجب ان ننخدع فيها ولا يجب أيها الأخوة ان تقصر حماستنا لحظة واحدة لأن هناك وحدة النضال ولأن وحدة النضال هى بنفسها وحدة المصير ولهذا فنحن هنا فى مصر نهتم بالنضال فى كل بلد عربى ونعلم ان اسرائيل ومن هم وراء اسرائيل يحاولون زعزعة النضال فى كل انحاء الأمة العربية

منع التناقضات

أيها الأخوة ان مبرر النضال الآن لنا هو مبرر الحياة ووحدة العمل وحدة العمل هى ضمانة النضال الأولى أيها الأخوة اننا اليوم ونحن نواجه هذه المرحلة من تاريخنا لابد أن نشعر انه يجب الا يكون هناك تناقض بين كل هذه القوى بل لايمكن ان يكون هناك تناقض بين كل هذه القوى ليست هناك قضية أولى من قضية النضال المتحرك ليس هناك أيها الأخوة معيار للصدق الا الوقفة الصامدة تأييدا للنضال العسكرى والنضال الفدائى والنضال الشعبى

أيها الأخوة المواطنون حينما اتكلم عن هذه الناحية ناحية النضال ناحية البناء بناء القوات المسلحة ناحية الفداء ناحية قوات المقاومة يجب على أيضا ان أتكلم عن العمل الآخر الذى سرنا فيه ليس هناك حل سلمى وحل عسكرى ولكن هناك عمل سياسى عمل سياسى متصل يشمل العمل السياسى الدبلوماسى والعمل العسكرى وعلى هذا الأساس فى شهر نوفمبر سنة ١٩٦٧ لعلنا هنا فى مصر اننا نقبل تنفيذ مشروع مجلس الأمن التزمنا بهذا المشروع واتفقنا على قبول هذا المشروع وقد أعلنت الأردن أنها تقبل معنا هذا المشروع ونحن نقول الآن هناك مشروع واحد هو الذى قبلناه وهو قرار مجلس الأمن فى نوفمبر سنة ١٩٦٧ ولسنا على استعداد ان نقبل أى شىء يخرج عن هذا المشروع اذا نفذ هذا المشروع أيها الأخوة بروحه ونصه فيما يتعلق بالأرض واذا انسحبت اسرائيل من الأرض المحتلة كلها وفيما يتعلق بحقوق الناس حقوق شعب فلسطين التى نصت عليها قرارات الأمم المتحدة وانما الفلسطينيون دائما حقوقهم مكفولة بهذه القرارات لاتعود هناك مشكلة هذه هى نظرتنا الى قرار مجلس الأمن الانسحاب وحقوق شعب فلسطين اسرائيل تقول ان احنا اسرائيل بتقول للعالم برة ان احنا العشرين سنة اللى فاتت نعلن عليها الحرب بلا سبب الحقيقة الحرب استمرت العشرين سنة اللى فاتت لأن اسرائيل رفضت تنفيذ قرار الأمم المتحدة الخاص بحقوق شعب فلسطين ، اسرائيل تقول فى العالم الخارجى ان العرب يريدون ان يذبحوا كل اليهود لا لسبب الا للعنصرية العربية ويحاولون بهذا ان ينفوا العنصرية الاسرائيلية العنصرية الصهيونية واحنا بنقول للصحافة الأجنبية باستمرار على طول السنين ٠٠ عاش العرب المسلمين والمسيحيين جنبا الى جنب مع اليهود ولكن الصهيونية هى التى اغتصبت بريطانيا حتى بعد قرار التقسيم وقبل أن تخرج بريطانيا من فلسطين استطاعت القوات الصهيونية ان تحتل مدن عربية

قرار مجلس الأمن

أيها الاخوة المواطنون ونحن نتكلم عن الاستعداد ونحن نبنى قواتنا المسلحة ونحن نتكلم عن النضال ونحن نتكلم عن الكفاح ونحن نتكلم عن تخليص الأرض المحتلة شبرا شبرا ثم ونحن نعمل من اجل هدم حصون اسرائيل شرق القنال ونحن نرسل قواتنا المسلحة الى سيناء من أجل مواجهة العدو وجها لوجه والالتحام معه يدا بيد نحن مع هذا نقول اننا على استعداد لتنفيذ قرار الامم المتحدة الذى ينص على انسحاب اسرائيل انسحابا كاملا من الاراضى المحتلة والذى ينص أيضا على حقوق شعب فلسطين

اسرائيل ترفض فعلا تنفيذ هذا القرار وتقول اسرائيل ويقول قادة اسرائيل أن هذا القرار بواسطته اسرائيل تعطى التزامات أى عليها ان تعطى الانسحاب وتلتزم بالتزامات أما العرب فماذا يعطون ان العرب يعطون فقط الوعود وماذا يدرينا ان العرب سينفذون هذه الوعود ان اسرائيل تقول انها لن تنفذ هذا

هتافات العمال – نرحب بالرئيس جمال عبد النـــاصر ونصر على مواصلة الجهاد تحت قيادته حتى النصر

القرار الا اذا جلس معها قادة العرب على مائدة المفاوضات ووقعوا وثيقة صلح هذا الكلام مش موجود فى قرار الأمم المتحدة لاينص قرار الأمم المتحدة على المفاوضات المباشرة مع اسرائيل ولكـن قرار الأمم المتحدة ينص على أن يكون هناك ممثل سكرتير عام الأمم المتحدة •

يزور الأطراف المعنية ويحاول ان يعمل على تنفيذ قرار مجلس الامن

ايها الأخوة هناك محادثات الدول الرباعية الدول الاربع الكبرى ونحن نؤيد هذه المحادثات عـلى أساس أن تكون النتيجة تنفيذ قرار الأمم المتحدة ولا يخرجوا عما جاء فى قرار الأمم المتحدة فنحن لم نقبل بأى حال من الاحوال ان ننفذ أى شىء لم يحتوى عليه قرار الأمم المتحدة

ايها الاخوة كما قلت لكم الآن اننا لانعتقد ان هناك حل عسكرى وأن هناك حل سلمى وعلى هذا الأساس نحن نعتقد ان هناك عمل سياسى يشمـل العمل الدبلوماسى والعمل العسكرى وجميع الاعمال مع بعض على هذا الأساس تحركنا سياسيا ودبلوماسيا فى كل المناسبات وبكل الوسائل اتصلنا رغم عدم اعادة العلاقات مع أمريكا وكنا فى انتظار المـوقف

الامريكى العادل الغير متحيز لاسرائيل رغم هذا ورغم أن أمريكا كانت باستمرار متحيزة لاسرائيل لم نقطع الاتصال ولا الحوار مع أمريكا الدكتور فوزى فى رحلته الأخيرة لحضور جنازة الجنرال ايزنهاور تقابل مع الساسة الامريكيين وضح لهم موقفنا ونحن نعتقد أنه من مصلحتنا ومن مصلحة القضية العربية ان كل واحد يعرف رأينا ويعرف موقفنا ونيكسون حينما أرسل مندوبه سكرانتون هنا أنا قابلته وعلى هذا الأساس أيضا حينما زار الدكتور فوزى أمريكا قابل أيضا الرئيس نيكسون وشرح له موقفنـا بالنسبة للموضوع

تحول الرأى العام العالمى

ايها الاخوة علينا فى هذه المرحلة ان نناضل فى كل النواحى سياسيا وعسكريا وعلينـا ان نكسب المزيد من الاصدقاء وعلينا ان نفهم المزيد من الرأى العالمى بقضيتنا وعدالة قضيتنا فعلينـا أن نشعر ان ده يمكن كان له نتيجة وأن هناك تحول الآن تحول فى الرأى العام العالمى لانستطيع أن نقول انه تحول كبير ولكن الرأى العالمى دائما تحت الانطباع وتحت التأثير أن اسرائيل دولة صغيرة من اثنين مليون يحيط بها العرب المائة مليـون عايزين يذبحوا الاسرائيليين بدون سبب الا حبهم

فى القتل وحبهم فى الدبح علينا ان نقول للعالم فى كل مكان أن هذا غير حقيقى بل ان اسرائيل هى التى اغتصبت فلسطين وطردت وقتلت • عرب فلسطين فيه اكثر من مليون لاجىء طردوا من ديارهم وان الأمم المتحدة قررت ان يعودوا الى ديارهم ويعوضوا عن الخسائر التى حاقت بيهم ولكن اسرائيل رفضت تنفيذ هذه القرارات

أيها الأخوة •

يجب ان لانضيق من أى جهد نبذله فى أى مكان ولانضيق عن أى كلام نفهم به قضيتنا للرأى العام العالمى سيرنا ووجدنا هناك من تفهم قضايانا فى فرنسا

والجنرال ديجول تفهم قضيتنا وصمم على أن يقف ضد العدوان وصمم على ان يقف مع المبادىء وصمم

على ان المعتدى يجب ان ينسحب من جميع الاراضى المحتلة وكان هذا مكسب لنا ونحن على ثقة فى استمرار موقف فرنسا من العرب والشعب الفرنسى رفع لواء الثورة فى يوم من الايام وحينما كان الجنرال ديجول فعلا يتخذ هذا الموقف كنا نشعر انه ينفذ فعلا الاهداف التى نادت بها الثورة الفرنسية

مقدرة البناء والكفاح

ايها الاخوة المواطنون – فى احداث اليومين الاخيرين ووراء هذه الاحداث فى مقدرة البناء المتزايدة التى نراها فى كل مكان ولن نتخلى عنها ابدا وفى مقدرة الكفاح المتزايدة بل ان الصمود والدفاع والردع كما قلت لكم والعمل من اجل تحرير الارض بناء قواتنا المسلحة بناء قواتنا المناضلة – من اجل تحرير الارض

مساعدة الاتحاد السوفيتى

لابد لنا أيها الاخوة ان نذكر فضل اصدقاء اثبتوا انهم خير الاصدقاء – هؤلاء الاصدقاء هم شعب وقادة الاتحاد السوفيتى الذين وقفوا معنا فى أحلك الاوقات فى يونيو سنة ١٩٦٧ وانا اذكر اننا فى يونيو سنة ١٩٦٧ يوم ١٠ يونيو سنة ١٩٦٧ تلقيت رسالة من قادة الاتحاد السوفيتى – قالوا لى فيها انى يجب ان نصمد وان مصر استطاعت دائما والعرب يتعرضوا للمحن ثم يخرجوا منها أقوى مما كانوا وتعهدوا فى هذه الرسالة ان الاتحاد السوفيتى يساعدنا بكل الوسائل على بناء قواتنا المسلحة وعلى أن نصمد فى جميع الميادين – النهارده بعد ٢٢ شهر حينما أقول لكم اننا نذكر فضل هؤلاء الاصدقاء أقول لكم ايضا أنهم وفوا بالعهد الذى اعطوه لى فى ١١ يونيو فى أحلك الاوقات فى سنة ١٩٦٧ أول امبارح واحنا بنبنى مصنع الدرفلة شفت الخبراء السوفييت وشفت كبير الخبراء السوفيت فى المصنع واتكلمت معاه وقال لى انه مش حايمشى وقاعد هنا لغاية ما لنا مجمع الحديد والصلب اللى حاينتج مليون طن من الصلب بالاضافة الى ال ٤٠٠ الف طن اللى احنا بننتجها دلوقت •

احنا فيه اتفاقيات جديدة بيننا وبين الاتحاد السوفيتى

علشان مجمع الحديد والصلب بيدونا قرض لمجمع الحديد والصلب بيتكلف ٤٠٠ مليون جنيه علشان نبنى الصناعة الثقيلة وفعلا بنبنى مصر الصناعية حنوقع اتفاق – أظن وقعنا النهارده اتفاق من اجل البحث عن البترول يبحث عنه الاتحاد السوفييتى فى سيوه •• ومن أجل صناعة الالومنيوم من اجل صناعات مختلفة

هؤلاء الناس ايها الاخوة الخبراء السوفييت معانا فى المصانع وبيساعدونا فى التنمية وهذا شىء لايمكن ان احنا ننساه لأن بناء المصانع والصناعة الثقيلة هو فعلا تعبئة لقدراتنا والاتحاد السوفيتى اسلحته فى يد قواتنا المسلحة خبراؤه موجودين معانا فى التسليح

أيها الاخوة بنظرة سريعة الى أحداث اليومين الاخيرين يتضح لنا ان الصورة تتغير باستمرار وتتغير باستمرار الى احسن فيما يتصل بنا ولابد ان نبذل كل جهد لتأكيد حركة التغيير فى هذا الاتجاه الملائم لنضالنا

ثمن عزيز •• لنصر عزيز

فى هذا اليوم الذى تحتفل فيه الانسانية بالعيد العالمى للعمل فاننا ننظر الى أوضاعنا ونشعر بالأمل – الامل فى اننا سوف نواصل تقدمنا – الامل فى اننا سوف نتمكن بعون الله من اداء واجبنا – الامل فى أن اعمالنا وتضحياتنا سوف تكون ثمنا عزيزا لنصر عزيز الامل فى ان التاريخ سوف يسجل لهذا الجيل من ابناء أمتنا الخالدة انهم صبروا وثابروا وجاهدوا وناضلوا وكانوا جندا للحق. فنصرهم الحق نصرا عزيزا باذن الله

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

دين ودنيا

الأستاذ محمد المتولى النظامى

دين العزة :

أرسل الله محمدا عليه السلام مرشدا للناس وهاديا ، ومبشرا ومنذرا ، وسلحه بكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، حدد به الحقوق والواجبات ، وشرح العبادات ، وجمع الناس على الايمان واليقين ، وهداهم الى الحق ، والى الخير ، والى الصراط المستقيم ، فاصبحوا خير امة واعظم قوة ، آمنوا بالحق وعزته ، وبالوطن ووحدته ، وبانه لا وطن بغير ايمان وعقيدة ، فاذا نبذت العقيدة أمة انهارت اخلاقيا ، وان انهيارها ميكروب ضعف وجبن ، ونذير انحلال وسقوط فى بنيها ، اذ الدين هو الذى ينقذ الامم من الذل والضعف ، ويدفعها الى مقاومة كل من يحاول المساس بكرامتها وعقيدتها وحقوقها . واذ الايمان يتنافى مع الذل والهوان ، ويمنح الانسان قوة الصمود وصلابة العود ، ويهبه العزة والثقة والشمم والاباء ، ويزوده بطاقة خلاقة للدفاع عن الحقوق ، والتضحية بالنفس والنفيس فى سبيل الوطن والمقدسات عن ايمان واقتناع ، فالعاطفة الدينية تجعل ابناء الامة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، وتخلق منهم عزائم قوية متساندة تستبسل فى الدفاع وتستميت فى سبيل اعلاء كلمة الحق والدين ، ورفعة شأن الوطن : وترد حياض المنايا باسمة الثغور ، وتسجل فى صفحات التاريخ أروع البطولات ، وأعظم التضحيات قال تعالى « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » وقال « كتب الله لاغلبن انا ورسلى ان الله قوى عزيز) وقال (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » .

وبسلاح الايمان جاهد المسلمون الصادقون ، وفى سبيل الحق ضحى المؤمنون الاولون بذواتهم وهى حبيبة ، وبأنفسهم وهى عزيزة ، وفى سبيل المثل العليا والغايات النبيلة استشهدوا فخلدوا ، وخلدت أعمالهم ، ودانت لهم البلاد ، وانهارت امام شجاعتهم الجيوش الكافرة مع كثرة عددها وعدتها ، وكان النصر ألزم لهم من ظلهم ، فلم يمض قرن من الزمان حتى استولوا على دولتى الفرس والروم ، وامتد سلطانهم الى معظم آسيا وافريقيا ، ونصف أوروبا . وصدق قول الله « وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع الصابرين » ، وقوله « « ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ، انهم لهم المنصورون ، وان جندنا لهم الغالبون) وقال ابو بكر موصيا خالد بن الوليد رضى الله عنهما « احرص على الموت توهب لك الحياة » وما أروع قول الشاعر :

تأخرت استبقى الحمام فلم أجد
لنفس حياة مثل ان اتقدما

أبعاد العزة فى الاسلام :

والله خلق الانسان ، وجعله اعظم الكائنات ، واكرم المخلوقات ، وسخر له ما فى السموات وما فى الارض ، وجعله خليفته فى ارضه ، وارسل له الرسل مبشرين ومنذرين ،وختم الرسالات بالاسلام ، وجعل من مبادئه درعا للمسلم

يقيه ظلم الجبابرة والطغاة ، وسن هجرته من بلد لا يشعر فيه بعزته ، ولا تحترم فيه القيم الدينية والمبادىء الاسلامية ، وصان دمه من ان يسفك ، وماله من ان ينهب ، وعرضه من ان ينتهك ، وحريته من ان تعطل ، ونفسه من ان تذل ، ووطنه من ان يتحكم فيه ، وغرس فيه الكرامة بمعناها الحقيقى ، واهاب به ان يدافع عن كرامته ، وان يختط لنفسه نهجا حميدا ، يحقق فيه الاهداف النبيلة ، مسترشدا بهدى ربه ، مؤمنا بتوفيقه ، وشرع الدفاع عن الاوطان وحمياتها من الاعداء ، ودعا المرء الى البذل والفداء والتضحية فى سبيل المقدسات والحرمان ، فاذا استشهد فى سبيلها فقد فاز بسعادة الدنيا ونعيم الاخرة ، قال تعالى : « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » وقال « لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم » وقال « لكل امة رسول فاذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون) ونعى على المفرطين فى حقوقهم وكرامتهم المستكينين للذل والظلم فقال تعالى « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم ، قالوا : فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين فى الارض ، قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ فاولئك ماواهم جهنم وساءت مصيرا » وقال النبى « من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون مظلمته فهو شهيد » وقال « والذى نفس محمد بيده للموت فى سبيل الله خير من حياة فيها معصية الله » .

والعزة فى الاسلام وليدة الايمان فلا يجتمع فى قلب امرىء ايمان وهوان ، فالقلب المؤمن قلب قوى لا يرهب الوعيد . والنفس المؤمنة نفس ابية لاتقبل الايذاء والتهديد . يهون عليها ان تصاب فى جسمها ، ولكن لا تفرط فى عرضها وشرفها ، تقاوم الذل فى سبيل صيانة الكرامة ، وتضحى بالنفس والمال فى سبيل العزة حتى لا تعلق بها صفة المهانة . قال تعالى : « واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » وقال « ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ، ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء ، وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ؟ ألا ان نصر الله قريب » وقال « قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم ، واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها . أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى ياتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين » . وقال النبى عليه السلام ، « ما من مسلم يخذل امرءا مسلما فى موضع ينتهك فيه من عرضه وينتقص فيه من حرمته الا خذله الله فى موضع يحب نصرته فيه » .

والاسلام دين العزة والقوة والاخوة ، خلق أمة واحدة تدين بالواحد وترتبط بوشائج من صنع الله لا من صنع البشر ، وحرصا منه على كرامة الانسان الغى جميع انواع الرق ، ما عدا استرقاق اسرى الحرب لانهم عناصر عناد وقوى مضادة ، ومع ذلك رغب فى منحهم الحرية ، واهدى للانسان حرية ذاته الشخصية تحقيقا لعزته وكرامته ، وحتى يصبح أهلا لتحمل المسئولية والقيام بدور ايجابى فى معترك الحياة والعمل البناء من اجل خير المجتمع واثرائه ، وتجدده وارتقائه ، وجعل الناس اخوة متساويين فى الحقوق والواجبات لا فضل لاحدهم الا بمقدار ما يقدم للحياة من خير ، وللانسانية من تقدم . وبمبادىء الاسلام عز بلال الحبشى وسلمان الفارسى ، وصهيب الروى ، واصبح اسامة بن زيد خادم رسول قائدا لجيش به كبار الصحابة من اصحاب الاصل العريق وذلك فى غزوة تبوك بعد ما استشهد ابوه فى جيش مؤته . قال تعالى « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » وقال النبى « الناس سواسية كأسنان المشيط » وقال « يد الله مع الجماعة ومن شذ شذ فى النار » وقال عمر « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا ؟ » .

وسائل العزة :

الانسان عضو فى جسد الامة ، ومن مجموع الاعضاء تتكون الامة ، والامة تكون عزيزة اذا عز ابناؤها ، فبهم تسعد ، وبعزيمتهم ترتقى وتنهض ، والاسلام دعا الى كل ما يكسب المرء العزة والكرامة والقوة ويمده بالنجاح والتوفيق .

١ - فهو يدعو الى اعداده اعدادا بدنيا وعمليا وعقليا وخلقيا حتى يصبح قوى البدن ، صحيح العقل ، صاحب مشاعر جياشة بالخير ، وحتى يشب عضوا عاملا ، عزيزا فى نفسه وقومه ، مضطلعا بمسئولياته نحو نفسه ومجتمعه . قال تعالى « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » ، وقال « والعاديات ضبحا ، فالموريات قدحا ، فالمغيرات صبحا ، فاثرن به نقعا ، فوسطن به جمعا » وقال النبى « تداووا فان الله لم يضع داء الا وضع له دواء غير داء واحد : الهرم » . وقال « كل شىء يلهو به ابن آدم فهو باطل الا ثلاثة رميه عن قوسه ، وتأديبه فرسه ، وملاعبته أهله ، فانهن من الحق » وقال عمر « علموا أولادكم العوم والرماية ، ومروهم فليثبوا على الخيل وثبا » .

٢ - وضمانا لعزة النفس وكرامتها ، وتحقيقا لثقة المرء بنفسه فان الاسلام يدعو الى العمل الشريف ، والسعى

التبيل الى معالى الامور وتوفير العمل لكل قادر ، ويوجب التكافل الاجتماعى لغير القادر على العمل ، ويستنكر الاستجداء من القادر على الكسب ، ويدعو للتعفف وعدم اراقة ماء الوجه ، كما يدعو الى عدم الاسراف أو الشح . قال تعالى « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » وقال « ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين » وقال « ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون » وقال النبى عليه السلام « لان ياخذ احدكم حبله على ظهره فيحتطب خير له من ان يسأل الناس اعطوه أو منعوه » « وقال من امسى كالا على عياله امسى مغفورا له » وقال « ما أكل احد قط طعاما خيرا من ان ياكل من عمل يده » وقال « ايما امرؤ مات جوعا بين قوم اغنياء فقد برئت منهم ذمة الله ورسوله) وقال (ما آمن بى من بات شبعان ، وجاره جائع وهو يعلم)

٣ - والاسلام يدعو الى الاعداد وطلب العلم والتعلم ، ويحث على التامل والتفكر ، وينادى بحرية التعبير والتفكير حتى يصبح المرء سليم التفكير ، نافذ البصيرة ، عزيز النفس ، مرفوع الكلمة ، بعيدا عن الزيف والضلال ، نافعا لنفسه وغيره ، مقدرا فى مجتمعه ، اذ العلم وسيلة لسمو النفس ، وقوة الارادة ، ويقظة الضمير ، وتهذيب السلوك ، وتنمية الوعى ، وتقويم المشاعر ، وتقديس الحرمات والعهود ، ومحاربة الذل والفساد والمنكرات ، ومقاومة الظلم والظالمين ، وعدم الرضا بالذل والهوان ، وخلق المثل العليا للاقتداء والاهداء . قال تعالى « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » وقال « وقل ربى زدنى علما » وقال « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » وقال « شهد الله انه لا اله الاهو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط » وقال « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » وقال النبى عليه السلام « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » وقال « اللهم علمنى ماينفعنى ، وانفعنى بما علمتنى ، وزدنى علما ، والحمد لله على كل حال » وقال « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ، ويوقر كبيرنا ، ويعرف لعالمنا حقه » ، وقال « من سلك طريقا يطلب فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة ، وان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع ، وان العلماء ورثة الانبياء ، وان الانبياء لم تورث درهما ولا دينارا وانما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذه بحظ وافر » وقال « تعلموا العلم فان تعلمه لله خشيه ، وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لايعلمه صدقه ، وبذله لأهله قربه ، لأنه معالم الحلال والحرام ومنار سبل أهل الجنة ، وهو السلاح على الاعداء ، والزين عند الاخلاء ، ويرفع الله به أقواما فيجعلهم فى الخير قادة تقتفى آثارهم ، ويقتدى بفعالهم وينتهى الى رأيهم ، يبلغ العبد به منازل الاخيار ، والدرجات العلا فى الدنيا والآخرة ، يلهمه الله السعداء ويحرمه الاشقياء » .

٤ - وفى مجال التربية الخلقية فان الاسلام بقيمه التى تامر بالخير وتنهى عن الشر ، وبتعاليمه التربوية الرشيدة وخططه العملية القويمة - يغرس فى النفوس الفضائل ويدعمها ، ويربى خلال الشرف فى القلوب ويتعهدها ، ويزكى فى الافئدة قوة الارادة ويمدها ، ويشحذ العزائم ، ويعدها ، ويدفع الى التضحية فى سبيل الشرف والحق والغايات النبيلة ، ويحارب الذل والهوان والمهانة ، ويحقق العفة والكرامة والمكانة ، ويقمع الرذائل والسيئات والدنايا ويحث على التخلص من الأهواء وكبت الشهوات ، ويرصد العقوبات الرادعة لمرتكبى الجرائم ، صيانة للكرامة ، وتحقيقا للامن والسلام ووصولا الى سعادة الدنيا والآخرة . قال تعالى « ونفس وماسواها فالهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاهاوقد خاب من دساها » وقال « فاستبقوا الخيرات اينما تكونوا يات بكم الله جميعا » وقال والعصر ان الانسان لفى خسر ؟ الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات » وقال « أفرايت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله ؟ » وقال النبى صلى الله عليه وسلم « أكمل الناس ايمانا أحسنهم اخلاقا» وقال « أنا زعيم بيت فى ربض - فضاء - الجنة لمن ترك المراء وان كان محقا ويلف فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وان كان مازحا ، وبيت فى أعلى الجنة لمن حسن خلقه .

٥ - والاسلام يربط المسلمين برباط الاخوة ، والاخوة تقتضى المساواة ، وتوجب أن يعنى كل مسلم بأمر أخيه ، وأن يستجيب لدعائه وأن يشاركه سراء الحياة وضراءها ، وأن يدافع عن حقه وكرامته وأن يعمل لتحقيق الخير له ، وتدعيم العزة والقوة ، والدفاع عن المبادىء العليا والقيم ، ومقاومة العسف والظلم والطغيان ، اذ الاسلام دين الحق والسلام ، يؤمن بالقوة لان بها يصان الحق والسلام ، وتتحقق العزةوالكرامة وتتحطم قيود الذل والهوان . قال تعالى : « انما المؤمنون اخوة » وقال « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة وقال « وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » وقال « الذين ينقضون عهد الله من بعدميثاقه ، ويقطعون ما امر الله به ان يوصل . ويفسدون

فى الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار » وقال « ولا تهنوا ولا تحزنوا ، وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين » وقال النبى « من أعطى الذلة من نفسه طائعا غير مكره فليس منا » وقال « من رد عن عرض اخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة » وقال « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه » وقال « من أصبح همه الدنيا فليس من الله فى شىء ، ومن لم يهتم بالمسلمين فليس منهم ، ومن رضى الذلة من نفسه طائعا غير مكره فليس منا » .

أمثلة فريدة :

ولقد تمسك المسلمون الاوائل بتعاليم هذا الدين وامتلات قلوبهم بمبادئه ، وغردت حناجرهم بآياته ، وضحت كتائبهم المجاهدة فى سبيله ، وجاهدوا فى سبيل الحق والمثل العليا فسادوا الدنيا ، وغيروا وجه التاريخ ، وخلدوا فى سجل البطولات والتضحيات مثلا عليا فريدة ، وسطروا بدمائهم تاريخا مجيدا ، وحرصوا على نيل الشهادة فكتب لهم النصر ، وظفروا بسعادة الدنيا والآخرة وهذا رسول الله فى أحد رفع سيفه قائلا : من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ فسأله أبو دجانة وما حقه يارسول الله ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أن تضرب به فى العدو حتى ينثنى ، فاشتراه منه ، وبر فى وعده وصدق فى عهده ، وحفلت كتب التاريخ بأعماله البطولية .

وكان سعد بن الربيع الانصارى من بين من أصيب فى معركة أحد فأرسل اليه رسول الله صل الله عليه وسلم أبى كعب يبحث عنه ، وقال له ان رأيته فاقرئه منى السلام ، وقل له : كيف تجدك ؟ فوجده فى اخر رمق ، وقد اصابه سبعون ضربة ، فأبلغه السلام وساله عن حاله . فقال انى فى الاموات ، فأبلغ رسول الله منى السلام ، وقل له ان سعد بن الربيع يقول : جزاك الله خير ما جزى به نبيا عن امته ، وقل انى أجد ريح الجنة ، وأبلغ قومك منى السلام ، وقل لهم أن سعد يقول لكم : لا عذر لكم عند الله تعالى ان خلص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكروه وفيكم عين تطرف . وصدق قول الله — ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم .

« وعندما قتل زين بن حارثة قائد المسلمين فى غزوة مؤته تقدم جعفر بن أبى طالب فحمل الراية ، فعقرت فرسه ، فقاتل حتى قطعت يده اليمنى فأمسكها باليسرى ، وقاتل حتى قطعت هى الاخرى ، فلم يلق الراية حتى خر صريعا ، فلما أحصى ما أصاب جسمه من جراحات وجد أنها بلغت نيفا وسبعين ، وكلها فيما أقبل من بدنه ، وصدق الحصين ابن الحمام الشاعر العربى فى قوله :

ولسنا على الاعقاب تدمى كلامنا

ولكن على أقدامنا تقطر الدما

ومن أروع الامثلة على قوة العزيمة والصبر فى الشدائد موقف الخنساء ، فلقد ودعت أبناءها الاربعة الى معركة القادسية وهى تقول لهم « اعلموا أن الدار الآخرة خير من الفانية ، أصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ، فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها فجدوا تظفروا بالغنم والكرامة فى دار الخلد « فلما جدت الحرب كانوا عند الظن بهم فضحوا واستشهدوا ، ولما بلغها نبأ استشهادهم قالت . الحمد لله الذى شرفنى باستشهادهم ، ذهبوا فداء ربهم ودينهم وأرجو أن ألحق بهم فى الجنة » وصدق قول الله « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

ولقد ذكرنا استشهاد القائد عبد المنعم رياض باستشهاد عبد الله بن قيس الحارثى قائد الاسطول الاسلامى فى عهد معاوية حيث قاد أبطالا أشاوس على ظهر اسطوله شاقا بهم عباب بحر الروم حتى وصل الى أسوار القسطنطينية . ووقف يدعو ربه « اللهم نصرك وتأييدك ، اللهم ارزقنى العافية فى صحبى ولا تبتلينى بمصاب أحد منهم ، اللهم اذا قدرت البلية فاكتبها من حظى ، واجعلنى لهم فداء ، فانالها شهادة فى سبيلك ، واندكت أمام عزائم الابطال السمر أسوار القسطنطينية ، واندحر جيش الروم أمام الايمان والعزم والتصميم ، وعاد الاسطول المظفر وعلى ظهره قائده جريحا يبتسم بالنصر ، ويبتسم لانه على أبواب الخلود ، يشم ريح الجنة ، وهو يقول : الحمد لله على النصر ، الحمد لله الذى رزقنى العافية فى صحبى وجعلنى لهم فداء » وصدق قول الله « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا » وقوله « يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » .

ونحن أبناء هذا الدين ، سلالة على وخالد ، وسعد وحمزة ، وطارق وعقبة وسيف الدين وصلاح الدين ، يجب علينا فى هذه الفترة الفاصلة من تاريخنا والتى نخوض فيها معركة حياة أو موت فى سبيل حرية الوطن وحمايته ، مضحين بأرواحنا من أجل العزة والحياة الكريمة ، يجب علينا أن نتسلح بالايمان وقوة العقيدة ، وأن نستمد من ديننا البذل والصبر ، ومن تاريخنا العزم والشجاعة والحزم ومن الله العون والتوفيق حتى نحق الحق ونزهق الباطل ، ونحرز النصر ونطهر الأرض المقدسة مهد عيسى ، ومسرى محمد من دولة الرجس ، وشذاذ الآفاق .

وعلينا فى معركتنا الفاصلة ان نستفيد من تجاربنا والا نسرف فى التفاؤل فالتفاؤل المسرف يقود الى الغرور ، والغرور يؤدى الى الفشل ، كما يجب الا نسرف فى التشاؤم ، فالتشاؤم المسرف يؤدى الى اليأس ، واليأس كفر وموت فى معترك الحياة ، وانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون قال تعالى : « انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين » وقال : « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا ، واتقوا الله لعلكم تفلحون »

فضل الشهادة في سبيل الله وطابع الشهداء

فضيلة الشيخ محمد محمد وهيب

عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « والذى نفس محمد بيده لا يكلم أحد فى سبيل الله ، والله أعلم بمن يكلم فى سبيله الا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب دما ، اللون لون الدم ، والريح ريح المسك .

يروى حب الرسول ، وصاحبه على ملء بطنه كما حدث عن نفسه بذلك وهو أبو هريرة رضى الله عنه أن نبى الاسلام يقسم بالقسم العظيم فيقول : والذى نفسى بيده . والله الذى برأ نفسى ، وملك على روحى وقلبى وعقلى وحسى . لا أحدا سواه يخلق النفس ويملكها ، ويتصرف بما شاءت له ارادته وحكمته فيها .

« ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا » .

لا يكلم أحد فى سبيل الله . والله أعلم بمن يكلم فى سبيله : لا يجرح أحد من المجاهدين المقاتلين فى سبيل الله فى سبيل الحق والصواب والعدل ، والحرية والسلام . لا يصاب امرؤ من المجاهدين فى سبيل الله بجرح أو جراح فى جسمه وبدنه بسلاح العدو الباغى ، بسبب مقاتلته الدين والوطن . ولو كان الجرح أو الجراح من سلاح المقاتل نفسه أثناء القتال أو بسبب القتال . كل ما يحدث من جراح للمقاتلين فى سبيل الله والطريق الموصلة الى مرضاة الله تعالى . ومرضاته سبحانه فى الجهاد ، ومقاتلة البغاة وقطاع الطريق واعلاء كلمة الله ، ونصرة الاوطان حتى يزهو الحق ويرنو ، ويخسأ المبطلون ـ والله سبحانه وحده أعلم بمن يخلص النية فى الجهاد وقتال المعتدين ـ وقد جاء قول النبى ـ والله أعلم بمن يجاهد فى سبيله لتفخيم وتعظيم شأن الذى يخلص النية فى حرب المعتدين الغاصبين . فقاتلهم وهو يرجو الشهادة فى سبيل الله ، ويبغى لقاء ربه على هذه الحال . طمعا فى رضاه ، واداء لواجب الحق والوطن . وكأنما أراد الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك ان يصون عمل المجاهدين والمقاتلين الطغاة الظالمين عن الرياء والسمعة وينبه على ضرورة الاخلاص فى الهجوم والغزو واسترداد المغتصب من الارض من ديار الاسلام ومقدساته ، حيث الثواب وحسن الجزاء لمن كانت نيته فى القتال اعلاء كلمة الله والحق والوطن وتحرير الارض وطرد الغاصبين الآثمين . وتطهيرها من رجس اليهود والصهيونية والنازية لترتفع رايات النصر والتحرير وتخفق من فوقها اعلام العروبة والاسلام والسلام والفخار . لذلك جاءت جملة « والله أعلم بمن يكلم فى سبيله » جملة معترضة بين المستثنى والمستثنى منه . ثم بين النبى صلى الله عليه وسلم « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى » . فضل الشهداء وعلامتهم وطابعهم وميزتهم فى اليوم المشهود . يوم الحشر العظيم فقال : (الا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب دما اللون لون الدم والريح ريح المسك) . والشهيد يبعث يوم القيامة على الحال التى فارق الحياة عليها وبهيئته التى كان بها وقت القتال ولقاء ربه الكريم . لذا كانت حكمته

ما تقرر فى شريعة الاسلام . من ان الواجب فى الشهيد أمران . وهما الصلاة عليه ودفنه فى ثيابه التى مات فيها . حيث يأتى يوم القيامة على غير ما يأتى الناس . يأتى وحالة جرحه أو جراحه تنزف ويجرى منها الدم . ولاستقذار الدم وحقارته ـ عقب النبى الكريم بقوله : اللون لون الدم والريح ريح المسك ـ والكلام هنا على التشبيه ولكن الدم هنا هو حقيقة الدم ولونه . وكأن جرحه لساعته ورائحة جرحه ودمه كرائحة المسك طيبا . وليس مسكا حقيقة يأتى الشهيد من الناس على هذا الحال . ولو كان جرحه قد التأم وبرامنه قبل ان يفارق الحياة ويلقى ربه الكريم . فانه يأتى كذلك على هذا الحال يجرى منه الدم بحقيقته ولونه ، تنبعث منه رائحة أشبه برائحة المسك . ويؤيد هذا المعنى رواية أخرى لمسلم (كل كلم يكلمه المسلم) ورواية أخرى لابن حبان فى حديث معاذ تخالف هذا الرأى وهى (عليه طابع الشهداء) وهذه الرواية تؤيد أن الذى يجىء من الشهداء فى القيامة على هذا الحال هو الشهيد الذى مات والحال أن جرحه مازال يجرى منه الدم وقت مماته . والارجح ما تقدم قبل هذا الرأى الاخير من آراء . والحكمة فى مجىء الشهيد يوم القيامة كذلك على هذا الحال أن يكون معه شاهد بفضله . حيث بذل نفسه فى طاعة الله تعالى . وبذل نفسه غاية البذل والبطولة والفداء .

فالشهيد يضرب مثلا رائعا فى البطولة واعمال الفداء ، ويفصم القلوب بطلب الثأر ، ويحفز الهمم لطلب النصر ، ويعبىء النفوس جميعا بالايمان والصبر ، ويملأ الصدور ضراوة وحقدا على الاعداء الطغاة ، ويقرب الامة من يوم النصر ، ويزيد فى لهب المعارك ، وتصعيد الحرب ، ويعلم الشجاعة والاقدام والجراة فى الحق ، ويضع وسام الشرف والفخار على جبين الوطن ، ويدفع بالامة كلها الى طريق المجد والخلود . وقد خلد هو ذكره ، وجعل من كل قلب ينبض بالحياة منبرا وعرشا فحسنت دنياه وطابت أخراه :

« ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون » .

وانها لذكرى عزيزة علينا تلك الذكرى العطرة ، ذكرى البطل الشهيد الفريق اول عبد المنعم رياض يرحمه الله وينزله وسط جناته . فقد قضى فى ساحة الشرف شهيدا للوطن والواجب على خير ماتكون حياة القائد ، وقد ضرب أروع المثل لابناء وطنه العربى والاسلامى فى أعمال البطولة والفداء ودخل من أبواب النصر والظفر يضرب فى شجاعة نادرة على الاعداء . يخطط ويقود ويذكى نار الحرب ويذيق العدو الوبال . وكفى بذكراه العطرة أن تخلد ذكرا وزادا لأبناء وطنه المقدس ومنارا لأجياله الصاعدة . وجنوده المظفرين . والله سبحانه نسأل أن يجزل له فى الجنات الجزاء والثواب .

« أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » .

فلقد حدث النبى الكريم يحث ويحرص على القتال ويرغب فيه فيقول : (هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف ، المشهود . يوم الحشر العظيم فقال : « وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه » .

ومعركتنا اليوم فاصلة ، وبها يتقرر مصير الامة ، وليس من بديل عنها كما جاء على لسان القائد البطل . ولسنا اليوم نخشى معها هزيمة أو نكسة . فالنصر حليفنا ، وطول الكفاح والظفر رائدنا بعون الله واذنه . وان هى الا ساعة يشرق معها نور الفجر وينقشع الظلام وتندحر عصابة الظلم والطغيان ، وتعود أرض العرب للعرب وتزول النقطة السوداء التى صنعها الاستعمار والامبريالية وما النصر الا من عند الله .

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » .

وها نحن بعون الله جميعا قد توحدنا وعقدنا العزم على الثأر وغسل العار . وقد توافرت لنا بفضل الله والاصدقاء ودعاة العدل والسلام أسباب القوة فى العتاد والسلاح . وقد أجمعت الامة فى مؤتمرها القومى العام على الاخذ فى أسباب النصر وازالة آثار العدوان :

« يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين » .

حقق الله الامل وقرب ساعة النصر والظفر بقيادة القائد البطل الرئيس جمال عبد الناصر انه سبحانه محقق الامل ومجيب الرجاء .

الفداء و الفدائيون في نظر القانون الدولي العام

الأستاذ محمود كمال

فى رأيى انه يجب على ان اضيف شيئا آخر الى التفصيلات التى سبق بيانها فى مقالى السابق عن هذا الموضوع لانه يتصل اتصالا مباشرا بالفدائية فى فلسطين بالذات وذلك لكى تكتمل امامنا فى الصورة التى نرسمها للقارىء فى هذا الخصوص العناصر اللازمة التى تزيد الامور وضوحا وجلاء .

ما ان وضعت الحرب العالمية الثانية اوزارها ، وانشئت « هيئة الامم المتحدة » حتى أعلنت انجلترا امامها تخليها عن فلسطين ، وعرضت فكرة تقسيمها بين العرب واليهود ، وشكلت الهيئة لجانا ، ثم اصدرت ، فى النهاية قرارا بالتقسيم ، واصدرت قرارا اخر بعودة اللاجئين من العرب، الذين كانوا قد طردوا من ديارهم اليها ثانية ، وتعويض من لا يرغب فى العودة منهم

ودخلت الدول العربية فلسطين محاربة ، وتلت ذلك أحداث لا تزال ماثلة امامنا جميعا ، وما تزال سلسلتها تتوالى الى الان ، فلا حاجة ، بعده للكلام على اية تفصيلات منها

غير انه يجب ان انوه بانه قد تشكلت فى سنة ١٩٦٣ ، حكومة لفلسطين ، تحت اسم « حكومة عموم فلسطين » اتخذت مقرها فى القاهرة المحروسة ، وعين رئيس لها ، ولكنه توفى الى رحمة الله ، فحل غيره محله، ثم ال الامر الى ان « استولت قوى الثورة الفلسطينية على ما يمكن ان نسميه سلطة الدولة الفلسطينية »

ففلسطين اذن دولة منظمة ذات حكومة تباشر مهامها الوطنية

وقد ترتب على هذه الاوضاع انه لا شعب فلسطين ولا حكومتها

يعترفان بقرار التقسيم بادى الذكر لان هيئة الامم لا تملك ان تمنح امة ما او شعبا من الشعوب ارض امة اخرى او شعب اخر

وبناء على ان فلسطين دولة ذات سيادة ، وان حكومتها هى التى تملك زمام الامور فيها ، فقد وجب على هذا الشعب ان ينهض للدفاع عن نفسه وعن أرضه ويفتديها بكل مرتخص وغال ، ولابد له ان يسترد تلك الارض السليبة بالقوة ، ما دام انه ليست هناك وسيلة اخرى لاستردادها

وهكذا فقد هب الفدائيون ، ونفروا الى الميدان ، وهاهم يؤدون واجباتهم فى شجاعة ، وقوة ، وصبر ، وجلد ، والواقع انهم بمثابة جيش حربى عليه ان يؤدى ضريبة الدم لبلاده ، العزيزة عليه

وبعد هذا السرد لتاريخ فلسطين الحديث علينا ان نبدأ الكلام على موضوع هذا المقال وهو (الفداء والفدائيون فى نظر القانون الدولى العام »

فى الواقع ان افضل التعريفات التى اطلعت عليها لمعنى الفداء ، والعمل الفدائى ، هو التعريف الذى أورده الاستاذ الجليل الدكتور أحمد الشرباصى فى كتابه « الفداء فى الاسلام » مما حدا بى الى أن انقله هنا بنصه ، قال فضيلته :

« مادة الفداء فى لغة العرب تدل على جعل شىء مكان شىء حمى له ، تقول : فديته افديه كانك تحميه بنفسك او بشىء يعوض عنه ، فيقال فديته بمالى ، وفديته بامى وأبى ، كانه اشتراه بما قدم ، ومن هنا جاءت كلمة « الفدية » وهى ما يقى به الانسان نفسه من مال يبذله فى عبادة قصر فيها ، ككفارة اليمين ، او كفارة الصوم او غيرها

والفداء ايضا فكاك الاسير والمفاداة هى أن تفتك الاسير باسير مثله

« ولا ينبغى ان نفهم من هذا ان العمل الفدائى لا يتحقق الا بالموت،لان هذا العمل ألوان وانواع ، والجندى الذى يقذف بنفسه فى اتون الحرب متوقعا الموت اكثر من توقعه الحياة انسان فدائى . والعالم الذى يبحث بين مخابيره ، ومناظيره ، وادواتفنه لمعرفة دواء او كشف ميكروب ، دونان يبالى بالاخطار التى يتعرض لها رجل فدائى »

واقول : ان القياس هنا مطلق فسائق السيارة التى تحمل الذخيرة للجيش فى الميدان فدائى ، والطاهى الذى يطهى الطعام ، والعامل العادى المرافق للقوات المسلحة فى الميدان ، فدائيان كذلك ، وهكذا

والذى يعنينا ، فى هذا المقال ،ليس هو الجندى او العامل فى جيش نظامى لدولة محاربة ، سواء اكانت تحارب لجر مغنم او دفع مغرم للفتح والغزو ، او للدفاع عن الذمار ، ورد غارات عدوها عن ارضها ، وذوده عن حياضها .. وانما يعنينا رجل اخر خلاف هذين ، هو ذلك الذى يقوم بمدافعة قوات دولة معادية لبلاده منضما ، مثلا الى منظمة من منظمات الفدائيين ، او فرقة من فرقهم ، يشاركهم الهدف والغرض والغاية

وما هدفهم سوى مهاجمة العدو ، افرادا وجماعات والغارة عليه ، خفية،

او جهارا ، ليلا او نهارا ، لكى يقضوا مضجعه ، ويقلقوا باله ، وينالوا من روحه المعنوية ، وحالته النفسية ، الى الدرجة التى تفقده القدرة الكاملة على العمل ، ويحملوه خسارة ، كل يوم تلو خسارة ، وما يزالون يباغتونه فى كل مكان ، قدر الاستطاعة والامكان ، فيكونون اداة مساعدة على تحطيمه ، وهد كيانه ، حتى يرحل عائدا من حيث اتى .

وانهم ليفعلون ذلك عن ايمان صادق وعقيدة راسخة ، بانهم انما يدفعون للوطن ضريبة الدم ، لا يبغون من احد مغنما ، ولا يريدون منه ثناء ـ هم ينهضون باعباء ذلك الفداء لوجه الله والوطن ، ابقاء على حرية بلادهم ، وخوفا عليها من ان تمتهن ، وحماية للاعراض والانفس ، والاموال ، من ان تنتهك او ينال منها العدو منالا

والان ، ما هو موقف هؤلاء الرجال ، الابطال ، فى نظر القانون الدولى العام ؟

ثم هل الرجال الذين يغالبون دولة اجنبية مستعمرة او محتلة بلادهم فعلا ، بالاعتداء ، بشتى الوسائل على افراد قواتها المسلحة ، ورعاياها من المدنيين ، حكاما او غير حكام ، كلما لاحت فرصة لاقتناصهم ، رجاء ان ينالوا من الروح المعنوية لهذه القوات وهؤلاء الرعايا ، ويجعلوا اقامتهم فى ديارهم وبين ظهرانيهم ، امرا شاقا ، بل وعسيرا عليهم .. نقول : هل هؤلاء الرجال فدائيون ، ايضا ، فى نظر القانون ؟

والرجل الذى يقتال مواطنا من مواطنيه ، او مسئولا من المسئولين فيه ، لانه خضع للمستعمر او المحتل فى شأن من شئون بلاده ، فاساء اليها ، واضر بها ، واودى بمصالح هامة من مصالحها الوطنية ، ما حكمه من وجهة نظر القانون ؟

واذن فلدينا طوائف ثلاث نتساءل عن حكمها قانونا ـ وقبل ان نجيب على هذا التساؤل نرى ان نضرب بعض الامثلة على كل طائفة منها ، لكى يسهل علينا التعرف عليها فى جوهرها ونتبين مميزاتها الفاصلة بينها ، بعضها وبعض

ومن هذه الامثلة ما يأتى :

١ ـ عن الطائفة الاولى

«ا» فى سنة ١٩٥١ كانت قوات بريطانية معسكرة عندنا ، فى منطقة قناة السويس ، فى اماكن معينة لها ، نزولا على احكام معاهدة سنة ١٩٣٦ المبرمة بين الدولتين ، مصر وبريطانيا عقب مفاوضات طويلة الامد جرت بينهما ولكن مصر رأت فى السنة المذكورة ان هذه المعاهدة قد استنفدت اغراضها فاعلنت الغاءها من جانبها هى وحدها ، ودون موافقة سابقة من الجانب الاخر

وحدث ، فى اعقاب هذا الالغاء ، ان خرجت بعض القوات البريطانية المعسكرة فى منطقة القناة ، عن حدود الاماكن المعينة لاقامتها ، واغارت على القرى المجاورة ، واستولت على بعضها استيلاء بقوة السلاح ، فى عمليات حربية على نطاق واسع . فلم يكن بد امام الاهالى من ان ينفروا الى مناجزة هذه القوات ومقاومتها ، وانضم اليهم متطوعون ، وجماعات من الفدائيين مستعملين فى ذلك السلاح بالقدر الذى وسعهم فى ذلك الاوان

وقد استمرت الاعمال الفدائية قائمة فى هذه المنطقة ، لم تنقطع الا منذ ابرام اتفاقية الجلاء ، فى سنة ١٩٥٤ ، فى عهد ثورة سنة ١٩٥٢

«ب» وامامنا مثل حى على الفداء ، كان هو السبب الاصيل الذى من اجله توجهت الى التفكير فى كتابة هذا المقال لانه ، فى الواقع ، هو موضوع الساعة ـ وهذا المثل هم رجال المنظمات الفدائية الفلسطينية فى ارض فلسطين ، والمنظمات العربية فى صحراء سيناء ـ هم هؤلاء الذين يقاومون العصابات الصهيونية الفاجرة ، وقواتها المسلحة يرهقونها ارهاقا ، ويهاجمونها اينما وجدت ، وينقضون على تلك القوات افرادا وجماعات ، وعلى المستعمرات اليهودية المنبثة فى الارجاء ، ويقتلون منهم من يقتلون ، وينسفون من مرافقهم ، ومن معاقلهم ما ينسفون ، ثم يعودون او يستشهدون ماجورين اجر المجاهدين ، فى سبيل الوطن والمواطنين

«جـ» ولعلنا لا نزال نذكر تلك الثورات العارمة التى نشبت فى دول المغرب العربى كله ، مراكش ، وتونس والجزائر ، وليبيا ، ضد الاستعمار الذى جثم على صدرها سنين طوالا ، وزمنا مديدا ، وكان اعتماد تلك الثورات على الفدائية والفدائيين باوسع معانيهما ، اذ لم يكن الفدائيون مجرد تشكيلات او مجموعات منبثة هنا وهناك ، بل لقد آل امرهم الى صيرورتهم جيوشا قوية الشكيمة ، شديدة العارضة ، مرهوبة الجانب ، كانت تشتبك مع القوات الاستعمارية فى معارك طاحنة تخرج منها ، فى احوال كثيرة ، ظافرة منصورة

وقد انتهت الامور الى مصائرها المرجوة ، فنالت كل دولة من هذه الدول استقلالها ، وفازت بما كانت تامله من اقامة كيان دولى لكل منها

واخص هذه الثورات بالذكر ، هى ثورة الجزائر ، لانها هى الاقرب الى الاذهان الان ، تلك الثورة التى عاونتها الجمهورية العربية المتحدة اصدق معاونة ، وبكل وسيلة مستطاعة وممكنة تطبيقا لمبادىء ثورة سنة ١٩٥٢ التى تقتضى مناصرة العالم العربى ، وتخليصه من براثن الاستعمار الغربى

«د» كما انه لم يغب عن اذهاننا بعد ، ثورة الجنوب العربى ضد الاحتلال او الاستعمار الانجليزى ، فلقد أبلى الفدائيون العرب فى هذه الثورة ، احسن البلاء ، وبذلوا فى المقاومة اقصى ما يمكن ان يبذل من فداء فى جهد متواصل ، وصبر على الشدائد ثم لقد آل امرها الى ما آل اليه أمر غيرها ، من شقيقاتها العربيات — الى الحرية والاستقلال ، واقامة جمهورية تحت اسم « جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية

ونكتفى بهذه الامثلة بالنسبة للطائفة الاولى :

وأما عن الطائفة الثانية :

«ا» فاقرب مثل نضربه عليها يرتبط باحداث الثورة المصرية سنة ١٩١٩ ، تلك الثورة التى قامت فى مواجهة الاحتلال الانجليزى ، والحماية البريطانية التى كانت معلنة علينا من جانب واحد ، اى بدون موافقة مصر عليها ، والتى ازعجت انجلترا ايما ازعاج ، وأعجزتها عن كبح جماحها ، وعلى الاخص فى ابان نشوبها اول الامر ومرد ذلك فى كثير الى افعال المنظمات الفدائية السرية ، وعلى الاخص من حيث بث الدعوة الثورية فى ارجاء البلاد ، مدنها وريفها ، فى جميع الاوساط وعلى كل المستويات، بمختلف وسائل الدعاية ، ظاهرها وخافيها ، وتنظيم المظاهرات الصاخبة على اوسع نطاق ، ومقاومة قوات الامن ، وقوات جيش الاحتلال ، التى كانت تعترضها وتفرق جموعها، وتعتقل ، وتقتل اعدادا وفيرة من الناس — ومن حيث التربص للانجليز ، دون تمييز بينهم فى مراكزهم او اقدارهم مهما علت ، واغتيالهم رميا بالرصاص فى الليل او فى النهار والانسلال بعد الحوادث خفية عن العيون ، دون ان توفق السلطات الى العثور عليهم او الامساك بهم فى كثير من الاحيان

ولقد كان هؤلاء الفدائيون محل اعجاب المواطنين لما اظهروه من بسالة ورباطة جاش ، وقوة ايمان بما يبذلون من مقاومة وفداء ، ضد عدو اجنبى لا يعرف رحمة ولا اشفاقا

وبالتاكيد فان احدا منا لم ينس بعد ، حادث مقتل سردار الجيش المصرى ، وكان انجليزيا ، وما تلاه من أحداث

وعلى اية حال فقد كانت هذه الاعمال بمثابة مسمار فى نعش الاحتلال

وليس يخفى ان اعمال الفداء قد طال زمانها وامتد الى ما بعد ثورة سنة ١٩٥٢ ، الى ان ابرمت اتفاقية الجلاء سنة ١٩٥٤ كما سبق القول

«ب» ونعيد الى الذاكرة ثورة السودان التى حمل عباها الاكبر المرحوم على عبد اللطيف فاعتقله الانجليز وعذبوه عذابا فوق احتمال البشر ، ثم مات شهيدا له اجر المجاهدين .

والى اللقاء فى المقال القادم ان شاء الله .

روى ابن حبان فى صحيحه والحاكم فى مستدركه عن ابن عباس قال :

دخلت فاطمة على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهى تبكى • فقال : ما يبكيك يا بنية ؟ قالت : يا أبت وما لى لا أبكى وهؤلاء الملأ من قريش فى الحجر يتعاهدون باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى لو قد رأوك لقاموا اليك فيقتلونك وليس منهم الا من قد عرف نصيبه من دمك• فقال : يابنية ائتنى بوضوء • فتوضأ رسول الله — صلى الله عليه وسلم ثم خرج الى المسجد •• فلما رأوه قالوا : ها هو فيها ، فطأطأوا رءوسهم وسقطت رقابهم بين أيديهم ، فلم يرفعوا أبصارهم فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم — قبضة من تراب فحصبهم بها • وقال : شاهت الوجوه • فما أصاب رجلا منهم حصاة من حصيانه الا قتل يوم بدر كافرا •

الاجتهاد والرأى والقياس والاستحسان

فى الاسلام

الاستاذ اسماعيل كشميرى

كان القرآن الكريم – ولا يزال – المصدر الاساسى للتشريع الاسلامى وجاءت السنةالشريفة مكملة ومفسرةله وعلى هذا فان القرآن الكريم والسنة المحمدية يعدان مصدر التشريع ..وبعد ان انتشر الاسلام فى شبه جزيرةالعرب وفى خارج حدودها كان طبيعيا ان يتطور المجتمع الذى نزل فيه الوحى على محمد صلوات الله عليه ، كما كان طبيعيا أيضا ان تختلف المشكلات والموضوعات التى كان يواجهها المسلمون ايام ان نزل الوحى على الرسول الكريم عنها ايام ان خرج الاسلام عن حدود الجزيرة العربية وامتزج بثقافات مجاورةكثيرة .

وهنا نشأ وضع جديد اقتضى الحاق بعض الموضوعات والقيام بتفسيرات فى بعض الاحيان لبعض هذه المشكلات الجديدة بقصد الوصول الى اجابات وحلول لها تتمشى مع الدين الحنيف وتعاليمه السمحاء . وعلى هذا فيمكن ان يقال ان التشريع الاسلامى تطور بظهور مشكلات وامور جديدة لم تكن ايام الرسول الكريم نشأت وفسرت ثم أعيد تفسيرها فى أوقات لاحقة بما يتمشى مع الظروف والاحوال المتغيرة . ويطلق على عملية اعادة التفكير واعادة التفسير هذه اسم (الاجتهاد) .

وفى المرحلة الاولى كان (الرأى)هو الوسيلة الاساسية للاجتهاد ، وكان اجراء شاملا – ان صحت هذهالتسمية– اقتضاه تطور التشريع خاصة بعد اللجوء الى (القياس) والى (الاستحسان) . وقد ظل (الرأى) مطبقا فى حالة القياس الي أمد بعيد .

وكان استعمال كلمة (الاجتهاد) يجرى فى الحقبة الاولى فى نطاق ضيق وفى استعمالات خاصة اتسعت ايام الامام الشافعى والايام التى تلته . وكان يعنى بهذا اللفظ الرأى السديد والحكم السليم على الاشياء وان جاء من اى ناحية من النواحى . وفى رواية ان عمر بن الخطاب اعلن فى ذات يوم انهاء الصوم فى احد ايام رمضان عندما بدت له الشمس وقد غربت وراءالافق. ولكن حدث بعد قليل ان ابلغهالمسلمون ان الشمس طلعت فى الافق ثانية وانها لم تغرب من قبل . وهنا قال عمر ان الموضوع يسير واننا « قد اجتهدنا » . وهذا المثال يدلنا على معنى كلمة الاجتهاد كما استخدمها الصحابة ذوو الرأى السديد .

ومن الاوائل الذين استخدموا هذا اللفظ الامام مالك ، وكان يستعمله فى الحالات التى لا يجد لها جوابا محددا لا فى أحاديث الرسول ولا فى سنته العملية وترك الرأى فيها لحكمة (الامام) . ومن امثلة (اجتهاد)الامام مالك فتواه بخصوص من يقتلع عين انسان او بتر يد مشلولة ، فقد اصدر فى الحالتين فتوى بدفع التعويض بعد ان لم يجد نصا فيهما .وحدث فىاحدى المرات ان سئل عما اذا كان من المسموح به منح احد الجنود نصيبا من الغنائم (نفل) قبل البدء بتوزيعها . وقد افتى بانه ليست هناك سابقة لذلك وانما هى متروكة لاجتهاد الامام اما ان يمنح النفل قبل توزيع الغنيمة أو بعدها .

والرأى لغة الفكر او الحكم ولكن العرب فسروه انه الرأى السديدوالمهارة

فى تصريف الامور . وكانوا يطلقون على كل من له ادراك حسى شديد وبصيرة ممتازة وحكم سديد (ذا الرأى) وكان يقابل (ذا الرأى) (المفند) وهو الرجل ذو الحكم الضعيف والتفكير السقيم . وكلمة (المفند) كانت تطلق على الرجل دون المرأة .

وكانوا يطلقون اللفظ على ما يقول به الخوارج لانهم كانوا من (أهل الراى) . ويبدو ان سبب ذلك كان راجعا الى اختلاف رأيهم عن راى (أهل السنة) . ومن هذا يتبين ان الراى كان يستمد معناه وقوته من التفكير المستقل الخالص ولو لقى معارضة من اناس آخرين . ويشير القرآن الكريم الى أن قوم نوح رفضوا قبول رسالته لان انصاره كانوا ضعفاء غير ذى راى يقول الكتاب الكريم : « فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادى الرأى ، وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين » .

ومن هذا نتبين ان الكمال الفكرى والنضج العقلى فى الحكم على الاشياء كانا منذ قديم الزمان مقياس العظمة ومعيار الرقى . ويطالب القرآن الكريم فى أكثر من آية بالتعمق فى التفكير والتامل فى آياته . يقول الكتاب الشريف : « أفلا يتدبرون القرآن ؟ ام على قلوب اقفالها » . كما يطالب القرآن الكريم باعمال العقل والتفكير الشخصى فى المسائل القانونية ، وقد اعطانا النبى الكريم صلوات الله عليه امثلة كثيرة على تقبله لرأى الصحابة رضوان الله عليهم فى امور لم ينزل عليه الوحى فيها .

فقد حدث مثلا فى موقعة بدر ان اختار الرسول الكريم مكانا خاصا لنزول قوات المسلمين فيه ، وهنا ساله احد الصحابة ، وهو حباب بن المنذر عما اذا كان قد اختار هذا المكان بوحى من نفسه او بوحى من الله ، فاجاب النبى انه اختاره بنفسه ، ولما اقترح الصحابى موقعا آخر ، رد صلوات الله عليه قائلا : « لقد اشرت بالرأى » . والامثلة كثيرة عن استشارة النبى للصحابة وقبوله للرأى الذى ابدوه . واشارة القرآن الكريم الي مشاورة النبى للصحابة انما هو موافقة على اعمال الرأى الشخصى فى الحكم على الاشياء .

ولم تكن الامور معقدة فى زمن الرسول الكريم وذلك لان حكمه وقراراته كانت الفيصل والكلمة الاخيرة فيها . وما ان قبض صلوات الله عليه حتى تعقدت هذه الامور وتعددت ، وذلك لان الصحابة الاكرمين لم يجدوا امامهم للحكم على الامور التى جدت عليهم سوى القرآن الكريم وسنة رسول الله .

أما من حيث القرآن الكريم فقد كان (الرأى) الوسيلة القويمة للحكم عما اذا كان من الممكن تطبيق آياته على موقف معين أم لا . اما بالنسبة الى الاحاديث النبوية فقد كان الوضع اكثر دقة وذلك لانها كانت بحاجة الى التاكيد من انها جاءت على لسان النبى ولانه اريد معرفة ما اذا كان الصحابى قد فهم معنى الحديث فهما تاما . وقد استنكر ابن عباس والسيدة عائشة رضى الله عنهما كثيرا من الاحاديث على انها لم ترد على لسان النبى . ومع ان بعض المسائل قد يشير اليها القرآن والاحاديث النبوية الا ان اعمال الرأى فيها ليس من الامور غير المستحبة . وسبب هذا واضح ، فالايات القرآنية والاحاديث النبوية يفسرها المسلمون للحكم عما اذا كان من الممكن تطبيقها على وضع معين ، وعلى هذا فيمكن القول ان التفسير والتطبيق يستدعيان وجود حكم شخصى ، ومن هنا نشأت بعض الخلافات منذ صدر الاسلام عن حرفية القانون وروحه . ولذلك فان من غير الصحيح ان نقول ان المسلمين كانوا يلجاون الى حكم الرأى اذا لم تكن هناك آية قرآنية أو حديث شريف يعالج الموقف او يشير الى المسألة المعروضة . وفى حين يقول معارضو الامام الشافعى ان الخلاف وجد حول الامور التى لم يشر اليها القرآن أو السنة ، يرد عليهم الامام بقوله ان الخلاف فى الرأى وجد حتى على المسائل التى اشار اليها القرآن او السنة بصورة واضحة . ويسوق الامام الشافعى امثلة كثيرة على آيات قرآنية واحاديث نبوية اختلف عليها الصحابة والفقهاء من قديم الزمان بسبب اختلاف تفسيرهم لها .

واذا ما درسنا موضوع (الاجتهاد) الذى كان يمارسه عدد من الصحابة ، خاصة سيدنا عمر الخليفة الثانى ، فانا نجد انهم كانوا يلجاون الى (الرأى) حتى فى وجود الايات القرآنية والاحاديث النبوية الخاصة بموضوع معين .

فمن الامور المعروفة ان سيدنا عمر الغى انصبة الزكاة التى كانت تعطى لبعض المسلمين او غير المسلمين لتهدئة قلوبهم كما جاء فى القرآن الكريم حيث يقول : « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله ، والله عليم حكيم » وقد اعتاد النبى صلى الله عليه وسلم ان يعطى هذا النصيب لبعض الناس من العرب ليجذبهم الى اعتناق الاسلام او ليمنعهم من الحاق الاذى بالمسلمين . وكان هذا الجزء من الزكاة يعطى أيضا لمن اعتنق الاسلام بعد لاى ليبقى على اسلامه . وحين تولى عمر الخلافة الغى الامر الذى كان قد اصدره سيدنا ابو بكر - اول الخلفاء - لمنح بعض الناس قطعا من الارض على هذا الاساس . وكان عمر يرى ان هذا الاجراء كان يقوم به النبى لتعزيز شوكة الاسلام ، اما وقد انتشر الاسلام فلم تعد هناك حاجة لتقديم هذه المنحة .

وقد بدا لبعض الناس ان الحكم الذى اصدره عمر كان مخالفا لاحكام القرآن : ولكنه فى واقع الامر كان نتيجة لدرس الموقف واتباعا لروح القرآن . وقد ادى به رأيه الشخصى الى انه اذا قدر للنبى الكريم ان يعيش فى نفس الظروف التى عاشها عمر نفسه فانه لم يكن ليتردد فى اتخاذ نفس الاجراء . وقد حدث ايام خلافة عمر بن عبد العزيز ان امر الخليفة باعطاء هذا النصيب لاحد الاشخاص بناء على القاعدة التى وضعها النبى الكريم من قبل . وهذا يبين لنا كيف يتخذ (الرأى) فى مسالة جاء بها القرآن الكريم .

ومثال آخر على هذا الموضوع القرار الذى اتخذه عمر بعدم توزيع اراضى العراق وسوريا على الصحابة ، فقد صمم المسلمون على توزيعها فيما بينهم

اتباعا لما قد سبق العمل به من قبل ، وقد رد عمر على ذلك بقوله انه اذا استمر فى توزيع الارض فمن اين له اذن ان يجيش الجيوش لحماية حدود البلاد والبلاد التى غزوها حديثا . وهنا وافق الصحابة على قوله وقالوا : « الرأى رأيك ».

وبعد بحث وجد عمر مبررا للعمل الذى قام به فى الايات القرآنية التى خولت المهاجرين والانصار وغيرهم ممن يخلفونهم الحصول على نصيب من الغنائم . ومع ان العادة كانت تقضى بتوزيع الارض ، شانها فى ذلك شان اى غنيمة اخرى ، الا أن عمر آثر مصلحة المسلمين عامة على مصلحتهم الخاصة . وقد رأى ان العدالة الاجتماعية تقتضى بالا توزع الاراضى المغزوة على رجال الجيش . وهذا المثال يرينا نوعا من (الاستحسان) ، وهو الابتعاد عن القاعدة المقررة اذا ما كان فى ذلك صالح المساواة والرفاهية العامة .

وقد روى ان بعض العبيد سرقوا ناقة وذبحوها . ولما نمى الخبر الى عمر امر بقطع ايدى اللصوص ، ولكنه ما عتم ان قال لسيدهم بعد قليل : « ارى انك قد اجعتهم » وامر بان يدفع سيد العبيد ضعف ثمن الناقة والغى قراره بقطع أيدى اللصوص .

وفى رواية اخرى ان شخصا سرق شيئا من بيت المال ولكن عمر لم يقطع يده . وقد حدث مرارا ان لم يأمر عمر بقطع ايدى اللصوص ايام المجاعات .

وتقول الروايا ت ان عمر حظر بيع ام الولد أو تقديمها هدية أو توريثها لشخص آخر ، وقد أمر بعتقها بعد وفاة سيدها . وفى هذا خالف عمر العرف الذى كان متبعا ايام النبى الكريم وسيدنا ابى بكر ، وقد يقول البعض ان عمر قد خالف السنة النبوية واتى بسنة اخرى محلها حددها رأيه الشخصى ، ولكن عمر - فى هذا - كان يواجه وضعا اجتماعيا كان مختلفا كل الاختلاف عن الاوضاع ايام من سبقه من خلفاء .

وقد اعتاد الناس ايام عمر ان يحتفظوا بالجوارى اللائى كثرن بسبب غزوات المسلمين ثم يتركن سبيلهن ليمتلكهن غيرهم من الاسياد دون ان يعنى احد بالاولاد الذين يضعنهن . وقد كان من نتيجة ذلك ان كثر عدد الارقاء . ولما ووجه عمر بهذا الوضع الجديد المؤلم ندد رضوان الله عليه بالاسياد الذين ينجبون من جواريهم ثم يتركونهن . وقد قال انه اذا جاءته جارية وجاء سيدها واعترف بانها حملت منه فانه سيلحق الطفل به . ومن هذا يتبين ان وضعا جديدا حدث بين المسلمين وكان على الخليفة ان يتخذ فيه موقفا شديدا . وكل هذا لا يدل علي أن عمر ابتعد عن القرآن او السنة ، وانما هو دليل على اجتهاده فى بعض الامور التى اقتضاها النظام الجديد .

وهذا الموضوع يجرنا الى الحديث عن العلاقة بين (الرأى) و (النص) وهى العلاقة التى يبدو انها تفرق بين الامرين . والنص هو ما ورد فى القرآن او الحديث . والمشكلة تتلخص فيما اذا كان ممكنا ان يتخذ (رأى) فى بعض القرارات التى وجد لها نص . وتقول النظريات القديمة انه لا محل للرأى ان وجد النص . وقد ذكرنا من قبل ان كل امر ورد فى القرآن او فى الحديث يقتضى تفسيرا وتطبيقا على الموقف المحدود ، وهذا هو السبب فى اختلاف الصحابة فى تفسير الايات القرآنية ، وعلى هذا فالرأى انه يجب الا نتغاضى عن استخدام «الرأى» حتى فى وجود النص . ولكن يجب ان ندرك انه اذا لم يكن هناك داع للتفسير الا من وجهة واحدة ومن طريق واحد فان من الطبيعى ان يؤخذ القرار حسب النص وعلى اساسه .

وقد حدد معنى النص على انه النص الذى يحتمل معنى واحدا او النص الذى يرجع تفسيره الى النص ذاته . ونرى ان النص - بهذا التحديد - لا ينطبق الا على قلة من النصوص ، ويبدو ان تعريف كلمة (النص) استمد من معناها .

وفى « السير الكبرى » للشيبانى دليل على اختلاف تحديد معنى النص ، فقد ذكر حين اشار الى مسألة وضع العدو تحت حماية المسلمين ان هذه الحماية التى يمنحها اى مسلم حر سواء كان (عادلا) أو (فاسقا) امر ملزم لكل المسلمين . ويبرد الشيبانى هذا الرأى بالرجوع الى حديث نبوى شريف يقول ان المسلمين متساوون فى احترامهم للدم وانهم كاليد الواحدة التى ترتفع على يد كل من لم يكن عضوا فى المجتمع ، وان ادناهم يمنح حمايته بالنيابة عن المسلمين . وقد عقب الشيبانى على هذا الحديث ، وخاصة على كلمة (ادنى) فقال انها اذا عنت ما عنت به الاية (ألم تر ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا) فان الحماية التى يمنحها الفرد تسرى على المجموع .

اما اذا استمدت الكلمة من (الدنو) - بمعنى القرب - كما وردت فى الاية (فكان قاب قوسين أو أدنى) فانها تعنى ان الحماية تعطى من اى مسلم يقطن داخل الحدود ويكون قريبا من العدو . اما اذا اخذت من كلمة (دناءة) فانها تعنى والحالة هذه سريان الحماية التى قد يعطيها المسلم (الفاسق) .

وكان الشيبانى أول فقيه يستخدم كلمة (النص) ، ولم يستعملها احد من قبله ، لان من قبله كان يستعمل كلمتى (الكتاب) و (السنة) بدلا من كلمة « النص » مع ان الامام الشافعى استعمل كلمة (النص) فى سياق معارضة (الرأى) التى نعتقد انه توصل اليها قبل زمن الشافعى بين المحدثين ، ولكنه استخدمها على انها مبدأ قانونى . ويبدو ان الامام الشافعى كان يرى فى النص رد فعل ضد الرأى ، وكلما ابتعد عن الرأى وضاق نطاق الاجتهاد كلما سيطر النص وزاد فى التطبيق .

ويرى الشافعى ان النص لا يقبل الجدل وان النازلة) - اى المشكلة الحديثة - ترد فى القرآن اما صراحة - اى نصا - واما بصورة غير ظاهرة - اى جملة . والنص فى رأيه هو كل ما أمر به الله جل وعلا أو نهي عنه بكلمات واضحة ظاهرة . ويعدد الامام الشافعي الحالات التى تخضع للنص

والاخرى التى تخضع للجملة . فمن الحالات الاولى ذكر الاقارب الذين يمتنع الزواج منهم او منهن وتحريم اكل الدم ولحم الخنزير . اما الحالات التى تخضع للجملة فهى الفروض التى فرضها الله على المسلمين كالصلاة والزكاة والحج . ويقول الامام الشافعى ان هذه الفروض شرحها النبى صلوات الله عليه . ومن حيث الحالات التى تخضع للنص فان الشافعى يقول بكفاية ذكر القرآن لها وبالاحاجة هناك لمزيد من الجدل . وهذا يعنى ان الشافعى يقر شرعا استخدام الرأى فى الحالات التى تخضع للجملة .

وفى (الرسالة) يستخدم الامام الشافعي لفظ «النص» فى اشكال مختلفة مثل (نص الكتاب) و (نص الحكم) واحيانا (نص الكتاب والسنة) . ولكنه فى كل هذه الحالات يقرر ان هذه النصوص ثابتة لا تقبل الجدل ، سواء ما جاء منها فى القرآن الكريم او ما ورد فى الحديث الشريف . وغالبا ما يميز الشافعى بين نص الكتاب ونص السنة وذلك فى الحالات التى يركز فيها على نص القرآن . ومما يذكر فى هذا الصدد ان النص قسم فى الفقه فى الكتب التى ألفت بعد الامام الشافعى الي أقسام فرعية أربعة هى عبارة النص واشارة النص ودلالة النص واقتداء النص . ثم عمد الفقهاء بعد ذلك الى توضيح معنى النص واقترحوا اربع درجات له هى الظاهر والنص والمفسر والمحكم ، وهذه كلها موضوعات لم ترد فى كتابات الشافعى ، وهى تعد تطويرا لنظرية النص .

وقد عرض الشافعى للفرائض المنصوصة وعالج عدة مسائل منها الميراث وقتل النفس والربا ، واشار الى ان الايات القرآنية التى عالجت هذه الموضوعات كانت ذات طبيعة عامة ولكنه شرح برجوعه الى الاحاديث النبوية ان لها معنى معينا محدودا . وهذا يعنى ان النص يحتاج الى تفصيل والى شرح ومن هذا يمكن القول ان هناك مجالا لاختلاف الاراء حول بعض الموضوعات ، وهذا هو السبب فى اننا نجد اختلافا قانونيا حول مسائل الربا وقتل النفس والميراث رغم ان الشافعى يصفها كلها بانها أمور « منصوص » عنها . وكان من نتيجة التأكيد على النص ان اوقف العمل بالرأى فى القانون .

وهناك مشكلة اخرى تواجهنا عند بحث (الرأى) وهى النزاع القائم بين أهل الحديث وأهل الرأى . ويذكر الشافعى اسماء اهل الكلام واهل الحديث واهل القياس فى عدة مواطن فى كتاباته . ويبدو انه يعنى بأهل الحديث الخبراء والمتفقهين فى الحديث وليس فقهاء الحجاز او الفقهاء الذين يتناقشون على اساس الحديث مع استبعاد (الرأى) . وحين شرع الشافعى فى المزج بين الحديث والرأى فى استخلاص ما يراه لم تكن الجماعة التى استبعدت الرأى قد وجدت بعد . وكان الشافعى بطبيعة الحال من مؤيدى الرجوع الى الحديث ومن مقاومى مؤيدى الرأى ، ولكنه - مع هذا - لم يتخل عن استخدام الرأى والعقل فى مجادلاته وابحاثه .

وقد سمعنا فى هذه الفترة اسماء شخصيات كبيرة مثل الزهرى (المتوفى عام ١٢٤ هـ) وسفيان الثورى (١٦١ هـ) وسفيان بن عيينه (١٩٨ هـ) والوقيع بن الجراح (١٩٧ هـ) وغيرهم من الفقهاء الذين كرسوا حياتهم لخدمة الحديث النبوى الشريف . ولكن هذا لا يعنى انهم استبعدوا الرأى والعقل من القانون .

وقد نتج عن هذا الاختلاف اختلاف آخر ، فقد نشأ هذا الخلاف بين الشافعى وخصومه فى تعريف (الفقيه)، فالشافعى يرى فيه من يستمسك بالحديث فى حين يفضل الاخرون الشخص الذى يعترف الناس بتفهمه للقانون حتي ولو كانوا من أهل الحديث . ومن هذا يتضح ان اهل الحديث والفقهاء كانوا يرجعون الى الرأى والى الحديث فى هذه الحقبة وذلك فيما يتعلق بتفكيرهم القانونى الشرعى ، الاولون يضفون الاهمية الكبرى على الحدث ، والاخرون على الرأى .

ويقول الشافعى ان اهل الكلام كانوا من المعتزلة وقد يكون من بينهم الخوارج، وكلهم كان يشك فى صحة الحديث . ويبدو من كتابات الشافعى ان هؤلاء كانت لهم آراء مختلفة فى هذا الصدد، فمنهم جماعة كانوا يعدون القرآن وحده نبع الشريعة مستبعدين الحديث كلية.

وهناك غيرهم ممن تقبلوا الاحاديث التى تتمشى مع القرآن واستبعدوا الاحاديث الاخرى التى تتعارض معه . اما الجماعة الثالثة فقد تقبلت الاحاديث المعروفة التى يحفظها الجميع ورفضوا الاحاديث المسندة الى راو واحد (الخبر الواحد) .

وقد اورد الشافعى بيانا وجيزا لمجادلاتهم ودحضه لها ، وكثيرا ما يطلق عليهم اسم (أهل العقول) بسبب تركيزهم على العقل فى شئون الشريعة.

وهو يرى ان اهل العقول افضل من غيرهم فى اتخاذ انفسهم اساسا للاجتهاد من الذين يعرفون (الاصول) - مثل القرآن والسنة - ولكنهم يمارسون اعمال الرأى والاستحسان على اساس العقل .

والقول بانه كانت هناك مجموعتان فى الحقبة الاولى واحدة تؤيد الحديث والاخرى تؤيد الرأى ، هذا القول ليس صحيحا من وجهة التاريخ . وسبب ذلك ان علماء الحديث فى تلك الفترة لم يكونوا احرارا فى استخدام (الرأى) فى جدلهم ومنطقهم ، والعكس بالعكس .

فالامام مالك مثلا ولو انه عالم فقيه خبير بالحديث الا انه كثيرا ما يستعمل الرأى فى « الموطا » ومع ان الزهرى «محدث» كبير الا انه لم يكن مشرعا ، ومع هذا فانه يعد فى نظر الشيبانى مشرعا كبيرا وراوية من رواة الحديث فى «المدينة» وهذا يدل علي انه لم يكن فى هذه الفترة اختلاف كبير بين صفة أهل الحديث واهل الرأى ، ويستخدم الشافعى ايضا اسم (اهل العلم بالحدث والرأى) . ولكن يبدو ان معارضة الحديث للرأى تطورت بعد ايام الشافعى ، وقد عرفت (المدينة) بموطن السنة ، فى حين اطلق اسم اهل الرأى على فقهاء العراق .

(للبحث تتمة)

على طريق الواصلين

الأستاذ عبد العليم المهدى

بالسلام انتشر الإسلام

وعدت القراء فى العدد الماضى من (منبر الاسلام) أن أقدم لهم الفصل الثانى من الكتاب المخطوط : « تعريف بحال الولي الشريف سيدى ابراهيم الدسوقى » ، وبعد انتهائى من اعداد هذا الفصل ، استبد بى خاطر يقول : فى ذكرى مولد الهدى يجب أن يسبق الحديث كل حديث .

احتواني هذا الخاطر يومين ، ثم دعيت مفاجاة لزيارة مقام الدسوقى ، فوجدتنى أقف فى المقام وكأنى استأذن القطب فى تاجيل نشر الفصل الثاني من التعريف به ، وأحسست فى هذه اللحظة بقشعريرة تهز كيانى .. ولم أفهم بعد معني هذه الاشارة .. فجمدت فى مكانى دقائق ، ولم يخرجنى من شطحتي سوى يد فضيلة الشيخ زكي البنهاوى شيخ الجامع الدسوقى تربت على كتفى ، ويرحب الشيخ بي ويقول : ان دعوة الدسوقي لا ترد ..

وعدت من دسوق أفكر فى الكلمة الشريفة التي تلائم المناسبة الشريفة .. مناسبة ذكرى مولد الهدى ، مولد النبى العربى المبعوث رحمة للعالمين ..

ويقينى أن الامة المحمدية لو عرفت جانبا من عظمة هذه الذكرى ، لصامت نهارها وأقامت ليلها ، وعاشت بالفكر والامل يوما فى كل عام ، مع الرسول والرسالة ، نقتبس من نوره ، ونهتدى بهديه ، ونمضى علي طريقه الي النصر فى الحياة الدنيا وفى الآخرة .

سيدى يارسول الله ..

ارحم امتك ، وكن لها نورا يهديها الى طريقك ، فالسعادة كل السعادة لاتباعك ، والشقاء كل الشقاء لمن ضلوا الطريق ، واتبعوا الهوى بدل الهدى ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ..

يا من بك يرحمنا الله ..

الوذ ببابك سيدى داعيا متضرعا ، بان تصل امتك بسبيلك ، وان تعلمها الامل الذى اعطيته لها فى حديثك :

« الخير فى وفى امتى الى يوم القيامة » .

ثم الحديث الشريف :

« حياتي خير لكم ، ومماتي خير لكم » .

صلاة الله وسلامه عليك منذ خلقت الجنة ، وقبل ان تخلق الدنيا ، وأبواب الجنة مكتوب عليها « لا اله الا الله محمد رسول الله »

صلاة الله وسلامه عليك ، حين اخترت الرفيق الاعلى ، وكان لك الخيار فى ان تعيش كما تشاء .

عليك صلاة الله وسلامه حين تحملت فى سبيل العقيدة ما تخشع وتتصدع منه الجبال .. وعندما رفعت السيف ، كانت حربك دفاعا عن السلام وتحرير العقيدة .. كل عقيدة سماوية

« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا » .

* وها نحن اليوم ندافع عن حرية العقيدة ، وكل عقيدة سماوية .. ضد عدو لا يعترف باية عقيدة سماوية .. بل يحاربها جميعا ، ومخططه معد للقضاء عليها جميعا ، لتعبد البشرية العجل الذهبى الذى يعبده اليهود .

« اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله » .

* أى ظلم هذا الذى انزله اليهود بشعب فلسطين ، وقد اخرجوهم من ديارهم بغير حق ، الا أن يقولوا ربنا الله .. وليس عجل الذهب الذى تعبد اسرائيل !

* علي هذه القاعدة تقاتل منظمة « فتح » ، وقد أذن الله لهم بالقتال ، وان الله علي نصرهم لقدير .

« وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » .

وليس دين (التلمود » الذى تريد به الصهيونية أن تملك الارض بكل ما فيها ومن عليها ، وتكون السيادة لليهود ، وكل الناس خدم وعبيد ، حكمهم - فى التلمود - حكم الماشية .. بل كثيرا ما تكون الكلاب أهم من أى انسان غير يهودى ..

« فالرب نصحنا بان نطعم اللحوم للكلاب فى الاعياد ، ولا نعطيها لبنى آدم » .

* هذا هو الدين الذى تصطنع اليهودية من اجله الفتنة فى العالم ، حتى يعبد الناس العجل الذهبي ، او يتكلم الرصاص .. والغاز .. ولا تشبع الصهيونية دما .. من اجل تحطيم كل عقيدة سماوية .

« وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا »

* القتال فرض مقدس فى سبيل الله ، ولكنه القتال لحماية العقيدة ، ولا يتجاوز ذلك الي العدوان .. لان الاسلام دين السلام ، وبالسلام انتشر وسوف ينتشر الاسلام ..

« ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » .

* أبدا لم تكن الحرب وسيلة لنشر الاسلام .. ولكنها كانت الحرب المشروعة دفاعا عن العقيدة .. دفاعا عن المبدأ الاسمى « لا اكراه فى الدين »

* وقد أجمع المؤرخون المحايدون فى كل زمان ومكان ، على أن محمدا لم يرفع سيفه يوما معتديا ، ولكنه طالما رفعه دفاعا عن الدعوة الى الله .

قال عليه الصلاة والسلام :

« بعثت باللين والسيف ، فوجدت اللين أقطع »

وقال عليه أفضل الصلاة :

« السلام تحية لامتي وأمان لاهل الذمة » ..

وليس فى الاديان الاخرى ، المنزلة من السماء دين يفرض السلام تحية ومبدأ وعقيدة يحارب دفاعا عنها كدين الاسلام

كل الغزوات المحمدية كانت دفاعا عن هذا الدين ، لم تكن أبدا بقصد العدوان ، وهذا هو عقد صلح الحديبية بين النبى وقريش يؤكد الدعوة الخالدة : الاسلام دين السلام ، وبالسلام انتشر الاسلام .

قوة السلام

نحن فى المدينة ، وقد استقر فيها الامر لمحمد ، وقامت الدولة الاسلامية الاولي ، قوية عزيزة مرهوبة الجانب ، تسيطر على كل الطرق المؤدية الى مكة ، واستشعر النبى القوة ، فجمع جيشه ، وأعلن انه يريد الحج هذا العام ولا يريد القتال .

وزحف علي الحديبية على مقربة من مكة ، حيث عسكر فيها ، وارسل الي أعدائه من قريش من يقول لهم ما قال النبى :

« لا تدعوني قريش اليوم لخطة يسالوننى فيها صلة الرحم الا أعطيتهم اياها » .

ولكن أعداء النبى ذبحوا ناقة المندوب وهموا بقتله .. وأرسلوا أربعين رجلا من الاشداء يطوفون بمعسكر النبي ليختطفوا بعض اصحابه ، فاختطفهم أصحاب النبي ، وساقوهم اليه ، فعفا عنهم ، وأعادهم الى قومهم سالمين .

تفرقت كلمة العرب من حول قريش ، وامتلأت جزيرة العرب بان النبى لا يريد قتالا ، وليس من حق أحد أن يمنع أحدا من حج البيت .

وكان الاعداء يريدون الوثوب على النبى وجيشه ، ولكنهم عرفوا أن لديه قوة لاشك تصرعهم ، ولكن صبر النبي هو الذى يمنع جيشه من ضرب قريش وحلفائها .. لقد جاء حاجا وليس محاربا .

وجاء الي النبى سهيل بن عمرو مفوضا من قريش ، فقال : يا محمد .. لقد استبانت قريش أنك لا تريد قتالا ، فجئت أصالحك بشرط أن تعود هذا العام الى المدينة ، وتاتى فى العام القادم ، لتحج وتقيم ثلاثة أيام ، بعد أن تخلى قريش لك أم القرى .. كل ذلك مشروط .

اوما النبى براسه موافقا ، فشق ذلك علي المسلمين ، ولكنه بدأ بحث الشروط :

* هدنة لعشر سنوات .

* من يلجأ فى أثنائها الي محمد من قريش وحلفائها يرد الى أهله .

* من يلجأ الى قريش وحلفائها من أصحاب محمد لا يرد الى أهله .

واقر النبى الشروط ، فوثب عمر العملاق من مكانه وأقبل كالعاصفة علي محمد يسأله :

يا رسول الله .. الست برسول الله ؟.. قال : بلى .

قال عمر : أو لسنا بالمسلمين ؟ قال : بلي .

قال عمر : أليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى .

قال عمر : فعلام اذن نعطى الدنية فى ديننا ؟.. قال عليه الصلاة والسلام : « أنا عبد الله ورسوله ، لن أخالف أمره ، ولن يضيعنى » .

وكان أمر الله هنا بالسلام ، فصبر الرسول علي عناد قريش وتحديها له وهو القوى .. صبر على أن يعود عن زيارة البيت هذا العام ، ولكن أصحابه قد استبد بهم الغيظ فكظمت التربية المحمدية غيظهم .

وجلسوا لكتابة عقد الصلح ، فدعا النبي على بن ابىطالب وقال له : اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم .

فصاح سهيل بن عمرو : أمسك .. لا أعرف الرحمن الرحيم .. بل اكتب باسمك اللهم ..

قال رسول الله : أكتب باسمك اللهم . ثم قال : أكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو .

فصاح سهيل : أمسك .. لو شهدت أنك رسول الله ما قاتلتك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك

قال رسول الله : أكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله ..

وعقدت الهدنة على كره من المسلمين ، وسعي الشيطان سعيه الى نفوس المهاجرين والانصار .. وأخذوا يتهامسون : كيف يرضى أن يرد لاجئيهم ولا يرد لاجىء منا ؟..

كيف نعود أذلاء ولا نحج البيت ؟ ..

كيف نصبر على هذا الذل عشر سنوات ؟

كيف نرجع عن الحج بعد أن أحرمنا له ؟

وكان النبي يسمع كل هذا ، ولا يفكر سوى فى شىء واحد هو انتشار الاسلام بالسلام وليس بالحرب . هكذا أمره الله ولن يضيعه الله .

عشرون عامامضت فى القتال ، لم يهزم فيها الجيش المحمدى الا فى أحد للتشريع فى عقاب الخارجين علي القيادة .. وكل المواقع والغزوات معقود فيها النصر لهذا الجيش القادر الان على فتح مكة بقوة السلاح .. ولكن النبى مأمور بان ينشر الإسلام بالسلام .. وكان البرهان فى سورة الفتح التى أنزلت على النبي وهو فى طريق العودة الي المدينة :

« انا فتحنا لك فتحا مبينا . ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما ».

وعجب المسلمون اشد العجب حينما وصف القرآن هذه العودة الذليلة بالفتح ، ولكنهم ذهلوا عندما رأوا القبائل تدخل فى دين الله أفواجا ، ففى اقل من عامين بايع محمدا اضعاف من اتبعوه فى عشرين عاما مضت ، فقد عرف العرب من صلح الحديبية أن هذا الدين دين السلام ، وانه سوف ينتشر فى العالم بهذه الروح ، فاسلم فى تلك الفترة خالد ابن الوليد وعمرو بن العاص .

واجمع العرب على أن شرفهم فى أن يجتمعوا تحت اللواء المحمدى ، عندما رأوه يتجه بجيشه الى أطراف الجزيرة ، يلقي الروم هنا ، ويلقي الفرس هناك ، مبشرا بدعوة الاسلام الى الحق والخير والسلام .

وكان خالد فاتح العراق والمشرق .

وكان عمرو فاتح مصر والمغرب .

واستنجدت قريش بمحمد أن يحلها من عقد صلح الحديبية وأن يقبل اللاجئين الى المدينة من المسلمين ، فقبل ..

ولكنهم انتهزوا فرصة اشتباكه مع الروم فى مؤتة دفاعا عن المسلمين فيها ، ونكثوا العهد ، فعاد الى المدينة ، وعبا جيشه بليل ، وزحف على مكة فى عشرة الاف مقاتل ، ولكنه دخلها بغير حرب .. بغير دم .. بغير انتقام .

سيدى يارسول الله

ان أعداءنا اليوم هم الاحفاد غير الشرعيين ليهود قريظة وبني النضير الذين أجليتهم عن المدينة .. انهم يحلمون الان بالعودة الي المدينة .. وبالمنطقة كلها من الفرات الى النيل .

سيدى يارسول الله كن معنا ونحن ننفذ قول العلى الحكيم :

« اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير » .

من الأدب النبوى

* لا خير فى صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له .

* من المروءة أن ينصت الأخ لأخيه اذا حدث ، ومن حق المماشاة أن يقف الأخ لأخيه اذا انقطع شسع نعله .

* ثلاث تصفين لك ود أخيك : تسلم عليه اذا لقيته ، وتوسع له فى المجلس ، وتدعوه بأحب أسمائه اليه .

* من الجفاء أن يدخل الرجل منزل أخيه فيقدم اليه شيئا فلا يأكله ، والرجل يصحب الرجل فى الطريق فلا يسأله عن اسمه واسم أبيه .

* ان أحدكم مرآة أخيه ، فاذا رأى فيه شيئا فليمطه عنه ..

الفكر العلمى الاسلامى

الدكتور عبد الحليم منتصر

١ - مقدمة :

ليس من شك فى أن الفكر العلمى ، كان دائما وراء كل تقدم أحرزته الانسانية فى عصورها المختلفة ، وقد بدأ ذلك منذ عرف الانسان ، كيف يمارس التجربة فيخطىء ثم يصيب ، فعرف الطريق الى المعرفة العلمية أو العلم وهو ما اصطلح على أنه فرع المعرفة الذى يتضمن التجربة والمشاهدة والاختبار ، ويشمل العلوم الطبيعية الأساسية ، من كيمياء وطبيعة ورياضيات وفلك وجيولوجيا ونبات وحيوان ، وتطبيقاتها فى الطب والزراعة والهندسة والصيدلة وما اليها .

وقد درج كثير من مؤرخى العلم على التأريخ للعلم بعصرين لا ثالث لهما . وهما العصر الاغريقى ؛ وعصر النهضة الأوروبية الحديثة - الا أن فى ذلك اغفالا للحضارات التى سبقت العصر الاغريقى ، من صينية وهندية ، وسومرية وآشورية وبابلية وفينيقية ومصرية قديمة ، اذ أن من الواضح أن العلم الاغريقى لا يمكن أن يظهر فجأة أو أنه لم يستفد من الحضارات التى تقدمت عليه فى التاريخ كما أنهم بذلك يدمجون العصر الاسكندرى فى العصر الأغريقى ، فقد حملت الاسكندرية مشعل الحضارة العلمية عدة قرون ، صحيح أنها امتداد للعصر الاغريقى ، ولكنها نهضة وطنها مصر ومقرها الاسكندرية وجامعاتها القديمة ؛ وماكان من مكتبة غنية ، ومتحف عظيم ..

أما ثالثة الأثافى بالنسبة لهذا التاريخ ، فهى اغفال دور العلماء العرب فى العصر الاسلامى الذى ازدان بعشرات ومئات من العلماء الذين يزدان بهم العلم فى كل عصر وآن . ترجموا الى العربية علوم من تقدمهم وأضافوا الكثير من مبتكراتهم وظلت مؤلفاتهم مراجع معتمدة فى جامعات أوروبا حتى أواخر القرن السابع عشر ، مما جعل بعض المنصفين من أمثال « جورج سارتون » يصرح بأنه « لولا أعمال العلماء العرب لاضطر علماء النهضة أن يبدأوا من حيث بدأ هؤلاء ، ولتأخر سير المدنية بضعة قرون » .

وقد يكون من الملائم أن نشير الى العصور العلمية المختلفة قبل أن تنتقل الكرة الى العلماء العرب فيتداولونها أبرع مداولة قبل أن تتلقفها أوروبا منهم لتصنع نهضتها العلمية التى تعيش الانسانية فى فيضها المتدفق المتصل حتى الوقت الحاضر .

أ - العصر القديم :

يؤرخ البعض للمعرفة العلمية منذ العصر الحجرى عندما صنع انسان ذلك العصر أدوات وأسلحة ذات أشكال هندسية وأسلحة ذات أشكال معينة تحقق الغرض الذى من أجله فكر فى صناعتها . ولا شك أنه حاول وأخفق مرة ومرات قبل أن يصيب وبذلك عرف الطريق الى العلم ، ثم عرف الزراعة والنار وربط بين أوقات العمل والراحة والزراعة ، والحصاد وحركات الشمس والقمر ، ومع ازدياد العمران ، ظهرت معيشة الجماعات وظهرت الحاجة الى معرفة الاوقات ؛ وتحديد الأيام وانتقل الانسان من عصر الحجر الى عصر المعدن وعرفت مصر الفرعونية أصول الزراعة ومسح الأرض وحساب فيضان النيل ، وبازدياد العمران وتشابك المصالح ، وازدهرت التجارة ، وظهرت الحاجة الى معرفة الاعداد « وتقدمت المعرفة بالكتابة المصورة ورفت الحضارات على ضفاف الأنهر فى وادى النيل عند المصريين ، وفيما بين النهرين عند الأشوريين والبابليين والسومريين ، وما وراء النهر عند الصينيين والهنود ، وازدهرت هنا وهناك علوم الفلك والرياضيات والتقنين والحساب وهندسة البناء والتحنيط .

وأهدى الفكر العلمى فى هذا العصر القديم كثيرا من مظاهر الحضارة والترف والرفاهية لم يكن للانسانية بها عهد فى فجر تاريخها ، فسكن الانسان القصور وبنى المعابد والهياكل ، ومارس الطب وصنع الورق والزجاج والأصباغ ، ونسج الملابس وعرف الروائح وحضر العقاقير بل وضع دستورا للادوية وسجل معارفه على أوراق البردى وعلى جدران المعابد والهياكل بالخط الهيروغليفى عند المصريين القدماء ، وعلى قوالب الطوب بالخط السماوى عند الآشوريين والبابليين •

ب ـ العصر الاغريقى :

ثم انتقلت هذه المعارف العلمية الى الاغريق وسطعت حضارة علمية فى بلاد الاغريق منذ القرن السابع قبل الميلاد ، وظهر من العلماء الاغريق من فلسف العلم ووضع النظريات والفروض ، ولعلها كانت مرحلة تالية لمرحلة الخبرات والمهارات السابقة وسطع فى سماء العلم أعلام من أمثال طاليس وأناكسندر وأناكسيموس وأبقراط وفيثاغورس وديمقريطس ، ثم سقراط وأفلاطون وأرسطو ، ممن لا تزال أسماؤهم ترن فى آذان الدهر •

وأهدى الفكر العلمى الى الانسانية فى العصر الاغريقى ما لم يعرف أنه أهدى اليها من قبل قط ؛ من فلسفات وعلوم ونظريات وفروض لا عهد للانسانية بها ؛ وعرف الانسان نظريات كيمائية ونظرية العناصر ونظرية الأعداد ، وعرف آراء ديمقريطس فى الذرة ، وأبقراط فى الطب ، وفيثاغورس فى الرياضيات ، وأفلاطون فى الهندسة وأرسطو فى التشريح والنبات والحيوان والمعادن وظفرت الانسانية بمعلمها الأول أرسطو الذى قدم للمعرفة أعظم اضافة قدمها فرد ؛ وساد العلم الاغريقى وتاهت أثينا على العالم بأكاديمية أفلاطون وليسيوم أرسطو وسيطرت الحضارة العلمية الاغريقية على ما جاورها من بلاد كانت ذات حضارة سادت يوما ، ولكنها لم تقو على الصمود أمام تيار المعارف الاغريقية مما جعل الكثير من المؤرخين يؤرخ بالعصر الاغريقى بداية للمعرفة وأن تبين أن العلم الاغريقى لا يمكن أن يظهر فجاة بهذا السمو فقد استفاد مما سبقه من علوم وحضارات الا أن الذى لا شك فيه أن الفكر العلمى قد قفز فى العصر الاغريقى قفزة هائلة وأهدى الى الانسانية ترفا عقليا الى جانب الحضارة المادية ، ولا أن هذا العصر الذهبى للعلم قد انتهى بموت الاسكندر ومو ت ارسطو بعده بعام واحد ، سنة ٣٢٢ ق•م• ووقع اضطهاد على العلماء اضطرهم للهجرة بجماعات مع البطالمة الى الاسكندرية •

جـ ـ العصر الاسكندرى :

لقد اشتهر البطالمة بحب العلم ورعاية العلماء ، ولذلك لم يكن غريبا أن تنتقل الكثرة الغالبة من علماء أثينا الى الاسكندرية حيث أنشئت جامعة الاسكندرية القديمة منذ القرن الثالث قبل الميلاد ، أنشأها بطليموس ولم تكن معهدا علميا فحسب ، ولكنها كانت تضم مكتبة تحوى مئات الألوف من المجلدات ومتحفا يضم آلاف العينات والنماذج من نبات وحيوان ومعادن •

وحملت الاسكندرية مشعل الحضارة العلمية وغدت منارة للعلم عدة قرون ، وسطع أعلام من أمثال بطليموس واقليدس وأرشميدس وجالينوس وديسقوريدس وأياسوس وبروكلس وجالينوس ، وشارون وهوبانيا وترك هؤلاء العلماء المؤلفات التى كانت مصدرا استقه منه العلماء العرب فيما بعد من أمثال المجسطى فى الفلك لبطليموس وكتابه فى الجغرافيا وآخر فى البصريات والاصول فى الهندسة لأقليدس ولجالينوس كتابه فى الطب ولاوريباسوس جامعه فى الطب ؛ ولديسيقوريدوس؛ كتابه فى النبات ، ولشارون كتابه فى الرياضيات•

ثم انتقلت هذه المعارف العلمية الى الاغريق وكانت جامعة الاسكندرية مركز هذا النشاط العلمى العظيم وأضاف علماؤها الى المعارف العلمية اضافات بالغة الأهمية ومن أسف أن أحرقت مكتبة الأسكندرية مرة بعد أخرى وتدهورت آخر الأمر ووقع الاضطهاد مرة أخرى على العلماء نتيجة خلاف وقع بين المسيحيين والوثنيين واضطر العلماء للهجرة مرة أخرى ، وكانت هجرتهم هذه المرة نحو الشرق تلبثوا حينا فى أثرها ، ثم أمعنوا مشرقين نحو الضوء الذى سطع كالشهاب فى بغداد حاضرة العباسيين

د ـ العصر العربى الاسلامى :

وليس من شك فى أن الدين الاسلامى كان دفعة قوية للفكر العلمى لكى يتفتح وينتشر ويزيد فى معارف الانسان ورفاهيته أليست معجزته الخالدة كتابا هو القرآن الكريم ؛ أليست أول اياته « اقرأ » ألا تدعو كثير من آياته الى التفكير فى ملكوت السموات والأرض والكون والكائنات كيف خلقت ؟

ومم خلقت ؟ ألا تفرق الآيات بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون وبين الذين أتوا العلم والذين لم يؤتوه • ألم يفضل الرسول مجلس العلم على مجلس الذكر ، ألم يقسم الناس الى ثلاث فئات ، عالم ومتعلم والباقى جاهل ! ألم يدع الى طلب العلم من المهد الى اللحد والى طلب العلم ولو فى الصين •• ألم يوازن بين مداد العلماء ودماء الشهداء ؛ ألم يقل غدوة فى سبيل العلم خير من مائة غزوة •• الى آخر مالا يكاد يقع تحت حصر من ايات وأحاديث وكلها حض على طلب العلم •

وما ان استقرت الدولة الاسلامية وامتدت الامبراطورية من مشارف الصين شرقا الى جنوب فرنسا غربا حتى أخذ المسلمون ينهلون من موارد العلم بمختلف فروعه وفنونه فأخذوا يترجمون الذخائر العلمية وينقلون الى اللغة العربية علوم الاغريق والرومان والفرس والهنود ، ترجموا من الاغريقية والفارسية والقبطية والآرامية والسريانية والهندية ونقلت ألوف الكتب من المكتبات القديمة وأقيمت دور الكتب والمكتبات وفتح الخلفاء والامراء قصورهم للعلم والعلماء وتنافس الخلفاء والحكام فى رعاية العلم والعلماء واستبقوا فى الانفاق فى سخاء على العلم والعلماء وقبل الرشيد الجزية كتبا كما دفع المأمون وزن مايترجم ذهبا • وقبل انشاء المدارس كانت قصور الخلفاء ومنازل العلماء ودور الكتب والمساجد بمثابة ـ جامعات يحج اليها طلاب العلم من كل أرجاء العالم وجاء وقت كان كل طالب علم يجد مكانا يتعلم فيه ومعلما يعلمه وراتبا يقوم بأوده وكان الجامع المنصور فى بغداد والجامع الاموى بدمشق والجامع الازهر بالقاهرة وجامع الزيتونة بتونس وجامع القرويين فى المغرب وجامع قرطبة فى الاندلس والجامع الكبير بصنعاء الى جانب بيت الحكمة فى بغداد ودار العلم فى الموصل ومكتبة ابن سوار فى البصرة ومكتبة ابن الشاطر فى الشام ودار الحكمة بالقاهرة كانت جميعا بمثابة معاهد للعلم فى أرقى صوره وكانت هذه النهضة العلمية فى رعاية الخلفاء والحكام من أمثال المأمون ونظام الملك ونور الدين زنكى والحاكم بأمر الله وصلاح الدين الأيوبى ممن يوضعون على القمة من حيث رعاية العلم والعلماء •

لقد كان المناخ العلمى مهيئا لظهور عدد من العلماء يقرنون الى أعاظم العلماء فى كل عصر وآن • فقد كانت حرية الرأى العلمى متاحة وكان التوقير والتقدير من الولاة والحكام موفورا كما كان العلماء يستقلون بعلمهم ويزهدون فى الترف والمال والسلطان أغلب الامر كما كان استعدادهم الذهنى وذكاؤهم الفطرى وجلدهم العجيب على العمل مما أتاح لهم هذا الانتاج الضخم وكانت العربية لغة العلم يكتب بها العلماء ليقرأها الناس فى كل صقع من أصقاع الوطن الاسلامى الكبير وازدهرت الحركة العلمية أيما ازدهار وبلغ عصر الترجمة أوجه فى عصر المأمون ثم أقبل العلماء على التأليف والكتابة فى مختلف فروع المعرفة العلمية نقلوا علوما وابتكروا أخرى وأضافوا كثيرا من الاراء والنظريات التى نسبت الى غيرهم • تكلموا فى التطور قبل داروين بمئات السنين قال به ابن مسكويه واخوان الصفاء وابن خلدون وتحدثوا فى الجاذبية بل ربطوا بين السرعة والثقل والمسافة وان نسب كل ذلك الى نيوتن وقد ثبت أن الخازن والادريسى وابن شاكر قد تحدثوا فى ذلك قبل نيوتن بمئات السنين ، وتحدث ابن خلدون عن أثر البيئة على الاحياء قبل لامارك بقرون كما شرح ابن النفيس الدورة الدموية الصغرى قبل هارفى ببضعة قرون وكذلك الحال فى طبيعة الضوء وسرعته وانكساره فقد كتب ابن الهيثم فى ذلك قبل ابطاله من علماء أوروبا كذلك قاسوا محيط الارض وسجلوا مبادرة الاعتدالين ؛ وقدروا حجوم الكواكب وما بينها من مسافات قبل جاليلو وكوبرنيه وأضافوا الى المعارف الفلكية وقاموا برصدات كثيرة قام بها البيرونى والبستانى والفرغانى والصوفى والكندى وابن يونس والخوارزمى وغيرهم •

وابتدع الخوارزمى استعمال الارقام فى الحساب بدلا من حساب الجمل الذى كان سائدا واختار سلسلتين من الارقام الاولى تعرف بالارقام الهندية (أو ١ و٢ و٣ و•••) والثانية تعرف بالارقام الغبارية أو العربية ، وتستعمل الأولى فى أغلب البلاد العربية •• والثانية فى بلاد المغرب العربى وفى أوروبا • كذلك أنشأ الخوارزمى من معلومات مشتتة فى الحساب والجبر علمى الحساب والجبر وعلمهما للناس أجمعين •

وكذلك ألف العلماء العرب فى النبات والحيوان والمعادن والفلك والرياضيات والكيمياء والصيدلة وحساب المثلثات والهندسة والطب والموسيقى وغيرها ولا يمكن أن يجحد فضل ابن الهيثم والبيرونى والكندى والغافقى والبغدادى والقزوينى وابن سينا وابن مسكويه والجاحظ والخازن وجابر ابن حيان وابن النفيس وابن البيطار وداود الانطاكى

والمقدسي والبستاني والفرغاني والادريسي وابن ماجد والدينوري والدميري والصوفي ابن حمزة بن يونس والرازي والجلدكي والخوارزمي وموسى بن شاكر وغيرهم • وظلت مؤلفات هؤلاء العلماء المراجع المعتمدة في جامعات أوروبا حتى القرن السابع عشر واعترف عدد كبير من مؤرخي العلم بفضلهم على العلم والانسانية حتى قال قائلهم أنه لولا أعمال العلماء العرب لاضطر علماء النهضة الاوروبية أن يبدأوا من حيث بدأ هؤلاء ولتأخر سير المدنية عدة قرون وحتى قال آخر أن كثيرا من الآراء والنظريات العلمية حسبناها من صنعنا واذا بالعرب سبقونا اليها •

وظلت الامة الاسلامية والعربية حاملة لواء النهضة عدة قرون في وقت كانت أوربا ماتزال في الظلام وأهدى الفكر العلمي في العصر الاسلامي الى الانسانية كثيرا من مظاهر الترف والحضارة والعلم والصناعة والرفاهة كما أهداها معلمها الثاني والثالث الفارابي وابن سينا ولوقدر لهذه النهضة العلمية الشاملة أن تستمر في عنفوانها وانتشارها لكانت هذه النهضة التي تتيه بها أوروبا في العصر الحاضر من نصيب الامة العربية وكانت تتقدم في تاريخها عدة قرون وكانت لغتها تكون العربية ؛ وقد كانت هناك أربعة لقاءات بين الاسلام وأوربا أثمرت بذر بذور النهضة الاوروبية فقد كان اللقاء الاول في أسبانيا العربية (الاندلس) واستمر عدة قرون وكان الثاني في صقلية واستمر بضعة قرون ثم لقاء الحروب الصليبية وأخيرا كان اللقاء الرابع عن طريق الامبراطورية العثمانية في شرق أوروبا •

وكان العلم العربي الاسلامي الذي أخذ ينتشر في أوروبا هو ثمر هذه الاتصالات وبذرة النهضة الاوروبية •• فقد وقعت بغداد تحت سنابك الغزاة من المغول والتتار وسقطت الأندلس في يد الفرنجة في المغرب وتداعت دويلات المشرق والمغرب العربي واحدة بعد الاخرى تحت وطأة الاستعمار التركي ثم الغربي •• وصحت أوروبا •

والاعتقاد السائد أن العرب في العصر الاسلامي كانوا أهل أدب وفلسفة وغير ذلك من ألوان المعارف الأدبية أو رجال مذاهب وفرق دينية وتصوف وما اليه من معارف دينية وتجاهل أو تناسى أثرهم في العلوم الطبيعية التجريبية بل علو كعبهم وسبقهم فيا أكاد أن أقول وتفوق انتاجهم فيها على انتاجهم في سائر المعارف الاخرى •!

لقد اشتهرت في هذا العصر مجالس العلم والادب وازدهرت الصالونات العلمية والفنية والموسيقية وظلت صالونات العلم والادب فيما يروى الاغاني، أرفع قدرا وفي عهد الرشيد وكان واسع الثقافة ، جمع حوله صفوة من العلماء الادباء وكذلك فعل المأمون ؛ بلغت هذه الصالونات وتلك المجالس الذروة كانوا يجتمعون لمناقشة آراء سقراط وأفلاطون أو لدراسات علمية أو أدبية أو دينية وقد أثرى العلماء العرب المكتبة العربية بكتب التراجم التي جمعت تاريخ هذه الحقبة الزاهرة •

يقول المستشرق فون جرينارم ، ان مجموعة كتب التراجم التي أنتجها العلماء المسلمون لشيء يدعو للدهشة والاعجاب لكثرتها ودقتها وماجمعته من مادة رائعة وأن علماء الغرب في العصور الوسطى ليس لديهم ما يقارن بنتائج معاصريهم من العرب في هذا الميدان وفي الحق أن كتب التراجم لتمثل جانبا غنيا في الحياة العلمية الاسلامية وهي منظمة تنظيما دقيقا للاطباء تراجعهم وكذلك الادباء والشعراء والعلماء والفقهاء • والى جانب هذا التوزيع العلمي ، توزيع زمني ، مثل كتاب الدرر الكامنة في أعيان المائة الثانية •

والضوء اللامع في أعيان الفرق التاسع والكواكب السائرة في تراجم علماء المائة العاشرة وخلاصة الأثر في تراجم علماء القرن الحادي عشر وسلك الدر في أعيان القرن الثاني عشر كما تحوي كتب وفيات الأعيان لابن خلدون وأخبار الحكماء للقفطي وعيون الأنباء في طبقات الاطباء لابن أبي اصيبعة وغيرها كثير تحوي اشارات قيمة الى الجماعات العلمية والادبية في تلك العصور

والى جانب كتب التراجم توجد كتب الرحلات كابن بطوطة والمقدسي وابن جبير والبغدادي وغيرهم وأنها لتحوي معلومات علمية على أعظم جانب من الأهمية من وصف للنباتات والحيوانات والاسماك والطيور والمعلومات الطبية والتاريخية والجغرافية وقد كتب بأسلوب سهل جذاب خال من التعقيد والالتواء •

يقول برنال (ان الفضل أعظم الفضل للعلماء العرب في الحفاظ على التراث العلمي وتدوينه ونقله والتأليف فيه وأن العلماء العرب قد بلغوا في ذلك شأوا وتفوقوا على الاغريق أن جعلوا العلم سهلا مستساغا فأقبل الناس على المنهل منه وكانت ميزة تفرد بها العلم العربي الاسلامي •

الخلفاء الراشدون
وأعلام الإسلام

المسعودى

المؤرخ الجغرافى الرحالة

دكتور على حسنى الخربوطلى

هو على بن الحسين بن على ، من ذرية الصحابى الجليل عبد الله بن مسـعود ، ولذا عرف باسـم المسعودى • ويكنى بأبى الحسن • وهو فى مقدمة اعلام الاسلام ، ومن ابرز المفكرين ، وقد اشتهر بأنه فى طليعـة المؤرخين والجغرافيين العرب المسلمين ، كما أنه من كبار الرحالة الذين جابوا ارجاء العالم القديم •

نشأ المسعودى فى مدينة بغداد ببلاد العراق ، وكان ينتسب الى أسرة عربية عريقة ، واهتمت أسرته بتعليمه وتثقيفه ، وتنشئته نشأة عربيـة اسلامية • وكانت بغداد حينئـذ مركزا من أعظم مراكز العلم الكبرى فى العالم • ثم أراد المسعودى أن ينمى ثقافته ويزيد معلوماته ، بعد أن نهل العلـوم من مناهلها المختلفة فى بغداد ، فرأى أن يرحل الى الأقطار المختلفة ، عربية وغير عربية ، ليستمـد المزيد من المعلومات من مشاهداته • وكانت بغداد حينئذ تمـر بفترة سياسية قلقة • فقد تميز العصر العباسى الثانى بسيطرة عناصر أجنبية متعددة على الخلفاء العباسيين ، فرأى المسعودى الرحيل عن بغداد ليكـون أكثر حرية فى تدوين تاريخ هؤلاء الخلفاء العباسيين •

بدأ المسعودى رحلاته فى سنة ٣٠٩ هـ ، فرحل الى فارس وكرمان واصطخر والهند وسيلان والصين أما الرحلة الثانية للمسعودى فكانت سنة ٣١٤ هـ الى ماوراء اذربيجان ، ثم رحل بعدها الى بلاد الشام فلسطين وفى سنة ٣٣٢ هـ رحل المسعودى الى انطاكيه، وزار ثغور الشام ، ثم عاد الى البصرة •

لم تكن رحلات المسعودى هذه للنزهة أو التجارة كغيره من الرحالة ، بل كانت للاستقصاء والبحث ولذا جمع الكثير من الحقائق التاريخية والجغرافية فتفوق بذلك على المؤرخين الذين دونوا تاريخهم معتمدين على الروايات أو على انتاج من سبقهـم دون أن يعتمدوا على المشاهدة،كما تفوق المسعودى على الرحالين الذين دونوا أخبارهم دون ان يضعوا لها منهجا علميا واضحا محددا ، كما تفوق عـلى الجغرافيين العرب الذين اقتصرت دراستهم عـلى النواحى الجغرافية دون الاهتمام بالدراسـات التاريخية وكان رحلات المسعودى اكثر جدوى واهمية من رحلات المقدسى والبيرونى مثلا،فقد تميز عنهما بالدقة والعمق •

جاب المسعودى أرجاء العالم القديم ، وتعـرض لكثير من الأخطار والمغامرات وشعر بحاجتـه الى الاستقرار مرة أخرى ، فكانت نهاية المطاف فى مصر فقد استقر فى مدينة الفسطاط سنة ٣٤٥ هـ • وقد نتساءل عن سبب اختيار المسعودى الاقامة فى مصر دون غيرها من الأقطار العربية والاسلامية وقـد نتساءل أيضا عن سبب عدم عودته ثانية الى وطنه الأول فى بغداد ، رغم انه كان يشـعر فى مصر بالحنين الى بلاد العراق عامة وبغداد خاصة وقد عبر عن حنينه لوطنه فى كثير من مواضع كتبه ، وأشاد بالوطنية وكل من يشعر بالوفاء نحو وطنه وأطنب فى امتداح بلاد العراق وأبرز محاسنها

ويمكننا ان نعلل ذلك بعاملين ، أولهما اضطراب الاحوال السياسية الداخلية فى بغـداد ، نتيجة تنازع وتصارع كثير من القوى غير العربية حول السلطة والنفوذ مثل الأتراك والبويهيين ، وثانيهما ما اشتهرت به مصر من هدوء واستقرار ونهضة علمية وثقافية وكان الاخشيديون يحكمـون مصر حينئذ وقد حققوا لمصر نوعا من الشخصية المستقلة

ظل المسعودى مقيما فى مدينة الفسطاط بمصر حتى توفى فى السنة التالية (٣٤٦ هـ) وقد نشر فى مصر كتابه (مروج الذهب) فكان لذلك أثره فى تقدم الدراسات التاريخية فى مصر

وضع المسعودى عشرات من الكتب ، حوت اخبار رحلاته ومشاهداته وتجاربه ولكن كثيرا منها كان مصيرها للاسف الضياع ، وأشهر الكتب التى وصلتنا هى مروج الذهب والتنبيه والاشراف)

ويعتبر كتاب مروج الذهب من أبرز المصنفات العربية الاسلامية ، وهو دراسة تاريخية جغرافية ربط فيها المسعودى بين الزمان والمكان كما اهتم الكتاب بالدراسات الاجتماعية والاقتصادية فنجد فيه صورا كثيرة لحياة عديد من الشعوب العربية وغير العربية • وانفرد المسعودى فى هذا الكتاب عمن سبقه من الجغرافيين العرب اذ تحدث عن الشعوب والبلاد المجاورة للعالم الاسلامى فى عصره ، كما تميز عنهم بالدقة والعمق وطرق المسعودى موضوعات جديدة لم يطرقها من سبقه من المؤرخين المسلمين . فقد تحدث عن تواريخ الهند والفرس والروم واليهود ، كما أبرز تاريخ العرب فى العصر الجاهلى وأديانهم وعاداتهم وأيامهم •

أما كتاب (التنبيه والاشراف) فقد جمع المسعودى فيه ألوانا متعددة منوعة من الثقافات والعلوم فقد لخص فيه آراءه فى فلسفة التاريخ ، ووصف صورا من الكون ، وتحدث عن تطور آراء الفلاسفة والعلاقة بين كل من الحيوان والنبات والمعدن • ونجد فى الكتاب أيضا صورا تاريخية اسلامية وصورا جغرافية ، ووصفا لكثير من البلاد والاقاليم •

وضع المسعودى منهجا تاريخيا جديدا وطور الدراسات التاريخية فقد حاد عن طريقة التأريخ بالسنين ، وقسم تاريخه تقسيما موضوعيا ،وجعل الشخصيات التاريخية أحيانا محورا لدراسته وخاصة عند حديثه عن العصر الاسلامى • ومزج المسعودى الدراسات التاريخية بالجغرافية وفتح آفاقا جديدة فى الدراسات الاجتماعية والاقتصادية والدينية واهتم بمعالم الحضارات المختلفة

اتبع المسعودى طريقة النقد التاريخى ، فلم يجامل احدا ولم يتحامل على أحد • ورغم ميله الى مبادىء المعتزلة الا انه لم يتعصب لها وساعد المسعودى على انتهاج هذه السياسة انه كان بعيدا عن التيارات السياسية والمذهبية التى دفعت بعض المؤرخين الى العصبية أو الشعوبية • وأمضى المسعودى معظم سنوات حياته فى رحلات مستمرة فلم يقع تحت سطوة حاكم أو أمير ، مما يجعله يتملقه أو يتحامل عليه ، واعتاد المسعودى الحرية فى التنقل ومارس هذه الحرية فى كتابته ، وأصبح حرا فى نقده التاريخى ، حتى انه لم يجد حرجا فى انتقاد الخلفاء العباسيين المعاصرين له ووصفهم بالضعف وسيطرة الأتراك عليهم

ولم يلجأ المسعودى الى السرد التاريخى ، بل اهتم بالتحليل التاريخى ، والبحث عن المسببات والدوافع ، ونقد الأحداث ، فوصل الى نتائج هامة • واعتمد المسعودى على المشاهدة ؛ فقد كان شاهدا عيانا لكل الأماكن والشعوب التى تحدث عنها ولم يعتمد على الروايات السماعية التى اعتمد عليها من سبقه من المؤرخين ،وساعده على ذلك رحلاته العديدة اذ جاب أرجاء العالم القديم ، ولذا كانت أخباره تنبض بالحياة وتتصف بالواقعية وتبعد عن الخيال أو اضافات الرواة وتحريفهم للوقائع

وتميز المسعودى عن غيره من المؤرخين بما نسميه اليوم بالعقلية التاريخية ، والحاسة التاريخية ، وظهرت عقلية المسعودى التاريخية واضحة فى كتابه مروج الذهب فقد اهتم بالتطور الزمنى ، وربط بين الاحداث التاريخية وعقد كثيرا من المقارنات • أما الحاسة التاريخية فقد اكتسبها المسعودى من رحلاته العديدة الى بلاد

تختلف تماما فى معالمها وحضاراتها ، ولما كان هدفه من الرحلات البحث والاستقصاء فقد اهتم بأن ينظر الى كل مايراه بعين النقد والاختبار والتحليل ووازن بين مشاهداته وبين ما سمعه من قبل أوقرأه فى الكتب

وفى كتاب مروج الذهب أيضا نجد صورا لبعض جوانب المسعودى النفسية فهو صورة صادقة للوطنى المخلص ، وبرغم انه قضى اكثر من خمس وعشرين سنة فى تجوال دائم ، حتى أصبح شخصية عالمية ، الا أنه لم ينس موطنه الأصلى بلاد العراق ، حيث ولد ونشأ ولذا نرى المسعودى فى كثير من مواقع كتابه يعبر عن حنينه الى هذه البلاد وشوقه لرؤيتها

وتبدو فى كتب المسعودى أيضا ثقة المسعودى بنفسه ، واعتزازه بما وصل اليه من علم وثقافة ودراية ، وبما قام به من جهودومغامرات وما لاقاه من أهوال ومصاعب • ولكن المسعودى ، وان اعتز بعلمه وثقافته فهو يبدو فى كثير من صفحات كتبه بمظهر المتواضع •

ويدرك المسعودى قيمة كتبه ويقدرها حق قدرها ولذا فهو ينهى عن التصرف فيها فى أى صورة ، ويخوف من ذلك • ويذكرنا هذا بما نراه اليوم فى مقدمات بعض الكتب الحديثة التى يحذر مؤلفوها كل من تسول له نفسه أن ينقلها أو يترجمها او يطبعها بدون اذن المؤلف •• وان كان المؤلف المحدث يهدد اليوم باللجوء الى القضاء فالمسعودى يهدد من يعبث بكتابه بغضب الله عليه وسرعة نقمته وان الله سينزل به البلاء ويجعله مثلة للعالمين وعبرة للمعتبرين •

اهتم المفكرون الغربيون بالمسعودى وانتاجه العلمى فقاموا بترجمة كثير من كتبه منذ القرن التاسع عشر الى كثير من اللغات الأوروبية وقال بعضهم عنه انه (بلينوس الشرق ، وقال البعض الآخر عنه انه (هيرودوت العرب)

الإمام الشعرانى

آثرت البدء بالحديث عن الامام الشعرانى رضى الله عنه كامام فى علوم الشريعة عامة والفقه بوجه خاص ـ وان كان التصوف يمثل الجانب الاكبر من شخصيته ـ قاصدا بذلك ابراز نقطتين على جانب كبير من الاهمية •

أولاهما : أن التصوف الحقيقى لا يقوم أساسا الا مرتكزا على دعائم قوية من العمل بالشريعة المحمدية والتخلق بها . وهذا بالطبع يستلزم الاحاطة الدقيقة بالعلوم الشرعية والالمام بأصولها وفروعها حتى يمكن أن تطبق سلوكيا وعمليا ومن ثم تفضى العبادة بالعابد الى المعبود • وهنا حقيقة التصوف

أما النقطة الثانية • فهى ازالة اللبس عن فريق من الناس يعتقد أن ثمة انفصالا أو تباينا بين الشريعة والحقيقة وهذا اعتقاد بجانب الصواب بالكلية . فما الشريعة والحقيقة الا وجهان لشىء واحد احدهما ظاهر للعام والخاص . والآخر باطن لا يطلع عليه الا الخواص • وشاهد ذلك هو تمثل الجانبين (الشرعى والحقيقى) على أوسع نطاق فى شخصية الامام الشعرانى رضى الله عنه .

ولكى نتعرف على الشخصية الشعرانية فى صورتها العلمية الفريدة : نجد لزاما علينا ان نتتبع المسار التاريخى لهذه الشخصية حتى نلتقى بالمسار العلمى الذى نرى من خلاله أبعاد هذه الصورة بوضوح • ولد الامام الشعرانى سنة تسع وتسعين وثمانمائة هجرية ببلدة قلقشندة باقليم القليوبية من أصل شريف ينتمى الى الدوحة العلوية الهاشمية • فهو : أبو المواهب سيدى عبد الوهاب ابن الشيخ أحمد ابن الشيخ على ابن الشيخ احمد •• الذى ينتهى نسبه الى سيدى محمد بن الحنفية ابن سيدنا على كرم الله وجهه . وجده السابع هو السلطان أحمد الزغلى سلطان تلمسان بالمغرب • ففى أصله العريق يتلاقى الملك والشرف ولكل منهما انطباعه النفسى والبيئى فى حياته رضى الله عنه .

عالما .. وفقيها

الأستاذ جوده محمد أبو يزيد المهدى

وترجع تسميته بالشعرانى لانتسابه الى قرية ابيه (ساقية بنى شعرة) التى انتقل اليها بعد اربعين يوما من مولده والتى عاصرت صباه الحافل ببوادر الفتوح الالهى اذا اتم حفظ القرآن الكريم وهو فى السابعة من عمره . وكان وهو فى الثامنة يقوم الليل بالقرآن تهجدا وتعبدا ثم لحق والده بربه وهو فى التاسعة وشرع بعد حفظه للقرآن الكريم فى حفظ متون العلم فقهها ونحوها وقراءاتها ثم أخذ فى شرحها ودراستها على يد أخيه سيدى الشيخ عبد القادر . وفى سنة ٩١١ هـ ارتحل مع اخيه الى القاهرة طلبا للعلم فى الازهر الشريف واتصل بأقطاب العلم فى عصره كالامام السيوطى والامام اللقانى وشيخ الاسلام سيدى زكريا الانصارى وشهاب الدين الرملى الشافعى وافرغ كل منهم خلاصة علمه وصفوة فكره فى صدر الامام الشعرانى اعتزازا منهم بنبوغه واقباله على العلم بهمة نادرة وعزيمة جبارة . لقد كان يعشق العلم ويبذل فى سبيله اغلى ما لديه . كان يقضى الليالى ساهرا ينتقل بين رياض الكتب وذخائر المصنفات بنهم وولع يفوقان حد الدهشة أجل كان يعشق العلم لأنه كان يجد فيه ذاته وحقيقته ، ولانه وسيلته للتقرب من ربه عز وجل ولكى يزاوج الامام الشعرانى بين تربيته العلمية وتربيته الروحية اتصل بأول شيوخه فى الطريق سيدى على الشونى رضى الله عنه ونهل من مورده العذب النورانى قوت روحه وغذاء قلبه وبعد خمس سنوات قضاها الامام الشعرانى فى الازهر الشريف طالبا لعلوم الشريعة وتحت اشراف شيخه نور الدين الشونى طالبا لعلوم الحقيقة : انتقل الى مسجد سيدى أبى العباس الغمرى وكان هذا المسجد يعد بمثابة معهد علمى يضم الى جانب صفوف الصلاة ومجالس الذاكرين حلقات العلم ويقوم بالتدريس فيه جهابذة العلماء . فانتجع الامام الشعرانى هذا الروض مزاوجا بين العلم الوهبى والعلم الكسبى مؤتمرا بأمر مربيه ومرشده سيدى الشونى فى عقد مجلس فى هذا المسجد للصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم

وبعد ان قضى فى هذا المسجد ما شاء الله له انتقل الى مدرسة تدعى (أم خوند) بخط كافور الاخشيدى وهناك تألق نجمه وغمرت شهرته سائر بقاع الارض اماما فى علوم الشريعة والحقيقة . هذا عرض موجز يمثل الخطوط العريضة للحياة العلمية التى حفلت بها شخصية الامام الشعرانى رضى الله عنه .

ويهمس فى خاطر كل من يعنى بدراسة هذا الامام تساؤل حائر : أى سر يكمن فى شخصية هذا الرجل جعله يقتحم غمار العلوم بشكل لم يعهد له مثيل لا فى قرنائه فحسب بل على امتداد الصعيد العلمى فى طول البشرية وعرضها . لقد كان يطالع أوسع الشروح فى ليلة واحدة ويكتب عليه من الحواشى والزوائد ما يفوق به الاصل . ثم يرفق هذا بذاك ويرسله الى شيخه الذى يقرأ عليه فيتعجب شيخه من سرعة مطالعته لهذه المواد ويقول : لولا انك تلخص زوائدها لقلت انك لم تنظر فيها فضلا عن أن تطالعها كلها . ولنقرأ ماكتبه بنفسه عن اطلاعاته العلمية فى كتابه الميزان . لقد ذكر من أسماء المصنفات التى قرأها فى شتى فروع العلم ما يفرق العقول فى الدهشة . اذ قسم هذه الاطلاعات الى ثلاثة أقسام : القسم الأول : فيما حفظه من الكتب عن ظهر قلب ويشمل ذلك حشدا هائلا من متون العلم من فقه ونحو ولغة وحديث أمثال كتب المنهاج والايضاح وألفية ابن مالك والفية السيوطى والفية العراقى والشاطبية وغيرها . والقسم الثانى فيما قراه من شروح هذه المتون وغيرها على كبار علماء عصره كشيخ الاسلام سيدى زكريا الانصارى والشيخ أمين الدين والامام السيوطى . وعد من هذا القسم حوالى مائة شرح حافلة بالروائع المصنفة من شروح الصحيحين وأسفار التفسير . بل ذكر أنه طالع بعض هذه الشروح على أساتذته عشر مرات . أما القسم الثالث : فذكر فيه ما طالعه لنفسه من مئات المصنفات والتى يبلغ أحدها وهو تفسير ابن النقيب المقدس مائة مجلد وهو أوسع ما رئى فى علم التفسير . ويسترسل فى

ذكر مطالعاته بصورة مذهلة . فمن الكتب ما قراه ثلاثين مرة كتفسير الجلالين ومنها ما قراه ثلاث مرات كالام للامام الشافعي . بل ان منها ما طالعه باشارة باطنية من الرسول صلى الله عليه وسلم ككتاب المدونة الكبرى فى فقه المالكية . وتفصيل الكتب التى طالعها مذكور فى كتاب الميزان ص ٦١ وبديهى أن هذه الصورة التى نراها فى اطلاع الامام الشعرانى على مصنفات العلوم – وهى صورة موسوعية الى مدى بعيد – لابد وان تثمر قطوفا دانية وجنى شائقا من تاليف هذا الامام العالم . وحقا كانت كذلك فقد تمخضت عبقرية هذا الامام عن نتاج غزير ومثمر اذ ذكر صاحب المناقب الكبرى أن مؤلفات الامام الشعرانى جاوزت الثلاثمائة كتاب فى مختلف العلوم من تفسير وحديث وطب ولغة وتصوف وفقه فى مختلف المذاهب . وبعض هذه المؤلفات يقع فى خمسة مجلدات . ومن أشهر مؤلفاته : الطبقات الكبرى والميزان فى الفقه المقارن واليواقيت والجواهر فى بيان عقائد الاكابر ولوامع الأنوار القدسية فى بيان العهود المحمدية ولطائف المنن والأخلاق الى غير ذلك . وله كتاب يدعى (تنبيه الاغبياء على قطرة من بحر علوم الاولياء) ذكر فيه نحو واحد وسبعين ألف علم . ثم لما رأى غالب العقول تحيرت منه غسله فى البحر . من أى طراز كان هذا الرجل ؟ انه نسيج وحده . وانه ماوصل الى هذه الدرجة من العلم الا بالمفتاح القرآنى (واتقوا الله ويعلمكم الله) . ولننظر اليه فقيها يتربع على قمة لم يصلها الا الاقلون . ان مؤلفين من مؤلفاته وهما (الميزان الكبرى) و (كشف الغمة عن جميع الامة) لم يحظ بمثلهما فقيه . وحقا أقول ان كتاب الميزان خاصة لم يسبق الى مثله عالم بل ولم يلحق أيضا اذ يقول عن سبب وضعه أنه (الوصول الى مطابقة القلب للسان فى صحة اعتقاد أن سائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم فى سائر أقوالهم . فلذلك أنعمت النظر لهم فى سائر ادلة الشريعة واقوال علمائها فرايتها لا تخرج عن مرتبتين تخفيف وتشديد فالتشديد للاقوياء والتخفيف للضعفاء) وقد امسك الامام الشعرانى ميزان الشريعة بيده مستندا الى كشفه وذوقه لعين الشريعة من جهة والى الاسانيد النقلية التى حصلها من جهة اخرى واخذ يعرض لسائر ابواب الفقة ومسائله فى كفتى ميزانه ثم يحللها ويقارن بينها ويرجح الراجح منها فى مقدرة فائقة بحيث يستشف الباحث من خلال تحليله ومقارنته وترجيحه عمق احكام الشريعه واتساع افقها ورسوخ اقدام ائمتها ورفع الحرج عن المتلمسين لسبل الهداية على ضوئها . وليت شعرى كيف نترك تراثنا الاسلامى العريق فى ميادين التشريع الاسلامى حبيس المكتبات ونعكف على تراث الغرب تاركين زادنا الاصيل الى ما اخذه الغير منا .

فلنستمع الى شهادات رجال الاستشراق انفسهم وأقوالهم عن امامنا الشعرانى : يقول المستشرق فولرز : (ان الشعرانى كان من الناحية العلمية والنظرية صوفيا من الطراز الاول وكان فى الوقت نفسه كاتبا بارزا أصيلا فى ميدان الفقه واصوله وكان مصلحا لا يكاد الاسلام يعرف له نظيرا ، وان كتبه التى تجاوزت السبعين عدا من بينها اربعة وعشرون كتابا يعتبر ابتكارا محضا اصيلا لم يسبق اليه أبدا ولم يعالج فكرتها احد قبله) ويقول المستشرق ماكدونالد (ان الشعرانى كان رجلا دراكا نفاذا مخلصا واسع العقل) ويقول عنه فى كتاب آخر (انه كان يجمع بين أعظم المميزات قضاء وأنه كان مشرعا ذا أصالة ونفاذ . كان عقله من العقول النادرة الخلاقة فى الفقه بعد القرون الثلاثة الاولى فى الاسلام) .

والآن نقول : ان هذه الآراء التى ادلى بها المستشرقون عن الامام الشعرانى لاتضيف له مجدا جديدا بقدر ما تحملنا نحن تبعة التقصير فى حق تراث هذا الامام العظيم ، وان كتابا آخر له وهو كشف الغمة عن جميع الأمة ليضيف الى تراثه الفقهى تعزيزا مشرفا اذ جمع فيه أدلة المذاهب الاربعة وغيرها فى شتى فروع الفقه ومسائله وأودعه معظم ادلة المجتهدين واستوفى فى كل باب منه ماروى فيه من الاحاديث الصحيحة مع توجيه الادلة وكشف غوامض المباحث فى اسلوب سهل ممتنع وفى اطار روحى عذب وأصالة منهجية .

وبعد :

فالامام الشعرانى قد أسدى الى أمة الاسلام خدمات جليلة وأضاف الى العلم تراثا لم يأخذ حقه من العناية به والافادة منه . وأثرى حياتنا العلمية والروحية بفيض ذاخر قدمه من ذوب وجدانه قربانا خالصا لله لينفع به أمة الاسلام . فجزاه الله عن الاسلام والمسلمين أحسن ما يجازى به اولو الفضل المخلصون ونفعنا بعلمه وبركته فى الدارين انه سميع مجيب .

الأفغاني الأول

عالم ... له علينا من الذكر والتقدير .. حق

الأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف

دعوة كريمة تحمل معنى العرفان والتقدير ، تلك التى ينهض بها المجلس الأعلى للشئون الاسلامية فى هذه الأيام للاحتفال بذكرى مرور مائة عام على قدوم السيد جمال الدين الافغانى فى مصر والعمل على أن يكون هذا الاحتفال فى صورة من الروعة تتناسب ومكانة هذا المصلح الحكيم ، والثائر العظيم الذى بعث الاسلام من مرقده بعثا جديدا ، وايقظ الأمة الاسلامية من سباتها الطويل العميق الى الكفاح والثورة على الاستعباد والظلم ، والجهل والوهم ، ولقد اقام فى مصر ثمانية أعوام كاملة ، يربى ويعلم ويوجه ، وينادى بالاصلاح الدينى والاجتماعى والسياسى ، ويفتح عيون النائمين على مآرب الاستعمار المنهمة ، حتى تأصلت دعوته فى العقول والقلوب والنفوس ، وخلقت تيارا قويا من اليقظة والوعى مازال يسرى فى العروق الى اليوم

على أننا فى مقام الذكرى والتقدير للمصلح الحكيم السيد جمال الدين الأفغانى يجب الا ننسى عالما آخر وحكيما نابها من ابناء افغان وفد على بلادنا من قبل وكان له فيها فضل كبير ، وعمل صالح نافع ، وان له علينا حق الذكرى والتقدير ، وأعنى به الشيخ محمد اكرم الافغانى ، وقد سميته بالأفغانى الأول لأنه قدم الى مصر قبل قدوم السيد جمال الدين اليها بسنوات ، واقام بها ينفع الناس بعلمه وحكمته ويفيض عليهم من فضله ومعرفته وكان قدوة فى الورع وعزة النفس ، فأكبره الشيوخ والعلماء ، وعظمه الحكام والامراء ؛ وأقبل عليه الطلاب والمريدون حتى تخرج عليه عدد من الاعلام النابهين الذين كانوا طلائع النهضة والاصلاح فى مصر والشرق الاسلامى

وفى الحق أن قدوم الشيخ اكرم الافغانى الى مصر والمكانة الكبيرة التى نالها بين العلماء والحكام ، كانت بمثابة المقدمة والتمهيد لتلك المكانة الكبيرة التى تهيأت للافغانى الكبير السيد جمال الدين من بعده بين أهل مصر ، ولا شك أن السيرة الطيبة العطرة التى تركها الأفغانى الأول فى أوساط العلماء والحكام هى التى جعلت أهل مصر يستقبلون الافغانى الثانى ذلك الاستقبال الحافل ، ويتعلقون به ذلك التعلق الكبير ويلحون عليه فى الاقامة بينهم ، ويهيئون له أسباب هذه الاقامة من كفاية العيش ، وحرية القول ، والتصدى لشئونهم الخاصة ، فأقام فى مصر ثمانية أعوام كاملة

وكان قد وفد عليها عابر طريق ، وفى نيته أن يغادرها بعد أيام الى حيث يشاء وتشاء له المقادير.

فمراجعة حياة الافغانى الاول ، والتعرف على المكانة التى بلغها فى مصر يفسر لنا كثيرا من المواقف فى حياة الافغانى الثانى فى مصر من بعده ، ويجيب عن كثير من الأسئلة والاستفسارات التى اثارها بعض الباحثين الذين كتبوا عن اقامة السيد جمال الدين الافغانى بين المصريين ؛ وأخذوا يتعسفون فى تلمس الأسباب التى دفعت المصريين الى الاقبال عليه والتعلق به من أول يوم نزل فيه الى مصر ، وجعلت الحكام يفسحون له مجال الاقامة ويهيئون له أسباب العيش

والحياة الاولى للحكيمين الافغانيين متشابهة الى **حد كبير ، فى التربية والتعليم ، والنشأة البدوية القبلية التى تكسب الشخص الصلابة وحب الكفاح فالشيخ محمد اكرم الافغانى ينحدر أصلا من قبيلة « الافريدية » التى تقطن فى مضيق جبل حيدر الذى يعرف الان جبل خيبر الذى يفصل بين الهند وبلاد الافغان ، وقد ولد بهذه المنطقة ونشأ بها ، ولما بلغ الحادية والعشرين رحل الى الهند لطلب العلم ، فورد على مدينة « لكنوه » وكانت حافلة بالعلماء الاجلاء ، فقرأ عليهم العربية والمنطق والحكمة**

والعقائد والتصوف والفقه على مذهب الامام أبى حنيفة ، كما تخرج فى علوم الطب والرياضيات على الطريقة القديمة حتى صار من الاعلام المرموقين ، ثم بدا له أن يوسع آفاق معرفته فقام بعدة سياحات طاف فيها بأكثر بلاد الهند ، وتعرف على مافيها من شئون المعرفة والحياة والناس ، ولكن مدينة «لكنوه» كانت مركز اقامته

وفى حوالى سنة ١٢٧٢ هجرية غادر بلاد الهند لأداء فريضة الحج ، وعند عودته من الحجاز ورد فى طريقه على مصر ، ونزل بالأزهر فى رواق الافغان ، فاجتمع به الطلاب وكبار الشيوخ فى الازهر ورأوا فيه عالما جليلا وحكيما فاضلا ، فأحبوه وتعلقوا به ، وبلغ خبره أحد كبار التجار الافغانيين فى خان الخليلى ، فانتقل اليه وآثر أن يختص به فنقله الى مكان اكتراه له بجوار محله فى خان الخليلى وصار يتردد عليه الطلاب والمريدون ، وسمع به حكام مصر مثل حسن باشا المانسترلى كتحدا مصر وحسن باشا عاصم ، والأمير أحمد رفعت بن ابراهيم باشا والى مصر ، فسعوا اليه وزاروه ، وكان الأمير رفعت يقدم اليه هبات مالية جزيلة .

وبدا للشيخ اكرم أن يستأنف رحلته للسياحة وعول على أن يزور الآستانة دار الخلافة الاسلامية فسافر اليها واجتمع بعارف حكمت شيخ الاسلام وبغيره من العلماء ، ويروى أنه لما قابل عارف شيخ الاسلام حسبه طالبا لمنصب علمى أو فتح « تكية » أو نوال صلة مالية ، فسأله عن طلبته ووعده بالمساعدة ، فأجابه الشيخ اكرم بأنه لامأرب له فى شىء من هذا ، وانه انما جاء الى دار الخلافة للسياحة ، والالتقاء بالعلماء والشيوخ والتزود من العلم والمعرفة .

وبعد أن أقام الشيخ اكرم فى الآستانة عشرة أشهر غادرها قاصدا الى الشام لاستكمال سياحته ومر بأزمير وكان علماؤها قد سمعوا بفضله وعلمه وورعه فتكاثروا عليه ، وانزلوه من الباخرة ، والحوا عليه أن يقبل الاقامة بينهم فأقام معهم حوالى عام قرأ لهم فيه ديباجة الفتوحات المكية ، ثم سافر الى الشام ، فلقى من علمائها اكراما كبيرا ، وتلقوا عنه بعض الرسائل ، منها تشريح الافلاك فى علم الهيئة ونصوص الحكم لابن عربى فى التصوف

وعاد الشيخ أكرم مرة ثانية الى مصر ؛ فتلقاه أهلها فى شوق ولهفة ، وانزله الشيخ احمد الحسينى شيخ طائفة النحاسين فى منزله وأقام على شئونه ثم انتقل الى مسكن اكتراه فى خان الخليلى ، وأخذ يواظب على الاقراء والتدريس ، وبخاصة لعلوم الحكمة والرياضيات وكان يجتمع به كبار الشيوخ فى الازهر ، أمثال الشيخ مصطفى العروسى شيخ الازهر ، والشيخ حسين المرصفى ، والشيخ الاشمونى ، وتخرج عليه فى هذه الحقبة عدد من الاعلام منهم الشيخ حسن الطويل الذى تتلمذ عليه الامام محمد عبده فى مطلع حياته فى دراسة الفلسفة والمنطق

وفى عهد الخديوى اسماعيل أجرت عليه الحكومة عشرة جنيهات كل شهر ، ونقله وزير الاوقاف الى مدرسة محمد بك أبو الذهب بجوار الازهر وسكن فى قاعة الشيخ الصبان الذى كان شيخا لهذه المدرسة ، وظل شيوخ الازهر يترددون عليه ، ويتلقون عنه

ولما مات الشيخ ابراهيم الباجورى شيخ الازهر رشحه بعض الشيوخ ليخلفه على مشيخة الازهر فتبسم الشيخ اكرم قائلا : مالى وازهركم ، والله لوعرضت على ولاية مصر ماقبلتها

وعاش الشيخ اكرم الافغانى اعزب ، لم يتزوج ، ولم يكن معه الا خادمه أو تابعه كما كان يسميه ، وكان تابعه متفقها يقرأ الدروس لبعض الطلاب تماما كما عاش السيد جمال الدين وفى عام ١٢٨٧ للهجرة انتقل الشيخ اكرم الى جوار ربه وقد جاوز التسعين ، أى قبل قدوم السيد جمال الدين الافغانى اليها بحوالى عامين ، وشيعت جنازته فى مشهد حافل مشى فيه شيوخ الازهر وحكام مصر ، حيث دفن فى بستان العلماء بقرافة المجاورين بعد أن ترك وراءه سيرة طيبة عطرة يتحدث بها الناس ويتحدث بها الشيوخ فى الازهر ، والاعيان فى القاهرة .. ولكن لما جاء الشيخ جمال الدين الافغانى الى مصر ، وملأ الدنيا بذكره ، نسى الناس الشيخ محمد اكرم الافغانى ، وأنه كما ترى لجدير بكل ذكرى وتقدير .

السيد رشيد رضا

طلبه العلم للعمل به وتعليمه

الأستاذ عبد السميع البطل

ان الذى نطلبه من العناية بذكر ترجمة هؤلاء الأئمة المصلحين ، انما هو التاسى بهم ، والاعتبار بحياتهم ،ومعرفة كيف اتاهم الله من العلم ما لم يؤته أهل عصرهم ، فكانوا أئمة وكانوا هم الوارثين لعل فى ذكر ذلك ما يدفع بعض المستعدين الى اللحاق بركبهم ، او شق غبارهم ، والامام الذى نترجم له ، كان موفقا من صباه ، قرأ الاحياء للامام الغزالى قبل أن يطلب العلم فتاثر به أيما تاثر، فكان كلما علم شيئا لم يضن به على غيره ، بل يشركه معه ، لان العلم غير المال ، العلم يزكو بالانفاق والمال يفنى بالانفاق والحديث الصحيح يقول « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم » والذى فيه هذه الخصلة يطلب المزيد دائما من العلم ، ويرشد اذا وجد محلا للارشاد ويصدع بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر

اول حادثة للمترجم فى الانكار

من الطرق التى لم تشتهر فى بلادنا ، طريقة المولوية ، وكانت لهم « تكية » فى الحلمية القديمة بالقرب من القلعة ، ولهم اجتماع كل يوم جمعة بعد الصلاة يقومون فيه بطقوس غريبة ، وقد زرناهم ونحن طلبة علم فى حضرتهم فرأينا منظرا عجيبا وأعمالا لا يقرها الدين ، والسيد المترجم سيتحفنا بوصف المكان ، وعمل القطان. قال اثابه الله ورفع درجته :

فى بلاد لبنان قيل لى ألا تتفرج على مقابلة المولوية فى تكيتهم التى تشبه جنة الآخرة فى مكانها من ضفة نهر أبى على ؟

قلت : بلى ، فذهبت بعد صلاة الجمعة مع الذاهبين فى أول افتتاح موسم هذه المقابلات من فصل الربيع ، فجلست فى ايوان النظارة « المتفرجين» نمتع النظر برؤية جنات البرتقال ، وبالشم بعبير زهرها ، ، والسمع بخرير ماء النهر من تحتنا ، حتى اذا ما آن وقت المقابلة تراءى أمامنا دراويش المولوية قد اجتمعوا فى مجلسهم تجاه ايوان النظارة وفى صدره شيخهم الرسمى واذا بغلمان منهم مرد حسان الوجوه يلبسون غلائل بيضا ناصعة كجلاليب العرائس ، يرقصون بها على نغمات الناى الشجية يدورون دورانا فنيا سريعا ، تنفرج به غلائلهم ، فتكون دوائر متقاربة على ابعاد متناسبة ،لايبغى بعضها على بعض ، ويمدون سواعدهم ويميلون اعناقهم ، ويمرون واحدا بعد اخر أمام شيخهم ، فيركعون له قلت : ما هذا ؟ قيل : هذا ذكر طريقة مولانا جلال الدين الرومى صاحب المثنوى الشريف

لم املك نفسى ان وقفت فى بهرة النظارة وصحت باعلى صوتى بما معناه: ايها المسلمون ، ان هذا منكر لا يجوز النظر اليه ولا السكوت عليه ، لانه اقرار له ، وانه يصدق على مقترفيه قول الله تعالى « اتخذوا دينهم هزوا ولعبا » واننى قد اديت الواجب على فاخرجوا رحمكم الله ، وخرجت من المكان راجعا ادراجى الى المدينة مسرعا وفى أثناء المسير التفت فوجدت ورائى عددا قليلا قد رجعوا ، وبقى الاكثرون لم ينكروا على ولا على القوم بقول ولا عمل ، ثم كانت هذه الحادثة الغريبة حديث الناس وموضع سمرهم مدة طويلة فمن عاذل وعاذر اهـ اقول تكملة الوصف ان كل درويش حين يقف امام الشيخ يحييه راكعا قائلا : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ويمد الهاء فى وبركاته نحو اربع او خمس حركات ، فيرد عليه الشيخ : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ويمد الهاء نحو ذلك ، ثم يمضى ويتبعه اخر . هكذا رأيناهم فى تكية المولوية بالقرب من القلعة ، وقد أحسنت الحكومة فى الغاء التكايا ، اذ لا فائدة منها الا ضياع الاموال على جيش من المتعطلين الكسالى والاسلام دين عمل لا يعترف بمثل هذا العبث

سيرة السيد مع استاذه الجسر

كان السيد تلميذا للاستاذ الشيخ حسين الجسر ، وكان عالما عصريا ذا بصيرة بالدين واحوال المسلمين ، فلما علم بانكار السيد على المولوية قال له: أنصح لك ان تكف عن اهل الطريق ، فقال له : هل لاهل الطريق احكام شرعية غير الاحكام العامية لجميع المسلمين ؟ قال : لا ولكن لهؤلاء فى سماعهم نية غير نية سائر الناس ، ووجهة الى الله غير وجهتهم ومالك تخصهم بالانكار عليهم ، وان من اهل اللهو من يسمعون الاصوات والاوتار فى ملاهيهم ، بل بلغنى ان بعضهم يقامرون ليلا فى « قهوة العيونى » قال السيد : ان اهل الطريق ذنبهم اكبر من اهل اللهو لانهم جعلوا السماع المنكر ، ورقص حسان الغلمان عبارة مشروعة فشرعوا لانفسهم من الدين ما لم يأذن به الله ، على انى لم ار منكرا اخر ولم انكره ، وانا غير مكلف ان اذهب فى اخر الليل الى قهوة « العيونى » فاستفتحها لارى ما فيها وانكره ، فلما اعييته قال: ان مذهبنا « الحنفى » اشد من مذهبكم « الشافعى » فى تحريم السماع ولكننى انصح لك الا تعترض على اهل الطريق وسكت وسكت ، والمحاورة بين السيد وأستاذه الجسر طويلة بعضها شفوى وبعضها كتابة ، وكانت حجة السيد اقوى من حجة استاذه وأدخل فى التمسك بالدين ، والمحافظة عليه كما كان فى عهد الرسول والسلف الصالح

انكار السيد على رجال الدولة

كان السيد ـ رحمه الله ذا حرية واسعة ، وجرأة نادرة ، لا يسكت على شىء يراه مخالفا للدين ، فى الوقت الذى كانت بلاده «سورية» مكبلة بقيود الحكم العثمانى ، وناهيكم بالعهد الحميدى ، الذى كان الناس يتسارون فيه حتى بالحديث العادى خشية أن يؤول تأويلا يغضب سماحة العهد،ولكن

السيد اذا رأى منكرا انكره وانكر على فاعله ، وحوادثه فى ذلك كثيرة ، اكتفى بواحدة منها ذلك ان الحاكم الادارى التركى كان يوما ببيتهم ، يتحدثون فى شئون الدولة وكان السيد فى اول سنى الشباب ، فقال : ان الذى اضعف الدولة هو جهل العلماء بالسياسة وجهل الحكام بالدين ، فظهر على وجه الحاكم تجهم الاستياء وجحظت عينا والد السيد، صاحب الدار وحدجه بنظره وقال المتصوف ، وهل رجال الدولة جاهلون بالدين ؟ قال : لو كانوا كلهم او اكثرهم مثل سعادتكم لما كنا نقول هذا ؟ فسرى عنه وزار بلدهم «القلمون» رئيس المحكمة العدلية ورئيس النيابة ، وطلبا من صاحب الدار التى نزلا بها ان يدعو المترجم ليسمعا كلامه فقال لهما : عليكما أن تخبئا انواط ساعاتكما الذهبية لانه لا يسكت على الانكار عليها وكان قوله صادقا فقد انكر عليهما ووعظهما بما يجب عليهما من العدل

تعليم العوام ووعظهم

كان السيد – رحمه الله معلما وواعظا وناصحا بالفطرة وظل طول حياته على تلك الخلال ، كما سنذكر ذلك بعد هجرته الى مصر وكانت له طريقة سهلة فى تعليم العامة أصول التوحيد ، وأحكام العبادات ، وسنن الاخلاق ، فكان يقرأ للرجال درسا فى مسجدهم بالقرية « القلمون » ويذهب الى مقهى يجلس فيه الناس لشرب القهوة والنرجيلة « الشيشة » وكان فيهم أفراد لايصلون فيجمعهم جميعا ،ويستتيبهم ، ويامرهم بالمحافظة على الصلوات ، ورأى أن يؤلف لهم مذكرة سهلة فى العقائد يدرسونها ، ويقرأ لهم فى فقه الشافعية بعض الكتب المشهورة فى المذهب ، ولم يغفل عن النساء ، فكان يقرأ لهن درسا فى العقائد واحكام الطهارة والعبادات بعبارة عامية سهلة ، ويلزمهن اتباع الحشمة فى ملابسهن بحيث تكون المرأة فى الطريق كما تكون بين يدى الله فى الصلاة ، وأما أهل بيته فكن مثقفات ثقافة دينية ، وكان يقرأ لهن فى بعض ليالى الشتاء بعض كتب الادب والتاريخ والوعظ ، يقول السيد : ولا أنسى ليلة كنت أقرأ فيها خبر مقتل سيدنا وجدنا الامام الحسين السبط عليه السلام وعلى قاتليه اللعنة ولهم سوء الدار فكنت أبكى وتبكى عمتى الكبرى تقول لى : تجلد ، فان القارىء لاينبغى له البكاء .

وأما وعظه فكان يعتمد فيه على القرآن ثم على كتاب « الزواجر عن اقتراف الكبائر » لابن حجر الهيثمى الفقيه الشافعى ومنه عرف بدع البناء على القبور ، ورفعها ووضع القباب العالية عليها وايقاد السرج فوقها وانها بدع ، ونقل فيها عن بعض الفقهاء وجوب هدم القباب التى تبنى على القبور .

هذا ، وكانت خطب الوعظ فى عهده مسجوعة سجعا متكلفا وأكثرها فى مدح الشهور والمواسم المبتدعة ، فكتب خطبة وعظية يقول فيها : اننا معشر المسلمين نفتخر دائما باننا أمة محمد خاتم النبيين – صلى الله عليه وسلم – فاما سعة دعوته فجميع البشر ، وانما يحق الفخر لامة الاجابة منهم ، ثم طفق يقول : هل تدعى اجابة دعوته يا تارك الصلاة وقد لعن تاركها مرارا ، وقال « من ترك الصلاة فقد كفر جهارا » هل تدعى اجابة دعوته ياتارك الزكاة وقد قال : كيت وكيت ، هل تدعى اجابة دعوته ياتارك كذا من الواجبات وبافاعل كذا من المعاصى : الخ وهكذا من الاساليب الخطابية التى يريد بها التاثير ، ولكن الاتجاه الحديث فى خطب الوعظ أن يختار الخطيب موضوعا مناسبا وليكن حديث الساعة ، أو حديثا عن حادثة وقعت فى الجهة التى يخطب فيها ويتحدث فيه كانه درس يحلله و يبين ما فيه من حسن أو قبح ، ثم يخرج منه بنتيجة، وقد يجمع بين الطريقتين : طريقة البحث والتحليل ، وطريقة التاثير بالاسلوب الخطابى .

والواقع ان السيد رشيد نشأ نشأة أدبية كما نشأ نشأة دينية صوفية ، فهو كاتب سيال القلم ، وشاعر مجيد من شعراء المعانى أكثر منه من شعراء الاسلوب والزخرفة فما أشبهه بالمتنبى وأبى تمام ، ويشهد لذلك ما أثر عنه من الشعر على قلته وله قصيدة سماها « المقصورة » عارض فيها ابن دريد فى مقصورته الشهيرة ، وتفوق عليه فى معانيه العلمية والعصرية .

وقد قال له المرحوم حافظ ابراهيم حين أسمعه أبياتا من المقصورة ومن غيرها : لو انك تظهر بنظم الشعر لما كان لنا الا أن نعكف على كتب الفقه نشتغل بها ، وأما أسلوبه فى النثر فكان يتحرى فيه السجع فى افتتاح كل سنة جديدة من مجلة المنار ، ولم يكن سجعا متكلفا ، بل كان حسن الوقع ، شديد الاثر يلم فيه بتاريخ الاصلاح وما طرأ على الاسلام من مشكلات العصر مما يسر أويسوء واما اسلوبه فى تفسير القرآن فاسلوب السهل الممتنع، واعجب شىء أنه حين فسر سورة يوسف ، كتبها بأسلوب رقيق فى المواضع التى يحتاج فيها الى الرقة فى قصته مع امرأة العزيز ، فاذا قرأته خيل اليك أنك تقرأ رسائل فى الغزل رقة وظرفا ، وحين يرد على الاسرائيليات التى غرق فيها المفسرون فى قوله تعالى « ولقد همت به وهم بها » تراه قد شحذ قلمه ، وجرد بيانه كانه يلقى عدوا مهاجما يحتاج الى حملة قوية حتى يخر صريعا ، ولعلنا نذكر نماذج من هذا التفسير حين نتكلم عن السيد رشيد بمصر .

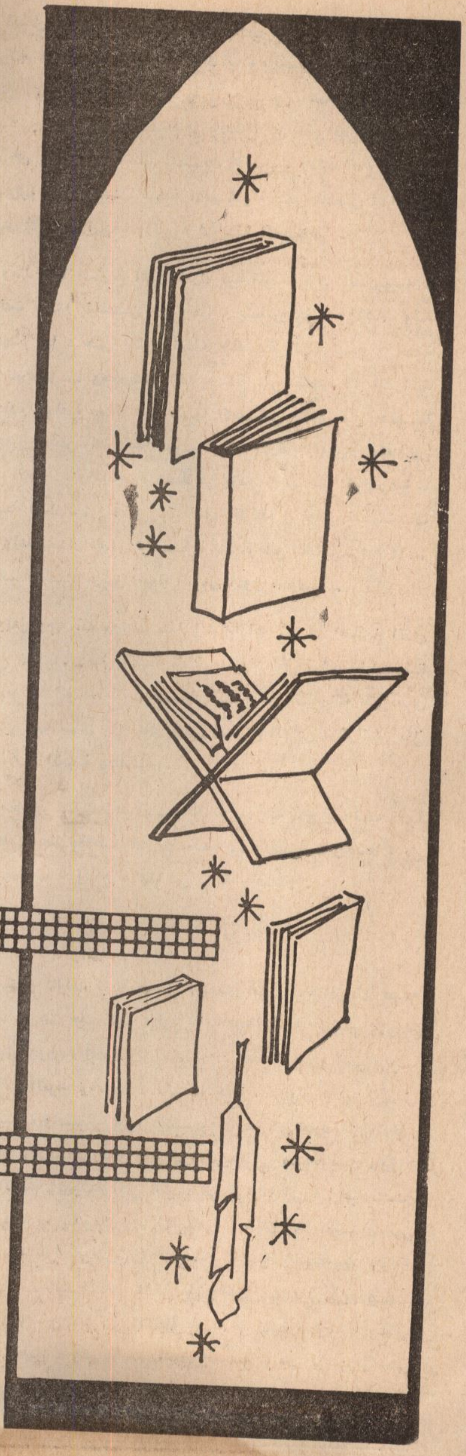

المكتبة الإسلامية

فلسطين والضمير الإنسانى

تأليف
الأستاذ محمد على علوبة

عرض وتقديم
رجائى عطية

اتصل المرحوم محمد على علوبة زميل الكفاح لمصطفى كامل فى حركته الوطنية ، ومؤلف هذا الكتاب ، بالقضية الفلسطينية منذ سنة ١٩٣٠ م .. شارك أيامها المرحوم احمد زكى والمرحوم الدكتور عبد الحميد سعيد فى الدفاع عن حق العرب فى محل البراق الشريف الملاصق للمسجد الأقصى ، وذلك أمام اللجنة الدولية التى أرسلتها عصبة الامم الى القدس للفصل فى النزاع الذى ثار بين العرب واليهود فى هذا الخصوص .

ومنذ هذا التاريخ الذى أدرك فيه المؤلف خطر الصهيونية ، توثقت صلته بفلسطين .. وتعلقت مشاعره بها .. فنذر وقته وجهده لها ، حتى اقترن اسمه بالقضية الفلسطينية فى حقبة من تاريخها .. وجاء هذا الكتاب نتاج فكر تفاعلت فيه الدراسة الجادة الواعية مع مشاعر الهبها الاحساس بالظلم ، وأرهقها توجس الخطر الذى بدأ يطرق أبواب الارض العربية بعنف فى هذه الايام .. والكتاب ـ فضلا عن وزنه من الناحية الموضوعية ـ صيحة انذار .. وتحذير .. أطلقها المؤلف فى أوائل الخمسينات .. وأعادت دار الهلال ترديدها ـ باعادة طبع الكتاب ـ عام ١٩٦٤ بمناسبة انعقاد مؤتمر القمة العربى الأول بالقاهرة .

ولعل وجه العظمة فى هذا الكتاب انه .. فى التاريخ الذى وضع فيه .. وقبل اكتمال شكل صورة الحركة الصهيونية ومؤامراتها الواسعة .. حوى كثيرا من التنبؤات التى نرى الكثير منها يترى الآن على أرض الصراع العربى الاسرائيلى بكل جوانبه ، المحلية والعالمية .

ومما يحسب للمؤلف .. والكتاب .. انه نهج فى وضعه نهجا طريفا .. فلم يخاطب التاريخ وحده .. والسياسة وحدها ، بل خاطبهما معا ، ومزج بينهما فى براعة واقتدار .

* * *

استهل المؤلف كتابه بفصل تمهيدى أشار فيه الى أن حبه لفلسطين هو حب كل عربى .. الحب النابع بحكم العروبة والجوار ووحدة المصالح والعادات .. هذه الوحدة التى مزجت بين آلام العرب وآمالهم .. ثم هو حب تلاه توثق صلته بالارض السليبة ، وانشغال فكره بقضيتها ، بعد أن شارك فى الدفاع عن حق العرب فى محل البراق الشريف فى صيف سنة ١٩٣٠م أمام اللجنة الدولية التى انتهت فى قرارها الى أن البقعة المتنازع عليها ملك للاوقاف الاسلامية ، فكان هذا الانتصار خير مشجع له على تكريس وقته وجهده للقضية الفلسطينية بكافة نواحيها .. فساهم فى اقامة مؤتمر عالمى بالقدس فى ديسمبر سنة ١٩٣١ م للنظر فى المشكلة وحث بريطانيا صاحبة الانتداب على فلسطين ـ وغيرها من الدول الغربية ـ على الاعتراف بحق الدولة الفلسطينية فى حريتها واستقلالها .. ثم خرج فى جولة

جاب فيها شرق الاردن والعراق وشبه القارة الهندية للدعاية وجمع الاموال لانشاء جامعة عربية فى القدس ، بعد نجاح اليهود فى اقامة جامعة عبرية بها .. تلاها عقد عدة مؤتمرات لبحث جوانب المشكلة .. منها مؤتمر بلودان الذى عقد فى سوريا سنة ١٩٣٧م ، (والمؤتمر البرلمانى العالمى للبلاد العربية والاسلامية الذى عقد بالقاهرة سنة ١٩٣٨ م) واسفر عن تشكيل لجنة -كان المؤلف عضوا فيها - كلفت بالسفر الى انجلترا لاقناع حكومتها بحق عرب فلسطين وعدم أحقية اليهود فى اغتصاب أراضيهم ، بيد ان رئيس الوزارة البريطانية ، ووزير خارجيتها ، اعتذرا عن مقابلة اللجنة ، ثم قبل وزير المستعمرات - بعد لأى - مقابلة المؤلف وحده .. الا أن المقابلة لم تخرج عن كونها ضربا من ضروب الدبلوماسية البريطانية المعروفة .

* * *

وفى الفصل الأول عن ((فلسطين والاديان الثلاثة)) يبدأ المؤلف بنظرة عامة يبرز فيها أهمية فلسطين البالغة ..صاحبة الموقع الجغرافى الخطر .. قلب البلاد العربية..وأرض الديانات والمقدسات .. ثم يحكى قصة الاديان الثلاثة فيها مكذبا ومفندا مزاعم اليهود بوجود حق تاريخى لهم على الاراضى الفلسطينية. الى هذه الارض هاجر الخليل ابراهيم عليه السلام منذ نحو الفى سنة قبل الميلاد .. دخلها مع زوجته ساره واخيه لوط .. لم يدخلها فاتحا أو غازيا .. وانما نبيا يعبد الله ويدعو الناس لعبادته ومنها رحل الى مصر هربا من المجاعة ، وتزوج بهاجر التى انجبت له اسماعيل عليه السلام .. فاسكنه وأمه مكة . ثم بعد سنوات أعقب من ساره - زوجته الأولى - ابنه الثانى اسحق الذى بقى بارض كنعان وأنجب عيسو . ويعقوب الذى ينتسب اليه بنو اسرائيل .

أقام يعقوب بارض كنعان ، وأعقب الأسباط .. اثنى عشر ولدا .. كان رابعهم ((يهوذا)) الذى اخذت من اسمه كلمة ((اليهود)) .. ومن هؤلاء الاسباط يوسف الصديق عليه السلام الذى تآمر عليه اخوته ، ثم انقذته العناية الالهية على يد قافلة باعته الى عزيز مصر حوالى سنة ١٧٢٩ قبل الميلاد .

واستمرت العناية الالهية تحرس يوسف الصديق وترعى خطاه حتى أصبح أمينا على خزائن مصر ، فلما اصابت المجاعة ارض فلسطين استقدم ابويه وأهله حيث أقاموا بمصر ردحا من الزمان ينعمون فيه بخيراتها ، ويكتنزون من أموالها .

وخلال حكم رمسيس الثانى ظهر موسى عليه السلام .. وكان عدد اليهود قد زاد وقويت شوكتهم ونفوذهم وتحكموا وتدخلوا فى اقتصاديات البلاد .. فكرههم اصحابها ، وطاردهم منفتاح - ابن رمسيس الثانى - حيث هربوا الى شبه جزيرة سيناء.. وفى سيناء عانى اليهود سنوات التيه الاربعين ، عقابا لهم على ما كان منهم مع نبيهم موسى عليه السلام .

وفى سنوات التيه الطوال مات هارون .. وبعده موسى ،وتولى يوشع قيادة اليهود .. وسار بهم شمالا الى أن وصلوا شرقى نهر الاردن ، ثم عبروه غربا الى ارض كنعان - فلسطين - يحملون التابوت .

وفى هذه البقاع تابع اليهود سلسلة الغزوات التى يرويها لنا التاريخ بدأوا بالهجوم على اريحا وسبوا أهلها وسلبوا أموالها، وتمكنوا بالغزو والتقتيل والتنكيل من اقامة مملكة داود.. وسليمان بيد أنهم لم يستطيعوا احكام سيطرتهم على الاجزاء الساحلية التى كان يقطنها الفلسطينيون الذين اندمجوا فيما بعد مع الكنعانيين وكونوا وطنا واحدا تحت اسم . ((فلسطين)) .

فبعد وفاة سليمان الحكيم انقسمت مملكته الى قسمين .. مملكة اسرائيل شمالا وعاصمتها السامرة (نابلس) ، ويهوذا جنوبا وعاصمتها أورشليم .. ثم انهارت المملكتان تحت وطأة ضربات مملكة آشور والملك بختنصر.. وقد سبى هذا الاخير كثيرا من اليهود ونفاهم الى منطقة بابل حيث بقوا فيها مدة طويلة ، حتى سمح لهم الملك قورش بالعودة الى فلسطين سنة ٥٣٨ق.م .. بيد انه لم يعد اليها غير عدد قليل منهم أعادوا بناء الهيكل، وآثر معظمهم البقاء بعد ان ارتبطت مصالحهم بالتجارة فى المنطقة .

وفى سنة ٦٣ق.م اكتسح الرومان أرض فلسطين واستولوا عليها .. ثم دمروا أورشليم والهيكل تدميرا كاملا سنة ٧٠ م .. وبقيت فلسطين تحت حكمهم الى أن دخلها العرب سنة ٦٣٦ م وخلصوها من نير الحكم الرومانى .

وينتهى المؤلف من هذا العرض التاريخى الى ان اليهود هم الذين اغتصبوا فلسطين ابتداء من أهلها .. بالقوة .. والقهر.. والتقتيل ، ورغم ذلك فلم تكن لهم دولة بالمعنى الصحيح الا ابان حكم داود وخلفه سليمان . واذا ادخلنا فترة الضعف والانقسام فى الاعتبار لظهر ان حكم الدولة اليهودية - المغتصب - لأرض فلسطين لم يزد على ٣٨٥ سنة .

لم ينزع العرب اذن أرضا من اليهود .. ولم يغتصبوا ملكا لهم .. وفى خلال الاربعة عشر قرنا التى بقيها العرب فى فلسطين منذ سنة ٦٣٦م ، اختلطوا بالكنعانيين والفلسطينيين الذين اعتنقوا الاسلام وامتزجوا بالعرب وانصهروا معهم فى امة واحدة ..

فكيف يمكن القول بان غزو اليهود عنوة لهـذه الارض .. واحتلالهم لها قهرا هذه الفترة القصيرة فى عمر الزمن يمكن أن ينشىء لهم حقا فيها يطالبون به بعد زوال دولتهم المغتصبة المزعومة بنيف وخمسة وعشرين قرنا من الزمان .

* * *

تناول المؤلف بعد ذلك فى هذا الفصل الديانات الثلاث .. الاسلام .. والمسيحية .. واليهودية ويبين أن الاسـلام دين عالمى .. ويقول ان اليهودية بالحـال التى آلت اليها على يد اليهود دين عنصرى .. فالاسلام دين عالمى نزل للبشرية كافة ، فيقول الله تعالى فى كتابه العزيز مخاطبا رسوله : « وماأرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا » .. والاسلام دين عالمى بمساواته بين الناس أجمعين بلا تفاضل بينهم الا بالتقوى والعمل الصالح .. والمسيحية كذلك دين عالمى يعارض فكرة الديانة العنصرية التى يعتنقها اليهود ، وينكر امتياز عنصر على عنصر ، ونصوص الانجيل التى تؤكد هذا المعنى كثيرة واضحة .. وبينما ينـادى الاسلام والمسيحية بالمساواة بين الناس كافة يعتقد اليهود أنهم شعب الله المختار .. فضلهم على خلقه .. وميزهم على العالمين، وأن باقى البشر عناصر منحطة خلقت لخدمتهم والعمـل تحت امرتهم .. ومن ثم فانهم يترفعون عنهم ، وينأون بدينهم عن أن يكون لهذه الحثالات من البشر شرف الانتساب اليه !!

لهذا فقد أساء اليهود معاملة المسيح والمسيحيين .. عذبوهم وشردوهم ونكلوا بهم ، وكان خوف المسيحيين منهم شـديدا ، حتى ان عظيم بيت المقدس شرط على عمر بن الخطاب عنـد تسليمه المدينة الا يسمح لليهـود بالبقاء فيها .. بل وفى فلسطين كلها ..

وكما أساء اليهود الى المسيحية أساءوا الى الاسلام ، وحملوا على رسوله وصحبه ، وأسرفوا فى التآمر عليهم .. بينما رحب المسيحيون بالمسلمين ولم يخادعوهم أو يتآمروا عليهم ، فكانت معاملة المسيحية للاسلام والاسلام للمسيحية معاملة دين توحيد عالمى لدين توحيد عالمى .. وقد قال تعالى فى كتابه العزيز : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ، ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا ، وأنهم لا يستكبرون » .

* * *

ولم يفت المؤلف ملاحظة ظاهرة تعصب اليهود .. فيقرر انها ترجع الى موقف العداء الذى اتخذوه من المسيحية والاسلام .. وهو موقف نابع من افكارهم نتيجة احساسهم بانهم قلة امـام الاعداد الهائلة التى اعطت ايمانهـا وعقيدتها للاسـلام والمسيحية .. هذا الاحساس الذى أدى بهم فى النهـاية الى التقوقع ومحاولة الوصول الى القوة من طرائق خفية .. وهى قوة يؤمنون بانهم ولدوا ليحوزوها .. فهم شعب الله المختار !! ومن هنا كان ازدياد تمسكهم ، ولجوءهم الى جمع المال وكنز الذهب وفرض سيطرتهم على اقتصاديات بلدان العالم سبيلا الى هـذه القوة التى يرنون اليها ، ونبذهم للزراعة وعزوفهم عن الاعمال اليدوية لكثرة مجهودها وقلة مكاسبها ..

ولا شك أن احتراف اليهود للتجـارة وأعمال المال ، وما تقتضيه من الاقامة فى المدن ، قد أتاح لهم تحصيل قدر وافر من التعليم والارتفاع بمستواهم الثقافى .. وهى مزية سـاعدت الحركة الصهيونية كثيرا ..

* * *

وفى الفصل التالى يتناول المؤلف وضع اليهود فى العالم .. وكيف أنه من الظواهر الغريبة أن يتفق الناس .. فى المشرق والمغرب .. مسلمين ومسيحيين .. على الحذر من اليهود وعدم الاطمئنان اليهم او الثقة بهم .. بيد أن هـذه الظاهرة تتلاشى غرابتها للمتأمل فى تاريخ اليهود وأفاعيلهم على مدى نيف وثلاثة وثلاثين قرنا من الزمان .. وهى أفعال جلبت لهم الكراهية ، وعرضتهم للاضطهاد والتنكيل .. حدث ذلك فى معظـم الدول الاوربية .. وعلى رأسها ألمانيا .. ولكنه لم يحدث فى المشرق على العموم ، والبلاد العربية على وجه الخصوص .. فظلت هذه الأخيرة مأوى لهم وملاذا عندما تضطرم الأمور وتضيق بهم الأحوال .

ومن الاعمال المريبة التى أورثت الشك فى اليهود وجلبت لهم الحقد والكراهية الهيئات السرية العالمية التى نظموها - وما زالوا - للوصول الى أغراضهم الخبيثة بطرق ملتوية .. وأولها جمعيات الماسونية التى أقاموها تحت ستار خلاب هو « الاخاء الانسانى » لا الدينى ولا الوطنى .. وهم فى الحقيقة يهدفون من ورائها الى محو العقيدة الدينية وهدم الشعور الوطنى ، ولها مراتب ثلاث : الماسـونية الكونية - وهى أرقاها - وأعضاؤها لا يكونون الا من اليهود .. الماسونية الملوكية ، واغلب اعضائها من اليهود الا من ثبت اخلاصه من الماسـونية الرمزية .. وهى المرتبة الثالثة من مراتب الماسونية .. وفيها يدخل من يقع فى شباكهم من أتباع الديانات الاخرى .. ويتخذونهم مطايا لبلوغ مآربهم وتنفيذ مخططاتهم فى المصـالح الحكومية والشركات والهيئات تحت مظهر الاخاء المزعوم .. ولم تكن الحرب العالمية الأولى .. ثم الثانية .. سوى سلسلة من تدابير اليهـود الجهنمية لتقويض العالم واقامة النظام الذى تهـدف اليه الماسونية اليهودية ، على أنقاضه .

ولم يكتف اليهود - كما يبين المؤلف - بالماسونية السرية ، بل أقاموا هيئة أخرى علنية منفصلة عنها .. تؤدى بعض مهامها تحت نفس الشعار .. « الاخاء الانسـانى » .. وهى أندية الروتارى التى نظمت فى العواصم والمدن الكبرى .. والفرض الحقيقى منها امتزاج اليهود بالشعوب الاخرى للوصـول الى المعلومات التى يسعون الى جمعها تحقيقا لاغراضهم . وقد فطن الفاتيكان الى خطر هذه الاندية ، كما فطن الى خطر الماسونية ، فأصدر مرسوما يحرم على رجال الدين الانتساب الى هـذه الأندية .

* * *

وبعد أن يبرز المؤلف فى هذا الفصل حقيقة دور الماسـونية وأندية الروتارى أراه يتحدث عن قرارات حكماء صهيون ، موردا تلخيصا وافيا لها ، مبينا الظروف التى وضعت فيها ، وغايتهم النهائية منها .. وهى غاية لا تقف عند حد الاستيلاء على فلسطين والسعى الى ضم الاراضى الواقعة بين النيل والفرات، بل تتجاوزها الى السيطرة على العالم أجمع ، واخضاع باقى البشر من غيـر اليهود - وهم من يطلقون عليهـم لفظ الأمميين - الى سيطرة

اليهود ونفوذهم .. والى هذه الغاية يرجع حرص اليهود الشديد على سرية هذه القرارات ، وتتبعهم بالقتل كل من يحاول نشرها ، ومسارعتهم الى جمع أى مطبوعات تنشر عنها .

* * *

ومما هو جدير بالذكر أن المؤتمر الذى وضعت فيه هذه القرارات وهو مؤتمر بال المنعقد فى سويسرا سنة ١٨٩٧م برئاسة الصحفى النمسوى اليهودى تيودور هرتزل ، كان بداية العمل الصهيونى التنفيذى لاستيطان ارض فلسطين .. عرضوا بعده على سلطان تركيا السماح لليهود بالهجرة الى فلسطين مقابل مساعدته فى تنظيم اقتصاديات الدولة العثمانية، فلما وجدوا بابه موصدا أمامهم ، ولوا وجوههم شطر انجلترا.. مركز القوة الدولية فى ذلك الحين .. حيث تمكنوا بمساعدة اللورد اليهودى روتشيلد - وغيره - من التأثير على الوزارة البريطانية ، فبعث وزير خارجيتها برسالة الى اللورد كرومر يطلب منه فيها مساعدة اليهود على استعمار شبه جزيرة سيناء بيد أن المعاينة التى أجراها اليهود والانجليز لهذه البقعة بظروفها الطبيعية والمناخيةالصعبة جعلت اليهود يعدلون عن هذه الفكرة ، ويركزون ثقلهم على فلسطين .. وهو عدول ندم عليه اليهود فيما بعد ندما شديدا تحدث عنه فى مذكراته الدكتور حاييم وايزمان أول رئيس جمهورية لاسرائيل .

* * *

ويفرد المؤلف بعد ذلك فصلا منكتابه لوعد بلفور.. بدأ بنظرة تاريخية وتحليلية للحرب العالمية الأولى ودور اليهود فىاندلاعها وسير أحداثها ثم فى معاهدة فرساى التى وضعت خاتمة لها . مبينا كيف خدع العرب فى هذه الحرب بوعود وتعهدات كاذبة اعطاها لهم الانجليز ، فساعدوهم فيها ، وخاضوا معهم غمارها حتى دان لهم النصر .. فماذا كان الثمن ؟ . كان الثمن الذى تقاضوه وعدا أصدره فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ م المستر بلفور وزير الخارجية البريطانية آنذاك . اعترف فيه بأن الحكومة البريطانية تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين ، وانها ستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية .

والحق أن انجلترا لم تقصر قط فى الوفاء بتعهدها .. بل أدته كاملا وزيادة ، فاستغلت سنوات الانتداب فى فلسطين فى تسهيل هجرة اليهود اليها ، وتمكينهم من مقاليد الأمور فيها حتى تضمن لهم الغلبة على العرب عند الرحيل عنها . ثم حالت من ناحية أخرى بين العرب وبين أية محاولة تهدف الى ايقاف هذا الخطر المحدق بهم .

وقصة حصول اليهود على هذا الوعد يرويها المؤلف فى هذا الفصل . فيبين كيف تمكن حاييم وايزمان - الذى آلت اليه الزعامة الصهيونية بعد وفاة تيودور هرتزل - من اجتذاب كل من لويد جورج وونستون تشرشل وبلفور وغيرهم الى صف الحركة الصهيونية بمساعدةاللورد الصهيونى روتشيلد ، وكيف سعى هذا النفر القوى المتحكم فى السياسة البريطانية وقتئذ فى التمهيد لاستيلاء اليهود على فلسطين .. فعين السير هربرت صمويل ، اليهودى ، أول حاكم عام لفلسطين .. واختير النائب العام من اليهود . وكذلك مدير ادارة الهجرة وغيره ممن تولوا المناصب الرئيسية خلال الانتداب .. كانوا كلهم من الصهيونيين .. وكان طبيعيا أن يفتحوا باب الهجرة أمام اليهود على مصراعيه ، وييسروا السبل لهم لامتلاك الاراضى واقامة المستعمرات .

ومن الأدوار الهامة التى قامت بها الحكومة البريطانية لمساعدة الحركة الصهيونية ، الحاقها الشباب اليهودى بجيوشها لتدريبهم - على الطبيعة - على العمليات العسكرية ، واعدادهم للمعركة المرتقبة مع العرب ، فى الوقت الذى اخذت فيه تشكل لجان التحقيق المتعاقبة لخداع العرب ، مستغلة الدبلوماسية الانجليزية المعروفة فى تخديرهم وتهدئة خواطرهم .

ومما يكشف خسة اليهود ودناءة نفوسهم أنهم ، ورغم كل الخدمات التى قدمتها انجلترا للحركة الصهيونية ، ما لبثوا أن انقلبوا عليها وثاروا ضدها عندما هيىء لهم ان الحكومة البريطانية تتوانى - شيئا ما - فى تنفيذ كل رغباتهم .. فاذاقوا رجالها العذاب .. أعملوا فيهم الخطف والجلد والتقتيل . ونسفوا الدور والمركبات والقطارات والخطوط الحديدية ، وأمعنوا فى البطش حتى أرسلوا يهوديين الى القاهرة حيث قتلا اللورد موين وزير الدولة البريطانى فى الشرق الاوسط أمام داره فى نوفمبر ١٩٤٤ .. ولولا القبض عليهما مصادفة لرفع الانجليز عقيرتهم واتهموا المصريين بارتكاب هذه الجريمة .

والحق أن الاغتيال كان - ولا يزال - هو دأب اليهود مع كل من يقف فى سبيلهم .. ولعلهم لم يغب عن الاذهان بعد اغتيالهم للكونت برنادوت السويدى الذى ندبته هيئة الأمم لايجاد حل للمشكلة الفلسطينية .. وكان من سوء طالعه أن رأى حلا لم يعجب اليهود ، لانه لا يتفق - تماما - مع اطماعهم ومآربهم .

* * *

ومن الظواهر التى يتناولها المؤلف فى هذا الفصل ظاهرة تغلغل اليهودية فى كافة أوجه النشاط فى دول العالم عامة، والدول الغربية على التخصيص .. هذا التغلغل الذى يستغله اليهود فى تنفيذ مخططاتهم الملتوية ، والذى يعد من أهم الاسباب لظهور هتلر والنازية .. فقد تبين هتلر أن اليهود هم الذين كانوا وراء معاهدة فرساى بكل ما حملته من مآس واضطرابات للعالم ، وانهم نفذوا فعلا بروتوكولات حكمائهم وخططماسونيتهم، وجحدوا الأوطان التى يعيشون فيها . ومنها ألمانيا . فكانوا شرا وخطرا عليها . يهدمون كيانها .. ويستنزفون أموالشعبها، ويفسدون العلم والتعليم وشتى الفنون فيها .. ويتحكمون بخبث فى توجيه سياستها واقتصادياتها . ومن هنا كاناضطهاد هتلر لهم وبطشه وبهم . وهو اضطهاد ولا شك سيتكرر تعرضهم له اذا أصروا على مخططاتهم وطرقهم الملتوية ، وعدم الولاء للاوطان التى تأويهم فى أراضيها

وتحت عنوان « مأساة فلسطين » يروى المؤلف فى الفصل الربع من كتابه كيف جابه العرب المشكله الفلسطينية .. فقاموا سنة ١٩٤٥ بانشاء جامعة الدول العربية .. ثم قرر رؤساء الدول العربية فى اجتماعهم بقصر زهراء انشاص سنة ١٩٤٦ أن قضية فلسطين ليست خاصة بعرب فلسطين وحدهم ، وانما هى قضية العرب جميعا .. بيد أن العرب لم يحسنوا مجابهة المشكلة فى مجالات التنفيذ .. وتخللت حرب فلسطين كثير من المآسى التى تناهت الى الاسماع أنباؤها .. ساهم ولا شك فى تداعيها تواطؤ الدول الاستعمارية ، وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا ، ضد العرب ، ومساعدتهم لليهود بلا حدود أو تحفظات .

ويأسى المؤلف فى نهاية هذا الفصل من موقف الولايات المتحدة الامريكية من القضية الفلسطينية .. وكانت اسرائيل قد نقلت نشاطها بذكاء اليها اثر الحرب العالمية الثانية ، باعتبارها القوة الفتية الجديدة فى العالم ، ومركز الثقل المنتظر فى توحيد دفة السياسة الدولية .. ويروى كيف سارت الولايات المتحدة فى موقفها من القضية وراء بريطانيا .. وكيف كان دور الرئيس ترومان فى النكبة التى أحاقت بالارض السليبة .. فهو الذى طالب فى نهاية الحرب الثانية بهجرة مائة الف يهودى الى فلسطين .. ثم بادر بالاعتراف باسرائيل قبل أن تجلوا القوات البريطانية عن أرض المقدسات .

وبلغ الأمر بالولايات المتحدة أن يستقبل عمدة نيويورك ـ بكل حفاوة وتقدير ـ أحد أفراد عصابة « شترن » التى اغتالت الكونت برنادوت .. بيد أن هذا الموقف لم يكن غريبا على الولايات المتحدة الواقعة تحت تأثير القوى الصهيونية المتغلغلة فى البلاد ، والمتحكمة فى كل شىء فيها ..

* * *

ويختم المؤلف كتابه القيم بصيحة يحذر فيها الدول العربية من وسائل بث الفرقة والشقاق التى يتخذها العدو سبيلا لكسر شوكة الدول العربية واسقاطها واحدة تلو الأخرى ، ومن المبادىء الهدامة وتجارة المخدرات التى يروج لها العدو بيننا سعيا لاضعاف الشعوب العربية ماديا وأدبيا وجسمانيا وعقليا .. ثم ينبه الاذهان الى أن الحصار الاقتصادى سلاح ماض بتار مع هذه الدولة العنصرية الدخيلة التى تعتمد على الهبات والمساعدات الخارجية ، ويتنبأ المؤلف بان الصهيونيين سيتاح لهم بفضل هذه المساعدات استثمار كل شبر من الاراضى التى يحتلونها ، وتعمير صحراء النقب ، وتوسيع مرفأ ايلات ، بيد أن صادراتهم ـ مع حدة المنافسات العالمية وغلبة الصناعات الأوربية ـ لن يكون أمامها سوق تتطلع اليها سوى القارة الافريقية والشرق الاوسط .. ومن هنا تبدو أهمية الحصار الاقتصادى والمقاطعة كسلاح ضد اسرائيل

ويدعو المؤلف الدول العربية الى محو الجمعيات الماسونية .. وما يتبعها من اندية الروتارى .. والمؤتمرات المسمومة التى تعمل كلها لحساب الصهيونية العالمية .. ويحذر من التصالح مع اسرائيل تحت أى ظروف .. ففيه انتعاش اقتصادها وسبيل حياتها وبقائها .

* * *

وبعد ...

فان هذه الدولة العنصرية الدخيلة المغتصبة .. ومهما داعبتها أحلام النصر وخيالات البقاء .. هى ظاهرة مرضية محكوم عليها فى النهاية بالفناء ، والقول بانها واقع قائم هو قول غير صحيح ينطوى على مغالطة .. فهى وليدة جريمة .. والامر الواقع المفروض بجريمة لا يمكن أن يكون محلا لاقرار ..

ولابد أن النصر .. بحكم الواقع والتاريخ .. وبقوة الحق وعزم الارادة .. سيكون حليف العرب .. أصحاب الحق وأصحاب الارادة .

شركة تنمية الصناعات الكيماوية "سيد"
إحدى شركات المؤسسة المصرية العامة للأدوية
للمحافظة على صحة وجمال عينيك فى فصل الربيع ...
استعمل
قطرة
تستعمل فى حالات
○ التهاب الملتحمة ○ التهاب الجفون
○ التهاب الكيس الدمعى ○ الرمد الصديدى
○ الرمد الحبيبى

من ذخائر

السيد عبد الرحيم القنائى فى الأدب القرآنى

الأستاذ عبد السلام الشاذلى القوصى

يوم ٢٣ رمضان ٥٨٧ هـ ، بقنـــا فى الساعة ٨٫٣٠ مساء عاد السيد عبد الرحيم لالقاء الدرس فقال : بسم الله الرحمن الرحيم ..

الحمد لله على ما قدره الله ووصل الينا من نعم وارزاق واقوات وايمان واعظم خير وصل الينا هى رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فلو لم يكن غيرها لكفى العالمين هذا الخير لانه هو ورسالته خير كله وبعد :

تعلمون الدعاء المتواتر والذى سبق ان ذكرته لكم وكلكم تحفظونه وهو (اللهم ارزقنى علم الحياة وحياة العلم وامنحنى نعيم الحياة وحياة النعيم واغمرنى بفضل من النور ونور من الفضل واعطنى قوة الابدان وابدان القوة وأسالك نعمة الشفاء وشفاء النعمة وأسالك طول العمر ياذا الطول والانعام واحسن الى يا عظيم الاحسان وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم .

رددوا هذا الدعاء فى هذه الليلة فان فيه خيروبركة واستجابةوقد استفاض الله على من داوم عليه منكم بخير ونورانية وقبول انتم تشهدون بذلك ..

(تكلم يا صباغ) والله لقد دخل ابو الحسن الصباغ القوصى من باب ما دخلنا منه بفضل من الله وببركة هذا الدعاء والمواظبة عليه .

(ملحوظة) قام بشرح هذا الدعاء فى حياته المغفور له الشيخ محمد سليمان سليمان مفتش وعظ القاهرة ورأينا اثباته هنا اتماما للفائدة قال .

اعلم ان (علم الحياة) هو علم القلوب الذى به يستبين صلاحها من فسادها وبه تتفتح طريق المعرفة لله على وجهها الصحيح .

(وحياة العلم) استدامة الاتصال وتجنب كل ما من شانه العدوان عليه كما يورث ظلمة القلب وغفلته وسواده من مختلف المعاصى .

واعلم ان (نعيم الحياة) هوالرضا بالقدر وانطباع النفس على القناعة بما فى اليد والتسليم لله فى تصاريف القدر والرضا بكل ما ينبثق من وراء الغيب (وحياة النعيم) دوام التوفيق منه .

(فضل من النور) زيادة منه وهو نور الله الذى اذا حل فى القلب انفسح وانشرح كما فى الحديث .

اما كلمة (نور من الفضل) فالمراد بها ان تكون هذه المنحة نابعة من محض فضل الله لا فى مقابل عمل صالح لان عمل الشخص معرض لما يشينه وينقص من قيمته اما ما كان من بحر الفضل فهذا باق لا يغيض .

(أعطنى قوة الابدان) وسلامته لاستطيع استدامة العمل والخدمة وادم على التوفيق لمباشرة اسبابها التى تكفل (ابدان القوة) لبقائها حتى لا احرم من شرف الخدمة والمناجاة .

(نعمة الشفاء) المقصود بها شفاء الروح وتخليصها مما يعوقها من مراتب القرب والاستقامة .

(شفاء النعمة) صيانتها مما يضعفها ويعرقلها عن وجهتها ويلبس عليهاحقائق الامور والارواح تمرض كما تمرض الابدان وتعالج كما تعالج من أسباب استدامة الشفاء الحمية وما أجوع الارواح اليها رب جلسة مع غافل بعيد عن اللهتخلف آثارا قد يتعذر البرء منها الا بعد وقت طويل .

أخى المسلم هذا هو شرح الدعاء يثبت لك رسوخ قدم مولانا السيد عبد الرحيم القنائى ، وقد اخرجناه للناس من عشر سنين مضت وداوم عليه الكثير فنالوا خيرا . ثم نعود الى الدرس لنكون مع السيد عبد الرحيم فى حلقة ليلة القدر قال :

وعليكم ان تذكروا هذا الدعاء عقب كل صلاة مكتوبة وهو بسم الله الرحمن الرحيم :: يامن لا يشغله سمع عن سمع ويا من لا تغلطه المسائل ويا من لايتبرم عن الحاح الملحين اذ قنى برد عفوك وحلاوة مغفرتك .

وارجو الا يذكر هذا الدعاء الا والانسان منكم على وضوء .

وهذا دعاء آخر أرجو أن يواظب عليه من يستطيع منكم فى السحر ويتلىأحدى عشرة مرة مع صلاة ركعتين قبله وركعتين بعده تنفلا وهذا هو :

بسم الله الرحمن الرحيم . اللهمانى اسالك قناعة تغنينى وتوكلا يكفينىويقينا يشفينى • وورعا يحجزنى وهدى يرشدنى وتوفيقا يسعدنى وعلما أعمل به وعملا أخلص فيه وأخلاصا ادوم عليه وارزقنى حلالا واطعمنى طيبا واجعلنىتقيا واحينى مؤمنا وامتنى مسلما وابعثنىآمنا واحشرنى سالما مع الذين انعمت عليهم من النبيين والصالحين والشهداء وحسن اولئك رفيقا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

دعاء آخر .

يتلى سبع مرات ويجب الوقوف قليلا بين كل كلمة (اللهم) وما بعدها ويتلى الدعاء بتان وبصوت مسموع للداعى مع استحضار عظمة الله فى قلوبكم مع الوضوء وصلاة اربع ركعات قبله وركعتان بعده تنفلا ، وفى خلوة وفى أى وقت من الليل وهذا هو الدعاء

بسم الله الرحمن الرحيم استغفر الله العظيم (ثلاثا) اللهم (سبعا) بحق السموات ومن فيهن (اللهم) (سبعا) بحق الارضين السبع ومن فيهن (اللهم) (ثلاثا) بحق العرش والكرسى والقلم .. (اللهم) (ثلاثا) بحق موسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم جميعا .. (اللهم) ثلاثا) بحق وجهك الكريم وعلمك القديم ورحمتك بالمؤمنين والملائكة والمقربين أحطنا ببسم الله الرحمن الرحيم . وأدركنا عند الزلل بطسم وانتشلنا عند الغرق بحم وافتح علينابابا من الرزق والخير فى الصحة والمال والذرية والاخلاق والادب والايمان بحق جاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم دليل الخلق اليك يارب العالمين .

اللهم اللهم اللهم استجب يا أرحم الراحمين فانك تعلم انى أطرق باب رحمتك . ياسيدى يا رسول الله سلام الله عليك يا سيدى يا رسول الله صلاة الله عليك وعلى آلك وصحبتك ومناتبعك من المؤمنين آمين (انتهى)

أما أولئكالذين لايقرأونولايستطيعون الحفظ فعليهم ان يقولوا بعد صلاة ركعتين تنفلا .

يا رب اللهمأكرمنى بحق لا اله الا الله محمد رسول الله أنهاسترى اليكفتقبلها منى واعنى بها على شئون هذه الحياة وانك على كل شىء قدير (انتهى) .

وعلى اخوانهم الذين يحفظون الادعية ان يشملوا فى دعائهم كافة المسلمين فان ذلك يزيد فى الحسنات وربما يكرم الداعى لواحد منهم فيستجاب له .

دعاء سيدى احمد البدوى

اللهم انى أسألك بنور وجهكالذى ملأ أركان عرشك ، وأسألك بطونحول شديد قوتكوأسألك بتوكيد أكيد برهانك ، وأسألك ببديع منيع رفيع سترك ، وأسألك بقدر مقدار قدرتك ، وأسألك بدوامديموميتك ، وأسألك بعزيز عزتك ، وأسألك بجلال كمال نعمتك، وأسألك بمكنون تكوين كائن سرك ، وأسألك باسمكالعظيم ، وبركنك الجسيم ، أن تفك اللهم كربتى ، وتفرجغمتى ، وتؤنس غربتى ، وتقيل عثرتى ، وتتفضل على يا الهىبنظرة منك تكون لى بها النجاة فى الدنيا والآخرة انك على كلشىء قدير ، يا أرحم الراحمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، وصل اللهم على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آلهوصحبه وسلم .

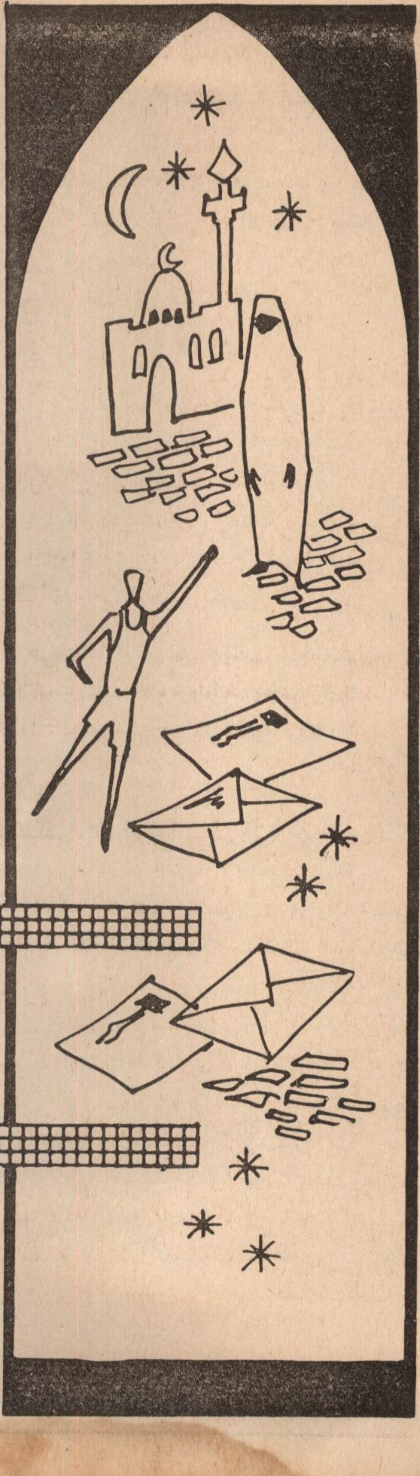

الإفتاء • المرأة المسلمة • الرياضة
بريد القراء • بريد التعارف

أنت تسأل

والمفتى يجيب

فضيلة الإمام الأكبر

الشيخ حسن مأمون

س ١ :

من السيد / احمد عبد الدايم بمحرم بك الاسكندرية

يقول : ان بنت خالته أنجبت بنتا وأريد الزواج من هذه البنت ، غير أن والدتها بنت خالتى المذكورة قد رضعت مع أختى من والدتى عدة مرات فهل تحل لى ابنتها المذكورة ؟

الجواب :

اذا كان الحال كما ورد بالسؤال كانت بنت خالة السائل التى يريد الزواج من بنتهااختا له من الرضاع سواء رضعت معه أو قبله أو بعده ما دامت قد رضعت من والدته ، وتكون بنتها التى يريد الزواج منها بنت أخته رضاعا فتحرم عليه كبنت أخته نسبا لقوله تعالى :

« حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وأمهاتكم التى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة ..»

ولقوله صلى الله عليه وسلم :

« يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب » .

وهذا على اطلاقه مذهب الحنفية القائلين بأن قليل الرضاع وكثيره سواء فى وجوب التحريم ما دام فى مدة الرضاع وهى سنتان ــ أما الشافعية وأحد قولين لاحمد فانهم يرون أن الرضاع المحرم ما كان خمس رضعات متفرقات فى مدة الرضاع وهذا ما ارتضيناه للفتوى ، فاذا كانت بنت خالة السائل التى هى أم لمن يريد الزواج بها قد رضعت من والدته مع أخته التى تكبره سنا خمس رضعات على الوجه المذكور فى مذهب الشافعية حرمت عليه بنتها اجماعا وان كانت الرضعات اقل من خمس أو كانت خمسا بعد مدة الرضاع حل له التزوج من بنتها على مذهب الشافعى الذى ارتضيناه للفتوى .

والله أعلم .

س ٢ :

من السيد / حسن عبد المنعم عبد الحميد

يقول : توفيت والدتى وعليها صلاة ثلاثة أيام وكانت قبل وفاتها تداوم على الصلاة ، فهل أقضى عنها هذه الايام ؟

الجواب :

فرض الله تعالى الصلاة على المسلمين المكلفين وجعلها ركنا من أركان الاسلام لقوله عليه السلام :

« بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا »

وقد عنى الاسلام بها ايما عناية ففرضها وأوجب اقامتها بخشوع وتدبر وكرر اقامتها خمس مرات فى اليوم والليلة وحذر من تركها وتوعد الساهين عنها فى غير موضع من القرآن **لأنها هى الشعار الفارق بين المسلم وغير المسلم .**

واذا كانت والدتك أيها السائل تداوم على الصلاة قبل موتها ، وأنها توفيت وعليها صلاة ثلاثة أيام لم تؤدها كما ورد بسؤالك وتحب أن تقضى عنها هذه الفوائت فأجيبك بأن العبادات اما أن تكون بدنية محضة كالصلاة والصوم أو مالية بحتة كالزكاة أو مالية بدنية كالحج فما كان من العبادات بدنيا كالصلاة والصوم فان الاسلام لا يقر قضاءها من الغير عمن فاتته ـ فاذا كانت والدتك قبل وفاتها قد عجزت عن أداء هذه الصلوات من قيام أو من قعود أو من ايماء أو استلقاء على الظهر وتحريك الرأس للركوع والسجود على أن يكون السجود أخفض من الركوع . اذا عجزت عن أداء ما فاتها على أية صورة من هذه الصور ، وماتت وهى على هذه الحالة فانها قد سقطت عنها الصلاة ولا تصير دينا فى ذمتها على الرأى المفتى به فى مذهب الحنفية (راجع مراقى الفلاح وحاشية الطحاوى ، وأما اذا كانت قادرة على أدائها بأية صورة من تلك الصور ولم تؤدها فلا يسقطها عنها قضاؤك لها لأن العبادات البدنية لا تصح فيها النيابة ؛ واذا كانت والدتك من المداومات على الصلاة حال حياتها وقد فاتتها تلك الفوائت « فانا نطمع فى رحمته الواسعة أن يتجاوز عنها : ان الله يغفر الذنوب جميعا الا من كفر به واشرك « ان الله بالناس لرءوف رحيم » .

س ٣ :

ومن نفس السائل :

يقول : انه فى الثالثة والعشرين بدأ يصلى من أربع سنوات ونصف سنة ومن هذه المدة وهو يحافظ على الصلاة ولم يفعل مانهى الله عنه فهل عليه قضاء الفوائت منذ البلوغ حتى بدأ يصلى ؟

الجواب :

حد البلوغ الاحتلام أو بلوغ خمس عشرة سنة لمن لم يحتلم ، ومن شروط وجوب الصلاة البلوغ فلا تجب على من لم يبلغ بمعنى أنه لا يعاقب على تركها قبل البلوغ ؛ ومع هذا فلو صلى قبل البلوغ فهو تطوع منه له ثوابه ، فضلا عن أن الصلاة قبل البلوغ تدريب على المحافظة عليها بعد البلوغ والرسول عليه الصلاة والسلام يقول :

« مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم فى المضاجع »

فاذا كنت أيها السائل تعرف زمن بلوغك سواء كان بالاحتلام أو بالسن فما عليك الا أن تحسب ولو على وجه التقريب المدة من تاريخ بلوغك الى زمن أول مداومتك على الصلاة فان كانت سنة أو أكثر كما يبدو من سؤالك فعليك قضاء مافاتك من أول بلوغك الى أول صلاتك ولما كانت الفوائت فى هذه المدة كثيرة فعليك أن تقضى مع الفرض الذى تؤديه فائتة من جنسه فتصلى صبحا حاضرا تقضى معه صبحا فائتة وظهرا مع

١

ظهر وهكذا ــ وتظل كذلك مدة مساوية لمدة الفوات أو الى ان يغلب على ظنك أنك قضيت ما عليك من الفوائت لقوله صلى الله عليه وسلم : **« من نام عن صلاة أو نسيها فليصل اذا ذكرها »**

ولا يفوتنى فى هذا المقام ان أحيى فيك تدينك وحرصك على أداء ديونك ودين الله أحق بالأداء ..

نسأل الله لك التوفيق والسير على الصراط المستقيم .

س ٤ :

ومن نفس السائل

يقول : انه فى معظم الاوقات وبخاصة فى الليل تنتابه رهبة ورعب وخوف من الموت ومن أهواله ومن سوء المصير ومن عذاب القبر ويوم القيامة وخوفا من الا يقبل الله أعماله . فماذا يفعل علما بانه يقرأ آية الكرسى كثيرا ؟

الجواب :

لايكون المرء فى عداد المسلمين الا اذا كان يعتقد بيوم الجزاء ، وأن الناس ستبعث من قبورهم ليجزى الله الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين احسنوا بالحسنى ومن هنا نرى القرآن كثيرا ما يذكر أهوال يوم القيامة وانشغال كل انسان بنفسه وانه يوم لا يجزى فيه والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا كما وردت السنة بحساب القبر وعذابه ونعيمه ـ نرى كل هذا فى القرآن والسنة وهو أمر يحفز المسلم على العمل بما يستتبع النعيم ويبعده عن العذاب وعند ذلك يخشى الله ويتقيه فيكون مقبولا عند الله ان الله لايضيع أجر المحسنين والرسول عليه السلام يقول :

« كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فزيارة القبور تذكر بالموت »

وكفى بالموت واعظا .

وواجب المسلم أن يخشى الله فى سره وعلانيته ويخاف عقابه ويخشى عذاب القبر ويرتجف من ذكر يوم القيامة حتى يكون ذلك كله دافعا له الى السير على الصراط المستقيم فيلقى الله وهو عنه راض . قال تعالى :

« يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق الا ان الذين يمارون فى الساعة لفى ضلال بعيد »

أما خوفك ايها السائل من أن الله تعالى قد لايقبل أعمالك فانك بهذا قد بلغت حد التشاؤم الذى ينهى الاسلام عنه كيف والمقصرون يطمعون فى رحمة الله الذى يقول ورحمتى وسعت كل شىء فعليك ان تحسن الظن بالله وتثق بوعده فى جزائك على احسانك فقد وعد سبحانه وتعالى ووعده الحق ألا يبخس المسلم أعماله الصالحة ان الله لايضيع أجر المصلحين فاعمل بشعائر دينك وتوكل على ربك وثق فى وعده وحارب نفسك والشيطان واعصهما واستغفر الله دائما واستعذ به من الشيطان واكثر من الصلاة فان الرسول عليه الصلاة والسلام كان اذا حزبه أمر بادر الى الصلاة ويقول « جعلت قرة عينى فى الصلاة » وحقا ان الصلاة تفرج كرب المكروب « ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » فأطع ربك وثق فى وعده فانه يقول :

« ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون » .

وما دمت تؤدى ما أمر الله به وتجتنب مانهى الله عنه فنرجو أن تكون ان شاء الله من المقبولين ولا تيأس من رحمة الله فانه لا ييأس من رحمة الله الا القوم الكافرون .

س ٥ :

من السيد / احمد حسن نصر

يقول : انه أصيب بشلل فى رجليه الاثنتين أعجزه عن المشى . فهل يجوز له التيمم للحدث الاصغر والأكبر .

الجواب :

نضرع الى الله تعالى وهو خير مسئول ونعم المجيب أن يشفيك يا بنى مما ألم بك من مرض، وأن يلبسك ثوب الصحة والعافية – وللجواب على سؤالك نقول : ان الشارع أباح التيمم بدلا عن الوضوء والغسل بالماء فى أمور جماعها عدم القدرة على استعمال الماء اما لفقده نهائيا واما لوجود قدر لايكفى الا للشرب واما لبعده ميلا أو ميلين واما خوف المرض أو زيادته باستعمال الماء

أما شلل رجليك فقط فهذا غير مبرر للتيمم مادامت يداك سليمتين والحمد لله فاليدان آلة التطهير بالماء فيسهل عليك جدا أن تأتى بالوضوء كاملا مع حالتك هذه مع غسل الرجلين بأيةوسيلة مالم يضرهما الغسل فان ضرهما الغسل فعليك مسحهما بمرور يديك عليهما فان ضرهما ذلك وجب المسح على حرقة فان كان ذلك يضرك تركته ولا شىء عليك « راجع مراقى الفلاح وحاشية الطحاوى » ويكتفى بغسل باقى أعضاء الوضوء ولا يباح لك التيمم بسبب حالتك التى ذكرت لان اكثر أعضاء الوضوء صحيحة .

شفاك الله وعافاك فرحمة الله واسعة فلا تيأس من فضل الله وعفوه فانه يقول للشىء كن فيكون .

س ٦ :

من السيد محمد عبد المنعم عبد الله – من كفر الشيخ

يقول : توفيت أم عن ابن وبنت وبنت ابن توفى أبوها فى حياة الام وتركت ٣٦ قيراطا فما نصيب كل ؟

الجواب :

اذا كان الحال كما ورد بالسؤال وكانت وفاة الام قبل اغسطس سنة ١٩٤٦ تاريخ العمل بالوصية الواجبة كان الميراث كله لابنها وبنتها الموجودين للولد ٢٤ قيراط وللبنت ١٢ قيراط ولا شىء لبنت الابن

اما اذا كانت وفاة المورثة بعد هذا التاريخ كان لبنت الابن الذى توفى قبل المورثة وصية واجبة فى تركة جدتها لامها المذكورة بمقدار ما كان يرثه أبوها ان لو كان حيا فى حدود الثلث فان كان أكثر من الثلث يرد الى الثلث ونصيب الابن المتوفى فى مسألتنا لو كان حيا هو خمسا التركة اى اكثر من الثلث فيرد الى الثلث فتقسم التركة الى ٣٦ جزءا لبنت الابن المذكورة ثلثها وصية واجبة وقدره ١٢ قيراط والباقى وهو ٢٤ قيراط يكون هو التركة للابن ثلثاها ١٦ قيراط ولبنت المتوفاة الموجودة ثلثها ٨ قيراط ما لم يكن هناك وارث آخر سوى من ذكروا .

س ٧ :

من السيد / طه محمد محمد غنيم

يقول : ما حكم الشرع فيما يجرى بالقرى من عملية اسقاط الصلاة عن الموتى – وذلك بحساب عدد السنين التى عاشها الميت ويقدر أهل الميت لكل سنة قدرا ماليا ويهبونه للفقراء عن روح المتوفى ثم يهب الفقراء النقود ثانية للذى قام بعمل اسقاط الصلاة وذلك نظير أجر معلوم متفق عليه ؟ .

الجواب :

أرسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم خاتما للرسل والانبياء وانزل عليه القرآن وهو آخر الكتب السماوية يهدى الى الحق والى الطريق المستقيم – فمن سار على هديه فاز فى دنياه وجوزى بالنعيم المقيم فى أخراه .

جاء الاسلام وللناس عادات التزموها تقليدا للآباء والاجداد وساروا عليها حتى عمت وانتشرت ولم ينكرها عليهم أحد حتى اعتادها غير المتعلمين - ولما كانت عادات الناس ليست كلها خيرا محضا ولا شرا محضا بل منها الحسن ومنها القبيح فقد كانت مهمة الاسلام اقرار الحسن من العادات وانكار ماكان سيئا منها كانكار ماتعوده الناس فى جنازات موتاهم وكالذبح عند خروج جثة الميت او عند دفنه مباهاة وفخرا مما نهى عنه الرسول بقوله : « لا عقر فى الاسلام » وكتكرار اقامة المآتم اكثر من ليلة والانفاق فيها مما يكون الورثة فى حاجة اليه وكاقامة الخميس والاربعين تجديدا للاحزان وكالانكار على من يلبسونه اللون الاسود حدادا لمدة سنة والامتناع عن أكل الدسم وغير ذلك مما التزموه من عادات لا يعرفها الشرع ولا يأذن لاهله بعملها .

واذا كان الناس يتصرفون فى شئونهم الخاصة بحكم الوراثة عن آبائهم واجدادهم ويستبيحون أعمالا جديرة بأن تكون مهزلة المهازل فأى سلطان اباح لهم أن يتصرفوا فى حقوق الله التى أوجبها على عباده .

ان الله تعالى فرض على عباده فروضا تزكية لانفسهم وتطهيرا لدخائلهم وتهذيبا لارواحهم وذلك كالزكاة والصلاة وغيرهما واوجب القيام بهذا وحذر من التهاون فيها وأوعد من تركها أو قصر فيها .

قال تعالى : « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » .

وقال تعالى فى شأن الزكاة : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها »

وقال فى شأن الصوم : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون »

غير ان الناس جهلا منهم بغير علم يجرون على عمل ما يسمى باسقاط الصلاة والصوم مع انها ديون لا تسقط الا بالاداء الشخصى فيأتون الى ميت قصر فى الصلاة كما هو موضوع السؤال ويحسبون للصلاة فدية يعطونها للفقراء باسم اسقاط الصلاة ثم يحتالون ويعبثون فيشترطون على الفقراء ان يرد الفدية اليهم بطريق الهبة على ان يعطوه قدرا يسيرا - هكذا يفعلون وهو احتيال مكشوف وعمل مردود على صاحبه لايسقط صلاة ولا صوما بل هو عبث بالشريعة وعمل بالرأى فيما لايستقبل به الرأى نعم ورد فى كتب الحنفية رأى ضعيف فى اسقاط الصلاة « راجع كتاب مراقى الفلاح على حاشية الطحاوى » وهو مع ضعفه وعدم العمل به ليس كهذا العبث الذى يجرى عليه الناس - فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم .

س ٨ :

من السيد / على محمود على

يقول : ما رأى الاسلام فى السلفة التى ياخذها الموظف من البنك ويتقاضى البنك عنها فائدة ؟

الجواب :

ان الاسلام يحرم التعامل بالربا فى جميع صوره لقوله تعالى :

« يمحق الله الربا ويربى الصدقات »

وقوله :

« وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله »

وان القرض بدون فائدة للمقرض هو امر تعاونى حث عليه الشارع ورغب فيه ووعد فاعله بالثواب وفى ذلك قال تعالى :

« وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان »

ويقول صلى الله عليه وسلم :

« من فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة »

وان مد يد المعونة الى معدم باقراضه ما يسد به حاجته الملحة وانتظاره الى ميسرة . واسترداد ما أقرضه بلا زيادة ولا نفع لهـو من أعظم أبواب تفريج كربة المكروب .

هذا واذا كان القرض الذى يتقاضاه الموظف من البنك يعطى عنه فائدة ما فان هذا من باب الربا المحرم الذى حذر الشارع منه اذ هو استغلال المصرف لحاجة المحتاج والحصول منه على فائدة بلا مقابل فكل قرض جر نفعا فهو ربا .

وقد قرر المؤتمر الثانى لمجمع البحوث الاسلامية أن الفائدة على أنواع القروض كلها ربا لا فرق فى ذلك بين ما يسمى بالقرض الاستهلاكى وما يسمى بالقرض الانتاجى لان نصوص الكتاب والسنة فى مجموعها قاطعـة فى تحريم النوعين كما قرر ان كثير الربا وقليله حرام وأن الاقراض بالربا محرم لاتبيحه حاجة ولا ضرورة والاقتراض بالربا محرم كذلك ولا يرتفع أثمه الا اذا دعت اليه الضرورة ، وكل امرىء متروك لدينه فى تقدير ضرورته .

س ٩ :

من السيد / م ٠م٠ ا

يسأل : ما هو الايمان وما هو الاسـلام وهل تصح الصلاة والمصلى يشك فى دينـه أى بدون ايمان ؟

الجواب :

عن معنى الايمان والاسـلام يظن كثير من الناس أن الاسلام والايمان شىء واحد والحقيقة أنهما شيئان . فالايمان هو التصديق بالله وتفرده بالخلق والربوبية والايمان برسله ورسالاته واليوم الآخر تصديقا حازما مبنيا على الرضى والاطمئنان القلبى والاذعان .

واما الاسلام فهو الانقياد والدخـول فى السلم « على أن الايمـان يحصل أولا ثم يأتى بعـده الاسلام » .

وقد سأل رجل رسول الله صلى الله عليـه وسلم قائلا : ما الايمان يا رسـول الله ؟ قال : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليـوم الآخر وأن تؤمن بالقضاء خيره وشره حلوه ومره » والاسلام هو شهادة ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصـوم رمضان وحج البيت لمن استطاع اليه سـبيلا والاحسـان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ، وقال تعـالى : « قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم » .

هذا وعن الشق الثانى من السـؤال وهو هل تصح صلاة من يشك فى دينه فنقول : ان من يشك فى دينه فقد فقد أهم عنصرى الدين وهو الايمان ، واذا كانت الشريعـة وهى العبادات والمعاملات تبنى على العقيدة فمتى فقدت العقيدة أو حصل شك فيها انهدمت الشريعة ، فالعقيدة أصـل تبنى عليه الشريعة والشريعة بدون العقيـدة علو لا أساس له واذا كانت الصلاة عبادة الابدان فلا بد أن يسبقها الايمان وهو الاعتقـاد الجازم وأما الشكاك فلا يقال له مؤمن واذن فلا صلاة لمن يشك فى أنه مؤمن .

س ١٠ :

ومن نفس السائل :

يقول : ان الحسد أمر مكروه وهنـاك بعض الناس يحملون مصاحف صغيرة الحجم فى جيوبهم على هيئة حجاب لكى لا يؤثر فيهم الحسد فهل هذا صحيح ؟

الجواب :

ليس من شك فى أن القرآن نزل لمهمة عظمى هى هداية الناس لما فيه صلاح دينهم ودنياهم . واذا كانت الاجسام يعتريها المرض وعلاجها الطب والعقاقير فان الارواح والنفوس يعتريها من الامراض ماهو أشد فتكا وأعظم ضررا من مرض الاجسام وعلاج أمراض الارواح هو القرآن الذى جاء يهدى للتى هى أقوم ويطهر النفوس ويهذب الارواح – ولم ينزل القرآن لاستعماله احجبة أو غيرها من هذا القبيل وعلينا معشر المسلمين ان نصون كتاب الله وأن ننتفع بالقرآن فى علاج أرواحنا وسمو نفوسنا وأن نحكمه فى جميع أمورنا كتشريع من الله وهدى ورحمة ونور للبصائر .

واما ما ذكرته من الحسد فهو أمر لا شك فى وجوده فلا يكاد يختلف اثنان فى وجود الحاسدين وليس هناك من عاصم من الحسد الا الله الذى يقول فى كتابه العزيز :

« قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ؛ ومن شر غاسق اذا وقب ، ومن شر النفاثات فى العقد ومن شر حاسد اذا حسد » .

وقوله تعالى :

« قل أعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس » .

س ١١ :

من دكتور م . م . م . البحيرة

يقول : وسوس الشيطان لأم خطيبته حتى أوقعته فى المحرم معها فباشرها كما يباشر الرجل زوجته ، ثم تابا الى الله ويسأل ان كان لهذه المعصية كفارة وهل يحرم عليه التزوج بخطيبته ؟

الجواب :

هذه المعصية التى ارتكبتها مع والدة خطيبتك ليس لها كفارة الا التوبة الى الله والندم وعدم العودة الى مثل ذلك والله تعالى يقول فى وصف عباد الرحمن :

« والذين لايدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق آثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا »

أما زواجك بخطيبتك ابنة هذه السيدة التى ارتكبت معها تلك المعصية فلا يجوز عند الامام ابى حنيفة رضى الله عنه وهو المعمول بمذهبه فى المحاكم المصرية لان الزنا عنده يترتب عليه ما يترتب على النكاح من حرمة المصاهرة .

ويرى الامام الشافعى رضى الله عنه أن ماء الزنا هدر فلا يترتب عليه حرمة المصاهرة فيجوز عنده لمن زنى بامرأة أن يتزوج بابنتها – والله أعلم .

س ١٢ :

من القارئة هـ . ا . م

وصلتنا رسالتك ونحن فى انتظار تشريفك مكتب فضيلة الامام الاكبر بالقاهرة

س ١٣ :

من السيد / احمد امام احمد بركة :

يقول : هل الانسان مسير أم مخير ؟ فان كان مسيرا فما ذنب من عمل واجتهد وكتب له الرسوب مثلا ، وما ذنب من ولد بريئا وكتب عليه طريق سوء فساره فدخل النار – وان كان مخيرا فما صحة القول بأن الله يعلم قبل أن يخلق الخلق بأعمالنا وهى ما زالت تحت الاختبار ؟

الجواب :

ان هذا الموضوع كثر فيه كلام علماء العقائد واختلفت وجهة نظرهم فيه ، فطائفة ترى أن

الانسان مجبر ومقهور على فعل ما يفعل من خير او شر ويسمى القائلون بهـذا الرأى بالجبرية ويرى أهل السنة أن الانسان مخير فى أعماله بما منح من عقل وتفكير ، ومن هنا كلفه الله بعقائده وعبادته وتركه وما يختار :

« انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا » وقوله تعالى : « وهدينـــاه النجدين »أى طريقى الخير والشر .

وبذلك كان الانسان مستعدا بكامل اختيـاره لدرجة القرب من الله تعالى أو البعـــد عنه : **« ان أكرمكم عند الله أتقاكم » ، : « من عمــل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون»**

٩٧ سورة النحل

واذا كان القرآن يضع الانسان هذا الموضع فذلك لانه يعده ذا حرية واختيار — يفعل الخير مختارا فيثاب ويفعل الشر مختـــارا فيعاقب ، وليس هناك قوة خارجة عن نفس الانسان تدفعه الى فعل أو ترك — ولو شاء الله لخلق النـــاس جميعا على طبيعة الخير لا يعـرفون شرا أو خلقهم على طبيعة الشر فلا يعرفون خيرا أبدا وعند ذلك لايكون للحساب الاخروى وجود مع ثبوته بنصوص القرآن :

« اليـــوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب »

آية ١٧ سورة فاطر

وقال تعالى :

« هل يجزون الا ماكانوا يعملون »

١٤٧ سورة الاعراف

الى غير هذه الآيات وهى كثيرة فى القرآن والتى تدل دلالة واضحة على الحرية والاختيار وانه لا قهر ولا جبر — وما لنا نذهب بعيدا فهاهو القرآن الكريم ينكر على المشركين اعتذارهم عن شركهم بأنهم مجبورون عليه ولو شـاء الله ما أشركوا — أنكر عليهم اعتذارهم بما منحهم من عقـل وبمـا ارسل من رسل :

« سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شىء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من عـلم فتخرجوه لنا ان تتبعـون الا الظن وان أنتم الا تخرصون » .

١٤٨ سورة الانعام

ومن هنا نرى صحة راى أهل السـنة القائلين بأن العبد مخير فى أفعاله غير مجبور عليها لقوله تعالى :

« لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت »

٢٨٦ البقرة

هذا وان علم الله شامل لما كان وما سيكون من العبد فهو يعلم أزلا أن العبد سيختار الخير أو الشر وليس فى شمول علم الله لما سيكون معنى الجبر والقهر .

وأما ماذكرت من ان الانسان يولد بريئا وكتب عليه طريق سوء فسار فيه فدخل النار — فقد قلنا ان الله يعلم أزلا أن فلانا سيختار الخيــر أو سيختار الشر ، ومن هنـــا كان الوحى وكانت الرسالات وأن سيره فى طريق الشر انما هو بمحض اختياره وبهذا يغلق الطـريق أمام من ينحرف أو يضل ويفسق عن أمر ربه ثم يتمسح فى القضاء والقدر ، والا فمعنى ذلك كما قلنا بطلان التكاليف وكان ارسال الرسل والكتب عبثا وباطلا — وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا — نسأله سبحانه الهداية والتوفيق والرشاد .

ان الاسلام هو القانون الطبيعى للحياة وان مناهجه النظرية والعلمية هى التى تحل مشكلات المجتمع وتصون افراده من الوقوع فى حماة الرذيلة وفى ظلمات الشك والحيرة .

وشريعتنا الاسلامية هى ميثاقنا واليوم تراودنا جميعا مشكلة انسانية تكاد تكون كبيرة الا وهى مشكلة المهور .. وقد اختلفت اوضاع المهور فى المجتمعات الانسانية وظهرت فى اشكال مختلفة، والحديث عن هذا الموضوع أشبه برحلة طويلة . نقص منها ما تحقق به العبرة .

كان العرب فى الجاهلية يبذلون من المهور على قدر مارزقوا من نعمة العيش وبسطة الغنى . على ان حد ذوى الجاه واليسار كان مائة رطل من الذهب أو مائة ناقة وقد يجمع بينهما أحيانافقد امهر عبد المطلب بن هاشم جد النبى عليه الصلاة والسلام فاطمة بنت عمر مائة ناقة ومائة رطل من الذهب ولذلك كانوا يقولون لمن تولد له منهم بنت (هنيئا لك النافجة) اى المعظمة لمالك لانه كان ياخذ هذا المهر العظيم ويضمه لماله وثروته فيعظم قدرها .

واحيانا يتمثل المهر فى خدمة يقدمها الزوج لاهل زوجته او فى اى عمل يفرضونه عليه وقد ساد هذا النظام فى امم كثيرة فى مختلف العصور ولكن دون اللجوء الى هذا النوع من دفع المهر فى صورة مال ذى قيمة ومن أشهر الامم التى اخذت بهذا النظام فى العصور القديمة الشعب العبرى والشعوب المجاورة له فالقرآن الكريم يخبرنا بان موسى عليه السلام - قد تزوج من بلاد مدين ببنت شعيب وفق هذا النظام وذلك اذ يقول (قالت احداهما يا ابت استاجره ان خير من استاجرت القوى الأمين . قال انى أريد أن انكحك احدى ابنتى هاتين على أن تاجرنى ثمانى حجج فان أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن اشق عليك .. الآيات)

وفضلا عن أن الخدمة كانت فى مقابل المهر النقدى ، فانه كان يقصد بها كذلك اختبار مقدرة الزوج على العمل والتاكد من اخلاقه وصلاحيته وجلده .

واحيانا يتم الزواج فى صورة تبادل زواجى فيتفق رجلان على ان يتزوج كل منهما ببنت الاخر او بمن هو ولى امرها على ان تكون كلتاهما فى مقابل الاخرى فلا يدفع احد منهما مهرا لزوجته ومن اشهر الامم التى كانت تسير على هذا النظام العرب فى الجاهلية وكان يسمى عندهم - نكاح الشغار (من شغر البلد شغورا من باب قعد اذا خلا من حافظ يمنعه .. سمى بذلك لخلوه من المهر) وقد حرم الاسلام هذا النوع .

واحيانا يتمثل المهر فى امر معنوى يتصف به الزوج كثقافته وحفظه - وقد اجاز الرسول عليه الصلاة والسلام زواجا من هذا القبيل ، فعن سهل بن سعد (ان امراة جاءت الرسول - عليه الصلاة والسلام - فقالت له - جئت لاهب لك نفسى) وهذا جائز للرسول عليه الصلاة والسلام بدليل قوله تعالى (يايها النبى انا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك .. الى قوله تعالى : (وامراة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى ان اراد النبى ان يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين) آية ٥٠ من سورة الاحزاب فنظر اليها الرسول عليه الصلاة والسلام . وصعد النظر اليها وصوبه ثم طاطا راسه

فقال له رجل ان لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها ... يارسول الله .

فقال الرسول .. ما عندك ؟

قال الرجل .. ما عندى شىء .

قال الرسول .. اذهب فالتمس ولو خاتما من الحديد .

فذهب الرجل ثم عاد

وقال .. لا والله ما وجدت شيئا ولا خاتما من حديد ولكن هذا ازارى ولها نصفه .

ولم يكن للرجل رداء

فقال الرسول .. وما تصنع هى بازارك ؟ - ان لبسته لم يكن عليك منه شيء وان لبسته لم يكن عليها منه شيء .

فجلس الرجل حتى اذا طال مجلسه قام - فرآه النبى - صلى الله عليه وسلم - فدعاه او دعا له .

فقال له .. ماذا معك من القرآن ؟

قال الرجل .. معى سورة كذا وسورة كذا وكذا

فقال الرسول .. او تقراهن عن ظهر قلب ؟

قال الرجل .. نعم

قال الرسول .. اذهب فقد ملكتها بما معك من القرآن .

ومعظم الامم التى تسير على نظام المهور لاتقيد المهر بحد ادنى ولا بحد اعلى بل تترك تحديد قيمته لاتفاق الطرفين وبعضها يقيده بحدين لايصح النزول عن ادناهما ولايتجاوز اقصاهما . وبعضها يعين احد الحدين فقط ، ويترك الطرفين طليقين فى الحد الاخر وفى الشريعة الاسلامية مذاهب تمثل الاتجاه الاول كما ان فيها مذاهب تمثل الاتجاه الاخير . فبعض الفقهاء يذهب الى عدم تقييد المهر بحد ادنى معتمدا على قوله عليه الصلاة والسلام (من اعطى ملء كفيه طعاما او دقيقا او سويقا فقد استحل) ويذهب بعضهم الى ان الحد الادنى للمهر عشرة دراهم معتمدا على مارواه جابر - رضى الله عنه - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انه قال (لامهر دون عشرة دراهم) وهذا هو مذهب ابى حنيفة - ولكن الشريعة الاسلامية لاتضع حدا اعلى للمهر الذى يدفعه الزوج للزوجة ولا للهدايا التى يقدمها اليها بل تترك ذلك لمايتراضى عليه الطرفان وتطيب عنه نفس الزوج ويجرى به العرف وقد روى سعيد بن منصور وابو ليلى عن عمر رضى الله عنه انه وهو على المنبر . نهى ان يزاد فى الصداق على اربعمائة درهم . ثم نزل . فاعترضته امراة من قريش فقالت ان الله يقول (وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا) وتقصد بذلك ان الآية تفيد انه من الجائز ان يبلغ المهر قنطارا من الذهب فكيف يجوز لعمر ان يضع له حدا اقصى . فقال عمر رضى الله عنه (اللهم عفوا . كل الناس افقه من عمر) ثم رجع الى المنبر وقال (انى كنت نهيتكم أن تزيدوا فى صداقهن على اربعمائة درهم فمن شاء ان يعطى من ماله ما احب)

ومن ذلك يظهر لنا ان الفهم السائد لمبادىء الاسلام فى عصوره الاولى عند المسلمين فيما يتعلق بالمهور . وهذا يدل على ان المهر قد تجرد فى نظر الاسلام من صفات الثمنية تجردا كاملا .. وان الاسلام ينظر اليه على انه مجرد رمز لقبول الزواج والاتفاق عليه . فيكفى فيه اى شىء يعتبره الطرفان كافيا للرمز الى ذلك .

هذا هو مجمل الامر من الناحية الشرعية الاسلامية اما الاوضاع التى يجرى عليها العمل فى الواقع فى اسرتنا فتختلف فى هذا الصدد تبعا لاختلاف الطبقات فى مستواها الاقتصادى والاجتماعى .

فهناك طبقة من شعبنا يقدم الزوج المهر لاهل الزوجة ويستعين هؤلاء بهذا المهر فى تجهيزها وقد جرت عادة الناس فى هذه الطبقات بالاعتدال فى المهور اذ لاتسمح احوالهم المادية فى المغالاة فيها . كما جرت عاداتهم بالاعتدال فى نفقات الافراح

وطبقة اخرى من شعبنا قد جرت العادة لديها ان يحتمل اهل الزوجة نفقات الجهاز والعرس جميعها او معظمها وهم يحاولون ان يظهروا فى هذه الشئون بمظهر العظمة وان يقلدوا الطبقات المترفة والواسعة الثراء فيكلفون انفسهم احيانا اكثر مما يطيقون وهم يتغالون فيما يجب على الزوج اداؤه من مهر وشبكة وهدايا وكثيرا ما يتحمل الزوج من هذه الاعباء مالا طاقة له به وقيام الزوجة واهلها بنفقات الجهاز والعرس هو اسلوب انتقل الينا من الغربيين فقد استقرت شرائعهم وتقاليدهم على اعفاء الرجل من هذه الاعباء والقائها على كاهل المراة واهلها على عكس ما استقرت عليه تقاليد العرب والشريعة الاسلامية .

ولاتحرم الشريعة الاسلامية ان تحتمل المراة بكامل اختيارها وارادتها او اهلها كذلك نفقات العرس والجهاز وان لم يكن هذا هو الاسلوب الذى جرى عليه العرف العربى وجرى عليه العمل فى العصور الاسلامية الاولى . ولا تحرم الشريعة الاسلامية ان تجهز المراة بفاخر الثياب والزينة ولا ان يزود منزلها بالثمين من الاثاث والمتاع . (قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق »

ولكن الشريعة الاسلامية تحرم الاسراف والتبذير ايضا فى اى مظهر من مظاهر الحياة كما تحرم ان تكلف النفوس فى أى شان من الشئون أكثر مما تطيق وتحظر كل مسلك ينطوى على عسف او حرج او ضرر وفى هذا يقول الله تعالى ..

(ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا)

ويقول فى وصف المؤمنين الصادقين (والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) ويقول (لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها »

ويقول الله تعالى (ما جعل عليكم فى الدين من حرج)

وتفضل الشريعة الاسلامية الاعتدال فى كل شيء وفى المهور على الاخص وفى هذا يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه (أيسرهن مهراً اكثرهن بركة)

فالاوضاع التى يجرى عليها العمل فى طبقات شعبنا فى شئون الجهاز والمهور والشبكة والهدايا يحرم الدين الاسلامى جميع ماينطوى منها على اسراف وتبذير او على تكليف بما لايطاق وهى فى معظم الاحوال تنطوى على هذه المساوىء جميعها او بعضها هذا الى ان هذه الاوضاع قد ترتبت عليها اضرار بالغة من الناحية الاجتماعية وغيرها وكانت من اهم الاسباب فى ازمة الزواج .

ولذلك ينبغى ان يتدخل المهتمون بشئون الاسرة فى هذا الموضوع ويدرسونه على قواعد سليمة تتسق مع روح الاسلام وتحقق الصالح العام للاسرة ولشعبنا وتجانب مظاهر السرف والتبذير والتكليف بمالا يطاق .

ماذا نقول للشباب .. في معسكرات الصيف؟

الأستاذ ناصف سليم

تدرك الأجهزة المعنية برعاية الشباب فى بلدنا، أهمية الدين فى تربية الشباب العربى وخاصة فى هذه المرحلة التى تجتاز فيها أمة العرب محنة قاسية ، تحتاج الى تعبئة كل الجهود وتضافر كل القوى ، لنستعيد ارضنا المغتصبة ، ونبنى من شبابنا المؤمن قلعة قوية تتحطم عليها كل التيارات المنحرفة

هذا واضح من نشاط بدأ يظهر فى مجالات الشباب ، واستعداد من جانب وزارة الشباب لمعسكرات الصيف حيث طلبت من المجلس الأعلى للشئون الاسلامية تزويد هذه المعسكرات بكل ما يفيد الشباب فى أوقات فراغهم

والواقع أن المعسكرات فى مفهومها الجديد ليست مجرد وسيلة لقضاء وقت الفراغ ، ولكنها وسيلة اعداد للشباب

*** ازدحام العام الدراسى :**

فالعام الدراسى ازاء مناهج التعليم التقليدية والمستحدثة ، اصبح مزدحما بالنشاط العلمى من أول يوم فيه حتى آخر يوم ، بحيث تضاءلت الى جانبه فرص مزاولة النشاط الرياضى والتزود بالثقافة الخارجة عن اطار المنهج المقرر

وليس بخاف على احد ان مثل هذا النشاط مرغوب أكثر من غيره ؛ ربما لأنه ليس مطلوبا أثناء العام الدراسى ، وبالرغم من أن احدا لن يمتحن فيه .. وهذه طبيعة الطالب وكلنا يعرفها ، تستهويه قصة غير مقررة ، تستهويه العاب ترفيهية ، بينما يلزمه لتأمين المستقبل ؛ والتطلع الى حياة مستقرة أفضل ، أن يعكف على درسه ، وان يحصل اكبر قدر من علومه تحصيلا دقيقا يمكنه ـ لامن النجاح فحسب ، بل من التفوق والحصول على درجات عليا ومن هنا ؛ كان ازدحام الوقت بالدرس وبالدروس الخصوصية بعد وقت الدراسة .

*** حاجة الشباب الى الترفيه :**

وشباب هذا حاله ، وهذا عمله خلال تسعة أشهر على الأقل يحتاج الى رعاية من نوع آخر ، موعدها هو الصيف ، ومقرها المعسكرات وهدفها : بناء الشباب وتحصينه واعداده للمعركة والمعارك المستقبله والترفيه عنه بالقدر الذى لايفقده جلده ولا يؤثر على خشونته وتقشفه .

ولا توجد رعاية تحقق هذا الهدف بدون دين ، فهو الذى يرشد الشباب الى وسائل الانتاج الفعلى فى السلم والحرب ، هو الذى يرشدهم الى كل ما تطلبه الوطنية الحقة ، هو الذى يدفعهم الى ميدان البذل والتضحية دون تردد ، وهو الذى يمكنهم من الفاعلية فى كل موقع يوضعون فيه .

*** ليست حصص الدين :**

والشباب فى معسكرات الصيف ، ليس فى حاجة الى اعادة شرح مقررات الدين التى وزعت على سنوات الدراسة وظل أمامها عاما أو اكثر من عام ولكنه فى حاجة الى منهج أخر تنطلق فى رحابه افكاره ، وينفتح له قلبه ويناقش فيه بحرية تامة ويستمع اليه راغبا فى المزيد ولابد ان يكون هذا المنهج محدد المعالم ، منتقى الموضوعات ، ملائما لظروف البيئة والمعركة ، لايضع الشاب فى حيرة من أمره ، ولا يضاعف من شكوكه اذا كان شاكا ..

ولابد هنا ان نلفت النظر الى أن الاستماع فى معسكرات الصيف المزدحمة بالبرامج التنشيطية والترويحية ، لايأتى الا عن رغبة ولابد ان يكون كالوجبة الشهية على مائدة جائع ..

وأذكر أن بعض شباب المعسكرات انصرف من امام محاضر لم يخرج بالشباب الى خارج نطاق الجدل بين المعتزلة والجبرية وأهل السنة .. مما هم فى غنى عنه فى هذه المرحلة ، ناسيا ان ينوه لهم عن أثر هذه الخلافات المذهبية فيما وصل اليه حال المسلمين .

*** أهداف وموضوعات محددة :**

وليس الشباب فى حاجة الى أن تتحدث اليه عن دقائق التفصيلات فى الفقه الاسلامى - مثلا - ولا عن افتراضات قد تقع ، وقد لاتقع .. ولكنه فى حاجة وبالدرجة الأولى الى :

* فهمه أهداف العدو ومواقفه من الدعوة الاسلامية فى كل وقت

* الجهاد وحاجة كل من يطلبون الحرية والعزة اليه .

* الارض المقدسة وحق العرب فيها

* البذل وأهميته فى المعركة من الناحية الاقتصادية والحربية والنفسية .

* المواءمة بين متطلبات الدين ومتطلبات العصر ولا نعتقد ان الدين يطلب من الانسان شيئا ليس فى صالح الانسان . ولا نعتقد كذلك أن متطلبات الحياة العصرية تتنافى مع الدين مادامت تهدف الى سعادة الانسان

* تماسك الامة ودعوة الاسلام اليه لأن وحدة الفكر ووحدة الرأى فى الأزمات من أسلحة النصر

* المواقف التى حققت للمسلمين التفوق النفسى فى معاركهم النضالية

* موقف الاصدقاء ..وموقف الأعداء من معاركنا وأيهم - حقيقة - يؤدى دوره فى اعزاز العرب ، والحفاظ على كرامتهم ، وما أعجب ان نسمع من يردد ان المؤازرين لاسرائيل أولى بصداقة العرب من غيرهم !!

هذه موضوعات شتى وغيرها كثير ، اراها ملائمة ومناسبة ، لأن تقال للشباب فى معسكرات الصيف على ان نحاول خلق قيادات واعية من هؤلاء الشباب قيادات تستطيع ان تدافع عن الدين وترد ادعاءات المغرضين وطعنات الحاقدين الموجهة اليه ،بالمنطق .. وبالتى هى احسن.. وان تعتبر فترة المعسكرات أو البرنامج الدينى فيها وسيلة للتحول والتغير فى نفسيات الشباب البعيد عن الدين ، أو الذى اعترته أزمات نفسية ، انحرف بسببها عن جادة الطريق والانسان بطبيعته قابل للتغيير . اذا استخدمنا الوسيلة الصحيحة المقنعة لتغييره ، والشباب بصفة خاصة أشد تأثرا بكل جديد ، وأشد انفعالا، وأسلس قيادا نحو مقتضيات الفطرة السليمة التى فطر الله الناس عليها . لأن صفاته السيئة نستطيع ازالتها فى هذه السن التى ترحل بأصحابها الى المعسكرات الصيفية قبل ان يتبلد حسه ، أوتتأصل فيه صفاته وطباعه

*** كل امرىء يولد على الفطرة :**

وأذكر على ضوء تجربة خاصة ، اننى ما وجدت برنامجا فى معسكر يغرى بالاستماع اليه،واستيعابه كالبرنامج الدينى ، وتستطيع وزارة الشباب وهى تعد للمعسكرات الجديدة أن تعود الى احصاء عن المتغيبين والحاضرين فى المحاضرات الدينية وفى غيرها ، فى جميع المعسكرات ، ولسوف يتأكد لها ان المحاضرات الدينية هى التى شدت انتباه الشباب وهى التى قل فيها التخلف والاعتذار

*** سر الاهتمام بالبرامج الدينية :**

وما ذلك الا لأن الشاب يشعر بحاجته الى التزود

بمادة لها صلة بروحه وكل انسان يولد على الفطرة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠٠ والانسان فى حاجة الى كل موضوع يمس حياته ، ومشاكله اليومية وعلاقته بربه وبنفسه وبالناس

بالاضافة الى أنه لايتيسر له ان يحصل على مايريد من كتب باهظة الثمن أو تحتاج الى شرح طويل أو اختفى الموضوع الذى يريده فى جملة موضوعات أخرى ٠

ومن هنا كانت مسئولية واضعى برامج المعسكرات ضخمة لأن عليهم أن يحسنوا اختيار الموضوعات واختيار المحاضرين بل واختيار الكتب التى يزودون بها مكتبات المعسكرات ٠

وحين يتزود الشاب دينيا وثقافيا سيجد راحة نفسية لاحد لها حين ينطلق الى النشاط الاخر ، والى اللعبات الرياضية التى تخفف من الذهن وتساعد على صقل الجسم وهو بهذا يختزن طاقة قوية ، تعينه على أعباء العام الدراسى القادم ٠٠ الذى هو كما تحدثنا عنه ٠٠ مزدحم ثقيل العبء ٠٠ يحدد مستقبل الانسان ومستقبل أسرته

أعان الله شبابنا على اجتياز مراحله الشاقة ٠٠ فى حياة بدت هى الأخرى شاقة ٠٠ الكل فيها يتزاحم ليأخذ مكانه ويسير بين الركب ٠

●

أوعية إدخار
البنك الأهلى المصرى

شهادات استثمار
البنك الاهلى المصرى
بأنواعها الثلاثة
ذات القيمة المتزايدة
ذات العائد الجارى
ذات الجوائز

صندوق توفير
البنك الأهلى المصرى
يقبل الودائع
من ٢٥ قرشا
بفائدة ٣ ١/٢ ٪ سنويا

ودائع لأجل
بفائدة تصل
إلى ٤ ٪
سنويا

بنك المدرسة
لطلبة المدارس
يقبل الودائع من ٢٠ مليما

البنك الأهلى المصرى
خبرة ٧١ عاما فى كافة الخدمات المصرفية

عزيزى القارىء :

مع نسـمات ربيع الاول ، واشراقات ذكراه الخالدة ، مع مولد الرحمة المهداة ، وبزوغ فجر الهداية المبتغاة ، تصدعت عروش الظلم والطغيان، وزلزل معقل الوثنية المفتراه ، ايذانا باشراق نور المعرفة الحقة وتحرر العقول من سدف الجهل ، وانتشال الانسانية من وطأة الانغماس فى البهيمية الجهلاء ، فربت الوهاد ، وتفتحت الازهار ، وتغنت الارض بتكريم السـماء ، وأرسلت الابتهالات تسابيحا وتحميدا ان وهب الانسانية من يأخذ بيدها الى مدارج الكمال ويهديها سبل الرشـاد ، ويقيها شر التردى فى مهاوى الرذيلة والهلاك « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » .

وجريا علي سنة الله فى رسله ، كان علي الرسول وصحبه الاخيار أن يواجهوا عدوا يجمع الى طبيعة الجحد والانكار ، القدرة على الجدل والمخاصمة (كلما جـاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون .) ومن ثم جـاء القرآن الكريم معجزة رسولنا الخالدة يتحداهم ويكشف سوء سريرتهم ، ويشد من أزر الرسول عليه الصلاة والسـلام .. « ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر انهم لن يضروا الله شيئا يريد الله ألا يجعل لهم حظا فى الاخرة ولهم عذاب عظيم » .

ويحمل الكفار على الرسول المجاهد الرحيم حملات عاتية من التشكيك والتهديد والتنكيل حتى كانت الهجرة ، وكانت الدولة الاسلامية النامية ، وكانت المواجهة الحربية ، وكان الابتلاء للمسلمين بالنصر تارة والزلزال تارة أخرى .. « حتي يقول الرسول والذين امنـوا معه متي نصر الله ألا ان نصر الله قريب .. وجاء نصر الله للمسلمين عزيزا حكيما حاسما علي مراكز قوى الشر بمكة وحلفائها ، وكان تطهـير بيت الله من رجس الوثنية ، وكان أن تخلصت الابصار من زيف الباطل ، واستعادت البصائر قدرتها على ادراك الحقائق يوم أن أسدت القوة المحمدية المنتصرة الي شقائها يد الرحمة والامان فكان أن هزهم الموقف الاسلامى الماجد وسارعوا الى الدخـول فى دين الله أفواجا تدفعها المحبة فى الانتساب الىالجماعةالمحمدية ويحدوها الامل فى أن يسعها الله فى رحمته التي وسـعت كل شيء « واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الاخرة انا هدنـا اليك ، قال : عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون » وفق الله أمتنا الاسلامية الى الاقتداء برسـول الهداية والجهاد وأن يكون يوم ميلاده يوم بعث جديد ومبايعة عامة للاصرار علي تخليص مقدساتنا وتحرير أوطاننا .

السيدة استر يوست ESTERYAST بهرتها رحابة التعاليم الاسلامية فآمنت

الاسلام هو دين الفطرة والملاذ الوحيـد والحصن المنيع والمنار الفريد لطلاب الخلاص من مظاهر الفساد وأدران القلق وأعراض الضياع وهو السبيل الي حياة أمن واستقرار روحى ومادى ، وهو الدوحة الفيحاء التى يتنفس فى ظلها رواد الحرية نسيم الفلاح بعيدا عن كل ألوان العصبية والعنصرية والقهر والاباحية والتزمت من خلال كل هذه المعانى الاسلامية الانسانية عثرت السيدة استر يوست المواطنة السويسرية على نفسها بعد أن اقترنت بالدكتور عبد المقصود أثناء دراسته الصيدلة بجامعة لوزان بسـويسرا لتصبح السيدة مني عبد المقصود المقيمة حاليا ببورسعيد ، ونترك القلم للسيدة منى لتقص علينا كيف عثرت علي نفسها فى رحلة الخلود « أخذت فى تعلم اللغة العربية على مدى خمسسنواتحتي أصبحت أتكلمها بطلاقة ، وكنت دائمـا أشـعر أسرة زوجى أننى أحافظ علي احترام عقيدتهم ، وذات مرة وأثناء ترتيـل الشيخ الحصرى لآيات الذكر الحكيم نظرت الى وجوه الاسرة كلها وكانت مفعمة بالتدبر وكان كلا منهم يسبح بروحه فى أجـواء الايات البينات التى يرتلها القارىء .. وطلبت من زوجى أن يشرح لي بعض الايات وأخذت أستمع اليه وأنا كلى بهجة وفرح لما يقول .. وبعد مضى عام وأنا حامل عرضت علي زوجى رغبتي الصـادقة فى الاسلام لان هذا الدين هو اليـنبوع الروحى الذى يجذب اليـه الوجدان ويشعر الانسان بنفسه وقيمته وكانت هدية زوجى مصحفا شريفا واشتريت كتابا يعلم الصلاة وأخذت أتعلم كيفية تاديتهـا ثم ذهبت مع زوجى الي ادارة الشهر العقارى لاشهار اسلامى حتي أنعم بسماحة الدين الاسلامى الحنيف عن عقيدة وأخـذت أتابع الندوات الدينية وأحث المسلمات على أداء فرائض دينهم الحنيف الذى وجدت فيه الرحمة والتشريع لكل أسباب الحياة والحث علي التراحم والمودة وبر الوالدين وحسن معاملة الجيران .. حقا انه كتاب ونور يهدى به الله عباده سبل الرشاد .. هـذه هى قصة دخولي أرجو نشرها لتكون نبراسا لكل من يريد الهداية

هدية المنبر ورسائل القراء

أمام الكثرة المتزايدة من رسائل القراء التى تحمل الشـكر والتقدير والاستمرار على اهداء تفسير القرآن الـكريم .. يسر المجلة أن تكرر استمرارها فى تقديم الهدية حتى اكتمال المصحف الشريف مع الاشارة الي ماجاء برسالة القارىء نصر عطا يوسف كفر سرنجا ميت غمر بأن اخراج الهدية فى حجم المجلة لا يتسق معالاخراج الفنى للهدية كمالا وجمالا وان ذلككان موضعدراسةفنية

الامة الاسلامية .. ورسالة المجلس الاعلى للشئون الاسلامية

فى رسالة من الجزائربعث بها على ابراهيمناجى عضو البعثة التعليمية للجمهورية العربية المتحدة موجها الحديث الى السيد سكرتير عام المجلس الاعلى قائلا :

لقد كان لحديثكم عن الاسلام والمقابلات العظيمة التي لاقيتموها فى انحاء العالم ولقاءاتكم مع زعماء المسلمين ورؤساء الجمعيـات الاسلامية ما أثلج صدورنا وطمأن نفوسنا ولكم تحية أعضاء البعثة التعليمية فى عمالة الساورة ببشار بالجزائر التى تشيد بأعمـال المجلس الخالدة فى مواجهة الصهيونية التى تحاول نشر سـمومها حتي وصل بها الاجرام الى التحريف فى القرآن الكريم ، ولقـد استمعنا الى المصحف المرتل والمصحف المعلم فشكرا لكم علي هذه الاعمال العظيمة وجزاكم الله عن المسلمين خير الجزاء .

بريد التعارف

الاسم : محمد أحمد امام

البلد : الجمهورية العربية المتحدة

السن : ١٤ سنة

المهنة : طالب اعدادى

الهواية : قراءة منبر الاسلام وجمع الطوابع

العنوان : الدقهلية بلقاس ـ شارع رمة الفلال

الاسم : شيبان على

البلد : الجمهورية الجزائرية

السن : ١٨ سنة

المهنة : طالب بدار المعلمين

الهواية : المراسلة ـ جمع الطوابع والمناظرة وقراءة المجلة

العنوان : حى ديار الكاف 21-د-ع باب الواد ـ الجزائر العاصمة

الاسم : فوزى صابر حسان

البلد . الجمهورية العربية المتحدة

السن ٢١ سنة

المهنة : طالب بمعهد المحلة الكبرى الديني الثانوى

الهواية : قراءة الكتب الدينية والقاء الخطب والمواعظ

العنوان : المحلة الكبرى عزبة الرجبى

الاسم : علي محمود على النجار

البلد . الجمهورية العربية المتحد

السن : ١٨ سنة

المهنة : طالب ثانوى

الهواية مراسلة الشباب المسلم وتبادل الصور والمناظر الطبيعية والرحلات

العنوان : القاهرة ـ القلعة ـ السيدات عائشة درب غزية ٣١

الاسم : حسنى عبد المنعم الاسطي

البلد : الجمهورية العربية المتحدة

السن : ٢٣ سنة

المهنة : طالب بكلية الشريعة والقانون جامعة الازهر

الهواية : قراءة الكتب الدينية والادبية والقصص

العنوان : ديروط بحيرة مركز المحمودية

الاسم : خليفى محمد

البلد . الجمهورية الجزائرية

السن : ٢٠ سنة

المهنة : معلم

الهواية : المراسلة والصور الطبيعية

العنوان : عمارة جى ٤ رقم ٧ حي ميموزه وهران الجزائر

اقرأ فى هذا العدد

صفحة

معالم الطريق

نص خطاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى عيد العمال ٤
معادلة النصر ... ... السيد حسين الشافعى ٧
احتفال المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بالذكرى الخالدة للشاعر المؤمن الثائر محمد اقبال فى ٢٢-٤-١٩٦٩
كلمة السيد الاستاذ : محمد توفيق عويضة سكرتير عام المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ١٠
كلمة السيد اقبال أحمد أخوند سفير باكستان بالقاهرة ١٥
احتفال الجامعة الازهرية بتابين الراحل العظيم الدكتور ذاكر حسين رئيس جمهورية الهند ١٨
كلمة فضيلة الاستاذ أحمد حسن الباقورى مدير جامعة الازهر ١٩
كلمة السيد الدكتور عبد العزيز السيد ٢٢
كلمة السيد الاستاذ محمد توفيق عويضة سكرتير عام المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ٢٥
كلمة السيد ابا بانت سفير الهند بالقاهرة ٢٧
الذكرى السنوية الاولى للمغفور له فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى ٢٩

التشريع - الفقه - الأبحاث الدراسات الصوفية فى الاسلام

أسباب انهيار المجتمعات كما تحددها سورة الفجر الاستاذ أحمد حسين ٣٤
أنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ... ... فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى ... ٤٣
مفتراة هذه التوراة ... ... الدكتور أحمد الحوفى ٤٧
الاعجاز التشريعى فى القرآن ... ... المستشار على على منصور ٥٠
براعة الاستهلال وروعة الاساليب فى فواتح سور القرآن ... ... فضيلة الدكتور عبد الغنى الراجحي ٥٤
الشريعة الاسلامية والآداب ... ... المستشار محمد خاطر ٥٩
من أخلاق القرآن الكريم « الشكر » ... ... فضيلة الدكتور أحمد الشرباصى ... ٦١
خدمتك للمجتمع عائدة اليك ... ... فضيلة الشيخ عبدالله المشد ٦٦
القرآن حياة وعصمة - الاسرة الكبيرة ... فضيلة الشيخ عبد الحميد بلبع ... ٦٩
بنو اسرائيل فى ميزان القرآن ... ... الاستاذ البهى الخولى ٧٢
بعض المبادىء الايجابية فى التصوف الاسلامى الدكتور أبو الوفا الغنيمى التفتازانى ٧٧
الشريعة الاسلامية كمصدر للتشريع ... ... المستشار فتحى عبد الصبور ٨٠
الصوفية فى الهامهم ... ... الاستاذ حسن كامل الملطاوى ٨٢
المؤمن بين الثقة والحذر ... ... فضيلة الشيخ عبد الرحمن النجار ... ٨٨
الاسلام والحضارة العالمية ... ... الاستاذ محمود أبو الفيض المنوفى ... ٩٢
من كنوز القرآن - مصالح الناس مقصورة من التشريع ... ... فضيلة الشيخ محمد أنيس عبادة ... ٩٦
من أدب القرآن ... ... الاستاذ محمد عبدالجواد الاصمعي ... ٩٩
الاسرة العالمية الكبرى ... ... فضيلة الشيخ حسن صالح ١٠٢
الوفاء بالعهد والامان ... ... سماحة الاستاذ مبشر الطرازى ١٠٧
نظام الحسبة فى الاسلام ... ... الدكتور مصطفى الرافعى ١٠٩
صور القيامة فى الادب النبوى ... ... الدكتور محمد رجب البيومي ١١٢
الراجون رحمة الله تعالى ... ... فضيلة الشيخ عبد الوهاب الساكت ١١٨
دم الشهداء ... ... الاستاذ محمود السعيد الطنطاوى ... ١٢٣
القراءة المقبولة والمردودة ... ... فضيلة الشيخ محمود الحصرى ... ١٢٥

المولد النبوى الشريف :

ربيع الاول شهر الرحمة المهداة ... ... فضيلة الشيخ محمود أحمد هاشم ... ١٢٩
فى ذكرى مولد الرسول ... ... الاستاذ محمد الخضرى عبدالحميد ... ١٣٢
السراج المنير ... ... الاستاذ عبد العزيز سيد الاهل ... ١٣٦
الشريعة المحمدية ... ... فضيلة الشيخ أحمد كامل الخضرى ... ١٣٩
لمحة من حياة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ... ... فضيلة الشيخ محمود وفا هاشم ... ١٤٢

صفحة

قبس من ذكرى المولد الشريف ... فضيلة الشيخ محمد سيد جاد الحق ١٤٥
النبي والقرآن ... الدكتور عبد الله محمود شحاته ... ١٤٨
حول الاحتفال بالمولد النبوى ... الاستاذ حسن الشيخه ... ١٥٠
وانك لعلى خلق عظيم ... الاستاذ مهدى عبد الحميد مصطفى ... ١٥٣
خلقيات المصطفى ... الاستاذ عبد المنعم حسن الادفوى ... ١٥٦
وأخيرا .. انبثق النور ... الاستاذ عبد الحكيم النجار ... ١٥٨
آداب محمدية ... الاستاذ الرفاعى الباز ... ١٦١
من مواقف الرسول عليه الصلاة والسلام ... الاستاذ فتحى احمد مصطفى ... ١٦٣
موقف فاطمة الخثعمية ... فضيلة الشيخ محمد على الطعمى ... ١٦٦

التاريخ الاسلامى

ماذا تعرف عن العالم الاسلامى ... الدكتورة عنايات الطحاوى ... ١٧٠
مكانة فلسطين فى العالم الاسلامى ... الاستاذ محيى الدين الالوائى ... ١٨٠
قضية فلسطين من بدايتها الى ذروتها ... الاستاذ عثمان عبد السميع العدل ... ١٨٢

فكر وفن

فى العيد الالفي للقاهرة ... الاستاذ عبد المنعم حماده ... ١٨٦
فى ذكرى المولد النبوى الشريف « قصيدة » الاستاذ الشاعر قاسم غالب أحمد ... ١٩٣
فى رحاب الخلد « قصيدة » ... الشاعر عبدالله شمس الدين ... ١٩٦
فـداء بلادى « قصيدة » ... الشاعرة روحية القلينى ... ١٩٧
الي اخى فى المعركة ... الشاعر أحمد عثمان المراغى ... ١٩٨
فى عيد المولد النبوى الشريف ... الشاعر على الجمبلاطى ... ١٩٩
من التراث الفني الاسلامى ... الدكتور حسن الباشا ... ٢٠٠
ايثار « قصة العدد » ... الاستاذ علي أحمد باكثير ... ٢٠٤
صفحات مشرفة من بطولات الفلسطينيات ... الاستاذ عبد المغنى المنشاوى ... ٢٠٩
مؤامرات اليهود ضد الاسلام والمسلمين ... الاستاذ أحمد وافى ... ٢١٢
عبد الناصر صانع السلام ... الاستاذ كامل عبد المجيد ... ٢١٧
رجال صنعوا التاريخ ... الاستاذ محمود الهجرسى ... ٢١٨
بالتضحيات تحيا الشعوب ... الاستاذ عبد العال شعيب ... ٢٢١
اعـرف عـدوك ... الاستاذ اسماعيل السوس ... ٢٢٣
الاخاء فى الاسلام ... الاستاذ محمد حسن عبد العزيز ... ٢٢٧
كتاب عمر بن الخطاب الى أبى موسى الاشعرى المستشار عبد الستار آدم ... ٢٣٠
التصوف فى الاسلام ... الاستاذ طه رياض سيف النصر ... ٢٣٢
بقية خطاب السيد الرئيس جمال عبدالناصر فى عيد العمال ... ٢٣٤
دين ودنيا ... الاستاذ محمد المتولى النظامي ... ٢٤٨
فضل الشهادة فى سبيل الله وطابع الشهداء الشيخ محمد وهيب ... ٢٥٢
الفداء والفدائيون فى نظر القانون الدولى العام الاستاذ محمود كمال ... ٢٥٤
الاجتهاد والرأى والقياس والاستحسان ... الاستاذ [illegible] ... [illegible]
على طريق الواصلين ... الاستاذ عبد العليم المهدى ... ٢٦١

باب العلم

الفكر العلمى الاسلامى ... الدكتور عبدالحليم منتصر ... ٢٦٦

اعلام الاسلام

المسعودى .. الجغرافى .. الرحالة ... الدكتور علي حسني الخربوطلي ... ٢٧٠
الامام الشعرانى .. عالما وفقيها ... الاستاذ جودة محمد أبويزيد المهدى ٢٧٣
الافغانى الاول ... الاستاذ محمد فهمى عبد اللطيف ... ٢٧٥
السيد رشيد رضا ... الاستاذ عبدالسميع البطل ... ٢٧٧

المكتبة الاسلامية

فلسطين والضمير الانساني ... عرض وتقديم رجائى عطية ... ٢٨٠
من ذخائر السيد عبد الرحيم القنائي ... الاستاذ عبد السلام الشاذلى القوصى ٢٨٥

الافتـاء ـ المرأة المسلمة
الرياضة ـ القراء ـ التعارف

أنت تسال والمفتى يجيب ... فضيلة الامام الاكبر الشيخ حسن مأمون ٢٨٨
المهور بين الشريعة الاسلامية والواقع العملى اعداد نجاة الزنيرى ... ٢٩٧
ماذا نقول للشباب فى معسكرات الصيف ... الاستاذ ناصف سليم ... ٢٩٩
مع القـراء ... اعداد فؤاد هيبة ... ٣٠١
بريد التعارف ... ٣٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

لجنة القرآن المرتل

نزولا على رغبة المواطنين واستجابة لآلاف الطلبات والخطابات التى وردت للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية من السفارات والهيئات المختلفة والجمعيات الإسلامية فى قارتى إفريقيا وآسيا وبعض دول أوربا وأمريكا اللاتينية

يسر لجنة القرآن المرتل أن تعلن عن بيع:

اسطوانات القرآن المرتل

رواية حفص عن عاصم
٤٤ اسطوانة سرعة ٣٣ ⅓ لفة فى الدقيقة

ترتيل الشيخ محمود خليل الحصرى

	مليم	جنيه
بالغلاف الفاخر	٧٩٦	٢٣
بالغلاف العادى	٣٢٢	١٩

رواية ورش عن نافع
٦٨ اسطوانة سرعة ٣٣ ⅓ لفة فى الدقيقة

ترتيل الشيخ محمود خليل الحصرى

	مليم	جنيه
الثمن	١٥٠	٣٥

كما يسر اللجنة أيضا أن تعلن عن بيع مجموعة اسطوانات تعليم الصلاة باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية والأوردية والسواحلية

المجموعة تحتوى على ٧ سبع اسطوانات

الاسطوانة الأولى: شاملة الأذان
الاسطوانة الثانية: تشمل كيفية الوضوء
والخمس اسطوانات الأخرى:
على كل اسطوانة صلاة من الصلوات الخمس وأمام كل اسطوانة كتيب يشرح كل فريضة بالكلمة والصورة

الثمن ٥٠ خمسون قرشا

كما يسر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية أن يعلن عن بيع مطبوعاته باللغة العربية واللغات الأجنبية

١ مطبوعات لجنة القرآن والسنة
٢ مطبوعات لجنة موسوعة الفقه الإسلامى
٣ مطبوعات لجنة إحياء التراث الإسلامى
٤ مطبوعات لجنة إحياء أمهات كتب السنة
٥ مطبوعات لجنة التعريف بالإسلام

خصم خاص للمؤسسات والهيئات والمكتبات

مقر البيع الوحيد بالقاهرة:
٣ شارع الأمير قدادار:
خلف عمارة ميرى بميدان التحرير
مواعيد العمل:
من ٩ صباحا إلى ٢ ظهرا
ومن ٦ مساء إلى ٨ مساء

العنوان
القاهرة: مخازن القرآن المرتل ٧٦ ش الجمهورية ت ٩١١٧٠٨
الإسكندرية: فرع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ٤٢ ش سعد زغلول ت ٣٨٦٦٢

مواعيد البيع: من الساعة ٩ صباحا - ٢ مساء ومن الساعة ٥ - ٩ مساء ماعدا أيام الجمع والعطلات الرسمية